

تأليف المجدد المصلح، الفارس المجاهد

الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي

يرحمه الله تعالى ٦٦١هـ - ٧٢٨هـ

تحقيق وضبط ومراجعة

الأستاذ الدكتور/ محمود حسن أبو ناجي الشيباني

أستاذ الأدب والنقد

بكلية آداب البنات بالرياض

الناشر

شركة العبيكان للطباعة والنشر

رقم المخطوطة في (الميكروفيلم) في مكتبة الاسكوريال في مدريد بأسبانيا (١٤٧٤) ورقمها

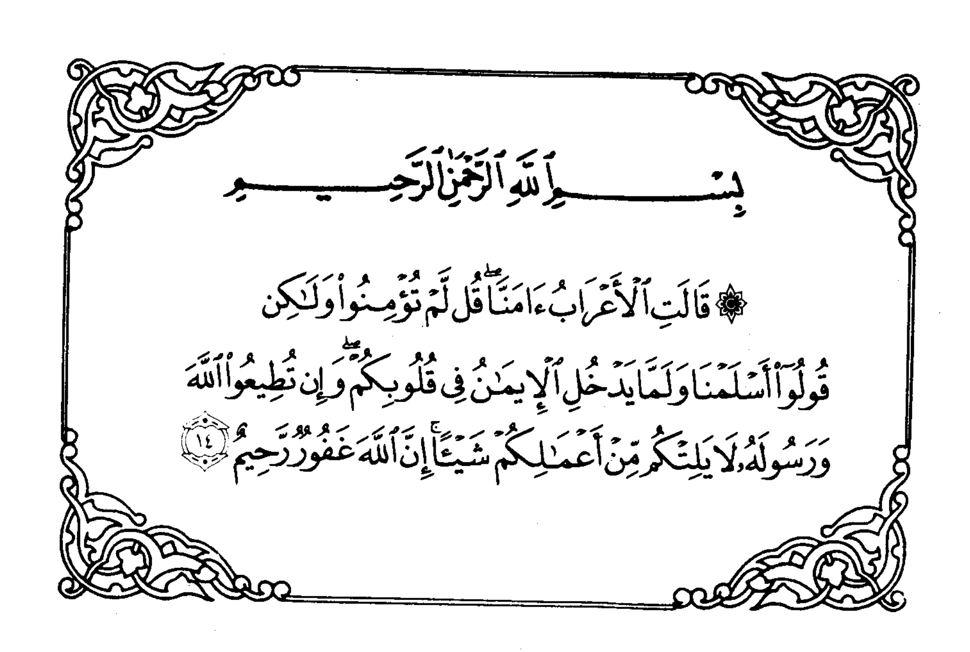
في مكتبة برلين بألمانيا (٢٠٨٩)


بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على

حقيقة الإسلام و الإيمان





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن
قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤

تقديم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم أبي التربية والتعليم والثقافة في المملكة العربية السعودية ذي الوزارتين ؛ وزير المعارف ووزير التعليم العالي معالي الأستاذ الدكتور أستاذي الأكرم الأحب منهل العلم ورائد العلماء ومورد المربين والأدباء الأستاذ الدكتور/عبد العزيز بن عبد الله الخويطر أدام الله بنيانه وأعلى أركانه .

ابن تيمية أشهر من أن يعرف به فقد نذر حياته لخدمة الإسلام درس أصوله وفروعه ودرَّسها وألف فيها المجلدات الضخمة والرسائل المتخصصة درَّسها بعمق وجلا غوامضها بمقدرة ورد بحماس وعلم على شبهات بعض من جانبهم التوفيق ، طبقت شهرته الآفاق لما بدا منه من تفوق مع صغر سن ، ولما ظهر عليه من تبحر في العلم ولما تصدى له من جهاد فقد تغرب وتعذب وسجن وأوذى في سبيل الدعوة إلى ما أمن به .

ترك ابن تيمية تراثاً ضافياً وعلماً عميقاً يصعب على أي إنسان أن ينتجه مع ما تعرض له مما كان متوقعاً أن يعيق بذله وانتاجه إلا أن الله سبحانه وتعالى أعانه ، فلقد كانت نيته كما يظهر حسنة وقصده نبيلاً وهدفه سامياً ، ولقد وفق في بسط كثير مما ينفع الناس من العلم سواء في الأصول أو في بعض ما يعرض للناس في حياتهم في ضوء مجتمعهم وزمنه ، ولم تكن آراؤه وقتيه ، بل كانت تتعدى في نفعها إلى أزمان لاحقة ومنها زماننا ، وقد أعطاه الله البصيرة ليبدي ما يجد المرء أنه يعالج مشاكل هي من مظاهر عصرنا . وهذا يدل على نجاح في الاستقصاء وعمق في التفكير ومقدرة على تتبع دقيق لجوانب الأمور . ويجب أن يفخر من يتصدى لتحقيق كتبه ونشرها في زماننا هذا لما حظيت ماضياً وحاضراً من احترام ممن عرفوا برجاحة الرأي ومتانة الدين وسلامة المعتقد . والفقه في أمور الشريعة وتقديرهم ولأن زماننا هذا في حاجة إلى مثل هذه الكتب التي حوت غذاءً ذهنياً شهياً ونوراً ساطعاً هادياً ، لما حوته من آيات مفسرة ، وأحاديث مستنطقة وآراء نيرة وكتبه تقى بإذن الله من الضلال ، أمام

بعض ما جدَّ على الساحة الإسلامية مما قد لا يكون سائراً على جادة السلف الصالح . وهو يضع رحمه الله أسساً قوية يمكن لطلاب العلم اليوم أن يستفيدوا منها لما يواجههم من أمور الحياة الحديثة .

وعلم ابن تيمية واتجاهه السلفي وتوفيقه في الاستدلال والتعليل لم ينقطع عند موته ، فقد بارك الله هذا العلم بأن أبقاه حياً بحمل تلاميذه له ونشرهم إياه ولحفظ الله تبارك وتعالى لكتبه وآرائه وإعطائها جاذبية عجيبة ، فلا يكاد من يتعرف عليها ، وعلى نهجه فيها ، إلا ويجد نفسه طالباً المزيد منها مقبلاً على ما ترك من تراث إقبال الهيم الظماء على الماء .

ولا غرو إذن أن يجد الدكتور محمود حسن أبو ناجي الشيباني نفسه منجذباً إلى روض من رياض العلم الغناء تفوح زهوره ونبته بعبق الإيمان والإسلام فيدع تخصصه جانباً لفترة ، وهو الذي انقطع لخدمة اللغة العربية ، نحوها وصرفها وآدابها وينصب خيمته بجانب هذا الروض الزاهر خمس سنوات تمر سريعة رغم ما بذله من مجهود لجعل القارئ يتمتع بما تمتع به دون عناء أو جهد .

أقبل الدكتور محمود على كتاب « الكلام على حقيقة الإيمان والإسلام » لابن تيمية ، وهو كتاب حسب علمه لم يسبق أن طبع فحققه وخرج الآيات فيه والأحاديث وشرح غوامض كلماته وعرف بأصحاب التراجم الذين ورد ذكرهم فيه وبين الفرق الإسلامية ، وحدد قائلي الأشعار الذين لم تبين أسماؤهم وقابل بين المخطوطات التي عثر عليها عن الكتاب ووضع للفصول عناوين . وقبل ذلك كله عرف بابن تيمية ، ووضع فهارس تسهل على المراجع العثور بسهولة على بغيته عند الحاجة . وقد وفق في اختيار هذا الكتاب للتحقيق لأنه إذا كانت كل كتب ابن تيمية قيمة ، فإن كتاب الإيمان والإسلام يأتي في قمة القائمة فالإيمان والإسلام هما جوهر العقيدة ، ومن قرأ ما جاء من حقائق عنها مفرقاً في كتب ابن تيمية فسوف يتطلع إلى ما جاء في هذا الكتاب النفيس الثمين مجمعاً .

إن علم الدكتور محمود في حقول اللغة العربية وتجربته السابقة المتعددة الجوانب في التحقيق لابد أنها ساعدته كثيراً على أن يأتي تحقيقه بالمستوى الذي يرجى أن يكمل النفع بهذا الكتاب .

ونسأل الله له الأجر والثواب على اجتهاده وجهده وعلى ما يكمن خلف هذا كله من نية حسنة وقصد نبيل .

يكفي المرء فرحة وثمناً للجهد أن يسمع كلمة « جزاه الله خيراً » لا توجه للمحقق فقط ، ولكنها توجه أيضاً للمؤلف مضافاً إليها كلمة يرحمه الله مع ما قد يضاف أيضاً ، مما قد يوفق له القارئ من دعاء لذلك المجاهد الذي أرخص حياته وحرمها الراحة والمتعة في سبيل الله وإعلاء كلمته والذب عن شريعته وهو لم يكتب كتبه رحمه الله لا هو ولا كثير من أمثاله لتوضع مخطوطة على الأرفف في مكتبات خاصة ، أو منزوية في مخازن مكتبات عامة ولم « ينفق » نور عينيه ويعشيهما ، من جراء الدراسة والكتابة على ذؤابة نور ضئيل ، يتراقص ساعات وساعات كأنه حشرجة روح ، ليقبر جهده ولكنه أراد أن يستفيد الناس قاطبة من جهده وتضحيته ، ولهذا فإني أشعر دائماً أن الإثم كبير على أولئك الذين يحبسون مثل هذه المخطوطات كأنها حلي خاصة بهم فلا ترى النور ولا تتنسم الهواء فيحرمون بهذا كاتبها من كلمة « جزاه الله خيراً » تقال من قلب مخلص ، ولسان رطب من ذكر الله ، توافق ساعة قبول .

إن جهد الدكتور محمود مشكور من الناس ونرجو أن يكون مقبولاً من الله سبحانه وتعالى وأن يثاب عليه ، بقدر ما بذل من جهد وما أعطي من وقت ، وما قدم من نية حسنة وأكثر .

والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وزير المعارف ووزير التعليم العالي

الأستاذ الدكتور / عبد العزيز عبد الله الخويطر

عبد العزيز عبد الله

١٠/ ٩/ ١٤٠٩



مقدمة المحقق

الحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه السموات والأرض ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والرسالة المسداة سيد الخلق والشفيع يوم المحشر ، قدوة المجاهدين وسيد الغر المحجلين وإمام المرسلين ، نبي الهدى والنور محمد بن عبد الله ، صلاة دائمة عاطرة إلى يوم أن يقوم الناس لرب العالمين .

أما بعد ..

فإنه لمن أسعد أيام العمر أن يشعر المسلم أنه يؤدي بعضاً مما علم فيما فرضه الله عليه إيماناً وعملاً وجهاداً وعلماً وسيرةً وقدوةً وتنويراً ونصحاً وثباتاً على الحق وتحدياً للباطل وقضاء على البدع والمنكرات وها أنذا أقدم جهداً متواضعاً في تحقيق كتاب هو أصل من العقيدة ألا وهو كتاب العلامة السلفي المجاهد الرباني شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وهو مخطوطة شريفة كريمة موضوعها : الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان .

وليس من الغريب أن تنال هذه المخطوطة عناية هذا العالم الرباني المجاهد السلفي الحنبلي الذي كان بحق إمام العلماء وسيد الفقهاء وآية الذكاء وغاية الحكماء إيماناً بالإسلام واعتقاداً بأصوله الصافية النقية البعيدة عن تأويل المبتدعين وشيوخ الضلالة من أهل الفرق المارقة عن دين الإسلام . ولم يكن ابن تيمية بشهادة معاصريه الثقاة إلاّ علماً للحق ونبراساً للهداية لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن هذا المنطلق تحمل صنوف الأذى المتعمدة سجناً في القاهرة وسجناً وابتلاءً في الاسكندرية وسجناً في قلعة الشام .

على أن ما عالجه ابن تيمية لم يكن أمراً غريباً عن الإسلام بل إنه يتناول العقيدة شرحاً سلفياً ويتناول أصول الإسلام اعتماداً على أقوال الحق تبارك وتعالى وجعل قطب

الدائرة أو مدار بحثه الإسلام والإيمان والإحسان منطلقاً من دلائل الآيات القرآنية الكريمة وما عدا ذلك فهو مرفوض وبعيد عن جوهر العقيدة الصافية .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ سورة آل عمران ، الآية ١٩ ، ويقول كذلك : ﴿ **ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ سورة آل عمران ، الآية ٨٥ ، ويقول الحق في تثبيت دعائم التوحيد في نفوس المسلمين : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً** ﴾ سورة النساء ، الآية ١١٦ ، ويقول الحق في بيان كفر النصارى : ﴿ **وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ سورة المائدة ، الآية ٧٢ . ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ سورة المائدة الآية ٣ .

ومن المعروف أن جميع الرسل جاءوا بدعوة واحدة هي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾سورة النحل ، الآية ٣٦ ، والمتمسك بالإسلام يتمسك بأوثق الروابط والأواصر ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾ سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ . ويقول تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾سورة آل عمران ، الآية ١٨ ، ويقول تعالى مبينا أركان الإيمان : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ . وإن النفع والضر بيد الله وحده لا تنفع شفاعة شيخ أو قربة من مطيع ، يقول تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ سورة يونس ، الآية ١٨ . ويقول الرسول ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه الإمام البخاري ١/٧٥ عن ابن عمر ومسلم ١/٥١ عن أبي هريرة .

ويقول كذلك مبيناً شأن الإسلام والإيمان : « إن للإسلام صوى ومناراً ـ كمنار الطريق ، ومن ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأن تقيم الصلاة وتصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلم على بني آدم إذا لقيتهم فإن ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة وأن لم يردوا عليك ردت عليك الملائكة ولعنتهم أن سكت عنهم وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم فمن انتقص منهن شيئاً فهو سهم في الإسلام تركه ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » رواه الحاكم .

ويقول ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » أخرجه البخاري ٤٩/١ ، ومسلم ٤٥/١ .

ويقول الرسول الكريم عن الإيمان عندما سأله جبريل عنه وما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت » رواه الإمام أحمد في المسند ١١٤/٤ ، ويقول ﷺ : « لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » البخاري ١١٩/٥ ، ومسلم ٧٦/١ ، والإيمان شعبه متعددة ودروبه كثيرة تنطلق جميعها من الإيمان بالله ثم تتفرع إلى هذه الشعب التي تحث على الخير وتربط المسلمين برباط قوي من التزود بالنبع الصافي نبع التوحيد من العقيدة الإسلامية فيقول الرسول ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » البخاري ٢٣٦/٢ ، مسلم ٢٩٥/١ . على أن ابن تيمية قد كشف الفرق الضالة جميعاً وبين فسادها وخطل اعتقادها وضرر البعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث يقول : تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » ، ويقول : « إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله » رواه مسلم ، ٧٨١/٢ ، وقد كان هذا الإمام الجليل ينطلق في بيان حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان وما تفرع عن هذه الأصول من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بحيث لم تزغه الأهواء وتحرفه عن طريق الحق أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد كشف ضلال الفرق الإسلامية جميعاً اعتماداً على قول الرسول ﷺ حيث تشعبت هذه الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة يقول الرسول ﷺ : « لتتبعن سنة من كان قبلكم باعاً بباع وذراعاً بذراع وشبراً بشبر حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال : « فمن إذا » ، رواه مسلم رقم ٣٩٩٤ صحيح مسلم

١٣٢٢/٢ . ويقول في حديث آخر : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ،وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار « قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : « الجماعة » ، رواه الإمام مسلم رقم الحديث ٣٩٩٢ ، صحيح مسلم ، ١٣٢٢/٢ .

وهذه المخطوطة التي بيت أيدينا (الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان) للعلاّمة الإمام المجاهد ابن تيمية صوّرتها من ميكروفيلم من مكتبة الاسكوريال بمدريد في أسبانيا ورقمها في مكتبة الاسكوريال هو ١٤٧٤ ، وهناك مخطوطة أخرى بهذا العنوان في جامعة برلين بألمانيا ورقمها هو ٢٠٨٩ ، وتوجد صورة أخرى في دهلي في الهند بدون رقم . وقد عقدت مقابلة بين مخطوطتي هذه وبين هاتين المخطوطتين .

وكان عملي في هذه المخطوطة في الآتي :

أولاً : خرّجتُ الآيات القرآنية ورددتها إلى سورها .

ثانياً : خرّجتُ الأحاديث النبوية الشريفة وَعَزَوْتها إلى رواتها من أصحاب كتب الحديث ، وكانت هذه الخطوة أشق أنواع التحقيق لكثرة ما ورد في هذه المخطوطة من أحاديث صحيحة أو ضعيفة ومحاولاتي الدائبة في بيان صحة هذه الأحاديث ، لأن الحديث الشريف هو الأصل الثاني من التشريع الإسلامي .

ثالثاً : شرحتُ الكلمات الغامضة في هذه المخطوطة السنِيّة .

رابعاً : كتبتُ تراجم موجزة للأعلام الذين وردوا في هذه المخطوطة .

خامساً : عرّفتُ بالفِرَقِ الإسلامية التي ذكرها ابن تيمية رحمه الله في كتابه .

سادساً : عزوْتُ أبيات الشعر الواردة في المخطوطة إلى قائليها .

سابعاً : قابلتُ بين هذه المخطوطة والمخطوطة الهندية ومخطوطة برلين حيث بيّنت الفَرْقَ بين هذه المخطوطات جميعاً .

ثامناً : أشرتُ إلى أماكن الفراغ في المخطوطة وكذلك في فراغ المخطوطات الأخرى .

تاسعاً : وضعتُ عناوين للفصول التي وردت في المخطوطة مستوحاة من مضمون الفصل بحيث يستطيع القارئ الاستدلال على معنى هذا الفصل وتحديد مضمونه .

عاشراً : كتبت ترجمة موجزة عن العلامة صاحب المخطوطة وبينت كيف أنه كان يعنى بشرح العقيدة الإسلامية الصافية وبينت أقوال العلماء المنصفين له والحاقدين عليه .

حادي عشر : أثناء بحثي عن الأحاديث النبوية الصحيحة بينت الأحاديث الضعيفة التي يعتمد عليها أهل البدع والأهواء من الفرق الإسلامية الضالة وكانت من قبل غير معروفة صحة أو ضعفاً .

ثاني عشر : كان في الآيات التي وردت في هذه المخطوطة إما نقص وإما عدم وضوح في الكلمات فقمت بكتابة الآيات صحيحة وأشرت إلى ذلك في هامش هذه المخطوطة الكريمة .

ثالث عشر : وضعت فهارس للآيات والسور .

رابع عشر : وضعت فهارس للأحاديث النبوية الشريفة .

خامس عشر : وضعت فهارس للأبيات الشعرية .

سادس عشر : وضعت فهارس للأعلام .

سابع عشر : وضعت فهارس للفرق الإسلامية .

ثامن عشر : وضعت فهارس للأماكن الجغرافية .

تاسع عشر : وضعت فهرساً للموضوعات .

عشرون : كتبت المصادر والمراجع الأدبية قديماً وحديثاً .

وبعـــد ..

فقد بذلت من الجهد والوقت في تحقيق هذه المخطوطة الإسلامية الإيمانية في مدى خمس سنوات ما لا يعلمه إلا الله سهراً ودأباً ومراجعة وبحثاً وضبطاً وما أبتغي إلا رضا الله العلي العظيم وأرجو أن تنال هذه المخطوطة الكريمة لعلامة وشيخ الإسلام رضا المولى عز وجل وأن ينفع بها المسلمين عموماً لأنها صادرة من نبع صاف رقراق نبع القرآن الكريم والحديث الشريف وصدق الله حيث يقول : ﴿ **إن هذا القرآن**

يهدي للتي هي أقوم ﴾ ، سورة الاسراء ، آية ٩ ، ويقول : ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ، سورة الحشر ، آية ٧ ، ويقول تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾ سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

ومما يجدر ذكره أن دعوة شيخ الإسلام ومجدد الدعوة السلفية في هذا العصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه تلتقي مع شيخ الإسلام ابن تيمية في دعوته لإصلاح العقيدة ومحاربة أهل الضلالة والبدع وإقامة حياة إسلامية نقية من الشوائب التي علقت بالعقيدة الغراء طيلة قرون طويلة فجزاه الله خيراً عما بذل من جهود في تثبيت دعائم الشريعة الإسلامية في هذه الجزيرة التي هي مهبط الوحي ومنبع الإسلام ومنار الحق بمؤازرة أئمة الهدى والإيمان من آل سعود جزاهم الله خير الجزاء .

هذا وإني لأرجو المولى عز وجل أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم : ﴿ **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ سورة آل عمران ، الآية ١٤٧ ، ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾ سورة آل عمران ، الآية ٨ ، ﴿ **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** ﴾ سورة طه ، آية ٢٥ .

وأدعوا المولى أن يوفق قادة وعلماء وأمراء المسلمين للتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما أرجو من القارىء أن يعذرني إنْ وجد زلة أو هنة غير مقصودة ، ففي الحديث الشريف : « إن المجتهد إن اجتهد وأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر » ، وصدق الحق : ﴿ **وما أُبرىء نفسي إنَّ النفس لأمَّارة بالسّوء** ﴾ سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

وصلّى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آلة وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
كليـة آداب البنات بالرياض
غرة ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ،
أكتوبر ١٩٨٨ م

المحقق
الأستاذ الدكتور
محمود حسن أبو ناجي الشيباني
أستاذ الأدب والنقد بكلية آداب البنات بالرياض

كتب تراجم ابن تيمية

١ ـ هدية العارفين ١٠٥/٥

٢ ـ شذرات الذهب ٨٠/٦ سنة ٧٢٨ هـ .

٣ ـ الدرر الكامنة ١٤٤/١، رقم الترجمة ٤٠٩ من ص ١٤٤ ـ ص ١٦٠

٤ ـ معجم المؤلفين ٢٦١/١ .

٥ ـ تذكرة الحفاظ ٢٧٨/٤ ـ ٢٢٨/٤ .

٦ ـ فوات الوفيات ١٣٥/١ مهم .

٧ ـ البدر الطالع ٦٣/١ .

٨ ـ الأعلام ١٤٠/١ .

٩ ـ البداية والنهاية ١٣٥/١٤ .

١٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية ٢٣١/١ .

١١ ـ رثاء الشيخ ابن تيمية في ديوان ابن الوردي ص ٢٦٦ وكان معاصراً لابن تيمية .



بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمـــة المــؤلف[1]

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني الحنبلي ثم الدمشقي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين بن مجد الدين ، ولد في عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ وتحول به أبوه من حران سنة ٦٦٧ هـ عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق فسمع الشيخ ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر والمجد ابن عساكر ويحيى بن الصيرفي والقسم الإربلي والشيخ شمس الدين بن أبي عمر وغيرهم كثير . وعنى بالحديث وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني وما لا يحصى من الكتب والأجزاء وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء وأقبل على العلوم في صغره فأخذ الفقه والأصول عن والده وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر والشيخ زين الدين ابن المنجا وبرع في ذلك ، وناظر وقرأ العربية على ابن عبد القوي ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من

---

(١) راجع ترجمة ابن تيمية في المصادر الآتية :
ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة ٣٣٧/١ ، المنهج الأحمد ٤٢٤ ـ ابن عبدالهادي تذكرة الحفاظ ٢/٣ ، الصفدي : الوافي ١٠/٦ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٢٨/٤ ، ابن كثير : البداية ١٣٢/١٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٧١/٩ ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ٣٥/١ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ٣٣٦ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٧٧/٤ ، ابن الوردي تاريخ ٢٨٤/٢، ديوان ابن الوردي ٢٦٦ ، الشوكاني ، البدر الطالع ٦٣/١ ، عبدالعزيز المراغي : ابن تيمية ، ابن حجر الدرر الكامنة : ١٤٤/١ ، الصعيدي : المجددون في الإسلام ٢٦٢ ، العظمة : عقود الجوهر ١٦٦ ، مرعى الكرمى : الكواكب الدرية في مناقب الإمام ابن تيمية ، كرد على : كنوز الأجداد ٣٦٠ ، هراس : ابن تيمية السلفي محمد أبو زهرة ، ابن تيمية حياته وعصره ، فهرس النيمورية ١٠٦/٤ ، السبكي : الدرر المعنية في الرد على ابن تيمية حاجي خليفة خليفة كشف الظنون ١٣٥/١ ، البغدادي هدية العارفين ١٠٥/٥ ، شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي ٨٠/٦ سنة ٧٢٨ هـ ، معجم المؤلفين ٢٦١/١ ، الاعلام ١٤٠/١ ، دائرة المعارف الإسلامية ٢٣١/١ ، نعمان الألوسي جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين .

العلوم ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله ورد على رؤسائهم وأكابرهم ومهر في هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة ، وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد إنه لم يكن يحفظ شيئاً وينساه ثم توفي والده وله إحدى وعشرون سنة . فقام بوظائفه بعده مدة فدرس بدار الحديث التنكزية المجاورة لحمام نور الدين الشهير في البزورية في أول سنة ٦٨٣ هـ وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي والشيخ تاج الدين الفزاري وابن المرحل وابن المنجا وجماعة فذكر درسا عظيماً في البسملة بحيث بهر الحاضرين وأثنوا عليه جميعاً ، قال الذهبي : وكان الشيخ تاج الدين الفزاري يبالغ في تعظيم الشيخ تقي الدين بحيث إنه علق بخطه درسه بالتنكزية ثم جلس عقب ذلك كان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم وشرع من أول القرآن فكان يورد في المجلس من حفظه نحو كراسين أو أكثر وبقي يفسر في سورة نوح عدة سنين أيام الجمع . وقال الذهبي في معجم شيوخه : شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاءً وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للأمة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر . سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتب وخرَّج ونظر في الرجال والطبقات وحصَّل ما لم يحصله غيره ، وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر وقاد إلى مواضع الإشكال ميال واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزوا إلى أصوله وصحابته مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده وأتقن العربية أصولاً وفروعاً وتعليلاً واختلافاً ونظر في العقليات وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على أخطائهم وحذر ونصر السنة بأوضح حجج وأيسر براهين وأوذي في ذات الله من المخالفين وأخيف في نصر السنة المحضة حتى أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت أعداءه وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته وأحيا به الشام بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم خصوصاً في طائفة التتار وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله وأنه ما رأى مثله انتهى كلام الذهبي .

وكتب الشيخ كمال الدين بن الزملكاني تحت اسم ابن تيمية كان إذا سئل عن فن من العلم ظن السامع والرائي أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً

لا يعرفه مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها . وكتب الحافظ ابن سيد الناس في جواب سؤالات الدمياطي في حق ابن تيمية : أَلْفَيْتُه ممن أدرك من العلوم حظّاً وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو دان بالحديث فهو صاحب علمه وذو رايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من غلّته ولا أرفع من درايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين ما رآه مثله وما رأت عينه مثل نفسه . وقال الذهبي في تاريخه الكبير بعد ترجمة طويلة بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث وترجمه الزملكاني ترجمة طويلة ، وأثنى عليه ثناءً عظيماً وكتب تحت ذلك :

مـــاذَا يَقُـــولُ الواصِفُـــونَ لَـــهُ ... وَصِفَاتُـــهُ جـــلَّتْ عَـــنْ الحصْرِ
هـــو حجّـــةٌ لله باهِـــرَةٌ ... هـــو بيْنَنَـــا أُعجوبـــةُ الدّهْـــرِ
هـــو آيـــةٌ للخَلْـــقِ ظَاهِـــرَةٌ ... أنوارُهَـــا أَرْبَتْ عَلى الفَجْـــرِ

وللشيخ أثير الدين بن أبي حيان النحوي لما دخل الشيخ مصر واجتمع به فأنشد أبو حيان :

لَمَّـــا رَأَيْنَـــا تَقِـــيَّ الديـــنِ لاَحَ لَنَـــا ... دَاعٍ إلى الله فَـــرْداً مَـــا لَـــهُ وزرُ
عَلَى مُحيّاهُ من سيما الأُلى صَحِبُوا ... خَيْـــرَ البرِيَّـــة نـــورٌ دُونَـــهُ قَمَـــرُ
حَبْـــر تَسرْبَـــل مِنـــه دهـــره حَبْـــراً ... بَحْـــر تُقَـــاذِفُ مِـــنْ أَمْواجِـــه الـــدُّرَرُ
قَـــام ابـــنُ تيميـــة في نَصْر شرِعَتِنَـــا ... مَقَـــامَ سيِّـــدِ تيـــمٍ إذْ عَصَتْ مُضَرُ
فَاظهَـــر الديـــنَ إذ آثـــاره دَرَسَتْ ... وأَخمَـــد الشّركَ إذْ طَـــالَتْ لَـــهُ شَرَرُ
يَا مَنْ تُحدّثُ عَن عِلمِ الكتابِ أَصِخْ ... هَـــذَا الإِمَـــامُ الـــذي قَـــدْ كَـــانَ يُنْتَظَـــرُ

يشير بهذا إلى أنه المجدد وممن صرح بذلك الشيخ عماد الدين الواسطي وقد توفي قبل الشيخ وقال في حق الشيخ بعد ثناء طويل جميل ما لفظه : فوالله ثم والله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس عقداً وأصحّهم علماً وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همّه وأسخاهم كفّاً وأكملهم اتّباعاً لنبيه محمد ﷺ ، ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية

وسننها من أقواله وأفعاله إلاّ هذا الرجل يشهد القلب الصحيح أنّ هذا هو الاتباع حقيقة .

وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ فقال : رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء فقيل له فَلِمَ لم تتناظرا فقال لأنه يحب الكلام وأحب السكوت .

وقال برهان الدين بن مفلح في طبقاته كتب العلامة تقي الدين السبكي إلى الحافظ الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين بن تيمية : فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه في ذلك كان المبلغ الذي يتجاوزه الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ، ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرضٍ وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان .

مُصَنَّفــات الشيخ :[1]

صنّف ابن تيمية في فنون عديدة ولعلّ تواليفه تبلغ ثلاثمائة مجلدة ، وكان قوّالاً بالحق نهّاءً عن المنكر ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة ، وكان أبيض ، أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كأنّ عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال جهوريّ الصوت ، فصيح اللسان ، سريع القراءة ، توفي محبوساً في قلعة دمشق على مسألة الزيارة ، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية .

كتب التفسير : قاعدة في الاستعاذة ، قاعدة في البسملة ، قاعدة في قوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾ وقطعة كبيرة من سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ **ومِنَ النَّاسِ من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر** ﴾ ثلاث كراريس ، وفي قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهم كَمَثَلِ الذِي استوقد ناراً** ﴾ في كراسين وفي قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها الناس اعبدوا** ﴾ سبع كراريس ، : ﴿ **إلا من سفه نفسه** ﴾ كراسة ، آية الكرسي كراسان ، ﴿ **ما أصابك من حسنة** ﴾ عشر كراريس ، سورة يوسف مجلد كبير ، سورة النور مجلد لطيف .

---

(١) فوات الوفيات ٧٤/١ .

كتب الأصـول : الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية ، أربع مجلدات ، تعارض العقل والنقل ، أربع مجلدات ، الجواب الصحيح ردّ على النصارى ، ثلاث مجلدات ، منهاج الاستقامة ، شرح عقيدة الأصفهاني ، الردّ على المنطق ، مجلد ، الرد على الفلاسفة ، أربع مجلدات ، قاعدة في القضايا الوهمية ، جواب الرسالة الصفدية ، إثبات المعاد والردّ على ابن سينا ، الرسالة الأزهرية ، القادرية ، البغدادية في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما ، فضل معاوية ، مختصر في كفر النصيرية ، في جواز قتال الرافضة .

كتب أصول الفقه : شمول النصوص للأحكام ، قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام ، جواب في الإجماع وخبر التواتر ، مآخذ على ابن حزم في الإجماع ، رفع الملام عن الائمة الأعلام ، قاعدة في الاستحسان ، جواب في ترك التقليد تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة ، الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان .

كتب الفقـه : شرح المحرر في مذهب أحمد ، شرح العمدة لموفق الدين قاعدة في المياه والمائعات وأحكامهما ، طهارة بول ما يؤكل لحمه ، نواقض الوضوء ، كراهية التلفظ بالنيّة ، الكلم الطيّب في الأذكار ، بيان الحرام والحلال في الطلاق ، الفرق المبين بين الطلاق واليمين .

وقال الشيخ ابن رجب : مكث الشيخ معتقلاً في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين ثم مرض بضعة وعشرين يوماً ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفاجأهم إلا موته .

ويروي صاحب الدرر ابن حجر العسقلاني ما نصّه :[1] وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين العلائي في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبد الله بن محمد ابن خليل ما نصّه : « وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا وسيدنا وإمامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك بمن اتّبعه أحسن طريق ذي الفضائل المتكاثرة والحجج القاهرة التي أقرت الأمم كافة أن هممها عن حصرها قاصرة ومتّعنا الله بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الإمام العالم الربّاني والبر والبحر القطب النوراني ، إمام الأئمة ، بركة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحد علماء الدين ، شيخ الإسلام ، حجة الأعلام ، قدوة الأنام ، برهان

---

(١) الدرر الكامنة ١/١٥٩ .

المتعلمين ، قامع المبتدعين ، سيف المناظرين ، بحر العلوم ، كنز المستفيدين ، ترجمان القرآن ، أعجوبة الزمان ، فريد العصر والأوان ، تقي الدين إمام المسلمين ، حجة الله على العالمين ، اللاحق بالصالحين ، والمشبَّه بالماضين ، مفتي الفرق ، ناصر الحقّ ، علامة الهدى ، عمدة الحفاظ ، فارس المعاني والألفاظ ، ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ، أبو العباس بن تيمية . وكانت وفاة ابن تيمية في سحر ليلة الإثنين في العاشر من ذي القعدة سنة سبعمائة وثمانٍ وعشرين ، ذكره مؤذّن القلعة على منارة الجامع فتسامع الناس بذلك وبعضهم علم به في منامه ،[1] واجتمع الناس حول القلعة حتى أهل الغوطة ولم يطبخ أهل الأسواق ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين وفتح باب القلعة واجتمع عند الشيخ خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة وشرعَا في الحادية والثمانين وانتهيا إلى قوله تعالى : ﴿ **إن المتّقين في جناتٍ وَنَهَر في مقعد صِدقٍ عند مليكٍ مُقتدِر** ﴾ ، فشرع حينئذ الشيخان الصالحان عبدالله بن المحب الصالحي والزرعي الضرير وكان الشيخ يحب قراءتهما فابتدآ من سورة الرحمن حتى ختما القرآن وخرج من عنده من كان حاضراً إلاّ من يغسله ويساعد على تغسيله حتى امتلأت القلعة وما حولها بالرجال فصلّى عليه بدركاه القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام وضجَّ الناس حينئذ بالبكاء والثناء والدعاء بالترحّم وأخرج الشيخ إلى جامع دمشق وصلّوا عليه الظهر وكان يوماً مشهوداً لم يعهد بدمشق مثله وصرخ صارخ هكذا تكون جنائز أئمة السنة فبكى الناس بكاءً كثيراً وأخرج من باب البريد واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وصار النعش على الرؤوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى وخرجت جنازته من باب الفرج وازدحم الناس على أبواب المدينة جميعاً للخروج وعظم الأمر بسوق الخيل ودفن وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله بمقابر الصوفية وقدر من حضر جنازته بمائتي ألف ومن النساء بخمسة عشر ألفاً وختمت له ختمات كثيرة رحمه الله ورضي عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(١) شذرات الذهب ٨٥/٦ .

وقد رثاه شهاب الدين بن فضل[1] بقصيدة رائية مليحة ، ورثاه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية ، وهذه بعض أبياتها :[2]

عَثَا فِي عِرْضِهِ قَومٌ سِلاطُ ... لَهُمْ من نثر جَوْهَرِهِ النقاطُ
تقيُّ الدينِ أحمدُ خيرُ حَبْرٍ ... خروقُ المُفضِلاتِ بِهِ تُحاطُ
تُوفي وهو محبوسٌ فريدٌ ... ولَيس لَه إلى الدُّنيا انبسَاطُ
وَلَو حضَروهُ حينَ قَضَى لأُلفوْا ... مَلائكةَ النعيم بِهِ أحاطُوا
قَضَى نحباً وَليس لَه قَرينٌ ... وَلاَ لِنَظيرِهِ لُفَّ القِماطُ
فَريداً في نَدَى كَفٍّ وَعِلمٍ ... وحلُّ المُشْكِلاتِ بِهِ يُناطُ
وكَانَ إلِى التُّقَى يَدعو البَرَايَا ... وَيَنْهَى فِرْقَةً فَسَقُوا ولاَطُوا
وَكان يخافُ إبليسٌ سَطَاه ... بوعظٍ للقُلوبِ هو السِيَاطُ
فَيا لله ماذا ضَمَّ لحدٌ ... ويا لله ما غَطَّى البسَاطُ
هُمُ حسدوه لمَّا لَم ينالوا ... مَناقِبَهُ فَقدْ مَكَروا وشَاطُوا
وَكَانُوا عن طرائقهِ كُسَالَى ... وَلَكِنْ في أَذَاهُ لَهُم نَشَاطُ
وَحَبْسُ الدُّرِّ في الأصدافِ فَخْرٌ ... وَعندَ الشيخِ بالسِجْنِ اغتِبَاطُ
بآلِ الهاشميّ لَه اقتداءٌ ... فقد ذَاقوا المُنونَ وَلم يُواطُوا
بَنو تيميّةَ كانُوا فَباتُوا ... نُجومَ العِلمِ أَدركَها انهِبَاطُ
ولَكِنْ يا ندامةَ حاسِدِيهِ ... فشكُّ الشِّركَ كَانَ بِهِ يُحَاطُ
ويَا فرحَ اليهودِ بِمَا فَعَلتُمْ ... فإنَّ الضدَّ يعجبهُ الخِبَاطُ
أَلَمْ يكُ فيكُمُ رجلٌ رشيدٌ ... يَرى سجنَ الإمام فَيستشَاطُ
إمامٌ لا ولايةَ كَانَ يرجُو ... ولا وَقْفٌ عَليه ولا رِبَاطُ
وَلا جَاراكُمُ فِي كَسْبِ مَالٍ ... وَلَمْ يعهدُ لَه بكُمْ اختلاطُ
ففيمَ سَجنْتُموه وغِظْتُموه ... أما لجَزَاء أَذِيتِهِ اشتراطُ
وسجنُ الشيخ لا يَرضَاه مِثْلي ... ففيه لِقَدْرِ مثلِكم انحطاطُ
أما والله لولا كَتمُ سِرِّي ... وخوفُ الشرِّ لانحطّ الرِبَاطُ
وكنتُ أقولُ ما عندي وَلَكِنْ ... بأهلِ العلم ما حَسُنَ اشتطاطُ
فما أحدٌ إلى الإنصاف يَدعو ... وكلٌّ في هَواه لَهُ انخِرَاطُ

---

(1) الدرر ١/١٥٣ ،

(2) ديوان ابن الوردي ، تحقيق د. أحمد الهيب ٢/٢٦٦ .

سَيظهَـــرُ قصدُكم يـــا حابسِيـــهِ ونيَّتكـــــــم إذا نُصِبَ الصِرَاطُ
فَهـا هُـو مَـاتَ عِندَكُـم استَرَحتـمْ فَعاطُـــوا مـــا أَرَدْتم أن تُعَاطُـــوا
وحِلّــوا واعقِـــدُوا مـــن غيـــرِ رِدٍّ عَليكُـــمْ وانطَـــوى ذَاكَ الـــبِسَاطُ

وقد أجملت دائرة المعارف الإسلامية آثار الشيخ ابن تيمية في مؤلفات هي :

١ ـ رسالة الفرقان بين الحق والباطل .
٢ ـ معارج الوصول وهو تفنيد لقول الفلاسفة والقرامطة الذين يذهبون إلى أن الأنبياء قد يكذبون في بعض الأحيان .
٣ ـ التبيان في نزول القرآن .
٤ ـ الوصية في الدين والدنيا (الوصية الصغرى) .
٥ ـ رسالة في النيّة في العبادات .
٦ ـ رسالة في العرش هل هو كري أم لا .
٧ ـ الوصيـــة الكبـــرى .
٨ ـ الإدارة والأمر .
٩ ـ العقيـدة الواسطيـة .
١٠ ـ المناظرة في العقيدة الواسطية .
١١ ـ العقيدة الحمويـة الكبرى .
١٢ ـ رسالة في الاستغاثـة .
١٣ ـ الإكليل في المتشابه والتأويل .
١٤ ـ رسالـة الحـــلال .
١٥ ـ رسالة في زيارة بيت المقدس .
١٦ ـ رسالة في مراتب الإدارة .
١٧ ـ رسالة في القضـاء والقـدر .
١٨ ـ رسالة في الاحتجاج بالقدر .
١٩ ـ رسالة في درجات اليقين .
٢٠ ـ كتاب بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال .
٢١ ـ رسالة في سنة الجمعة .
٢٢ ـ تفسير المعوذتين .
٢٣ ـ رسالة في العقود المحرمة .

٢٤ ـ رسالة في معنى القياس .
٢٥ ـ رسالة في السماع والرقص .
٢٦ ـ رسالة في الكلام على الفطرة .
٢٧ ـ رسالة في الأجوبة من أحاديث القصاص .
٢٨ ـ رسالة في رفع الحنفي يديه في الصلاة .
٢٩ ـ كتاب مناسك الحج .
٣٠ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .
٣١ ـ الواسطة بين الخلق والحق .
٣٢ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام .
٣٣ ـ كتاب التوسل والوسيلة .
٣٤ ـ جواب أهل العلم من أن قل هو الله أحمد تعدل ثلث القرآن .
٣٥ ـ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح .
٣٦ ـ الرسالة البعلبكية .
٣٧ ـ الجوامع في السياسة الإلٰهية .
٣٩ ـ كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول .
٤٠ ـ تخجيل أهل الإنجيل وهو ردّ على النصرانية .
٤١ ـ المسألة النصيرية وهي فتوى ضد النصيرية وتكفيرهم وكانوا يقطنون جبال الشام .
٤٢ ـ العقيدة التدمرية .
٤٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ومجانبة أصحاب الجحيم وهو في الرد على اليهود والنصارى .
٤٤ ـ جواب عن لو .
٤٥ ـ كتاب الرد على النصارى .
٤٦ ـ مسألة الكنائس .
٤٧ ـ الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان (برلين رقم ٢٠٨٩) .
٤٨ ـ العقيدة المراكشية .
٤٩ ـ مسألة العلو .
٥٠ ـ نقد تأسيس الجهمية .
٥١ ـ رسالة في سجود القرآن .

٥٢ ـ رسالة في سجود السهو .
٥٣ ـ رسالة في أوقات النهي .
٥٤ ـ كتاب في أصول الفقه .
٥٥ ـ كتاب الفرق المبين بين الطلاق واليمين .
٥٦ ـ مسألة الحلف بالطلاق .
٥٧ ـ الفتاوى . .
٥٨ ـ كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية .
٥٩ ـ جوامع الكَلِم الطيّب في الأدعية والإذكار .
٦٠ ـ رسالة العبودية .
٦١ ـ رسالة تنوع العبادات .
٦٢ ـ رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور .
٦٣ ـ رسالة المظالم المشتركة .
٦٤ ـ الحسبة في الإسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الامام العالم العلامة بقية السلف الكرام شيخ الاسلام
ومفتي الانام بحر العلوم ونخبة الراسخين منبع الفهوم وكنز المستفيدين الرباني
المجتهد تقي الدين ابو العباس احمد بن الشيخ الامام العالم العلامة عبد الحليم
ابن الشيخ الامام العالم العلامة مجد الدين ابي البركات بن تيمية تغمده الله برحمته
واسكنه فسيح جنته الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ
بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان سيدنا
محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا دائما

اعلم ان الايمان والاسلام يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس
في حقيقة الايمان والاسلام ونزاعهم واضطرابهم وقد صنف في ذلك مجلدات
والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف ونحن نذكر ما يستفاد
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع كلام الله سبحانه وتعالى فيصل المومن الى ذلك
من نفس كلام الله تعالى ورسوله فان هذا هو المقصود فلا نذكر اختلاف الناس ابتدا
بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين ان رد موارد
النزاع الى الله والى الرسول خير واحسن تاويلا احسن عاقبة في الدنيا والاخرة

فنقول قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه الصلاة
والسلام بين مسمى الاسلام ومسمى الايمان ومسمى الاحسان فقال الاسلام ان
تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم
رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وقال الايمان ان
تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره
والفرق مذكور في حديث عمر الذي انفرد به مسلم وفي حديث
ابي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه وكلاهما فيه ان جبريل عليه
الصلاة والسلام جاء في صورة انسان اعرابي فسأله وفي حديث عمر انه جاء
في صورة اعرابي وكذلك فسر الاسلام في حديث ابن عمر المشهور قال بني واقام الصلاة

وايتا الزكاة

وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وحديث جبريل يبين أن الإسلام المبني على
خمس هو الإسلام نفسه ليس المبني غير المبني عليه بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين
ثلاث درجات أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان ويليه الإسلام فكل محسن مؤمن
وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسنا ولا كل مسلم مؤمنا كما سيأتي بيانه إن شاء الله
تعالى في سائر الأحاديث كالحديث الذي رواه حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن
رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أسلم تسلم قال وما الإسلام
قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأي الإسلام أفضل
قال الإيمان قال وما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث
بعد الموت قال فأي الإيمان أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال
فأي الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم
ولا تغلل ولا تجبن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما أفضل الأعمال إلا من
عمل بمثلهما قالها ثلاثا حجة مبرورة أو عمرة رواه أحمد ومحمد بن نصر المروزي ٥
ولهذا يذكر هذه المراتب الأربعة فيقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن
من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمهاجر من هجر السيئات والمجاهد من جاهد نفسه
لله وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفضالة بن
عبيد وغيرهما بإسناد جيد وهو في السنن وبعضه في الصحيحين وقد ثبت عنه
من غير وجه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم
وأموالهم ومعلوم أن من كان مؤمنا مأمونا على الدماء والأموال كان المسلمون
يسلمون من لسانه ويده ولولا سلامتهم منه لما ائتمنوه ٥ وكذلك في حديث عبيد بن
عمير عن عمرو بن عبسة أو عن أبيه عن جده أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإسلام
قال إطعام الطعام وطيب الكلام قيل فما الإيمان قال السماحة والصبر قيل فمن
أفضل المسلمين إسلاما قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قيل فمن أفضل المؤمنين إيمانا
قال أحسنهم خلقا قيل فما أفضل الهجرة قال من هجر ما حرم الله عليه قال أي الصلاة أفضل
قال طول القنوت قال أي الصدقة أفضل قال جهد من مقل قال أي الجهاد أفضل
قال أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك قال أي الساعات أفضل قال

جوف الليل الغابر ومعلوم أن هذا كله مراتب بعضها فوق بعض وإلا فالمهاجر
لا بد أن يكون مؤمنا وكذلك المجاهد ولهذا قال الإيمان السماحة والصبر وقال في
الإسلام إطعام الطعام وطيب الكلام والأول مستلزم الثاني فإن من كان خلقه
السماحة فعل هذا بخلاف الأول فإن الإنسان قد يفعل ذلك تخلقا ولا يكون في خلقه
سماحة وصبر وكذلك قال أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال
أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ومعلوم أن هذا يتضمن الأول فمن كان حسن
الخلق فعل ذلك قيل للحسن البصري ما حسن الخلق قال بذل الندى وكف الأذى
وطلاقة الوجه فكف الأذى جزء من حسن الخلق وستأتي الأحاديث الصحيحة بأنه
جعل الأعمال الظاهرة من الإيمان كقوله الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا
إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وقوله لوفد عبد القيس آمركم
بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال
تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب
فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان وفي المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال الإسلام علانية والإيمان في القلب وقال صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضغة
إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب فمن
صلح قلبه صلح جسده قطعا بخلاف العكس وقال سفيان بن عيينة كان العلماء فيما مضى
يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه
وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه رواه
ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان صلح الجسد بالإسلام وهو
من الإيمان يدل على ذلك أنه قال في حديث جبريل عليه السلام هذا جبريل جاءكم
يعلمكم دينكم فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة
لكن هو درجات ثلاثة مسلم ثم مؤمن ثم محسن كما قال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله
والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه وهكذا من أتى

بالإسلام

بالإسلام الظاهر مع تصديق القلب لكن لم يقوموا بما يجب عليهم من الإيمان الباطن فإنه معرض
للوعيد كما سأبينه إن شاء الله. وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص
من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإسلام
فالإحسان يدخل فيه الإيمان والإيمان يدخل فيه الإسلام والمحسنون أخص من المؤمنين
والمؤمنون أخص من المسلمين، وهذا كما نقول في الرسالة والنبوة فالنبوة داخلة
في الرسالة والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها فكل رسول نبي وليس
كل نبي رسولاً فالأنبياء أعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيرها
بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس. والنبي صلى الله
عليه وسلم فسر الإسلام والإيمان بما أجاب به كما يجاب عن المحدود بالحد إذا قيل ما كذا
كما في الحديث الصحيح لما قيل ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره وفي الحديث الآخر
الكبر بطر الحق وغمط الناس وبطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس احتقارهم
وازدراؤهم وسنذكر إن شاء الله سبب تنوع أجوبته وأنها كلها حق ولكن المقصود
أن قوله بني الإسلام على خمس كقوله الإسلام هو الخمس كما ذكر في حديث جبريل
فإن الأمر المركب من أجزاء تكون الهيئة الاجتماعية فيه مبنية على تلك الأجزاء
ومركبة منها فالإسلام مبني على هذه الأركان وسنبين إن شاء الله تعالى اختصاص
هذه الخمس بكونها هي الإسلام وعليها بني الإسلام ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات
وقد فسر الإيمان في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام هنا لكنه لم يذكر
فيه الحج وهو متفق عليه فقال آمركم بالإيمان بالله وحده هل تدرون ما الإيمان بالله
وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم أو حظاً من المغنم
وقد روي في بعض طرقه الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله لكن الأول أشهر
وفي رواية أبي سعيد آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً
وقد فسر في حديث شعب الإيمان بمثل ذلك وبغيره فقال الإيمان بضع وستون أو
بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق
والحياء شعبة من الإيمان وثبت عنه من وجوه متعددة أنه قال الحياء شعبة من الإيمان

من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران بن حصين وقال ايضا لا يومن احدكم
حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال لا يومن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن قيل من
يا رسول الله قال الذي لا يامن جاره بوايقه ٥ وقال من راى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وقال
ما بعث الله من نبي الا كان في امته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم انهم
تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يومرون فمن جاهدهم
بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وهذا
من افراد مسلم وكذلك اي من افراد مسلم قوله والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا
ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم ٥
وقال في الحديث المتفق عليه من رواية ابي هريرة ورواه البخاري من حديث ابن عباس
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يشرب الخمر
حين يشربها وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا ينتهب نهبة
حين يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مومن ٥ فصل ثم ان اسم الايمان
تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الاسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما وتارة يذكر
مقرونا اما بالاسلام كقوله في حديث جبريل ما الاسلام وما الايمان وكقوله تعالى ان
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات وقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا
ولكن قولوا اسلمنا وقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين وكذلك ذكر الايمان مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القران
كقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واما مقرونا بالذين اوتوا العلم كقوله
تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وحيث ذكر الذين امنوا فقد دخل فيهم الذين اوتوا العلم فانهم خيارهم قال تعالى
والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وقال لكن الراسخون في العلم منهم
والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويذكر ايضا لفظ المومنين مقرونا
بالذين هادوا والنصارى والصابئين ثم يقول من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل

صالحا

فلهم اجرهم عند ربهم فالمومنون في ابتداء الخطاب غير الثلثة والايمان الاخر
عمهم كما عمهم في قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير البريه ٥
وسنبسط هذا ان شا الله فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبه الى ما في البا
والظاهر من الايمان واما العموم بالنسبه الى الملل فتلك مسله اخرى فلما ذكر الايمان
مع الاسلام جعل الاسلام هو الاعمال الظاهره الشهادتين والصلوه والزكوه والصيام
والحج وجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وهكذا في الحديث الذي رواه احمد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام
علانيه والايمان في القلب واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والاعمال الصالحه
كقوله في حديث الشعب الايمان بضع وسبعون شعبه اعلاها قول لا اله الا الله واد
اماطة الاذى عن الطريق وكذلك ساير الاحاديث التي يجعل فيها اعمال البر من الايمان
ثم ان نفي الايمان عند عدمها دل على انها واجبه وان ذكر فضل ايمان صاحبها ولم ينف ايمانه
دل على انها مستحبه فان الله ورسوله لا ينفي اسم مسمى امر الله به ورسوله الا اذا ترك
بعض واجباته كقوله لا صلوه الا بام القران وقوله لا ايمان لمن لا امانه له ولا دين لمن
لا عهد له ونحو ذلك فاما اذا كان الفعل مستحبا في العباده لم ينفها لانتفا المستحب فان
هذا لو جاز لجاز ان ينفى عن جمهور المومنين اسم الايمان والصلاه والزكوه والحج لانه ما
من عمل الا وغيره افضل منه وليس احد يفعل افعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه
وسلم بل ولا ابو بكر ولا عمر فلو كان من لم يات بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لجاز
ان ينفى عن جمهور المسلمين من الاولين والاخرين وهذا لا يقوله عاقل فمن قال ان
المنفي هو الكمال فان اراد انه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبه
فقد صدق وان اراد انه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ولا
يجوز ان يقع فان من فعل الواجب كما وجب عليه لم ينتقص من واجبه شيا لم يجز ان
يقال ما فعله لا حقيقه ولا مجازا فاذا قال للاعرابي المسي في صلوته ارجع فصل فانك
لم تصل وقال لمن صلى خلف الصف وقد امره بالاعاده لا صلاه لفذ خلف الصف كان
لترك واجب ولذلك قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصادقون فبين ان الجهاد واجب

به فهو اعظم من ... كذلك

فصل

وقد ثبت في القران اسلاما بلا ايمان في قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا وقد ثبت في الصحيحين عن سعد ابن ابي وقاص قال اعطى النبي صلى الله عليه وسلم رهطا وفي رواية قسم قسما وترك فيهم من لم يعطه وهو اعجبهم الي فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما اقولها ثلثا ويرددها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار وفي رواية فضرب بين عنقي وكتفي وقال اقتالا اي سعد فهذا الاسلام الذي نفى الله عن اهله دخول الايمان في قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه ام هو من جنس اسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف احدهما انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا يروى عن الحسن وابن سيرين وابرهيم النخعي وابي جعفر الباقر وهو قول حماد ابن زيد واحمد بن حنبل وسهل ابن عبد الله التستري وابي طالب المكي وكثير من اهل الحديث والسنة والحقايق قال احمد بن حنبل نا مومل عن حماد ابن زيد قال سمعت هشاما يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مومن وقال احمد بن حنبل نا ابو سلمة الخزاعي قال قال مالك وشريك وابو بكر ابن عياش وعبد العزيز ابن ابي سلمة وحماد ابن سلمة وحماد ابن زيد الايمان المعرفة والاقرار والعمل الا ان حماد ابن زيد يفرق بين الاسلام والايمان يجعل الايمان خاصا والاسلام عاما والقول الثاني ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين قالوا وهولاء كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو كافر وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون في ذلك قال محمد بن نصر نا اسحق نا جرير عن مغيرة قال اتيت ابرهيم النخعي فقلت ان رجلا خاصمني يقال له سعيد العنزي فقال ابرهيم ليس بالعنزي ولكنه زبيدي قوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فقال هو الاستسلام فقال ابرهيم لا هو الاسلام وقال نا محمد بن يحيى نا محمد بن يوسف نا سفين عن مجاهد قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا قال استسلمنا خوف السبا والقتل ولكن هذا منقطع

منقطع سمعه لم يذكر مجاهدا والذين قالوا ان هذا الاسلام هو كاسلام المنافقين
لا يثابون عليه قالوا لان الله نفى عنهم الايمان ومن نفى الله عنه الايمان فهو كافر
وقال هؤلاء الاسلام هو الايمان وكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم ومن جعل الفساق
مسلمين غير مؤمنين لزمه ان لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا قمتم الى الصلوة وفي قوله يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وامثال
ذلك فانهم انما دعوا باسم الايمان لا باسم الاسلام فمن لم يكن مؤمنا لم يدخل في ذلك
وجواب ——— هذا ان يقال الذين قالوا من السلف انهم خرجوا من
الايمان الى الاسلام لم يقولوا انه لم يبق معهم من الايمان شيء بل هذا قول الخوارج والمعتزلة
واهل السنة الذين قالوا هذا يقولون الفساق يخرجون من النار بالشفاعة وان معهم
ايمانا يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليهم اسم الايمان لان الايمان المطلق هو الذي
يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة وهؤلاء ليسوا من اهله وهم يدخلون في الخطاب
بالايمان لان الخطاب بذلك هو لمن دخل في الايمان وان لم يستكمله فانه انما خوطب
ليفعل تمام الايمان فكيف يكون قد اتمه قبل الخطاب وان كنا قد بينا ان هذا المأمور
من الايمان يجعل للخطاب وانما صار من الايمان بعد ان أمروا به فالخطاب بيا ايها الذين
امنوا غير قوله انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله ونظائره فان الخطاب بيا ايها الذين امنوا ولا يدخل فيه من
اظهر الايمان وان كان منافقا في الباطن يدخل فيه في الظاهر فكيف لا يدخل فيه من
لم يكن منافقا وان لم يكن من المؤمنين حقا وحقيقة الامر ان من لم يكن من المؤمنين حقا يقال
فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه الخلود في النار وهذا متفق عليه بين اهل السنة لكن هل
يطلق عليه اسم الايمان هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال مسلم ولا يقال مؤمن وقيل
بل يقال مؤمن والتحقيق انه يقال انه مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته
ولا يعطى الاسم المطلق فان الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق واسم الايمان
يتناوله فيما امر الله به ورسوله لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزم
غيره وانما الكلام في اسم المدح المطلق وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه ثلث
طوائف يدخل فيه المؤمن حقا ويدخل فيه المنافق في احكامه الظاهرة وان كانوا

في الاخره في الدرك الاسفل من النار وهو في الباطن ينفي عنه الاسلام والايمان وفي
الظاهر يثبت له الاسلام والايمان الظاهر ويدخل فيها الذين اسلموا ولم يدخل حقيقه
الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء من الايمان والاسلام يثابون عليه ثم قد يكونوا مفرطين
فيما فرض عليهم وليس معهم من الكباير ما يعاقبون عليه كاهل الكباير لكن يعاقبون
على ترك المفروضات وهولاء كالاعراب المذكورين في الايه وغيرهم فانهم قالوا امنا
من غير قيام منهم بما امروا به باطنا وظاهرا فلا دخلت حقيقه الايمان الى قلوبهم ولا
جاهدوا وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وقد يكونون من اهل الكباير
المعرضين للوعيد الذين يصلون ويزكون ويجاهدون وياتون الكباير وهولاء لا يخرجون
من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بينهم نزاع لفظي هل يقال انهم مومنون كما سنذكره
ان شا الله تعالى واما الخوارج والمعتزله فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان
والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام لكن الخوارج
تقول هم كفار والمعتزله تقول لا مسلمون ولا كافرين ينزلونهم منزلة بين المنزلتين
والدليل على ان الاسلام المذكور في الايه هو اسلام يثابون عليه وانهم ليسوا منافقين
انه قال قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم
ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا فدل انهم اذا اطاعوا الله ورسوله
مع هذا الاسلام اجرهم الله على الطاعه والمنافق عمله حابط في الاخره ايضا فانه وصفهم
بخلاف صفات المنافقين فان المنافقين وصفهم بالكفر في قلوبهم وانهم يبطنون خلاف
ما يظهرون كما قال ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين
يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا الايات وقال اذا جاك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فالمنافقون يصفهم في القران
بالكذب وانهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وبان في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون
عليه وهولاء لم يصفهم بشي من ذلك لكن لما ادعوا الايمان قال للرسول قل لم تومنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم
شيا ونفي الايمان المطلق لا يستلزم ان يكونوا منافقين كما في قوله تعالى يا ايها الذين

عز

عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله
ان كنتم مومنين ثم قال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المومنون حقا ومعلوم انه ليس من لم يكن كذلك يكون منافقا من اهل الدرك
الاسفل من النار بل لا يكون قد اتى بالايمان الواجب فنفي عنه كما ينفي سائر الاسماء
عن ترك بعض ما يجب فيها فكذلك الاعراب لم ياتوا بالايمان الواجب فنفي عنهم لذلك
وان كانوا مسلمين معهم من الايمان ما يثابون عليه وهذا حال اكثر الداخلين في الا
سلام ابتدا بل حال اكثر من لم يعرف حقايق الايمان فان الرجل اذا قوتل حتى اسلم كما كان
الكفار يقاتلون حتى يسلموا او اسلم بعد الاسر او سمع بالاسلام فجا فاسلم فانه مسلم
ملتزم طاعة الرسول ولم يدخل الى قلبه المعرفة بحقايق الايمان فان هذا انما يحصل
لمن تيسرت له اسباب ذلك اما بفهم القران واما بمباشرة اهل الايمان واما بهداية
خاصة من الله يهديه بها والانسان قد يظهر له من محاسن الاسلام ما يدعوه الى الدخول
فيه وان كان قد ولد عليه وتربى بين اهله فانه يحبه وقد ظهر له بعض محاسنه وبعض
مساوي الكفار وكثير من هولاء قد يرتاب اذا سمع الشبه القادحة فيه ولا يجاهد في
سبيل الله فليس هو داخلا في قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وليس هو منافقا في الباطن يضمر الكفر فلا
هو من المومنين حقا ولا هو من المنافقين ولا هو ايضا من اصحاب الكباير بل ياتي بالطاعات
الظاهرة ولا ياتي بحقايق الايمان التي يكون بها من المومنين حقا فهذا معه ايمان وليس
هو من المومنين حقا ويثاب على ما فعل من الطاعات ولهذا قال تعالى لهم ولكن قولوا
اسلمنا ولهذا قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين يعني في قوله امنا يقول ان كنتم صادقين فالله يمن عليكم
ان هداكم للايمان وهذا يقتضي انهم قد يكونون صادقين في قولهم امنا ثم صدقهم اما
ان يراد به اتصافهم بانهم امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون واما ان يراد به انهم لم يكونوا كاذبين بل معهم
ايمان وان لم يكن لهم ان يدعوا مطلق الايمان وهذا اشبه والله اعلم لان الشروع المحتاج

قال فيهم فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا يمكن نفي الريب عنهم
في المستقبل ولان الله انما اثبت الذنب للمنافقين لم يثبت لغيرهم وهولاء لم يثبت لهم ولكن
قال لم تومنوا كما قال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وقوله لا يزني
الزاني حين يزني وهو مومن ولا يومن من لا يامن جاره بوايقه وهولاء ليسوا منافقين
وسياق الايه يدل على ان الله ذمهم لكونهم منوا باسلامهم لجهلهم وجفايهم واظهروا
ما في انفسهم مع علم الله به فان الله قال اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في
الارض فلو لم يكن في قلوبهم شي من الدين لم يكونوا يعلمون الله بدينهم فان الاسلام
الظاهر يعرفه كل احد ودخلت البا في قوله اتعلمون الله لانه ضمن معنى تخبرون
وتحدثون كانه قال اتخبرونه وتحدثونه بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الارض وسياق
الايه يدل على ان الذين اخبروا به الله هو ما ذكره عنهم من قولهم امنا فانهم اخبروا عما في
قلوبهم وقد ذكر المفسرون انها لما نزلت هاتان الايتان اتوا رسول الله يحلفون انهم
مومنون صادقون فنزل قوله قل اتعلمون الله بدينكم وهذا يدل على انهم كانوا صادقين
اولا في دخولهم في الدين لانه لم يحدث لهم بعد نزول الايه جهاد حتى يدخلوا في الايه
انما هو كلام قالوه وهو سبحانه قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولفظ لما ينفى به ما يقرب
حصوله ويحصل غالبا كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وقد قال السدي نزلت هذه الايه في اعراب مزينه وجهينه واسلم واشجع وغفار
وهم الذين ذكرهم الله في سوره الفتح وكانوا يقولون امنا بالله ليامنوا على انفسهم فلما استنفروا
الى الحديبيه تخلفوا فنزلت فيهم هذه الايه وعن مقاتل كانت منازلهم بين مكه والمدينه
وكانت اذا مرت بهم سريه من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا ليامنوا
على دمايهم واموالهم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبيه استنفرهم
فلم ينفروا معه وقال مجاهد نزلت في اعراب بني اسد بن خزيمه ووصف غيره حالهم
فقال قدموا المدينه في سنه مجدبه فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين وافسدوا
طرق المدينه بالعذرات واغلوا اسعارهم وكانوا يمنون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون اتيناك بالاثقال والعيال ونزلت فيهم هذه الايه وقد قال الثعلبي قتاده في
قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان

ان

بدينكم

الذي اخبر

ان كنتم صادقين قال منوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين جاؤوا فقالوا انا اسلمنا بغير قتال
لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله تعالى لنبيه يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقد قال تعالى مقاتل بن
حيان هم اعراب بنو اسد ابن خزيمة قالوا يا رسول الله اتيناك بغير قتال وتركنا العشاير
والاموال وكل قبيلة من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الاسلام فلنا بذلك عليك
حق فانزل الله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ن
ان كنتم صادقين فله بذلك المن عليكم وفيهم انزل ولا تبطلوا اعمالكم ويقال من الكباير
التي ختمت بنار كل موجبة من ركبها ومات عليها لم يتب منها وهذا كله بين انهم لم يكونوا
منافقين في الباطن ولا كانوا قد دخلوا فيما طلب من الايمان وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الا صناف
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولم يصفهم بكفر ولا نفاق
لكن هو لا يخشى عليهم الكفر والنفاق ولهذا ارتد بعضهم لانهم لم يخالط الايمان بشاشة
قلوبهم وقال بعد ذلك يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وهذه الاية نزلت
في الوليد بن عقبة وكان قد كذب فيما اخبر قال المفسرون نزلت هذه الاية في الوليد
ابن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم وقد
كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فسار بعض الطريق ثم رجع فقال انهم منعوا
الصدقة وارادوا قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث اليهم فنزلت هذه
الاية وهذه القصة معروفة من وجوه لهم ثم قال في تمامها واعلموا ان فيكم رسول
الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وقال وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما فان بغت احداهما على الاخرى الاية ثم نهاهم عن ان يسخر بعضهم ببعض وعن
اللمز والتنابز بالالقاب وقال بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقد قيل معناه لا
تسميه فاسقا ولا كافرا بعد ايمانه وهذا ضعيف بل المراد بئس الاسم ان تكونوا فساقا
بعد ايمانكم كما قال في الذي كذب ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا فسماه فاسقا وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر يقول فاذا
سابيتم المسلم وسخرتم منه ولمزتموه استحققتم ان تسموا فساقا وقد قال في اية
القذف ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون يقول فاذا اتيتم بهذه

الامور التي يستحقون بها ان يسموا فساقا فانهم قد استحقوا اسم الفسوق بعد
الايمان والا فهم في تنابزهم ما كانوا يقولون فاسق كما في ان النبي صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وبعضهم يلقب بعضا وقد قال طائفة من المفسرين في هذه الاية لا تسميه
بعد الاسلام بدينه قبل الاسلام كقوله لليهودي اذا اسلم يا يهودي وهذا مروي عن
ابن عباس وطائفة من التابعين كالحسن وسعيد ابن جبير وعطا الخراساني والقرظي
وقال عكرمة هو قول الرجل يا كافر يا منافق وقال عبد الرحمن بن زيد هو تسميته بالاعمال
كقوله يا زاني يا سارق يا فاسق وفي تفسير العوفي عن ابن عباس قال هو تعيير التايب
بسيئات كان قد عملها ومعلوم ان اسم الكفر واليهودية والزاني والسارق وغير ذلك
من السيئات ليست هي اسم الفاسق فعلم ان قوله بئس الاسم الفسوق لم يرد به تسمية
المسبوب باسم الفاسق فان تسميته كافرا اعظم بل ان السباب يصير فاسقا كقوله
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ثم قال ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فجعلهم ظالمين
اذا لم يتوبوا من ذلك وان كانوا يدخلون في اسم المومنين ثم ذكر النهي عن الغيبة ثم
ذكر النهي عن التفاخر بالاحساب وقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم ذكر قول الاعراب
امنا فالسورة نهي عن هذه المعاصي والذنوب التي فيها تعد على الرسول وعلى المومنين
فالاعراب المذكورون فيها من جنس اهل السباب والفسوق والمنادين من وراء
الحجرات وامثالهم ليسوا من المنافقين ولهذا قال المفسرون انهم الذين استنفروا
عام الحديبية واوليك وان كانوا من اهل الكباير فلم يكونوا في الباطن كفارا منافقين قال
ابن اسحق لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة عمرة الحديبية استنفر من حول
المدينة من اهل البوادي والاعراب ليخرجوا معه خوفا من قومه ان يعرضوا له
بحرب او بصد فتثاقل عنه كثير منهم فهم الذين عنى الله بقوله سيقول لك المخلفون
من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا اي ادع الله ان يغفر لنا تخلفنا عنك
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ما يبالون استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
وهذا حال الفاسق الذي لا يبالي بالذنب والمنافقون قال فيهم واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ولم يقل مثل هذا في هولاء
الاعراب

الباقين ؟

الاعراب بل الايه دليل على انهم لو صدقوا في طلب الاستغفار نفعهم استغفار الرسول
ثم قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا ا
يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما فوعدهم بالثوا ب
على طاعة الداعي الى الجهاد وتوعدهم بالتولي عن طاعته وهذا الخطاب انما هو
من اهل الذنوب والكباير بخلاف من هو كافر في الباطن فانه لا يستحق الثواب بمجرد
طاعة الامر حتى يؤمن اولا ووعيده ليس على مجرد توليه عن الطاعه في الجهاد فان
كفره اعظم من هذا فهذا كله يدل على ان هولاء من فساق المله فان الفسق يكون
تارة بترك الفرائض وتارة بفعل المحرمات وهولا لما تركوا ما فرضه الله عليهم من الجهاد
وحصل عندهم نوع من الريب الذي يضعف ايمانهم لم يكونوا من الصادقين الذين
وصفهم وان كانوا صادقين في انهم في الباطن متدينون بدين الاسلام وقول المفسرين
لم يكونوا مومنين نفي لما نفاه الله عنهم من الايمان كما نفاه عن الزاني والسارق والشا رب
وعن لا يامن جاره بوايقه وعن لا يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وعن لا يحب الى
حكم الله ورسوله وامثال هولاء وقد احتج على قول ذلك بقوله بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان كما قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فقد يستدل باسم
الفسوق بعد الايمان فدل على ان الفاسق لا يسمى مومنا فدل ذلك على ان هولاء الاعرا
ب من جنس اهل الكباير لا من جنس المنافقين واما ما نقل من انهم اسلموا خوف القتل والسبا
فمثل هذا كان اسلام غير المهاجرين والانصار اسلموا رغبة او رهبة كاسلام الطلقاء من
قريش بعد ان قهرهم النبي صلى الله عليه وسلم واسلام المولفة قلوبهم من هولاء ومن
اهل نجد وليس كل من اسلم لرغبة او رهبة كان من المنافقين الذين هم في الدرك
الاسفل من النار بل يدخلون في الاسلام والطاعه وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداه
للرسول ولا استنارت قلوبهم بنور الايمان واستبصروا فيه وهولاء قد يحسن اسلام
احدهم فيصير من المومنين كاكثر الطلقا وقد يبقى من فساق المله ومنهم من يصير
منافقا مرتابا اذا قال له منكر ونكير ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه
لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وقد يفسر قول من قال انهم اسلموا بغير
قتال فهولا كانوا احسن اسلاما من غيرهم وان الله انما ذمهم لكونهم منوا بالاسلام وانزل

وان لم يدخل فيهم لا يلتكم من اعمالكم واسم حنبش اهل الكباير وايضا فقوله ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولما انما ينفي بها ما ينتظر ويكون حصوله مترقبا
كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما ياتكم مثل الذين من قبلكم فقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم
يدل على ان دخول الايمان منتظر منهم فان الذي يدخل في الاسلام ابتدا لا يكون قد
حصل في قلبه الايمان لكنه يحصل فيما بعد كما في الحديث كان الرجل يسلم اول النهار رغبه
في الدنيا فلا يجي اخر النهار الا والاسلام احب اليه مما طلعت عليه الشمس ولهذا كان عامه
الذين اسلموا رغبه ورهبه دخل الايمان الى قلوبهم بعد ذلك وقوله ولكن قولوا
اسلمنا امر لهم بان يقولوا ذلك والمنافق لا يومر بشي ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيا والمنافق لا ينفعه طاعه الله ورسوله حتى يومن اولا وهذه الايه مما احتج
بها احمد بن حنبل وغيره على انه يستثني في الايمان دون الاسلام وان اصحاب الكباير يخرجون
من الايمان الى الاسلام قال الميموني سالت احمد بن حنبل عن رايه في مومن ان شا الله فقال
اقول مومن ان شا الله واقول مسلم ولا استثني قال قلت لاحمد تفرق بين الاسلام والايمان
فقال لي نعم قلت له باي شي تحتج قال لي قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
وذكر اشيا وقال الشالنجي سالت احمد عمن قال انا مومن عند نفسي من طريق
الاحكام والمواريث ولا اعلم ما انا عند الله قال ليس بمرجي وقال ابو ايوب سليمن ابن
داود الهاشمي الاستثنا جاير ومن قال انا مومن ولم يقل عند الله ولم يستثن فذلك
عندي جاير وليس بمرجي وبه قال ابو خيثمه وابن ابي شيبه وذكر الشالنجي انه سال احمد
ابن حنبل عن المصر على الكباير يطلبها بجهده اي يطلب النسب بجهده الا انه لم يترك الصلو
والزكوه والصوم هل يكون مصرا من كانت هذه حاله قال هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ونحو قوله ولا يشرب الخمر حين
يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق وهو مومن ونحو قول ابن عباس في قوله
ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون قلت له ما هذا الكفر فقال كفر لا
ينقل عن المله مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجي من ذلك امر لا
يختلف فيه وقال ابن ابي شيبه لا يزني حين يزني وهو مومن لا يكون مستكمل الايمان

خلوا من

يزني

يشربها

يكون

يكون ناقصا من ايمانه قال الشافعي وسألت احمد عن الايمان والاسلام فقال الايمان
قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال ابو خيثمة وقال ابن ابي شيبة لا يكون اسلام
الا بايمان ولا ايمان الا باسلام واذا كان على المخاطبة فقال قد قبلت الايمان فهو داخل
الاسلام واذا قال قد قبلت الاسلام فهو داخل في الايمان وقال محمد بن نصر المروزي
وحكى غير واحد هؤلاء انه سأل احمد بن حنبل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن قال من اتى هذه الاربعة او مثلهن او فوقهن فهو مسلم ولا
اسميه مؤمنا ومن اتى دون ذلك يريد الكبائر سميته مؤمنا ناقص الايمان قلت
احمد بن حنبل كان يقول تارة يعني الفرق وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف وهو
المتأخر عنه قال ابو بكر الاثرم في السنة سمعت ابا عبد الله يسأل عن الاستثناء في الايمان
ما تقول فيه فقال اما انا فلا اعيبه اي من الناس من يعيبه قال ابو عبد الله اذا كان
يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطا ليس كما يقولون
على الشك انما يستثني للعمل فقال ابو عبد الله قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين اي ان هذا استثناء بغير شك وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا ان
شاء الله بكم لاحقون اي لم يكن يشك في هذا وقد استثنى وذكر قول النبي صلى الله عليه
وسلم وعليها تبعث ان شاء الله يعني من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو
ان اكون اخشاكم لله قال هذا كله تقوية للاستثناء في الايمان قلت لابي عبد الله وكانك
لا ترى باسا ان لا يستثني فقال اذا كان ممن يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص
فهو اسهل عندي ثم قال ابو عبد الله ان قوما تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالمتعجب
منهم وسمعت ابا عبد الله وقيل له شبابة اي شيء تقول فيه فقال شبابة كان يدعو
الى الارجاء قال وحكي عن شبابة قول اخبث من هذه الاقاويل ما سمعت عن احد بمثله قال
ابو عبد الله قال شبابة اذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون فاذا قال فقد عمل بلسانه كما
يقولون فاذا قال فقد عمل بجارحته اي بلسانه حين تكلم به ثم قال ابو عبد الله هذا قول
خبيث ما سمعت احدا يقول به ولا بلغني قيل لابي عبد الله كتبت عن شبابة شيئا قال
فقال نعم كتبت عنه قديما شيئا قبل ان نعلم انه يقول بهذا قلت لابي عبد الله كتبت
عنه قال لا ولا حرف قيل لابي عبد الله يزعمون ان سفيان كان يذهب الى الاستثناء في

لكن هذا هو بدعة احدثها المرجيه ليحتجوا بها لقولهم فان الرجل يعلم من نفسه انه ليس
بكافر بل يجد قلبه مصدقا بما جاء به الرسول فيقول انا مومن فثبت ان الايمان هو
التصديق لانك تجزم بانك مومن ولا تجزم بانك فعلت كل ما امرت به فلما علم السلف مقصودهم
صاروا يكرهون الجواب او يفصلون في الجواب وهذا لان لفظ الايمان فيه اطلاق وتقييد
فكانوا يجيبون بالايمان المقيد الذي لا يستلزم انه شاهد فيه لنفسه بالكمال ولهذا
كان الصحيح انه يجوز ان يقال انا مومن بلا استثنا اذا اراد ذلك لكن ينبغي ان يقرن كلامه
بما يبين انه لم يرد الايمان المطلق الكامل ولهذا كان احمد يكره ان يجيب على المطلق بلا استثنا
يقدمه وقال المروذي لابي عبد الله نقول نحن المومنون فقال نقول نحن المسلمون
وقال ايضا قلت لابي عبد الله نقول انا مومنون قال ولكن نقول انا مسلمون
ومع هذا فلم يكن ينكر على من ترك الاستثنا اذا لم يكن قصده قصد المرجيه ان الايمان
مجرد القول بل تركه لما يعلم ان في قلبه ايمانا وان كان لا يجزم بكمال ايمانه قال الخلال
اخبرني احمد بن اصرم المزني ان ابا عبد الله قيل له اذا سالني الرجل فقال امومن انت قال
سوالك اياي بدعة لا يشك في ايمانه او قال لا نشك في ايماننا قال المزني وحفظي ان ابا عبد
الله قال اقول كما قال طاوس امنت بالله وملايكته وكتبه ورسله وقال الخلال اخبرني
حرب بن اسمعيل وابو داود قال ابو داود سمعت احمد قال سمعت سفيان يعني ابن عيينه
يقول اذا سيل امومن انت لم يجبه ويقول اما سوالك اياي بدعة ولا اشك في ايماني
وقال ان شا الله ليس يكره وليس بداخل الشك فقد اخبر عن احمد انه قال لا نشك في ايماننا
وان السايل لا يشك في ايمان المسوول وهذا ابلغ وهو انما يجزم بانه مقر مصدق بما
جاء به الرسول لا يجزم بانه قايم بالواجب فعلم ان احمد وغيره من السلف كانوا يجزمون
ولا يشكون في وجود ما في القلوب من الايمان في هذه الحال ويجعلون الاستثنا عايدا
الى الايمان المطلق المتضمن فعل المامور ويحتجون ايضا بجواز الاستثنا فيما لا
نشك فيه وهذا ماخذ ثاني وان كنا لا نشك في ما في قلوبنا من الايمان فالاستثنا
فيما يعلم وجوده قد جاءت به السنه لما فيه من الحكمه وعن محمد بن الحسن بن هرون قال
سالت ابا عبد الله عن الاستثنا في الايمان فقال نعم الاستثنا على غير معنى شك مخافة
واحتياطا للعمل وقد استثنا ابن مسعود وغيره وهو مذهب الثوري قال الله تعالى
لتدخلن

لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله وقال النبي صلى الله عليه لاصحابه اني لارجوا ان شا الله ان
اكون انقاكم لله وقال في الميت وعليه بعث ان شا الله فقد يعزا احمد انه يستثنى مخافة
واحتياطا للعمل فانه يخاف ان لا يكون قد كمل المامور به فيحتاط بالاستثنا وقال
على غير معنى الشك يعني من غير شك مما يعمله الانسان من نفسه والا فهو يشك في
تكميل العمل الذي خاف ان لا يكون كمله فيخاف من نقصه ولا يشك في اصله ٥
قال الخلال واخبرني محمد بن ابي هرون ان حبيش بن سندي حدثهم
في هذه المسله قال ابو عبد الله قول النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال
وانا ان شا الله بكم لاحقون وقد نعيت اليه نفسه وعلم انه صائر الى الموت وفي قصه
صاحب القبر عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث ان شا الله وفي قول النبي صلى الله
عليه وسلم اني احتباتُ دعوتي وهي نايله ان شا الله من لا يشرك بالله شيا وفي مسله
الرجل النبي صلى الله عليه وسلم نصبح جنبا نصوم فقال انى لافعل ذلك ثم اصوم
فقال انك لست مثلنا انت قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
والله اني لارجوا ان اكون اخشاكم لله وهذا الشي واشباهه على اليقين قال ودخل
عليه شيخ فساله عن الايمان فقال قول وعمل فقال له يزيد فقال وينقص فقال
له اقول مومن ان شا الله قال نعم وقال له انهم يقولون لي انك شاك قال بيس
ما قالوا ثم خرج فقال ردوه فقال اليس يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص قال
نعم قال هولا يستثنون قال له كيف يا ابا عبد الله قال قل لهم زعمتم ان الايمان قول
وعمل فالقول قد اتيتم به والعمل فلم تاتوا به فهذا الاستثنا لهذا العمل قيل له يستثنى
في الايمان قال نعم اقول انا مومن ان شا الله استثنا على اليقين لا على الشك ثم قال
الله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين فقد اخبر الله تبارك وتعالى انهم
داخلون المسجد الحرام فعند احمد في كلامه انه يستثنى مع تيقنه بما هو الان موجود
فيه بقوله ولسانه وقلبه لا يشك في ذلك ويستثني لكون العمل من الايمان وهو لا يتيقن
انه اكمله بل يشك في ذلك فنفى الشك واثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه واثبت
الشك فيما لا يعلم وجوده وبين ان الاستثنا مستحب لهذا الثاني الذي لا يعلم هل اتى به ام
لا وهو جائز ايضا لما يتيقنه فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز لقول النبي صلى الله عليه

حدثنا ... سلم

قال لا يرجوا الا العصر الثاني

وسلم والله انى لارجوا ان اكون اخشاكم لله وهذا امر موجود فى الحال ليس مستقبل
وهو كونه اخشانا لله بل هو يرجوا ان يكون حين هذا القول اخشانا لله كما يرجوا
المومن اذا عمل عملا ان يكون الله يقبله منه ويخاف ان لا يكون يقبله منه كما قال تعالى
والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقال النبى صلى الله عليه وسلم
هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والقبول هو امر حاضر او
ماض وهو يرجوه ويخافه وذلك انما له عاقبة مستقبله محموده او مذمومه والانسان
يجوز وجوده وعدمه فيقال انه يرجوه وانه يخافه فيعلق الرجا والخوف بالحاضر والماضى
لان عاقبته المطلوبه والمكروهه مستقبله فهو يرجوا ان يكون الله يقبل عمله فيثيبه عليه
ويرجيه فى المستقبل ويخاف ان لا يكون يقبله فيحرم ثوابه كما يخاف ان يكون الله قد سخط
عليه فى معصيه فيعاقبه عليها واذا كان الانسان يسعى فى ما يطلبه كتاجر او بريد ارسله
فى حاجه يقضيها فى بعض الاوقات فاذا مضى ذلك الوقت يقول ارجوا ان يكون
فلان قد قضى ذلك الامر وقضاه ماض لكن ما يحصل لهم من الفرح والسرور
وغير ذلك من مقاصده مستقبل ويقول الانسان فى الوقت الذى جرت عاده
عاده الحاج بدخولهم الى مكه ارجوا ان يكونوا دخلوا ويقول فى سريه بعثت الى الكفار
نرجوا ان يكون الله قد نصر المومنين وغنمهم ويقال فى نيل مصر عند وقت ارتفاعه
نرجوا ان يكون قد صعد النيل كما يقول الحاضر فى مصر مثل هذا الوقت نرجوا ان
يكون النيل هذا العام نيلا مرتفعا ويقال لمن له ارض يحب ان تمطر اذا امطرت بعض
النواحى ارجوا ان يكون المطر عاما وارجوا ان يكون قد مطرت الارض الفلانيه وذلك
لان المرجوا هو مما يفرح بوجوده ويسر والمكروه مما يتالم بوجوده وهذا يتعلق بالعلم
والعلم بذلك مستقبل فاذا علم ان المسلمين انتصروا والحاج قد دخلوا والمطر قد نزل
فرح بذلك وحصل به مقاصد اخر له واذا كان الامر بخلاف ذلك لم يحصل ذلك المحبوب
المطلوب فيقول ارجوا واخاف لان المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك وهو مستقبل
ولذلك المطلوب بالايمان من السعاده والنجاه هو امر مستقبل فيستثنى فى الحاضر
بذلك لان المطلوب به مستقبل ثم كل مطلوب مستقبل يعلق بمشيه الله وان جزم
بوجوده لانه لا يكون مستقبل الا بمشيه الله فنقول لنا يكون هذا ان شاء الله حتى فانه
لا

لا يكون إلا إن شاء الله والشك واللفظ ليس فيه إلا التعليق وليس من ضرورة التعليق
الشك بل هذا بحسب علم المتكلم فتارة يكون شاكا وتارة لا يكون شاكا فلما كان الشك
يصحبها لغير العالم بعلم الإنسان بالعواقب ظن الظان أن الشك داخل في معناها وليس
كذلك فقوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله لا يتصور فيه شك من الله بل ولا من
رسوله المخاطب والمؤمنين ولهذا قال ثعلب هذا استثناء من الله وقد علمه والخلق يستثنون
فيما لا يعلمون وقال أبو عبيدة وابن قتيبة إن بمعنى إذ أي إذ شاء الله ومقصودهم بهذا
تحقيق الفعل بأن كان كالمحقق مع إذ . إلا أن إذ ظرف توقيت وإن حرف تعليق فإن
قيل فالعرب تقول إذا احمر البسر فأتني ولا تقول إن احمر البسر قيل لأن المقصود هنا
توقيت الإتيان بحين احمراره فأتوا بالظرف المحقق ولفظ إن لا يدل على توقيت بل هي
تعليق محض بمعنى ارتباط الفعل الثاني بالأول ونظيره ما لحن فيه أن يقولوا
البسر يحمر ويطيب إن شاء الله وهذا حق مع أنا نعلم ذلك فإن قيل فقد غلط فيه
من الناس من رأى هذا المعنى وجعلوا الاستثناء لأمر مشكوك فيه فقال الزجاج
لتدخلن المسجد الحرام أي أمركم الله به وقيل الاستثناء يعود إلى الأمن والخوف أي لتدخلنه
آمنين فأما الدخول فلا شك فيه وقيل لتدخلن جميعكم أو بعضكم لأنه علم أن بعضهم يموت
فالاستثناء لأنهم لم يدخلوا جميعهم قيل كل هذه الأقوال وقع أصحابها فيما فروا منه مع
خروجهم عن مدلول القرآن فخرجوا عنه فخرجوا ولم ينتفعوا به فإن قول من قال أي أمركم
الله به وهو سبحانه قد علم هل يأمرهم أو لا يأمرهم فعلمه بأن سيأمرهم بدخوله كعلمه
بأن سيدخلوا فتعلقوا الاستثناء بما لم يدل عليه اللفظ وعلم الله متعلق بالمظهر وا المضمر
جميعا وكذلك منهم وحتى هم هو يعلم أنهم يدخلون آمنين أو خائفين وقد أخبر
أنهم يدخلون آمنين مع علمه بأنهم يدخلون آمنين فكلاهما لم يكن فيه شك عند الله بل
ولا عند رسوله وقول من قال جميعهم أو بعضهم فقال ــــــ المعلق بالمشيئة
دخول من أريد باللفظ فإن كان أراد الجميع فالجميع لا بد أن يدخلوا وإن أريد إلا الأكثر كان
دخولهم هو المعلق بالمشيئة وما لم يرد لا يجوز أن يعلق بأن وإنما علق بأن ما سيكون
وكان هذا وعدا مجزوما به ولهذا لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ألم يكن
يحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به قال بلى أفقلت لك إنك تأتيه هذا العام قال لا قال فإنك آتيه

مقطوع به فان قيل لم لم يعلق غير هذا من مواعيد القران قيل
لان هذه الاية نزلت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكانوا قد اعتمروا
ذلك العام واجتهدوا في الدخول فصدهم المشركون فرجعوا وبهم من
الالم ما لا يعلمه الا الله فكانوا منتظرين لتحقق هذا الوعد ذلك العام اذ كان
النبي صلى الله عليه وسلم وعدهم وعدا مطلقا وقد روي انه راى في المنام قائلا يقول
له لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله فاصبح فحدث الناس برؤياه وامرهم بالخروج الى
العمرة فلم يحصل لهم العمرة ذلك العام فنزلت هذه الاية واعدة لهم بما وعدهم به
الرسول من الامر الذي كانوا يظنون حصوله ذلك العام وكان قوله ان شاء الله هنا
تحقيقا لدخوله وان الله يحقق ذلك لكم كما يقول الرجل فيما عزم على ان يفعله لا محالة والله
لافعلن كذا ان شاء الله لا يقولها لشك في ارادته وعزمه بل تحقيقا لعزمه وارادته فانه
يخاف اذا لم يقل ان شاء الله ان ينقض الله عزمه ولا يحصل ما طلبه كما في الصحيحين ان سليمان
عليه السلام قال والله لاطوفن الليلة على مائة امراة كل منهن تاتي بفارس يقاتل في سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة جاءت بشق ولد قال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
اجمعون فهو اذا قال ان شاء الله لم يكن لشك في طلبه وارادته بل ليحقق الله ذلك له اذ
الامور لا تحصل الا بمشيئة الله فاذا تالى العبد عليه من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده
فانه من يتالى على الله يكذبه ولهذا قيل لا تتمت لمفقد رامرا وقيل لبعضهم بماذا عرفت ربك
قال بفسخ العزائم ونقض الهمم وقد قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا
ان يشاء الله فان قوله لافعلن فيه معنى الطلب والخبر وطلبه جازم واما كون مطلوبه
مع هذا يكون ام لا فيه شاءه وطلبه للفعل يجب ان يكون من الله بحوله وقوته ففي الطلب عليه
ان يطلب من الله وفي الخبر لا يخبر الا بما علمه الله فاذا جزم بلا تعليق كان كالمتالي على الله
فيكذبه على انه والمسلم في الامر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلبا لا
يكون الا بمشيئة الله لا لتردد في ارادته والرب تعالى مريد لانجاز ما وعدهم به ارادة جازمة
لا مثنوية فيها وما شاء فعل فانه سبحانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن ليس كالعبد الذي
يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد فقوله سبحانه ان شاء الله لتحقيق ان ما وعد به يكون
لا محالة

يتردد فيه بقوله ان شاء الله لحصول مطلوبه وحصول ما افتقر طلبه المؤمن ...

لا محالة مشيئتي وارادتي فاني ما شئت كان وما لم اشأ لم يكن فكان الاستثناء هنا
لقصد التحقيق لكونهم لم يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام واما سائر
ما وعدوا به فلم يكن كذلك ولهذا تنازع الفقهاء فيمن اراد بالاستثناء في اليمين هذا المعنى
هل يكون مستثنيا به بلا نزاع ام يلزمه الكفارة اذا حنث على قولين فمن ترددت ارادته
فانه يكون مستثنيا بالنزاع والصحيح في الجميع انه يكون مستثنيا لعموم المشيئة ولان الرجل
وان كانت ارادته للمحلوف به جازمة فقد علقه بمشيئة الله فهو جازم بارادته له لا
جازم بحصول مراده ولا هو ايضا مريد له بتقدير ان لا يكون فان هذا معنى لا اراده
فهو انما التزمه اذا شاءه الله فاذا لم يشأه لم يلتزمه بيمينه ولا انه يكون وان كانت
ارادته له جازمة فليس كلما اريد التزم باليمين فلا كفارة عليه وقد تبين بما ذكرناه
ان قول القائل ان شاء الله يكون مع كمال الارادة في حصول المطلوب وهو يقولها
لتحقيق المطلوب لاستعانته بالله في ذلك لا لشك في الارادة هذا فيما حلف عليه وغيره
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله فانه خبر عما اراد الله كونه وهو عالم بانه
سيكون وقد علقه بقوله ان شاء الله فكذلك ما يخبر به الانسان عن مستقبل امره
مما هو جازم بارادته وجازم بوقوعه فيقول فيه ان شاء الله لتحقيق وقوعه لا للشك لا
في ارادته ولا في العلم بوقوعه ولهذا ابتدأ الاستثناء عند كمال الرغبة في المعلق وقوة
ارادة الانسان له فيخشى خواطر الخوف تعارض الرجاء فيقول ان شاء الله لتحقيق رجائه
مع علمه بانه سيكون كما يسأل الله ويدعوه بالامر الذي قد علم انه يكون كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد اخبرهم بمصارع المشركين ثم هذا يدخل الى العريش
يستغيث ربه ويقول اللهم انجز لي ما وعدتني لان العلم بما يقدره لا ينافي ان يكون قدره
باسباب والدعاء من اعظم اسبابه كذلك رجاء رحمة الله وخوف عذابه من اعظم اسباب
في النجاة من عذابه وحصول رحمته والاستثناء بالمشيئة يحصل في الخبر المحض وفي
الخبر الذي معه طلب فالاول اذا حلف على جملة خبرية لا يقصد بها حضا ولا منعا
بل تصديقا او تكذيبا كقوله والله ليكونن كذا ان شاء الله او لا يكون كذا والمستثني قد يكون
عالما بان هذا يكون او لا يكون كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام فان هذا جواب خبر
محذوف والثاني ما فيه معنى الطلب كقوله والله لافعلن كذا او لا افعله ان شاء الله

حلف ح

هو بعد ح

فالصيغة صيغة خبر ضمنها الطلب ولم يقل والله اني لمريد لهذا ولا عازم عليه بل قال
والله ليكونن فاذا لم يكن فقد حنث لوقوع الامر بخلاف ما حلف عليه فاذا
قال ان شاء الله فانما حلف عليه مقدرا ان يشاء الله لا مطلقا ولهذا ذهب كثير من
الفقهاء الى انه متى لم يوجد المحلوف عليه حنث او متى وجد الفعل المحلوف انه لا يفعله
حنث سواء كان ناسيا او مخطيا او جاهلا فانهم لحظوا ان هذا في معنى الخبر فاذا وجد
خلاف مخبره فقد حنث وقال الآخرون بل هذا مقصوده الحض والمنع كالامر والنهي
ومتى نهي الانسان عن شيء ففعله ناسيا او مخطيا لم يكن مخالفا وكذلك هذا قال الاولون
فقد يكون في معنى التصديق والتكذيب كقوله والله ليمطرن المطر وهذا خبر محض ليس
فيه حض ولا منع ولو حلف على اعتقاده وكان الامر بخلاف ما حلف عليه حنث وبهذا
يظهر الفرق بين الحلف على الماضي والحلف على المستقبل فان اليمين على الماضي غير منعقدة
فاذا حنث فيها لم يلزمه كفارة [illegible] بخلاف المستقبل وليس عليه ان يستثني في المستقبل
[illegible] المستقبل [illegible] قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي
لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فامره ان يقسم على ما ينكرون ولذلك
[illegible] وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم فامره ان يقسم على الخبر
في قوله ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا وقال والذي نفسي
بيده لا تذهب الدنيا حتى ياتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول
فيم قتل وقال هلك كسرى او ليهلكن كسرى ثم لا يكون كسرى بعده واذا هلك قيصر
فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله [illegible]
واقسم صلوات الله وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله اعلم
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

[illegible]

[illegible]

او لا يمنع صح

واما ما صح



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة ، بقية السلف الكرام ، وشيخ الإسلام ، ومفتي الأنام ، بحر العلوم ، ونخبة الراسخين ، منبع الفهوم وكنز المستفيدين الربّاني المجتهد ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم العلاّمة عبدالحليم بن الشيخ الإمام العالم العلاّمة مجد الدين أبي البركات ابن تيمية تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته . الحمد لله نحمده(*١) ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه(*٢) ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا(*٣) وسيّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضْلِل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن سيّدنا(*٤) محمداً عبده ورسوله ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه(*٥) وسلّم تسليماً كثيراً دائماً .(*٦)

الإيمان والإسلام

أعلم أن (الإيمان والإسلام) يجتمع فيهما الدين كله ، وقد كثر كلام الناس في حقيقة الإيمان والإسلام ، ونزاعهم واضطرابهم ، وقد صنّف(*٧) في ذلك

(*١) هناك كلمة (نحمده) غير موجودة في الهندية .

(*٢) هناك كلمة (ونتوب إليه) غير موجودة في الهندية .

(*٣) هناك كلمة (ومن) زيادة في الهندية .

(*٤) هناك كلمة (سيدنا) غير موجودة في الهندية .

(*٥) هناك كلمة (وأصحابه) غير موجودة بالهندية .

(*٦) هناك كلمة (كثيراً دائماً) غير موجودة بالهندية .

(*٧) هناك كلمة (صنف) في الأصل ، (صنفت) في الهندية .

مجلدات ، والنزاع في ذلك من حيث خرجت الخوارج[1] بين عامة الطرائق[*8]

ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبيّ ﷺ مع كلام [*1] الله سبحانه[*2] وتعالى ، فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله[*3] تعالى ورسوله ، فإنّ هذا هو المقصود ، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداءً ، بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ، ما بيَّن أن رد موارد النزاع إلى الله وإلى الرسول خير وأحسن تأويلاً ، أحسن عاقبة في الدنيا والآخرة .

فنقول : قد فرّق النبيّ ﷺ في حديث جبريل عليه الصلاة[*4] والسلام بين منتهى[*5] الإسلام ومنتهى الإيمان ، ومنتهى الإحسان فقال : « الإسلام أن تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً »[1] وقال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه »[2] ،

---

(١) الخوارج : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت جماعة عليه فهو من الخوارج ، وأول من خرج في الإسلام على أمير هو الأشعث بن قيس الكندي حيث خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وكذلك من الذين خرجوا على عليٍّ الأشعث بن قيس ، مسعر بن مذكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي حيث قالوا لأمير المؤمنين عليّ : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السّيف وحينئذ قال الإمام عليّ أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب . راجع الملل والنحل للشهرستاني ص ١١٤ .

(١) أخرجه الشيخان :
أ ـ البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان. فتح الباري ١١٤/١ عن أبي هريرة الطبعة السلفية .
ب ـ مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ٣٦/١ عن عمر بن الخطاب ـ دار إحياء التراث .

(٢) أخرجه الشيخان ، البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ بُني الإسلام على خمس. فتح الباري ٤٩/١ عن ابن عمر السلفية ، ومسلم في كتاب الإيمان باب أركان الإسلام ٤٥/١ عن ابن عمر ـ دار إحياء التراث .

(*٨) هناك كلمة (الطرائق) في الأصل ، يقابلها (الطوائف) في الهندية .
(*١) (يستفاد من) زيادة بالهندية ،
(*٢) (سبحانه) غير موجودة بالهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة بالهندية .
(*٤) (الصلاة) غير موجودة بالهندية .
(*٥) (منتهى) في الأصل يقابلها (مسمى) في الهندية .

والفرق مذكور في حديث عمر الذي انفرد به مسلم وفي حديث أبي هريرة ، الذي اتفق البخاري ومسلم عليه وكلاهما فيه أن جبريل[*١] عليه الصلاة والسلام[*٢] جاءه في صورة إنسان أعرابي نسب إليه[*٣] ، وفي حديث عمر أنه جاءه في صورة أعرابي ، وكذلك فسر الإسلام في حديث ابن عمر المشهور قال : « بُني الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحجّ البيت ، وصوم رمضان »[١]

وحديث جبريل[*٤] يبيّن أن الإسلام المبني على خمسٍ هو : الإسلام نفسه ليس المبني غير المبني عليه بل جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات : أعلاها الإحسان ، وأوسطها الإيمان ، ويليه الإسلام ، فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسناً ، ولا كل مسلم مؤمناً ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، في سائر الأحاديث ، كالحديث الذي رواه حمّاد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبي ﷺ قال له : « أسلِم تَسْلَم » ، قال : وما الإسلام ؟ قال : « أن تسلّم قلبك لله ،[*٥] وَيَسلَم المسلمون من لسانك ويدك » ، قال : فأيّ الإسلام أفضل .. ؟ قال : « الإيمان » ، قال : وما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت » ، قال : فأيّ الإيمان أفضل ..؟ قال : « الهجرة » ، قال : وما الهجرة ؟ قال : « أن تهجر السّوء » ، قال : فأيّ الهجرة أفضل ؟ : « الجهاد » ، قال : وما الجهاد ؟ قال : « أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن » ثم قال رسول الله ﷺ : « عملان هما أفضل الأعمال إلاّ من عمل بمثلهما » ، قال[*٦] : قالها ثلاثاً : « حجّة مبرورة وعمرة »[٢] رواه أحمد ومحمد بن نصر المروزي، ولهذا نذكر هذه المراتب

---

(١) أخرجه الشيخان بنفس الرواية السابقة في الحديث الآنف الذكر .

(٢) رواه الإمام أحمد ومحمد بن نصر في المسند ١١٤/٤ وهو في المسند من حديث عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن عبسه .

(*١) (جبريل) في الأصل يقابلها (جبرائيل) في الهندية .

(*٢) (عليه الصلاة والسلام) غير موجودة بالهندية .

(*٣) (نسب إليه) في الأصل يقابلها (فسأله) في الهندية .

(*٤) (جبريل) في الأصل يقابلها (جبرائيل) في الهندية .

(*٥) (أن) زيادة بالهندية .

(*٦) (قال) غير موجودة بالهندية .

الأربع[*١] فنقول : « المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر السيئات ، والمجاهد من جاهد نفسه لله » وهذا مرويّ عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر ، وفضالة بن عبيد وغيرهما بإسناد جيد وهو في السنن وبعضه في الصحيحين ، وقد ثبت عنه من غير وجه :[*٢] « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »[١] ، ومعلوم أنه من كان مأموناً على الدماء والأموال كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ، ولولا سلامتهم منه لما ائتمنوه . وكذلك في حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسه[*٣] أو عن [*٤] أبيه عن جدّه أنه قيل لرسول الله ﷺ ، ما الإسلام ؟ قال : « إطعام الطعام وطيب الكلام » ، قيل : فما الإيمان ؟ قال : « السماحة والصبر » ، قيل : فمن أفضل المسلمين إسلاماً ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه »[*٥] ، وقيل فمن أفضل المؤمنين إيماناً ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » ، قيل : فما أفضل الهجرة ؟ قال : « من هجر ما حرّم الله عليه » قال : أيّ الصلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت » قال : أيّ الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد من فعل[*٦] قال : أي الجهاد أفضل ؟ قال : « أن تجاهد بمالك ونفسك فيعض[*٧] جوادك ويُراق دمك » ، قال : أيّ الساعات أفضل ؟ قال : « جوف الليل الغابر »[٢] .

---

(١) رواه الإمام أحمد بهذا التمام عن فضالة بسند صحيح وهو في السنن وبعضه في الصحيحين بسند صحيح ٢١/٦ .

(٢) الحديث بنحوه في المسند ٣٨٥/٤ من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسه وهو مخرج في المصدر السابق وهو في المسند ٤١١/٣ ، ٤١٢ ، وفي سنن النسائي ٨٥/٥ والدارمي ٣٣١/١ عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن حبشي الخثعمي مختصراً .

(*١) (الاربع) في الأصل يقابلها (الاربعة) في الهندية .

(*٢) (أنه قال) زيادة في الهندية .

(*٣) (وفي حديث عبدالله بن عبيد بن عمير أيضاً) زيادة بالهندية .

(*٤) (أو) غير موجودة بالهندية .

(*٥) (ويده) زيادة بالهندية .

(*٦) (جهد من فعل) بالأصل يقابلها (جهد مقلّ) بالهندية .

(*٧) (فيعضّ) في الأصل يقابلها (فيعقر) بالهندية .

ومعلوم أن هذا كله مراتب بعضها فوق بعض ، وإلاّ فالمهاجر لابدّ أن يكون مؤمناً ، وكذلك المجاهد ولهذا قال : « الإيمان السماحة والصبر » ، وقال في الإسلام : « إطعام الطعام وطيب الكلام » والأول مستلزم للثاني ، فإنّ من كان خلقه السماحة ، فعل هذا بخلاف الأول فإن الإنسان قد يفعل ذلك تخلّقاً ، ولا يكون في خلقه سماحة وصبر ، وكذلك قال : « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] وقال : « أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً »[2] ومعلوم أنّ هذا متضمن[*1] الأول فمن كان حسن الخلق فعل ذلك ، قيل للحسن البصري : ما حسن الخلق ؟ قال : ترك البذيء[*2] ، وكفّ الأذى ، وطلاقة الوجه ، فكفّ الأذى جزء من حسن الخلق ، وستأتي الأحاديث الصحيحة بأنه جعل الأعمال[*3] الظاهرة من الإيمان كقوله : «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[3] ، وقوله لوفد عبد القيس : « آمركم بالإيمان[*4] بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله ؟[*5] شهادة أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدّوا خُمْسَ ما غنمتم »[4] ، ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بدّ من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان . وفي المسند عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « الإسلام علانية والإيمان في القلب »[5] وقال ﷺ : « إنّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد

---

(١) رواه مسلم ٦٥/١ في تفاضل أهل الإسلام عن جابر بن عبد الله .
(٢) الإمام أحمد في المسند ٢٥٠/٢ عن أبي هريرة .
(٣) أخرجه الشيخان : البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان فتح الباري ٥١/١ عن أبي هريرة – السلفية ، ومسلم في كتاب الإيمان باب عدد شعب الإيمان ٦٣/١ عن أبي هريرة – دار إحياء التراث .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ٤٦/١ عن ابن عباس .
(٥) أخرجه الإمام أحمد ١٣٤/٣ ، ١٣٥ وإسناده ضعيف .

(١*) (متضمن) في الأصل يقابلها (يتضمن) بالهندية .
(٢*) (ترك البذيء) بالأصل يقابلها (بذل الندى) بالهندية .
(٣*) (الطاهرة) بالأصل يقابلها (الظاهرة) بالهندية .
(٤*) (الإيمان) غير موجودة بالهندية .
(٥*) (وحده) زيادة بالهندية .

لها سائر الجسد ألاَ وهي القلب »[1] ، فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً بخلاف العكس ، وقال سعد بن[1*] عيينة : كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات : « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص . فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان صلح الجسد بالإسلام وهو من الإيمان ، يدل على ذلك أنه قال في حديث جبريل[2*] عليه السلام : « هذا جبريل جاءكم يعلّمكم دينكم »[2] فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان . فبيّن [3*] أن ديننا يجمع الثلاثة لكن هو درجات ثلاث : مسلم ثم مؤمن ثم محسن . كما قال تعالى : ﴿ **ثم أورثْنا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مُقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله** ﴾[6] والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنّة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه ، وهكذا من أتى الإسلام الظاهر مع تصديق القلب ، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن فإنه معرّض للوعيد كما سيأتي بيانه إن شاء الله . وأما الإحسان فهو أعمّ من جهة نفسه وأخصّ من جهة أصحابه من الإيمان ، والإيمان أعمّ من جهة [4*] وأخصّ من جهة أصحابه من الإسلام ، فالإحسان يدخل فيه الإيمان ، والإيمان يدخل فيه الإسلام ، والمحسنون أخصّ من المؤمنين ، والمؤمنون أخصّ من المسلمين ، وهذا كما نقول[5*] في الرسالة والنبوّة ، فالنبوّة داخلة في الرسالة ، والرسالة أعمّ من جهة نفسها وأخصّ من جهة أهلها ، فكل رسول نبيّ وليس كل نبيّ رسولاً ، فالأنبياء أعمّ ، والنبوّة نفسها جزء من الرسالة ، فالرسالة تتناول النبوّة وغيرها ، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء[6*] وغيرهم ، بل الأمر بالعكس والنبيّ ﷺ فسّر الإسلام والإيمان بما

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ، البخاري في كتاب الإيمان باب من استبرئ لدينه ١٢٦/١ فتح الباري ، السلفية ، ومسلم باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٢١٩/٣ عن النعمان بن بشير ـ دار إحياء التراث .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٣٢ ، وقد سقطت كلمة لفظ الجلالة (الله) من المخطوطة .

(١*) (سعد بن عيينة) في الأصل يقابلها (سفيان بن عيينة) في الهندية .

(٢*) (جبريل عليه السلام) في الأصل يقابلها (جبرائيل) في الهندية .

(٣*) فبيّن في الأصل يقابلها (فتبيّن) في الهندية .

(٤*) (نفسه) زيادة في الهندية .

(٥*) (نقول) في الأصل يقابلها (يقال) في الهندية .

(٦*) (بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس) بالأصل ، يقابلها (بخلاف النبوّة فإنها لا تتناول الرسالة) بالهندية .

أجاب به ، كما يجاب عن المجدود بالجدّ[*1] إذا قيل ما كذا[*2] ، كما في الحديث الصحيح ، لمّا قيل ما الغيبة ؟ قال : « ذِكْرك أخاك بما يكره »[1] وفي الحديث الآخر : « الكِبَر بطر الحق وغمْطُ الناس »[2] وبطر الحق جحده ودفعه ، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم ، وسنذكر إن شاء الله[*3] سبب تنوع أجوبته وأنها كلمة حق ، ولكنّ المقصود أن قوله : « بُنِي الإسلام على خَمْس « كقوله » الإسلام هو الخمس » ، كما ذكر في حديث جبريل[*4] ، فإن الأمر المركب[*5] من أجزاء تكون[*6] الهيئة الاجتماعية فيه مجتمعة[*7] مبنيّة على تلك الأجزاء ومركبة منها . فالإسلام مبنيّ على هذه الأركان ، وسنبيّن إن شاء الله تعالى[*8] اختصاص[*9] تكوّنها[*10] هي الإسلام وعليها بُني الإسلام ، وَلِمَ خصّت بذلك دون غيرها من الواجبات ، وقد فسّر الحديث في وفد عبدالقيس ، كما فسّر به الإسلام[*11] هنا لكنه لم يذكر فيه الحج ، وهو متفق عليه فقال : « آمركم بالإيمان بالله وحده ، هل تدرون ما الإيمان بالله وحده »[3] ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وأن تؤدوا خُمسَ ما غنمتم أو خُمْساً من الغُنم[*12] »[4] وقد روي في بعض طرقه :

---

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الغيبة ٢٠٠١/٤ عن أبي هريرة .
(2) رواه مسلم ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأحمد ، مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ عن عبد الله بن مسعود والإمام أحمد في المسند ١٣٤٠/٤ عن كريب بن أبرهة .
(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ٤٦/١ عن ابن عباس .
(4) مرّ الحديث في رقم (٣) السابق .

(*1) (المجدود بالجد) في الأصل يقابلها (المحدود بالحد) في الهندية .
(*2) (قيل كذا وكذا) غير موجودة في الهندية .
(*3) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*4) (جبريل) في الأصل يقابلها (جبرائيل) في الهندية .
(*5) (المركب) في الأصل يقابلها (مركب) في الهندية .
(*6) (يكون) في الأصل (يقابلها (تكون) في الهندية .
(*7) (مجتمعة) غير موجودة في الهندية .
(*8) (تعالى) غير موجودة بالهندية .
(*9) (هذه الخمس) زيادة في الهندية .
(*10) (تكوّنها) في الأصل يقابلها (بكونها) في الهندية .
(*11) (وقد فسّر الحديث في وفد عبد القيس ، كما فسّر به الإسلام) في الأصل يقابلها (وقد فسّر الإيمان في حديث وفد عبد القيس ، بما فسّر به الإسلام) في الهندية .
(*12) (الغنم) في الأصل يقابلها (المغنم) بالهندية .

« الإيمان بالله وشهادة أنْ لا إله إلاّ الله »[1] لكنّ الأول أشهر ، وفي رواية أبي سعيد : « آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً »[2] ، وقد فُسِّر في حديث شُعَب الإيمان ، الإيمان بهذا وبغيره فقال : « الإيمان بضعٌ وستون أو بضعٌ وسبعون شُعبة ، أفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شُعبة من الإيمان »[3] وثُبت عنه من وجوه متعددة أنه قال : « الحياء شُعبة من الإيمان »[4] من حديث ابن عمرو بن مسعود وعمران بن حصين ، وقال أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[5]، وقال : «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»[6]، وقال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل من يا رسول الله ، قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه »[7] ، وقال : « من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[8] ، وقال : « ما بعث الله من نبيّ إلاّ كان في أمته قوم يهتدون بهديه ، ويستنّون بسنّته ، ثم إنهم تخلف[*1] من بعدهم خَلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه ،[*2] ليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل »[9] وهذا من أفراد

---

(١) متفق عليه ومرّ تخريجه عند البخاري ١٢٦/١ .
(٢) متفق عليه ومرّ تخريجه عند البخاري ١٢٦/١ .
(٣) متفق عليه ومرّ تخريجه عند البخاري ١٢٦/١ .
(٤) متفق عليه ومرّ تخريجه عند البخاري ١٢٦/١ .
(٥) متفق عليه : البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول من الإيمان ٥٨/١ عن أبي هريرة فتح الباري السلفية ، ومسلم كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد ٦٧/١ عن أنس ابن مالك .
(٦) متفق عليه : البخاري في كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ٥٦/١ عن أنس فتح الباري ، مسلم في كتاب الإيمان باب من خصال الإيمان أن يحبّ لأخيه المسلم ما يحبّ لنفسه من الخير ٦٧/١ عن أنس بن مالك .
(٧) رواه البخاري في صحيحة في الأدب باب إثم من لم يأمن جاره ٢٤٣/١٠ عن شريح .
(٨) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ عن طارق بن شهاب .
(٩) رواه مسلم وهو من أفراده في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٧٠/١ عن عبدالله ابن مسعود .

(١*) (انهم تخلف) في الأصل يقابلها (انه يخلف) في الهندية .
(٢*) (فهو مؤمن) زيادة في الهندية .

مسلم ، وكذلك من أفراد مسلم قوله « والذي نفسي(*١) لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا ، أَوَلاَ أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم »[1] وقال في الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة ورواه البخاري من حديث ابن عباس ، قال النبيّ ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يهب(*٢) الهِبة حين(*٣) يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن »[2] .

(١) رواه مسلم وهو من أفراده في كتاب الإيمان باب إفشاء السلام ٧٤/١ عن أبي هريرة .
(٢) متفق عليه وهو من رواية أبي هريرة ، البخاري في كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه ١١٩/٥ فتح الباري ، مسلم في كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي ٧٦/١ عن أبي هريرة .

(*١) (بيده) زيادة في الهندية .
(*٢) (ولا يهب الهبة) في الأصل يقابلها (ولا ينتهب النهبة) في الهندية .
(*٣) (حين) غير موجودة في الهندية .

فصـــــل(*1)

ما الإســلام وما الإيمـــان

فيقال اسم الإيمان تارة يذكر مفرداً ، غير مقرون باسم الإسلام ولا باسم(*2) الصالح ولا غيرهما ، وتارة يذكر مقروناً إما بالإسلام كقوله في حديث جبريل(*3) (ما الإسلام وما الإيمان) وكقوله تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات** ﴾(1) وقوله(*4) تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾(2) ، وقوله تعالى : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾(3) ، وكذلك ذكر الإيمان مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القرآن كقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾(4) ، وأما مقروناً بالذين أوتوا العلم كقوله تعالى : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان** ﴾(5) ، وقوله : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾(6) ، وحيث ذكر الذين آمنوا فقد دخل فيهم الذين أوتوا العلم فإنهم خيارهم ، قال تعالى : ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾(7) ، وقال : ﴿ **لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾(8) ، ويذكر أيضاً لفظ المؤمنين مقروناً بالذين هادوا والنصارى والصابئين ثم يقول : ﴿ **من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾(9) ، فالمؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة والإيمان

---

(1) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .
(2) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(3) سورة الذاريات ، الآية ٣٦ .
(4) سورة البقرة ، الآية ٢٧٧ .
(5) سورة الروم ، الآية ٥٦ .
(6) سورة المجادلة ، الآية ١١ .
(7) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(8) سورة النساء ، الآية ١٦٣ .
(9) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .

(*1) (فصل) غير موجودة بالهندية .
(*2) (العمل) زيادة في الهندية .
(*3) (جبريل) في الأصل يقابلها (جبرائيل) في الهندية .
(*4) (وقوله تعالى) في الأصل يقابلها (وقوله عز وجل) في الهندية .

الآخر عَمَّهم كما عمَّهم في قوله : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خيْر البريَّة** ﴾ [1] .

وسنبسط هنا إن شاء الله[*1] ، فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة إلى ما في الباطن والظاهر من الإيمان ، وأما العموم بالنسبة إلى المِلَل فتلك مسألة أخرى ، فلمّا ذكر الإيمان مع الإسلام جعل الإسلام هي الأعمال الظاهرة ، الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج ، وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد عن أنسٍ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « الإسلام علانية والإيمان في القلب »[2] ، وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة كقوله في حديث الشُعب : « الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلٰه إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[3] وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البرّ من الإيمان ، ثم إن نفي الإيمان عند عدمها دلّ على أنها واجبة ، وإنْ[*2] فَضُل إيمان صاحبها و لم ينف إيمانه دلّ على أنها مستحبّة ، فإن الله ورسوله لا ينفى[*3] اسم منتهى[*4] أمر[*5] الله به ورسوله ، إلاّ إذا ترك بعض واجباته لقوله[*6] : « لا صلاة إلا بأمّ القرآن »[4] وقوله : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له »[5] ونحو ذلك . فأما إذا كان الفعل مستحبّاً في العبادة لم ينفعها[*7] لانتفاء المستحبّ ، فإن هذا لو جاز لجاز أن ننفي[*8] عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة

---

(١) سورة البيّنة ، الآية ٧ .

(٢) حديث ضعيف كما سبق وأن ذكرنا .

(٣) متفق عليه وقد خرّجناه سابقاً .

(٤) متفق عليه ، البخاري في كتاب الصلاة باب وجوب القرآن للإمام .. ٢٣٦/٢ عن عُبَادة بن الصامت فتح الباري ومسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة ٢٩٥/١ عن عُبادة بن الصامت .

(٥) رواه أحمد وغيره من طرق وهو حديث صحيح ، المسند ١٣٥/٣ عن أنس .

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٢) (ذكر) زيادة في الهندية .

(*٣) (لا ينفى) في الأصل يقابلها (لاينفيان) في الهندية .

(*٤) (منتهى) في الأصل يقابلها (مسمّى) في الهندية .

(*٥) (أمر) زيادة في الهندية .

(*٦) (لقوله) في الأصل يقابلها (كقوله) في الهندية .

(*٧) (ينفعها) في الأصل يقابلها (ينفها) في الهندية .

(*٨) (ننفي) في الأصل يقابلها (ينفي) في الهندية .

والحج، لأنه ما من عمل إلاّ وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبيّ ﷺ[*1]، ولا أبو بكر ولا عمر، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحبّ يجوز نفيها عنه لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل، فمن قال إن المنفى هو الكمال ، فإن أرادّ أنه نفي الكمال المستحبّ[*2] فهذا لم يقع قطّ في كلام الله ورسوله ، ولا يجوز أن يقع ، فإن من فعل الواجب كما وجب عليه لم ينقص[*3] من واجبه شيئاً، لم يجز أن يقال : ما فعلته[*4] لا حقيقة ولا مجازاً فإذا قال للأعرابي المسيء في صلاته «ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ»[1] وقال لمن صلّى خلف الصفّ وقد أمره بالإعادة «لا صلاة لفذّ خلف الصف»[2] كان كتركِ[*5] واجبٌ ولذلك[*6] قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾[3] . بيّن[*7] أن الجهاد واجب ، وترك الارتياب واجب ، والجهاد وإن كان فرضاً على الكفاية ، فجميع المؤمنين مخاطبون[*8] به ابتداءً ، فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه ، والعزم على فعله إذا تعيّن ، ولهذا قال النبيّ ﷺ : « من مات ولم يغزِ ولم يحدث نفسه بغزو مات على شُعبة نفاق »[4] رواه مسلم . فأخبر أنه من

---

(١) متفق عليه : البخاري في كتاب الصلاة باب وجوب القراءة للإمام ٢٣٧/٤ عن أبي هريرة فتح الباري ، ومسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة ٢٩٨/١ عن أبي هريرة .

(٢) رواه أحمد وغيره وهو حديث صحيح المسند ٢٣/٤ عن علي بن شيبان .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .

(٥) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب ذمّ من مات ولم يغزِ ٥١٧/٣ عن أبي هريرة .

(*١) (بل) زيادة في الهندية .

(*٢) (الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق وإن أراد نفي الكمال المستحبّ) زيادة في الهندية .

(*٣) (لم ينقص) في الأصل يقابلها (ولم ينتقص) في الهندية) .

(*٤) ما فعلته) في الأصل يقابلها (ما فعله) في الهندية .

(*٥) (كترك) في الأصل يقابلها (لترك) في الهندية .

(*٦) (ولذلك في الأصل يقابلها (وكذلك) في الهندية .

(*٧) (بيّن) في الأصل يقابلها (يبيّن) في الهندية .

(*٨) (مخاطبون) في الأصل يقابلها (يخاطبون) في الهندية .

لم يهمّ به كان على شعبة نفاق ، وأيضاً فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ، فلا بدّ(١*) أنه يجب على المؤمن من نوع من أنواع ، ولذلك قوله :(٢*) ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلَتْ قلوبُهم ، وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصّلاة ، ومِمَّا رزقناهم ينفقون أولئك هُمُ المؤمنون حقّاً** ﴾(١) هذا كلّه واجب ، فإن التوكّل على الله واجب من أعظم الواجبات ، كما أن الإخلاص لله واجب . وحبّ الله ورسوله واجب ، وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالتوكل(٣*) بالوضوء والغسل من الجنابة ، ونهى عن التوكل على غير الله ، قال تعالى : ﴿ **فاعبده وتوكّل عليه** ﴾(٢) ، وقال(٤*) : ﴿ **الله لا إله إلاّ هو وعلى الله فَلْيتوكلِ المؤمنون** ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالبَ لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فلْيَتوكلِ المؤمنون** ﴾(٤) . وقال تعالى : ﴿ **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين** ﴾(٥) وأما قوله : ﴿ **الذين إذا ذُكِر الله وَجِلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زَادَتهم إيماناً** ﴾(٦) ، فيقال من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه بحيث إذا كان الإنسان مؤمناً لزم ذلك بغير قصد منه ، ولا تعمّد له ، وإذا لم يوجد دلّ على أن الإيمان الواجب لم يحصل في القلب ، وهذا لقوله(٥*) تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كُتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروحٍ منه** ﴾(٧) ، فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يوادّ المحاربة

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٢) سورة هود ، الآية ١٢٣ .
(٣) سورة التغابن ، الآية ١٣ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٦٠ .
(٥) سورة يونس ، الآية ٨٤ .
(٦) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(٧) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(١*) (فلا بدّ) في الأصل يقابلها (ولا بد) في الهندية .
(٢*) (لذلك) في الأصل يقابلها (كذلك) في الهندية .
(٣*) (بالتوكل) غير موجودة بالهندية .
(٤*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٥*) (لقوله) في الأصل يقابلها (كقوله) في الهندية .

لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان مناف[*1] موادّته ، كما نفى[*2] أحد الضدّين للآخر[*3] فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله تعالى[*4] ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ **ترى كثيراً منهم يتولّوْن الذين كفروا لَبِئْسَ ما قدّمت لهم أنفسهم أن سَخِطَ الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبيّ وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياءَ ولكنَّ كثيراً منهم فاسقون** ﴾[1] ، فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف « لو » التي تقتضي انتفاءً[*5] مع الشرط انتفاءَ المشروط فقال : ﴿ **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبيّ وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء** ﴾[2] ، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضادّه ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ، ودلّ ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبيّ وما أنزل إليه ومثله قوله تعالى : ﴿ **لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياءَ بعضُهُمْ أوْلِيَاءُ بعضَ ومن يتولّهم منكم فإنه منهم** ﴾[3] ، فإنه أخبر في تلك الآيات أن مُتوليهم لا يكون مؤمناً ، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم ، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً قال[*6] تعالى : ﴿ **الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثـاني** ﴾[*7] »[4] ولذلك[*8] قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على**

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان ٨٠ ، ٨١ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٨٤ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٢٣ .

(١*) (مناف) في الأصل يقابلها (ينافي) في الهندية .
(٢*) (نفى) في الأصل يقابلها (ينفي) في الهندية .
(٣*) (للآخر) في الأصل يقابلها (الآخر) في الهندية .
(٤*) (تعالى) غير موجودة بالهندية .
(٥*) (انتفاء) غير موجودة بالهندية .
(٦*) (الله) زيادة في الهندية .
(٧*) ﴿ **تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم** ﴾ الآية ، زيادة في الهندية .
(٨*) (ولذلك) في الأصل يقابلها (وكذلك) في الهندية .

أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾[1] ، دليل على أنّ الذهاب المذكور بدون استئذانه لا يجوز وأنه يجب أن لا يذهب حتى يستأذن ، فمن ذهب ولم يستأذن كان قد ترك بعض ما يجب[*1] من الإيمان ، فلهذا نفي عنه الإيمان ، فإن حرف إنما يدل على إثبات المذكور ونفي غيره ، ومن الأصوليين من يقول « إن » للإثبات ، و « ما » للنفي ، فإذا جمع بينهما دل[*2] على الإثبات والنفي[*3] ، وليس كذلك عند أهل العربية ومن يتكلم في ذلك يعلم فإن « ما » هذه هي الكافّة التي تدخل عليها[*4] إن وأخواتها فتكفّها عن العمل لأنها إنما تعمل إذا اختصّت بالجمل الإسمية ، فلمّا كفّت بَطل[*5] اختصاصها فصار يليها الجمل الفعلية والإسمية فتغيّر معناها وعملها جميعاً جميعاً[*6] بانضمام (ما) إليها ، وكذلك (كأنما) وغيرها وكذلك قوله تعالى : **﴿ ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطَعْنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى الله ورسوله لِيحكمَ بينهم إذا فريقٌ منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مُذْعِنين أفي قلوبهم مرضٌ أَمِ ارتابوا أمْ يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكمَ بينهم أن يقولوا سمِعْنا وأَطَعْنَا وأولئك هم المفلحون ﴾**[2] ، فإن قيل إذا كان المؤمن حقّاً هو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات فقد قال : **﴿ أولئك هم المؤمنون حقّاً ﴾**[3] ، ولم يذكر إلا خمسة أشياء ، ولذلك[*7] قال في الآية الأخرى : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾**[4] ، وكذلك قوله : **﴿ إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾**[5] قيل عن هذا جوابان : أحدهما أن يكون ما ذكر مستلزماً لما

---

(١) سورة النور ، الآية ٦٢ .
(٢) سورة النور ، الآيات من ٤٧ : ٥١ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٤٠ .
(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .
(٥) سورة النور ، الآية ٦٢ .

(١*) (عليه) زيادة في الهندية .
(٢*) (دل) في الأصل يقابلها (دلت) في الهندية .
(٣*) (الإثبات والنفي) في الأصل يقابلها (النفي والإثبات) في الهندية .
(٤*) (عليها) في الأصل يقابلها (على) في الهندية .
(٥*) (عملها) زيادة في الهندية .
(٦*) (جميعاً) غير موجودة بالهندية .
(٧*) (ولذلك) في الأصل يقابلها (وكذلك) في الهندية .

ترك فإنه ذكر وجل قلوبهم[*١] وزيادة إيمانهم إذا تليت آياته مع وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطناً وظاهراً ، وكذلك الإنفاق من المال والمنافع فكان هذا مستلزماً للباقي فإنّ وَجِلَ القلوب[*٢] عند ذكر الله تعالى يقتضي خشيته والخوف منه ، وقد فسّروا وَجِلَتْ بِفَرِقَت وفي قراءة ابن مسعود « إذا ذكر الله فَرِقَتْ قُلُوبُهم »[١] ، وهذا صحيح فإن الوجل في اللّغة هو الخوف يقال حُمرة الخجل وصُفرة الوَجَل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وَجِلة إنهم إلى ربّهم راجعون** ﴾[٢] . قالت عائشة يا رسول الله : هو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن يُعاقب ، قال : « لا يا ابنة[*٣] الصديق هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه »[٣] ، وقال السدي في قوله[*٤] ﴿ **إذا ذكر الله وَجِلت قلوبهم** ﴾[٤] ، هو الرجل يريد أن يظلم أو يهمّ بمعصية فينزع عنه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ **وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوى** ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ **ولِمَنْ خاف مقام ربّه جنتان** ﴾[٦] ، قال مجاهد[٧] وغيره من المفسرين : هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركها خوفاً من الله . وإذا كان وجِل القلب من ذكره يتضمن خَشيته ومخافته فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور ، قال سهل بن عبدالله : ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا طريق أقرب إليه[*٥] من الافتقار ، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولمّا سكت عن موسى الغضب ، أخذ الألواح وفي نسختها هدًى ورحمة للذين هم لربّهم يرهبون** ﴾[٨] ، فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله . قال مجاهد وإبراهيم

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٦١ .

(٣) أخرجه الترمذي وأحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل ١٤٠٤/٢ عن عائشة .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٢ .

(٥) سورة النازعات ، الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

(٦) سورة الرحمن ، الآية ٤٦ .

(٧) مجاهد : أحد المفسرين المشهورية لكتاب الله .

(٨) سورة الأعراف ، الآية ١٥٣ .

(*١) (إذا ذكر الله) زيادة في الهندية .

(*٢) (القلوب) في الأصل يقابلها (القلب) في الهندية .

(*٣) (لا يا ابنة) في الأصل يقابلها (لا يابنت) في الهندية .

(*٤) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٥) (أقرب إليه) في الأصل يقابلها (إليه أقرب) في الهندية .

هو الرجل يريد أن يذنب الذنْب فيذكر مقام الله فيدع الذنْب ، رواه ابن أبي الدنيا عن[*١] الجعد عن شعبة عن منصور عنهما في قوله[*٢] : ﴿ **ولِمَنْ خاف مقام ربه جنّتان** ﴾[١] وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورين في قوله تعالى : ﴿ **أولئك على هدًى من ربّهم وأولئك هم المفلحون** ﴾[٢] وهم المؤمنون[*٣] المتّقون المذكورون في قوله[*٤] : ﴿ **آلم ذلك الكتاب لا ريْب فيه هدًى للمتقين** ﴾[٣] كما قال في آية البرّ : ﴿ **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾[٤] ، وهؤلاء هم المتّبعون للكتاب كما في قوله تعالى : ﴿ **فمن اتّبع هُداي فلا يضلّ ولا يشقى** ﴾[٥] ، وإذا لم يضلّ فهو[*٥] مهتدٍ وإذا لم يَشْقَ فهو مرحوم وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالّين ، فإنّ أهل الرحمة ليسوا مغضوباً عليهم وأهل الهدى ليسوا ضالّين ، فبيّن[*٦] أن أهل رهبة الله يكونون متّقين لله مستحقّين لجنّته بلا عذاب . وهؤلاء هم الذين أوتوا[*٧] بالإيمان الواجب ومما يدلّ على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[٦] والمعنى أنه لا يخشاه إلاّ عالم فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم ، كما قال في الآية الأخرى ﴿ **أمْ من هو قانِت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[٧] ، والخَشية أبداً متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآيات ١، ٢ ، ٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٥) سورة طه ، الآية ١٢٣ .

(٦) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

(٧) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(*١) (ابن) زيادة في الهندية .

(*٢) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٣) (وهم) زيادة في الهندية .

(*٤) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٥) (متبع) زيادة في الهندية .

(*٦) (فبيّن) في الأصل يقابلها (فتبيّن) في الهندية .

(*٧) (أوتوا) في الأصل يقابلها (أتوا) في الهندية .

قنوطاً ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً ، فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله ، وقد روي عن أبي حيان التيمي[*١] أنه قال : « العلماء ثلاثة : فعالمٌ بالله ليس عالماً بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله ، وعالم بالله عالم بأمر الله ، فالعالم بالله هو الذي يخافه والعالم بأمره[*٢] الذي يعلم أمره ونهيه . وفي الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال : « والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده » .[١] وإذا كان أهل الجنة[*٣] هم العلماء الممدوحون في الكتاب والسنّة لم يكونوا مستحقين للذمّ وذلك لا يكون إلا مع فعل الواجبات ويدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ **فأوحى إليهم ربّهم لَنُهْلِكَنَّ الظالمين ولَنُسكننّكُمُ الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾[٢] وقوله : ﴿ **ولِمَنْ خاف مقام ربّه جنّتان** ﴾[٣] فوعد بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لأهل[*٤] الخوف وذلك إنما يكون لأنهم أدوْا الواجبات ،[*٥] فدلّ على أن الخوف يستلزم فعل الواجب ولهذا يقال للفاجر لا يخاف الله ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** ﴾[٤] ، قال أبو العالية : سألت أصحاب محمد عن هذه الآية ، فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت[*٦] تاب من قريب ، وكذلك قال[*٧] سائر المفسرين . قال مجاهد : كل عاصٍ فهو جاهل حين معصيته ، وقال الحسن وقتادة وعطاء والسدي وغيرهم : إنما سُمّوا جهالاً لمعاصيهم ، لا أنهم غير مخبرين[*٨] ، وقال الزجّاج[٥] : ليس معنى

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام باب صحة من طلع عليه الفجر ٧٨١/٢ عن عائشة .

(٢) سورة إبراهيم ، الآيتان ، ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية ٤٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية ١٧ .

(٥) الزجّاج : هو اسحاق إبراهيم بن السري بن سهل كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد مال إلى النحو ولزم المجدد له ، من التصانيف ، معاني القرآن ، الاشتقاق ، خلق الإنسان ، فعلت وأفعل ، شرح أبيات سيبويه ، العروض ، النوادر ، بغية الوعاة ٤١٢/١ ، تاريخ بغداد ٩١/٦ .

(*١) (حيان التيمي) في الأصل يقابلها (حيان التيمي) في الهندية .

(*٢) (الله) زيادة في الهندية .

(*٣) (الجنة) في الأصل يقابلها (الخشية) في الهندية .

(*٤) (لأهل) في الأصل يقابلها (لأمل) في الهندية .

(*٥) (الواجبات) في الأصل يقابلها (الواجب) في الهندية .

(*٦) (فقد) زيادة في الهندية .

(*٧) (قال) غير موجودة بالهندية .

(*٨) (مخبرين) في الأصل يقابلها (مميزين) في الهندية .

الآية أنهم يجهلون آية[*١] سوء ، لأن المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن يواقع سوء ، وإنما يحتمل أمرين أحدهما أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه ، والثاني أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة وآثروا العاجل على الآجل فسُمّوا جهالاً لإيثارهم القليل على الراحة الكبيرة والعاقبة الدائمة ،[*٢] فقد جعل الزجّاج الجهل إما عدم العلم بعاقبة الفعل وإما فساد الإرادة ، وقد يقال هما متلازمان وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية .[١]

والمقصود هنا أن كل عاص لله فهو جاهل ، وكل خائف من الله[*٣] فهو عالم مطيع لله ، وإنما يكون جاهلاً لنقص خوفه من الله إذ لو تم خوفه[*٤] لم يعص . ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه : كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً ، وذلك لأن تصور المخوف يوجب الهرب منه وتصور المحبوب يوجب طلبه ، فإذا لم يهرب من هذا ولم يطلب هذا دل على أنه لم يتصوره تصوراً تاماً ، ولكن قد يتصور الخبر عنه ، وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حروفه غير تصور المخبر به وكذلك إذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروهاً ، فإن الإنسان يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً ، وكذلك إذا أخبر بما هو محبوب له ومكروه ولم يكذب المخبر بل عرف صدقه لكن قلبه مشغول بأمور أخرى عن تصور ما أخبر به ، فهذا لا يتحرك للهرب ، ولا للطلب وفي الكلام المعروف عن الحسن البصري ويروى مرسلاً عن النبيّ ﷺ : « العلم علمان : علم[*٥] في القلب وعلم[*٦] في اللسان ، فعلم القلب هو العلم النافع ،

---

(١) تنسب هذه الفرقة الضالة المبتدعة إلى مؤسسها جهم بن صفوان وهو من القائلين بالجبرية الخالصة وقد ظهرت بدعته في بلاد ترمذ وقتله سلمة بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية وقد وافق جهم المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها : لا يجوز للباري أن يوصف بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً وكان جهم بن صفوان تلميذاً لجعد ابن درهم الذي قتله خالد بن عبدالله القسري سنة ١٢٤ هـ على الزندقة والإلحاد وكان جعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، راجع الملل والنِّحَل للشهرستاني ص ٨٦ .

(*١) (أية) في الأصل يقابلها (انه) في الهندية .

(*٢) (الراحة الكبيرة والعاقبة الدائمة) في الأصل يقابلها (الراحة الكثيرة والراحة الدائمة) في الهندية .

(*٣) (الله) زيادة في الهندية .

(*٤) (من الله) زيادة في الهندية .

(*٥) (علم) في الأصل يقابلها (فعلم) في الهندية .

(*٦) (في) في الأصل يقابلها (على) في الهندية .

وعلم اللسان حجة الله على عباده »[1] وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : « مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَل الأُترجة طعمها طيب وريحها طيب ، ومَثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مَثَل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرّ ، ومَثَل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مَثَل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها »[2] ، وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق أنه كلام الله وأن الرسول حقّ ولا يكون مؤمناً ، كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وليسوا مؤمنين ، وكذلك إبليس وفرعون وغيرهما ، لكن من كان كذلك لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة ، فإن ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة ، ولهذا صار يقال لمن يعمل بعلمه أنه جاهل كما تقدم . وكذلك لفظ العقل ، وإن كان هو في الأصل مصدر عقل يعقل عقلاً ، وكثير من النظّار جعله من جنس العلوم ، فلا بدّ أن يعتبر مع ذلك أنه علم يعمل بموجبه ، فلا نسمي عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه ، ولهذا قال أصحاب النار : ﴿ **لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير** ﴾[3] ، وقال[*1] : ﴿ **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** ﴾[4] ومتى فعل ما يعلم أنه يضرّه فمثل هذا ما له عقل ، فكما أن الخوف من الله تعالى[*2] يستلزم العلم به ، فالعلم[*3] يستلزم خشيته ، وخشيته تستلزم طاعته ، فالخائف من الله ممتثل لأوامره مجتنب لنواهيه ، وهذا[*4] الذي قصدنا بيانه أولاً ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ **فذكِّر إن نفعتِ الذكرى سيذَّكَّرُ مَن يخشى ويتجنّبُها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى** ﴾[5] ، فأخبر أن من يخشاه

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسند ضعيف مرفوعاً .

(٢) رواه الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى عن النبي ﷺ ، أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافر باب فضيلة حافظ القرآن ١/٥٤٦ عن أنس .

(٣) سورة الملك ، الآية ١٠ .

(٤) سورة الحشر ، الآية ٤ .

(٥) سورة الأعلى ، الآيات من ٩ : ١٢ .

(*١) (عن المنافقين) زيادة في الهندية .

(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (به) زيادة في الهندية .

(*٤) (هو) زيادة في الهندية .

يتذكر والتذكر هنا مستلزم لعبادته ، قال[*1] تعالى : ﴿ **هو الذي يُريكم آياته وينزّل لكم من السماء رزقاً وما يتذكّر إلاّ من ينيب** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **تبصرةً وذكرى لكلّ عبدٍ مُنيب** ﴾[2] ، ولهذا قالوا في قوله : ﴿ **سيذّكّر من يخشى** ﴾ سيتّعظ بالقرآن من يخشى الله ، وفي قوله : ﴿ **وما يتذكّر إلاّ من ينيب** ﴾ إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة ، وهذا لأن التذكّر التام يستلزم التأثر بما يذكره[*2] ، فإنّ من تذكر محبوباً طلبه وإنّ من[*3] تذكر مرهوباً هرب منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **سواءٌ عليهم أأنْذَرْتَهُم أمْ لم تُنْذِرْهُم لا يؤمنون** ﴾،[*4] **إنما تنذر من اتّبع الذِّكرَ وخشِيَ الرحمٰن بالغيبِ فبشّره بمغفرةٍ وأجرٍ كريم** ﴾[3] ، قال سبحانه : ﴿ **إنما تنذر من اتّبع الذِّكر وخشِيَ الرحمٰن بالغيب** ﴾[4] ففي الإنذار عن غير هؤلاء مع قوله : ﴿ **سواءٌ عليهم أأنْذَرْتُهُم أم لم تنذرهم** ﴾ فأثبت لهم الإنذار من وجهٍ ونفاه عنهم من وجه ، فإن الإنذار هو الإعلام بالخوف[*5] ، فالإنذار مثل التعليم والتخويف فمن علّمته فتعلّم فقد تمّ تعليمه ، وآخر يقول علّمته فلم يتعلم ، وكذلك من خوّفته فخاف ، فهذا الذي[*6] يتم تخويفه ، وأمّا من خُوِّف فما خاف فلم يتم تخويفه ، وكذلك من هديته فاهتدى ثم هداه ، ومنه قوله[*7] : ﴿ **هدًى للمتقين** ﴾ ومن هديته فلم يهتد كما قال : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى** ﴾[5] [*8] كما تقول قطعته فانقطع وقطعته فما انقطع ، فالمؤثر التام يستلزم أثره فمتى لم يحصل أثره لم يكن تاماً ، والفعل إذا صادف محلاً قابلاً يتم وإلا لم يتم ، والعلم بالمحبوب يؤثر في طلبه ،[*9] والعلم بالمكروه مؤثر في

---

(1) سورة غافر ، الآية ١٣ .
(2) سورة ق ، الآية ٨ .
(3) سورة يٰس ، الآية ١٠ ، ١١ .
(4) سورة يٰس ، الآية ١١ .
(5) سورة فصّلت ، الآية ٧ .

(*1) (الله) زيادة في الهندية .
(*2) (يستلزم التأثير بما يذكره) في الأصل يقابلها (يستلزم العمل بما تذكره) في الهندية .
(*3) (من) غير موجودة في الهندية .
(*4) الآية (١١) من سورة يٰس غير مكتملة في الهندية .
(*5) (بالخوف) في الأصل يقابلها (بالمخوف) في الهندية .
(*6) (فهو الذي) غير موجودة بالهندية . (*8) (فلم يتم هداه) زيادة في الهندية .
(*7) (تعالى) زيادة في الهندية . (*9) (يؤثر في طلبه) في الأصل يقابلها (يورث طلبه) في الهندية .

تركه[*1] ، ولهذا يسمّى هذا العلم الداعي ويقال الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد وهذا كله مع صحة الفطرة وسلامتها ، وأما مع فسادها ، فقد يحسّ مع الإفساد بحس[*2] الإنسان باللذيذ ، فلا يجد له لذة بل يؤلمه ، وكذلك يلتذّ بالمؤلم لفساد الفطرة ، والفساد يتناول القوة العلمية والقوة العملية جميعاً ، كالمرأ[*3] الذي يجد العسل مرّاً فإنه فسد نفس إحساسه حتى كأنْ يحس به على خلاف ما هو عليه للمزة التي مازجته ، وكذلك من فسد باطنه قال تعالى : ﴿ **وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وَنَذَرُهُمْ في طغيانهم يعمهون** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وقولُهم قلوبنا غُلُفٌ بل طبع الله عليها بكفرهم** ﴾[3] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ **وقالوا قلوبنا غُلُفٌ بل لعنهم الله بكفرهم** ﴾[4] والغلف جمع أغلف وهو ذو الغلاف الذي في غلاف مثل الأخلف ، كأنهم جعلوا المانع خلقه أي خلقت القلوب عليها أغطية ، فقال[*4] تعالى : ﴿ **بل لعنهم الله بكفرهم** ﴾[5] وطبع الله عليها بكفرهم ﴿ **فلا يؤمنون إلاّ قليلاً** ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهواءهم** ﴾[*5][7] ، وكذلك قالوا : ﴿ **يا شعيب ما نَفْقَهُ كثيراً مما تقول** ﴾[8] ، وقال : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً لأسْمَعَهُم** ﴾[9] أي لأفهمهم

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١١٠ .
(٢) سورة الصف ، الآية ٥ .
(٣) سورة النساء ، الآية ١٥٥ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٨٨ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٨٨ .
(٦) سورة النساء ، الآية ٤٦ .
(٧) سورة محمد ، الآية ١٦ .
(٨) سورة هود ، الآية ٩١ .
(٩) سورة الأنفال ، الآية ٢٣ .

(١*) (مؤثر في تركه) في الأصل يقابلها (يورث تركه) في الهندية .
(٢*) (مع الافساد بحس) غير موجودة بالهندية .
(٣*) (كالمرأ) في الأصل يقابلها (كالممرور) في الهندية .
(٤*) (الله) زيادة في الهندية .
(٥*) لفظ (الله) في الآية ١٦ من سورة محمد غير موجود بالهندية .

ما سمعوه ثم قال ولو أفهمهم مع هذه الحال التي هم عليها لَتَوَلَّوْا وهم مُعرضون ، فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو فهموا لم يعلموا فنفى عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية ، وقال : ﴿ **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **ولقد ذَرَأْنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلـون** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **وَمَثَل الذين كفروا كَمَثَلِ الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً صمٌّ بكمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقلون** ﴾[3] ، وقال عن المنافقين : ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون** ﴾[4] ومن الناس من يقول لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر والنطق جعلوا صمّاً بُكْماً عُمْياً ، أو لمّا أعرضوا عن السمع والبصر صاروا كالصمّ والعُمْي[*1] وليس كذلك ، بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قـال[*2] تعالى : ﴿ **فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور** ﴾[5] ، والقلب هو الملك والأعضاء جنوده إذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد ، فيبقى يسمع بالبدن الصوت كما تسمع البهائم . والمعنى لا يفقهه وإن فقه بعض الفقه لم يفقه فقهاً تاماً ، فإنّ الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب[*3] بمحبة المحبوب وبغض المكروه ، فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلاً فجاز نفيه لأنّ ما لم يتم ينفى كقوله للذي أساء في صلاته : « صلّ فإنك لم تصلّ »[6] ونفى[*4] الإيمان حيث نفى من هذا الباب .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٧٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٤٦ .

(٦) (صلّ فإنك لم تصل) مرّ توثيق هذا الحديث وهو حديث صحيح .

(١*) (البكم) زيادة في الهندية .

(٢*) (الله) زيادة في الهندية .

(٣*) (بمحبة) في الأصل يقابلها (محبة) في الهندية .

(٤*) (ونفى) في الأصل يقابلها (فنفى) في الهندية .

فصـــــل[*١]

الجمـع بـين الإسـلام والإيمـان

وقد جمع الله تعالى بين وصفهم بوجل القلب إذا ذكر وبزيادة الإيمان إذا سمعوا آياته ، قال الضحاك : زادتهم يقيناً ، وقال الربيع بن يونس[*٢] خشية ، وعن ابن عباس تصديقاً ، وهكذا[*٣] ذكر الله هذين الأصلين في مواضع قال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾[١] . والخشوع يتضمن معنيين ، أحدهما : التواضع والذل ، والثاني السكون والطمأنينة وكذلك يستلزم لين[*٤] القلب المنافي للقسوة ، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله تعالى وطمأنينته أيضاً ، ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا التواضع والسكون وعن ابن عباس في قوله ﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾[٢] قال مخبتون أذلاّء ، وعن الحسن وقتادة : خائفون ، وعن مقاتل : متواضعون ، وعن علي : الخشوع في القلب وأن يلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت[*٥] ، وقال مجاهد : غضّ البصر وخفض الجناح . وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمٰن أن يسند[*٦] بصره إلى شيء[*٧] أو أن يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا ، وعن عمرو بن دينار : ليس الخشوع الركوع والسجود ، ولكن السكون[*٨] وحسن الهيبة في الصلاة ، وعن ابن سيرين وغيره ، كان النبيّ ﷺ وأصحابه يرفعون[*٩] أبصارهم في الصلاة إلى السماء يميناً وشمالاً حتى نزلت

---

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .   (٢) سورة المؤمنون ، الآية ٢ .

(*١) (فصل) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (يونس) في الأصل يقابلها (أنس) في الهندية .

(*٣) (قد) زيادة في الهندية .

(*٤) (وكذلك يستلزم لين القلب) في الأصل يقابلها (وذلك مستلزم للين القلب) في الهندية .

(*٥) (يميناً ولا شمالاً) زيادة في الهندية .

(*٦) (يسند) في الأصل يقابلها (يشد) في الهندية .

(*٧) (بصره إلى شيء) غير موجودة بالهندية .

(*٨) (وحب) زيادة في الهندية .

(*٩) (يرفعون في الأصل يقابلها (ينظرون) في الهندية .

هذه الآية ،[*١] فجعلوا بعد ذلك وجوههم[*٢] حيث يسجدون ، وما رُئي أحد منهم بعد ذلك إلا إلى الأرض . وعن عطاء هو أن لا تعبث بشيء من جسدك وأنت في الصلاة ، وأبصر النبيّ ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »[١] . ولفظ الخشوع إن شاء الله يبسط في موضع آخر ، وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب إذا لم يكن الرجل مرائياً يظهر ما ليس في قلبه ، كما روي : « نعوذ[*٣] بالله من خشوع النفاق »[٢] وهو أن ترى الجسد خاشعاً والقلب لاهٍ[*٤] فهو سبحانه وتعالى[*٥] استبطأ المؤمنين بقوله : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** ﴾[٣] فدعاهم إلى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وهؤلاء[*٦] الذين ﴿ **إذا ذكر الله وَجِلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً** ﴾ وكذلك قال في الآية الأخرى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾[٤] والذين يخشوْن ربّهم هم الذين إذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم ، فإن قيل ، فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب ، قيل نعم ، لكنّ الناس منه[*٧] على قسمين ، مقتصد وسابق فالسابقون يختصون بالمستحبّات والمقتصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنّة ومن لم يكن من هؤلاء ولا من[*٨] هؤلاء فهو ظالم لنفسه ، وفي الحديث الصحيح عن

---

(١) حديث ضعيف ذكره الألباني في الأحاديث الضعيفة رقم (١١٠) .
(٢) رواه الترمذي والبيهقي في شُعب الإيمان عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » قالوا يا رسول الله وما خشوع النفاق ؟ قال: « خشوع البدن ونفاق القلب » .
(٣) سورة الحديد ، الآية ١٦ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٢٣ .

(*١) ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ زيادة في الهندية .
(*٢) (وجوههم) في الأصل يقابلها (أبصارهم) في الهندية .
(*٣) (نعوذ) في الأصل يقابلها (تعوذوا) في الهندية .
(*٤) (خاشعاً) زيادة في الهندية .
(لاه) في الأصل يقابلها (لاهيا) في الهندية .
(*٥) (وتعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (هم) زيادة في الهندية .
(*٧) (منه) في الأصل يقابله (فيه) .
(*٨) (من) غير موجودة في الهندية .

النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، ودعاء لا يسمع »[1] . وقد ذم الله تعالى[*1] قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع فقال تعالى : ﴿ **ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة** ﴾[2] قال الزجّاج : قست في اللغة غلظت ويبست وعست ، فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه ، والقاسي والقاسج[*2] الشديد الصلابة . وقال ابن قتيبة قست وعست وعتت أي يبست ، وقسوة القلب المحمودة غير قسوته المذمومة ، وقال ابن فارس[3] [*3] ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف ، وليِّناً من غير ضعف . وفي الأثر : (القلوب آنية الله في أرضه فأحبّها إلى الله أصلبها وأرقّها أصفاها)[4] وهذا كاليد فإنها قوية ليّنة بخلاف ما يجسو[*4] من القلب فإنه يابس لا لين فيه وإن كان فيه قوة وهو سبحانه ذكر وجل القلب من ذكره ثم ذكر زيادة الإيمان عند تلاوة كتابه علماً وعملاً . ثم لا بدّ من التوكل على الله فيما لا يقدر عليه ومن طاعته فيما يقدر عليه وأصل ذلك الصلاة والزكاة ، فمن قام بهذه الخمس كما أمر لزم بأن[*5] يأتي بسائر الواجبات بل الصلاة نفسها إذا فعلها كما أُمر ، كما[*6] تنهى عن الفحشاء والمنكر كما روي عن ابن مسعود وابن عباس (إن في الصلاة منتهى ومزدجراً[*7] عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً)[5] . وقوله لم يزدد إلا بعداً

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٦٩ ، ٥/٥١٩ عن ابن عمر .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٧٤ .

(٣) ابن فارس هو أبو الحسن أحمد بن فارس كان نحوياً على طريقة الكوفيين ، وكان شافعياً له عديد من المؤلفات وهي : المجمع في اللغة ، مقدمة في النحو ، الاتباع والمزاوجة ، حلية الفقهاء ، مات عام ٣٩٨ هـ ، بغية الوعاة ١/٣٥٤ ـ معجم الأدباء ٤/٩٨ .

(٤) لم أجد القائل .

(٥) ذكره المصنف موقوفاً وقد اشتهر مرفوعاً وظاهر معناه باطل والتأويل الذي ذكره المؤلف بعيد وقد صنفه الشيخ الألباني في الأحاديث الضعيفة رقم (٢) .

(١*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (والقاسج) في الأصل يقابلها (والعاس) في الهندية .

(٣*) (وقال ابن فارس) غير موجودة في الهندية .

(٤*) (يجسو) في الأصل يقابلها (يقسو) في الهندية .

(٥*) (بأن) غير موجودة في الهندية .

(٦*) (كما) في الأصل يقابلها (فهي) في الهندية .

(٧*) (منتهًى ومزدجراً) في الأصل يقابلها (منهى ومزجراً) في الهندية .

إذا كان ما ترك من الواجب منها أعظم مما فعله أبعده ترك الواجب الأكثر من الله أكثر مما قرّبه فعل الواجب الأقل ، وهذا كما في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً »[1] ، وقد قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادِعُهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كَسالى يُراؤون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً** ﴾[2] وفي السنن عن عمّار عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها إلا ثلثها حتى قال إلا عشرها »[3] ، وعن ابن عباس قال ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها . وهذا وإن لم يؤمر بإعادة الصلاة عند أكثر العلماء لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات كما[*1] يجبر نقص فرضه . ومعلوم أن من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن وأعمالها الظاهرة ، وكان يخشى الله الخشية التي أمره بها فإنه يأتي بالواجبات ولا يأتي كثيراً[*2] ومن أتى الكبائر مثل الزنا أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك فلا بدّ أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور وإن بقي أصل التصديق في قلبه وهذا من الإيمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة ، كما قال النبي ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »[4] . فإن المتقين كما وصفهم الله تعالى[*3] بقوله : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون** ﴾[5] . فإذا طاف بقلوبهم طائف[*4] من الشيطان تذكروا فيبصرون .

---

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد باب استحباب التبكير بالعصر ٤٣٤/١ عن أنس .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٤٢ .

(٣) حديث حسن أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب ما جاء في نقصان الصلاة ٢١١/١ عن عمار بن ياسر ، طبعة دار الفكر .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه ١١٩/٥ عن أبي هريرة فتح الباري ومسلم في كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي ٧٦/١ عن أبي هريرة .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ٢٠١ .

(*١) (كما) في الأصل يقابلها (بما) في الهندية .

(*٢) (كثيراً) في الأصل يقابلها (كبيرة) في الهندية .

(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (طائف) في الأصل يقابلها (طيف) في الهندية .

قال سعيد بن جبير : هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ ، وقال الليث(*1) عن مجاهد : هو الرجل يهمّ بالذنب فيذكر الله فيدعه ، والشهوة والغضب مبدأ السيئات فإذا أبصر رجع ثم قال : ﴿ **وإخوانهم يمدونهم في الغيّ ثم لا يقصرون** ﴾(1) أي وإخوانهم(*2) الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون قال ابن عباس : لا الإنس تقصر عن السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم فإذا لم يبصر يبقى(*3) قلبه في عمى(*4) والشيطان يمده في غيّه وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب فذلك النور والإبصار وتلك الخشية والخوف يخرج من قلبه . هذا كما أن الإنسان يغمض عينيه فلا يرى(*5) وإن لم يكن أعمى(*6) كعمى الكافر وهكذا جاء في الآثار ، قال أحمد ابن حنبل في كتاب الإيمان(*7) عن يحيى عن أشعب عن الحسن عن النبيّ ﷺ قال : « ينزع منه الإيمان فإن تاب أعيد إليه »(2)، وقال ابن(*8) يحيى عن عوف قال : قال الحسن : يجانبه الإيمان ما دام كذلك فإن راجع راجعه الإيمان . وقال أحمد(*9) بن معاوية عن أبي اسحق عن الأوزاعي قال : وقد قلت للزهري حين ذكر هذا الحديث : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فإنهم يقولون فإن لم يكن مؤمناً فما هو قال فأنكر ذلك وكره مسألتي عنه . وقال أحمد(*10) بن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن إبراهيم

---

(1) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٢ .

(2) رواه الحسن البصري والحسن البصري : هو الحسن بن بلال البصري ثم الرملي ، لا بأس به من الطبقة العاشرة ، راجع تقريب التهذيب ١/١٦٣ رقم ٢٥١ .

(*1) (الليث) في الأصل يقابلها (ليث) في الهندية .

(*2) (وإخوانهم) في الأصل يقابلها (وإخوان) في الهندية .

(*3) (يبقى) في الأصل يقابلها (بقي) في الهندية .

(*4) (عمى) في الأصل يقابلها (غمر) في الهندية .

(*5) (شيئاً) زيادة في الهندية .

(*6) (فكذلك القلب بما يخشاه من رين الذنوب لا يقصر الحق وإن لم يكن أعمى) زيادة في الهندية .

(*7) (حدثنا) زيادة في الهندية .

(*8) (حدثنا) زيادة في الهندية .

(*9) (حدثنا) زيادة في الهندية .

(*10) (حدثنا) زيادة في الهندية .

ابن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لغلمانه : من أراد منكم الباه(*١) زوجناه لا يزني منكم زان إلا نزع الله منه نور الإيمان فإن شاء(*٢) يرده رده وإن شاء أن يمنعه منعه . وفي الصحيح(*٣) قال أبو داود(*٤) عن صفوان بن عمرو عن عبدالله بن ربيعة الحضرمي ، أنه أخبره عن أبي هريرة أنه كان يقول : « إنما الإيمان كثوب أحدكم يلبسه مرة ويقلعه مرة(*٥) أخرى »(١). وكذلك رواه بإسناده عن عمرو .(*٦) وروي عن الحسن عن النبيّ ﷺ مرسلاً في حديث عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ « إذا زنى الزاني خرج منه الإيمان فكان كالظلّة فإذا انقطع رجع إليه الإيمان »(٢) ، وهذا إن شاء الله يبسط في موضوع آخر .

فصـــــل :

تنازع الناس في فهم بعض الأحاديث

وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في صحتها مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »(٣) ، فأما الأول فهو كقوله : لا صلاة إلا بطهور » وهذا متفق عليه بين المسلمين ، فإن الطهور واجب

---

(١) رواه أبو هريرة ورواه الحسن البصري مرسلاً .

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب الإيمان باب إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ٢٢/١ عن أبي هريرة .

(٣) حديث صحيح وله طرق كثيرة وهو مذكور في كتاب إرواء الغليل في مسلم في كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة ٢٠٤/١ ، عن ابن عمر .

(*١) (الباه) في الأصل يقابلها (الباءة) في الهندية .

(*٢) (أن) زيادة في الهندية .

(*٣) (وفي الصحيح) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (السجستاني حدثنا عبد الوهاب بن نجده حدثنا بقية بن الوليد حدثنا) زيادة في الهندية .

(*٥) (مرة) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (عمرو) في الأصل يقابلها (عمر) في الهندية .

في الصلاة ، فإنما نفي الصلاة لانتفاء واجب فيها وأما ذكر اسم الله[*1] على الوضوء ففي وجوبه نزاع معروف ، وأكثر العلماء لا يوجبون وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي ، وأحد[*2] الروايتين عن أحمد اختارها الخرقي وأبو محمد وغيرهما . والثاني يجب وهو قول طائفة من أهل العلم وهو الرواية الأخرى عن أحمد اختارها أبو بكر عبدالعزيز والقاضي أبو يعلى وأصحابه وكذلك قوله : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد »[1] ، رواه الدارقطني فمن الناس من يضعفه مرفوعاً ويقول هو من كلام علي رضي الله عنه ومنهم من يثبته كعبد الحق . وكذلك قوله : « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل »[2] قد رواه أهل السنن وقيل إنه لم يصح رفعه[*3] وإنما يصح مرفوعاً[*4] عن ابن عمر وحفصة فليس لأحد أن يثبت لفظاً عن الرسول ﷺ[*5] مع أنه أريد نفي الكمال المستحب ، فإن صحّت هذه الألفاظ دلّت قطعاً على وجوب هذه الأمور وإن لم تصح فلا ينقص بها أصل مستقر من الكتاب والسنّة وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه إن لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله[*6] ورسوله ﷺ ، ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم فإذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء ولفظ الشارع قد أطرد في معنى لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله يقع فيه[*7] نزاع بين العلماء ، ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب أهل العلم وقد نشأ على قول لا يعرف غيره فيظنه إجماعاً كمن يظن أنه إذا ترك الإنسان الجماعة وصلّى وحده برئت ذمته إجماعاً وليس الأمر كذلك بل للعلماء قولان معروفان في آخر[*8] هذه الصلاة ، وفي مذهب أحمد

---

(١) حديث ضعيف كما ذكر الشيخ الألباني في موضع سابق .
(٢) صح هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً والرفع زيادة لا تنافي الوقف وقد رواه أهل السنن كابن ماجه .

(١*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٢*) (واحد) في الأصل يقابلها (وهي إحدى) في الهندية .
(٣*) (إنه لم يصح رفعه) في الأصل يقابلها (إن رفعه لم يصح) في الهندية .
(٤*) (مرفوعاً) في الأصل يقابلها (موقوفاً) في الهندية .
(٥*) (صلّى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .
(٦*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٧*) (يقع فيه) في الأصل يقابلها (بقول فيه) في الهندية .
(٨*) (آخر) في الأصل يقابلها (أجزاء) في الهندية .

فيها[*١] قولان ، فطائفة من قدماء أصحابه حكاه عنهم القاضي أبو يعلى في شرح المذهب ومن متأخريهم كابن عقيل وغيره يقولون : من صلّى المكتوبة وحده من غير عذر يسوغ له ذلك فهو كمن صلّى الظهر يوم الجمعة ، فإن أمكنه أن يؤديها في جماعة بعد ذلك فعليه ذلك وإلاّ باء بإثمه كما يبوء تارك الجمعة بإثمه والتوبة معروضة ، وهذا قول غير واحد من أهل العلم وأكثر الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين يدل على هذا ، وقد احتجوا بما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له[١] . وأجابوا عن حديث التفضيل[*٢] بأنه في المعذور الذي يباح له الصلاة وحده كما ثبت عنه أنه قال : « صلاة الرجل قاعداً على النصف من صلاة القائم وصلاة المضطجع على النصف من صلاة القاعد »[٢] ، والمراد من المعذور كما في الحديث أنه خرج وقد أصابهم وعك وهم يصلون قعوداً[٣] فقال ذلكم[*٣] ولم يُجِزْ أحد من السلف صلاة التطوع مضطجعاً من غير عذر ، ولا يُعرف أن أحداً من السلف فعل ذلك وجوازه وجه في مذهب الشافعي وأحمد ولا يعرف لصاحبه سلف صدق ، مع أن هذه المسألة مما تعمّ به[*٤] البلوي فلو كان يجوز لكل مسلم أن يصلي التطوع على جنبه وهو صحيح لا مرض به كما يجوز أن يصلي التطوع قاعداً أو على الراحلة لكان هذا مما قد بيّنه الرسول ﷺ لأمته وكانت[*٥] الصحابة تعلم ذلك ، ثم مع قوة الداعي إلى الخير لا بد أن يفعل ذلك بعضهم فلما لم يفعله أحد منهم دلّ ذلك[*٦] على أنه لم يكن مشروعاً عندهم ، وهذا مبسوط في موضعه ، والمقصود هنا أنه ينبغي للمسلم أن يقدّر قدر كلام الله ورسوله بل ليس لأحد أن يحمل كلام الله[*٧] أحد من

---

(١) رواه أبو داود والحاكم وأحمد عن ابن عباس وغيره مرفوعاً وبعض أسانيده صحيحة وقد أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة ١٥١/١ عن ابن عباس ط دار الفكر .

(٢) رواه ابن ماجه في باب صلاة القاعد ، رقم الحديث ١٢٢٩ ـ الجزء الأول .

(٣) حديث صحيح وقد أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في صلاة القاعد ٢٠٧/٢ عن عمران ابن حصيل ط دار احياء التراث .

(*١) (فيها) غير موجودة في الأصل .

(*٢) (التفضيل) في الأصل يقابلها (الفضيل) في الهندية .

(*٣) (ذلكم) في الأصل يقابلها (ذلك) في الهندية .

(*٤) (به) في الأصل يقابلها (بها) في الهندية .

(*٥) (به) في الأصل يقابلها (بها) في الهندية .

(*٦) (ذلك) غير موجودة في الهندية .

(*٧) لفظة (الله) غير موجودة في الهندية .

الناس إلا على ما عرف أنه أراده لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد ، فإن كثيراً من الناس يتناول[*1] النصوص المخالفة لقوله يسلك مسلك من يجعل التأويل كأنه ذكر ما يحتمله اللفظ ، وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص ، وهذا خطأ ، بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصّين دون الآخر بأَوْلى من العكس ، فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول ﷺ فكذلك النصّ الآخر الذي أوّلَه[*2] فيكون أصل مقصودة معرفة ما أراده الرسول ﷺ[*3] بكلامه وهذا هو المقصود بكل ما يجوز من تفسير وتأويل عند من يكون اصطلاحه يغاير معناهما أو[*4] من يجعلهما بمعنى واحد ، كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين ، فالتأويل عندهم هو التفسير ، وأما التأويل في كلام الله ورسوله فله معنى ثالث غير معناه في اصطلاح المفسرين وغير معناه في اصطلاح متأخري الفقهاء والأصوليين كما قد بسط في موضعه . والمقصود هنا ، أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك ، فإنما يكون لترك واجب في ذلك المسمّى ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيّتَ ويسلّموا تسليماً** ﴾[1] . فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دلّ على أن هذه الغاية فرضٌ على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعدالله[*5] أهله بدخول الجنة بلا عذاب ، فإن الله تعالى[*6] إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به[*7] وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرّض للوعيد . ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم

(١) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

(*١) (يتناول) في الأصل يقابلها (يتأول) في الهندية .
(*٢) (أوله) في الأصل يقابلها (تأوله) في الهندية .
(*٣) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (أو) في الأصل يقابلها (وأما) في الهندية .
(*٥) كلمة (الله) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٧) (أمر به) في الأصل يقابلها (ما أمر به) في الهندية .

الرسول في كل ما شجر بين الناس في[*1] دينهم ودنياهم ، في أصول دينهم وفروعه ، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلّموا له[*2] تسليماً . قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أَنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صُدوداً** ﴾[1] وقوله : ﴿ **إلى ما أنزل الله** ﴾ وقد أنزل الله الكتاب والحكمة وهي السنّة ، قال تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾[3] والدعاء إلى ما أنزل الله[*3] يستلزم الدعاء إلى الرسول والدعاء إلى الرسول يستلزم الدعاء إلى ما أنزل الله وهذا مثل طاعة الله والرسول فإنهما متلازمان فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن أطاع الله فقد أطاع الرسول وكذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن يُشاقِقِ الرسولَ من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين** ﴾[4] فإنهما متلازمان فكلّ من شاقّ الرسول من بعدما تبيّن له الهدى فقد اتّبع غير سبيل المؤمنين وكل من اتّبع غير سبيل المؤمنين فقد شاقّ الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى فإن كان يظن أنه متّبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ فهو بمنزلة من ظن أنه متّبع الرسول وهو مخطئ ، وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول ﷺ[*4] وأنّ كل ما أجمعوا عليه فلا بدّ أن يكون فيه نصٌّ عن الرسول وكل مسألة تقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع

---

(١) سورة النساء ، الآيتان ٦٠ ، ٦١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣١ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١١٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية ١١٥ .

(*١) (أمر) زيادة في الهندية .

(*٢) (له) غير موجودة في الهندية .

(*٣) لفظة (الله) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .

من المؤمنين فإنها ممّا بيّن الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر بمخالفة[*1] النصّ البيّن ، وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به فهذا[*2] قد لا يقطع أيضاً بأنها مما تبيّن فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف[*3] هذا الإجماع قد لا يكفر . بل قد يكون ظن الإجماع خطأ والصواب في خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر والإجماع هل هو قطعي الدلالة أو ظنّي الدلالة . فإن من الناس من يطلق الإثبات بهذا أو هذا ومنهم من يطلق النفي بهذا أو لهذا ، والصواب التفضيل بين ما يقطع به من الإجماع ويعلم يقيناً أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلاً فهذا يجب القطع بأنه حق ، وهذا لابدّ أن يكون مما بيّن فيه الرسول ﷺ الهدى[*4] كما قد بسط هذا في موضع آخر ، ومن جهة أنه إذا وصف الواجب بصفات متلازمة دلّت[*5] على أن كل صفة من تلك الصفات متى ظهرت وجب اتباعها وهذا مثل الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالى[*6] بسؤال هدايته[*7] فقد وصف بأنه اتباع القرآن ، ووصف بأنه اتباع الله ورسوله ووصف بأنه طريق العبودية ، ومعلوم أن كل اسم من هذه الأسماء يجب اتّباع مسمّاه ، ومسمّاها كلها واحد وإن تنوعت صفاته . فأي صفة ظهرت وجب اتّباع مدلولها فإنه مدلول الأخرى ، وكذلك أسماء الله تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله هي مثل أسماء دينه وكذلك قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا** ﴾[1] وقيل حبل الله هو دين الإسلام وقيل هو[*9] القرآن وقيل عهده وقيل طاعته وأمره وقيل جماعة المسلمين[*10] وكل هذا حق ، وكذلك إذا قلنا الكتاب

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(*١) (بمخالفة) في الأصل يقابلها (مخالف) في الهندية .
(*٢) (فهذا) في الأصل يقابلها (فهنا) في الهندية .
(*٣) (مثل) زيادة في الهندية .
(*٤) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .
(*٥) (دلت) في الأصل ويقابلها (دل) في الهندية .
(*٦) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٧) (فإنه) زيادة في الهندية .
(*٨) (اتباع) في الأصل يقابلها طاعة في الهندية .
(*٩) (هو) غير موجودة في الهندية .
(*١٠) (جماعة المسلمين) في الأصل يقابلها (الجماعة المسلمون) في الهندية .

والسنّة والإجماع فمدلول الثلاث واحد فإن كلها[*1] في الكتاب فالرسول موافق له والأمة مجتمعة عليه من حيث الجملة فليس في المؤمنين إلا من يوجب اتّباع الكتاب وكذلك كل ما سنّه الرسول ﷺ ، فالقرآن يأمرنا[*2] باتّباعه فيه والمسلمون[*3] يجمعون على ذلك ، وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه لا يكون إلا حقّاً موافقاً لما في الكتاب والسنّة لكنّ المسلمون ملقون[*4] دينهم كله على الرسول ، وأما الرسول ﷺ[*5] فينزل عليه وحي هو[*6] القرآن ووحيٌ آخر هو الحكمة كما قال ﷺ :[*7] « إني أوتيت الكتاب ومثله معه »[1] . وقال حسان بن عطية : كان جبريل ينزل على الرسول[*8] ﷺ بالسنّة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن[2] ، فليس كل ما جاءت به السنّة يجب أن يكون مفسراً في القرآن بخلاف ما يقوله أهل الإجماع فإنه يدل عليه الكتاب والسنة ، فإن الرسول ﷺ[*9] هو الواسطة بينهم وبين الله تعالى[*10] في أمره ونهيه وتحليله وتحريمه والمقصود ذكر الإيمان ، ومن هذا الباب قول النبيّ ﷺ : «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»[3] وقوله : إن من الإيمان[*11] حبّ الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»[4]. فإن من علم ما قامت

---

(1) حديث صحيح رواه أحمد والطحاوي وغيرهما وهو في مسند أحمد ١٣١/٤ عن المقدار بن معد يكرب .

(2) رواه الدارمي بسند صحيح عن حسان بن عطية فهو مرسل وهو في كتابه في المقدمة باب السنة ماضية ١٤٥/١ عن حسان ، ط دار الفكر .

(3) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على حبّ الأنصار من الإيمان ٨٦/١ عن أبي هريرة ، طبعة دار إحياء التراث .

(4) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على حبّ الأنصار من الإيمان ٨٦/١ عن أبي هريرة ، طبعة دار إحياء التراث .

(*1) (فإن كلها في) في الأصل يقابلها (فإن كل ما في) في الهندية .

(*2) (يأمرنا) في الأصل يقابلها (يأمر) في الهندية .

(*3) (والمسلمون) في الأيصل يقابلها (والمؤمنون) في الهندية .

(*4) (ملقون) في الأصل يقابلها (يتلقون) في الهندية .

(*5) (وأما الرسول ﷺ) غير موجودة في الهندية .

(*6) (هو) غير موجودة في الهندية .

(*7) (أنى) في الأصل يقابلها (ألا انى) في الهندية .

(*8) (الرسول) في الأصل يقابلها (النبي) في الهندية .

(*9) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .

(*10) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*11) (إن من الإيمان حبّ الأنصار) يقابلها (آية الإيمان حب الأنصار) في الهندية .

به الأنصار من نصر الله ورسوله من أول الأمر وكان محباً لله ولرسوله أحبّهم قطعاً فيكون حبه لهم علامة الإيمان الذي في قلبه ومن أبغضهم لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه . وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه الله من الكفر والفسوق والعصيان لم يكن في قلبه من(*١) الإيمان الذي يوجبه الله عليه ، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً كما سنبينه إن شاء الله(*٢) ، وكذلك كل(*٣) من لا يحب لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه لم يكن معه ما أوجب(*٤) الله عليه من الإيمان ، فحيث نفى الله الإيمان عن شخص فلا يكون إلا لنقص ما يجب عليه من الإيمان ويكون من المعرضين للوعيد ليس من المستحقين للوعد المطلق وكذلك قوله ﷺ : « من غشّنا فليس منا ، ومن حمل علينا السلاح فليس منا »(١) ، كله من هذا الباب لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه أو فعل ما حرّم الله ورسوله عليه(*٥) فيكون قد ترك من الإيمان المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم لأجله فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد وكذلك قوله تعالى : **﴿ ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعْنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكمَ بينهم أن يقولوا سمِعْنا وأَطَعْنا أولئك هم المفلحون ﴾**(*٦) .(٢)

فهذا حكم اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله فإنه يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمان فلا بدّ أن يكون قد ترك واجباً أو فعل محرماً ، فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب من غشّنا فليس منّا ٩٩/١ عن أبي هريرة .
(٢) سورة النور ، الآيات من ٤٧ – ٥١ .

(*١) (من) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٣) (كل) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (ما أوجب) في الأصل يقابلها (ما أوجبه) في الهندية .
(*٥) (عليه) غير موجودة في الهندية .
(*٦) الآيات من ٤٧ ـ ٥١ وردت صحيحة في الهندية وليس كما هو في مخطوطتنا . ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ .

دون الوعيد بل يكون من أهل الوعيد ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفرَ والفَسوقَ والعِصيانَ أولئك هم الراشدون** ﴾[(١)] .

قال محمد بن نصر المروزي : لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرّق بينها فجعلها ثلاثة أنواع ، نوع منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق ، وأخبر أنه كرّهها كلها إلى المؤمنين ، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان وليس فيها شيء خارج عنه ، لم يفرق بينها فيقول حبّب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات بل أجمل ذلك فقال : ﴿ **حبّب إليكم الإيمان** ﴾[(٢)] فدخل في ذلك جميع الطاعات لأنه قد حبّب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حبّ تديّن لأن الله أخبر أنه حبّب ذلك إليهم وزيّنه في قلوبهم كقوله : ﴿ **حبّب إليكم الإيمان** ﴾ ويكرهون جميع المعاصي الكفر منها والفسوق وسائر المعاصي كراهة تديّن لأن الله أخبر أنه كرّه ذلك إليهم ، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : « من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »[(٣)] ، لأن الله حبّب إلى المؤمنين الحسنات وكرّه إليهم السيئات . قلت وتكريه جميع المعاصي إليهم يستلزم حبّ جميع الطاعات لأن ترك الطاعات معصية ولأنه لا يترك المعاصي كلها إن لم يلتبس بضدها فيكون محبّاً لضدها وهو الطاعة ، إذ القلب لابدّ له من إرادة فإذا كان يكره الشرّ كلّه فلا بد أن يريد الخير والمباح بالنيّة الحسنة يكون خيراً وبالنيّة السيئة يكون شراً ولا يكون فعل اختياري إلا بإرادة ، ولهذا قال النبيّ ﷺ في الحديث الصحيح : « أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن وأصدق الأسماء الحارث وهمام وأقبحها حرب ومرة »[(٤)] فأصدق الأسماء الحارث وهمام لأن كل إنسان همام حرث[(١*)] والحارث الكاسب العامل والهمام الكثير الهم وهو مبدأ الإرادة وهو حيوان وكل حيوان حساس متحرك بالإرادة فإذا فعل

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٧ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٧ .

(٣) رواه الحاكم وغير وهو حديث صحيح .

(٤) حديث صحيح وقد أخرجه الإمام مسلم في كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم ١٦٨٢/٣ عن ابن عمر .

(١*) (حرث) في الأصل يقابلها (حارث) في الهندية .

شيئاً من المباحات فلا بد له من غاية ينتهي إليها قصده وكل مقصود إما أن يقصد لنفسه وإما أن يقصد لغيره فإن كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله تعالى[*1] وحده لا شريك له وهو الله[*2] الذي يعبده لا يعبد شيئاً سواه وهو أحبّ إليه من كل ما سواه فإرادته[*3] تنتهي إلى إرادته وجه الله تعالى[*4] فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة كما في الصحيحين عن النبيّ ﷺ أنه قال : « نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة »[1] ، وفي الصحيحين عنه أنه قال لسعد بن أبي وقاص لمّا مرض بمكة[*5] قال : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة ترفعها إلى فِي امرأتك »[2] . وقال معاذ بن جبل لأبي موسى إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي . وفي الأثر : « نوم العالِم عبادة[*6] وتسبيح »[3] وإن كان أصل مقصوده عبادة غير الله لم تكن الطيبات مباحة[*7] فإن الله تعالى[*8] إنما أباحها للمؤمنين من عباده بل الكفار[*9] يحاسبون يوم القيامة على نعم الله[*10] التي تنعّموا بها فلم يشكروه[*11] ولم يعبدوه بها ويقال لهم : ﴿ **أَذْهَبْتُم طيباتِكم في حياتكم الدنيا واستَمْتَعْتُم بها فاليوم تجزَوْن عذاب الهُون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ**

---

(1) حديث صحيح رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ما جاء في الأعمال بالغير ١٣٦/١ عن ابن مسعود فتح الباري .

(2) حديث صحيح رواه الشيخان .

(3) روى هذا الحديث مرفوعاً للفظ نوم الصائم وهو ضعيف عند الألباني .

(4) سورة الأحقاف ، الآية ٢٠ .

(*1) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*2) لفظة (الله) في الأصل يقابلها (إلهه) في الهندية .

(*3) (فارادته) في الأصل يقابلها (فإن إرادته) في الهندية .

(*4) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*5) (وعاده) زيادة في الهندية .

(*6) (عبادة) غير موجودة في الهندية .

(*7) (له) زيادة في الهندية .

(*8) (تعالى إنما) غير موجودة في الهندية .

(*9) (وأهل الجرائم والذنوب وأهل الشهوات) زيادة في الهندية .

(*10) (نعم الله) في الأصل يقابلها (النعم) في الهندية .

(*11) (يشكروه) في الأصل يقابلها (يذكروه) في الهندية .

لَتُسْأَلُنَّ يومئذٍ عنِ النّعيم ﴾[1] أي عن شكره ، والكافر لم يشكر على النعيم الذي أنعم الله عليه به فيعاقبه على ذلك ، والله تعالى[*1] إنما أباحها للمؤمنين وأمرهم معها بالشكر كما قال تعالى : ﴿ **كلوا من طيّبات ما رزقناكم واشكروا لله** ﴾[2] وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها »[3] ، وفي سنن ابن ماجه وغيره « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »[4] وكذلك قال للرسل : ﴿ **كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً** ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ **أُحِلّت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم غير محلّي الصيد وأنتم حُرُم** ﴾[6] وقال الخليل : ﴿ **وارزق أهلَه من الثمراتِ من آمنَ مِنْهم بالله واليومِ الآخر** ﴾[7] قال الله[*2] : ﴿ **ومن كفر فأمتّعه قليلاً ثم أضْطَرُّه إلى عذابِ النارِ وبئسَ المصير** ﴾[8] فالخليل إنما دعا بالطيبات للمؤمنين خاصة ، والله إنما أباح بهيمة الأنعام لمن حرم ما حرمه الله من الصيد وهو محرم والمؤمنون أمرهم أن يأكلوا من الطيبات ويشكروه ولهذا ميّز الله[*3] سبحانه وتعالى بين خطاب الناس مطلقاً وخطاب المؤمنين فقال تعالى[*4] : ﴿**يا أيّها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌّ مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أَنزل الله قالوا بل نتّبع ما أَلفَيْنَا عليه آباءنا أَوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون**﴾[9]. فإنما أذن للناس أن يأكلوا مما في الأرض بشرطين أن يكون طيباً

---

(١) سورة التكاثر ، الآية ٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ .

(٣) رواه الإمام مسلم وهو حديث أخرجه ابن ماجه ٥٦١/١ عن أبي هريرة .

(٤) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر ٥٦١/١ عن أبي هريرة .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية ٥١ .

(٦) سورة المائدة ، الآية ١ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ١٢٦ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٢٦ .

(٩) سورة البقرة ، الآيات ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(١*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (تعالى) زيادة في الهندية .

(٣*) (الله) غير موجودة في الهندية .

(٤*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

وأن يكون حلالاً ثم قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله** ﴾[1] فأذِن للمؤمنين في الأكل من الطيبات ولم يشترط الحل وأخبر أنه لم يحرّم عليهم إلا ما ذكره فما سواه لم يكن محرّماً على المؤمنين ومع هذا لم يكن أحلّه بخطابه بل كان عفواً كما في الحديث عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً : (الحلال ما أحلّه الله في كتابه والحرام ما حرّمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه »[2] ، وفي حديث أبي ثعلبة عن النبيّ ﷺ « إن الله فرض فرائض فلا تضيّعوها وحدد حدوداً فلا تعتدوها وحرّم حرمات فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها »[3] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرّماً على طاعمٍ يَطْعَمُه إلاّ أن يكون ميتة** ﴾[4] نفى التحريم عن غير المذكور فيكون الباقي مسكوتاً عنه[*1] عن تحريمه عفواً والتحليل إنما يكون بخطاب ، ولهذا قال في سورة المائدة التي أنزلت بعد هذا : ﴿ **يسألونك ماذا أحلّ لهم ؟ قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾[5] إلى قوله : ﴿ **اليوم أُحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حِلٌّ لهم** ﴾[6] ففي ذلك اليوم أحلّ لكم الطيبات وقبل هذا لم يكن حرم عليهم إلا ما استثناه وقد حرّم النبيّ ﷺ كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ولم يكن هذا نسخاً للكتاب لأن الكتاب لم يحلّ ذلك ولكن سكت عن تحريمه وكان تحريمه ابتداء شرع ، ولهذا قال النبيّ ﷺ في الحديث المروي من طرق من حديث أبي رافع وأبي ثعلبة وأبي هريرة وغيرهم « لا أُلْفَيَنّ أحدكم متّكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري فما أمرت به أو نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القرآن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ .

(٢) روى هذا الحديث الترمذي في كتاب اللباس باب ما جاء في لبس الفراء ٢٢٠/٤ عن سلمان .

(٣) رواه الدارقطني وغيره وهو حديث حسن بشاهده القوي قبله .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٤٥ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٤ .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٥ .

(*١) (عنه) غير موجودة في الهندية .

فما وجدنا فيه من حلال أحللناه وما وجدناه فيه من حرام حرّمناه ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه »[1] . وفي لفظ « ألا وأنه مثل القرآن أو أكثر ألا وإني حرمت كل ذي ناب من السباع »[2] فبيّن أنه أنزل عليه وحْي آخر وهو الحكمة غير الكتاب وأن الله تعالى[*1] حرّم عليه في هذا الوحي ما أخبر لتحريمه و لم يكن ذلك نسخاً للكتاب فإن الكتاب لم يحل هذه[*2] إنما أحلّ الطيبات وهذه ليست من الطيبات وقال تعالى[*3] : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم** ﴾[3] فلم تدخل هذه[*4] في العموم لكنه لم يكن حرمها فكانت معفواً عن تحريمها لا مأذوناً في أكلها ، وأما الكفار فلم يأذن الله لهم في أكل شيء ولا أحلّ لهم شيئاً ولا عفى لهم عن شيء يأكلونه بل قال : ﴿ **يا أيها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً** ﴾[4] فشرط فيما يأكلونه أن يكون حلالاً وهو المأذون فيه من جهة الله ورسوله والله تعالى[*5] لم يأذن في الأكل إلا للمؤمنين به فلم يأذن لهم في أكل شيء إلا إذا آمنوا ، ولهذا لم تكن أموالهم مملوكة لهم ملكاً شرعياً لأن الملك الشرعي هو القدرة على التصرف الذي أباحه الشارع[*6] ، والشارع لم يبح لهم تصرفاً في الأموال إلا بشرط الإيمان فكانت أموالهم على الإباحة . فإذا قهر طائفة منهم طائفة قهراً يستحلونه في دينهم وأخذوها منهم صار هؤلاء فيها كما كانوا[*8] أولئك ، والمسلمون إذا استولوا عليها فغنموها ملكوها شرعاً لأن الله تعالى[*9] أباح لهم المغانم

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣١/٤ عن المقدار بن معدي كرب الكندي .
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٣١/٤ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٦٨ .

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (قط) زيادة في الهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٤) كلمة (الآية) زيادة في الهندية .
(*٥) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (الا للمؤمنين) في الأصل يقابلها (الا للمؤمن) في الهندية .
(*٧) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .
(*٨) (كانوا) في الأصل يقابلها (كان) في الهندية .
(*٩) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

ولم يبحها لغيرهم ويجوز لهم أن يعاملوا الكفار فيما أخذه بعضهم من بعض بالقهر الذي يستحلونه في دينهم ويجوز أن تشتري من بعضهم ما سباه من غيره لأن هذا بمنزلة استيلائه على المباحات ولهذا سمى الله تعالى[*1] ما عاد من أموالهم إلى المسلمين فيْئاً لأن الله تعالى[*2] أفاءه إلى مستحقه أي ردّه إلى المؤمنين الذي[*3] يعبدونه ويستعينون برزقه على عبادته فإنه تعالى[*4] خلق[*5] الخلق ليعبدوه وإنما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ولفظ الفيء قد يتناول الغنيمة كقول النبيّ ﷺ في غنائم حنين: «ليس لي مما أفاء الله عليكم إلا الخُمس والخمْس مردود عليكم»[1]، لكنّه لما قال الله[*6] تعالى: ﴿**ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا رِكاب**﴾[2] صار لفظ الفيء إذا أطلق في عرف الفقهاء فهو مما أخذ من مال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب والإيجاف نوع من التحريك وأما إذا فعل المؤمن ما أبيح له قاصداً للعدول عن الحرام[*7] لحاجته إليه فإنه يثاب على ذلك كما قال النبيّ ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أيأتي[*8] أحدنا شهوته ويكون له أجر»[*9]،[3] وهذا كقوله في حديث ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله تعالى[*10] يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»[3]. رواه أحمد وابن خزيمة في صحيحة وغيرهما فأخبر أن الله تعالى[*1] يحب إتيان

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٢٧/٤ ضمن حديث نصه «ما لي من هذا إلا مثل ما لأحدكم إلا الخُمس وهو مردود فيكم فأدوا الخيط والمخيط فما فوقها وإياكم والغلول فإنه عار وشنار على صاحبه يوم القيامة» أخرجه الإمام أحمد ١٢٧/٤ من كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

(٢) سورة الحشر، الآية ٦.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢.

(٤) رواه أحمد وابن خزيمة وغيرهما وإسناده صحيح وأخرجه أحمد في المسند ١٠٨/٢ عن ابن عمر.

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية.

(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية.

(*٣) (الذي) في الأصل يقابلها (الذين) في الهندية.

(*٤) (تعالى) غير موجودة في الهندية.

(*٥) (خلق) في الأصل يقابلها (انما خلق) في الهندية.

(*٦) كلمة (الله) غير موجودة في الهندية.

(*٧) (الى الحلال) زيادة في الهندية.

(*٨) (أيأتي) في الأصل يقابلها (يأتي) في الهندية.

(*٩) (قال: أرأيتم ان وضعها في حرام أكان عليها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) زيادة في الهندية. (ويكون له فيها أجر) كلمة (فيها) زيادة في الهندية.

(*١٠) (تعالى) غير موجودة في الهندية. (*١١) (تعالى) غير موجودة في الهندية.

رخصة كما يكره فعل معصيته وبعض الفقهاء يرون « كما يجب أن توتي غرائمه »[(١)] ، وليس هذا لفظ الحديث وذلك لأن الرخص أباحها الله تعالى لحاجة العباد إليها والمؤمنون يستعينون بها على عبادته فهو يحب الأخذ بها لأن الكريم يحب قبول إحسانه[(*١)] كما قال في حديث : « القصر صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته »[(٢)] ولأنه بها تتم عبادته وطاعته وما لا يحتاج إليه الإنسان من قول وعمل بل يفعله عبثاً ، فهذا عليه لا له ، كما قال في الحديث : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله »[(٣)] ، وفي الصحيحين عن النبيّ ﷺ[(*٢)] « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[(٤)] فأمر المؤمنين[(*٣)] بأحد أمرين إما قول الخير أو الصمات ، ولهذا كان قول الخير خيراً من السكوت عنه والسكوت عن الشر خيراً من قوله ، ولهذا قال[(*٤)] تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد** ﴾[(٥)] وقد اختلف[(*٥)] هل تكتب جميع أقواله فقال مجاهد وغيره يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر . والقرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع فإنه قال : ﴿ **ما يلفظ من قول** ﴾[(٦)] نكرة في الشرط مؤكدة بحرف « من » فهذا يعم كل قول وأيضاً يكون[(*٦)] يؤجر على قول معيّن أو يؤزر يحتاج إلى أن يعرف الكاتب ما أمر به وما نهي عنه فلا بد في إثبات معرفة الكاتب به إلى نقل ، وأيضاً فهو مأمور إما بقول الخير أو[(*٧)] بالصمات ، فإذا عدل عما أُمر به من الصمات إلى فضول القول الذي ليس بخير كان هذا عليه فإنه يكون مكروهاً والمكروه يبغضه[(*٨)] . ولهذا قال النبيّ ﷺ : « مِنْ حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[(٧)] فإذا خاض فيما لا يعنيه بغض[(*٩)] حسن إسلامه كان هذا عليه . إذ ليس من شرط ما هو عليه

(١) أخرجه البزار والطبراني وعند الألباني أن لفظه ثابت في الحديث .
(٢) رواه مسلم في صحيحه .
(٣) حديث حسن أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ٩٠٨/٤ عن أم حبيبة .
(٤) رواه الشيخان في صحيحيهما ، مسلم في كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار ٦٨/١ عن أبي هريرة .
(٥) سورة ق ، الآية ١٨ . (٦) سورة ق ، الآية ١٨ .
(٧) حديث صحيح أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب فيمن تكلم بكلمة يضحك منها الناس ٥٥٨/٤ عن أبي هريرة .

(*١) (وفضله) زيادة في الهندية . (*٢) (أنه قال) زيادة في الهندية . (*٣) (المؤمنين) في الأصل يقابلها (المؤمن) في الهندية . (*٤) كلمة (الله) زيادة في الهندية . (*٥) (أهل التفسير) زيادة في الهندية .
(*٦) (يكون) في الأصل يقابلها (فكونه) في الهندية . (*٧) (أو) في الأصل يقابلها (وإما) في الهندية .
(*٨) (يبغضه) في الأصل يقابلها (ينقصه) في الهندية . (*٩) (بغض) في الأصل يقابلها (نقص من) في الهندية .

أن يكون[١*] عذاب جهنم وغضب الله بل نقص قدره ودرجته عليه ولهذا قال تعالى : ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾[١] فما يعمل أحد إلا عليه أوله فإن كان مما أمر الله[٢*] به كان له وإلا كان عليه ولو أن يبغض[٣*] قدره والنفس طبعها الحركة لا تسكن قط ، لكن قد عفا الله عما حدّث به المؤمنون أنفسهم ما لم يتكلموا به أو يعملوا به فإذا عملوا به دخل في الأمر والنهي فإذا كان قد كرّه إلى المؤمن[٤*] جميع المعاصي وهو قد حبّب إليهم الإيمان الذي يقتضي جميع الطاعات إذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس فإن المرجئة لا تنازع في أن الإيمان الذي في القلب يدعو إلى فعل الطاعة ويقتضي ذلك ، والطاعة من ثمراته ونتائجه لكنها تتنازع هل تستلزم الطاعة فإنه[٥*] كان يدعو إلى الطاعة فله معارض من النفس والشيطان ، فإذا كان قد كره إلى المؤمنين المعارض كان المقتضي للطاعة سالماً عن هذا المعارض وأيضاً إذا كرهوا جميع السيئات لم[٦*] يبق إلا حسنات أو مباحات ، والمباحات لم تُبَح إلا لأهل الإيمان الذين يستعينون بها على الطاعات وإلا فالله تعالى[٧*] لم يبح قطّ لأحد شيئاً أن يستعين به على كفر ولا فسوق ولا عصيان ، ولهذا لعن النبيّ ﷺ عاصر الخمر ومعتصرها كما لعن شاربها والعاصر عنباً يصير عصيراً يمكن أن ينتفع به في المباح لكن لما علم أن قصد العاصر أن يجعلها خمراً لم يكن له أن يعين بما جناه مباح على معصية الله تعالى[٨*] بل لعنه النبيّ ﷺ على ذلك لأن الله لم يبح إعانة العاصي على معصيته ، ولا أباح له ما يستعين به في المعصية فلا تكون مباحات لهم إلا إذا استعانوا بها على الطاعات فيلزم من انتفاء السيئات أنهم لا يفعلون إلا الحسنات ، ولهذا كان من ترك المعاصي كلها فلا بدّ أن يشتغل بطاعة الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(١*) (مستحقا) زيادة في الهندية .

(٢*) كلمة (الله) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (يبغض) في الأصل يقابلها (ينقص) في الهندية .

(٤*) (المؤمن) في الأصل يقابلها (المؤمنين) في الهندية .

(٥*) (وان) زيادة في الهندية .

(٦*) (لم) في الأصل يقابلها (فلم) في الهندية .

(٧*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٨*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

وفي الحديث الصحيح : « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »[1] . فالمؤمن لا بدّ أن يحب الحسنات ولا بدّ أن يبغض السيئات ولا بدّ أن يسرّه فعل الحسنة ويسوءه فعل السيئة ومتى قدر أنه في بعض الأمور ليس كذلك كان ناقص الإيمان ، والمؤمن قد تصدر منه السيئة فيتوب منها أو يأتي بحسنات تمحوها أو يبتلى ببلاء يكفّرها عنه ولكن لا بدّ أن يكون كارهاً لها فإن الله أخبر أنه حبّب إلى المؤمنين الإيمان وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان فمن لم يكره الثلاثة لم يكن منهم ولكن محمد بن نصر يقول : الفاسق يكرهها تديناً فيقال إن أريد بذلك أن يعتقد أن دينه حرّمها وهو يحب دينه وهذه من جملته فهو يكرهها من الذي يستحق به الثواب وقوله من الإيمان أي من هذا الإيمان وهو الإيمان المطلق أي ليس وراء هذه الثلاث ما هو من الإيمان[1*] ، وإن كان يحب دينه مجملاً وليس في قلبه كراهة لها كان قد عدم من الإيمان بقدر ذلك كما في الحديث الصحيح : « من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[2] . وفي الحديث الآخر الذي في الصحيح وأيضاً صحيح مسلم : « فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[3*] ، فعلم أن القلب إذا لم يكن فيه كراهية ما يكرهه الله لم يكن فيه من الإيمان[2*] ولا قدر حبة خردل والمعنى آخر حدود الإيمان ما بقي بعد هذا من الإيمان شيء ليس مراده أنه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الإيمان شيء بل لفظ الحديث إنما يدل على المعنى الأول .

---

(١) رواه مسلم في حديث أوله : (الطهور) شطر الإيمان) وهو حديث صحيح ٢٠٣/١ ، عن أبي مالك الأشعري .

(٢) رواه مسلم وهو حديث صحيح في كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ٦٩/١ ، عن طارق بن شهاب .

(٣) رواه مسلم وهو حديث صحيح في كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ٧٠/١ ، عن عبدالله بن مسعود .

(١*) (من الذي يستحق الثواب وقوله من الإيمان أي من هذا الإيمان وهو الإيمان المطلق أي ليس وراء هذه الثلاث ما هو من الإيمان) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (الذي يستحق به الثواب ، وقوله « من الإيمان » أي من هذا الإيمان وهو الإيمان المطلق أي ليس وراء هذه الثلاث ما هو من الإيمان) زيادة في الهندية .

فصـــــل :

لفـظ الكفــر والنفــاق

(ومن هذا الباب لفظ الكفر والنفاق) ، فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون كقوله : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حَبِطَ عمله وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[1] وقوله : ﴿ **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **لا يصْلاَها إلا الأشقى الذي كذّب وتولّى** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **كلّما أُلقي فيها فوجٌ سأَلهم خزنتُها ألم يأْتِكُم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير** ﴾[4] ، وقوله : ﴿ **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فُتِحَت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكنْ حقّتْ كلمةُ العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئْس مثْوى المتكبّرين** ﴾[5] ، وقوله تعالى[*1] : ﴿ **ومن أظلمُ ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحق لمّا جاءه أَلَيْس في جهنم مثْوًى للكافرين** ﴾[6] ، وقوله تعالى[*2] : ﴿ **ومن أعرضَ عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحْشُرُه يوم القيامة أعمى قال ربِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعمى وقد كنتُ بصيراً قال كذلك أتتْك آياتُنا فَنسِيتَها وكذلك اليوم تُنْسى وكذلك نجزي من أسْرف ولم يؤمن بآيات ربّه وَلَعَذَابُ الآخرةِ أشدُّ وأَبْقى** ﴾[7] ، وقوله : ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريّة** ﴾[8] ، وأمثال هذه النصوص كثير في القرآن فهذه كلها يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفّار ليس معهم من الإيمان شيء كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار كما أخبر الله بذلك في كتابه ثم قد يقترن الكفر بالنفاق في مواضع .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥ .
(٢) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .
(٣) سورة الليل ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٤) سورة تبارك ، الآيتان ٨ ، ٩ .
(٥) سورة الزمر ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ .
(٦) سورة العنكبوت ، الآية ٦٨ .
(٧) سورة طه ، الآيات من ١٣٤ إلى ١٣٧ .
(٨) سورة البيّنة ، الآية ٦ .

(١*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

ففي أول البقرة ذكر أربع آيات في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين ، وقال تعالى : ﴿ **إنّ الله جامعٌ المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** ﴾[1] وقال : ﴿ **يوم يقول المنافِقُون والمنافِقَات للذين آمنوا انظرونا نَقْتبسُ من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورٍ له باب** ﴾[*1] ، [2] ، إلى قوله : ﴿ **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير** ﴾[3] ، وقال تعالى[*2] : ﴿ **يا أيّها النبّي جاهد الكفارَ والمنافقينَ واغْلُظْ عليهم** ﴾[4] في سورتين ، وقال : ﴿ **أَلَم تَرَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾[*3] ، [5] ، الآية ، وكذلك لفظ المشركين فقد يُقرن بأهل الكتاب فقط وقد يُقرن بالمِلل الخمس كما في قوله[*4] : ﴿ **إنّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصابِئين والنّصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد** ﴾[6] ، والأول[*5] كقوله : ﴿ **لَمْ يكن الذين كفروا من أهلِ الكتابِ والمشرِكينَ مُنْفَكِّينَ حتّى تأتِيَهُمُ البيّنة** ﴾[7] ، وقوله : ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنّم خالدين فيها أولئك هم شّر البريّة** ﴾[8] ، وقوله تعالى : ﴿ **وقل للذين أُوتوا الكتاب والأميّين أأسلمتم فإن اسْلموا فقد اهتدوا وإن تولوْا فإنما عليك البلاغ** ﴾[9] ، وليس أحد بعث[*6] بعد مبعث محمد ﷺ إلا من الذين أوتوا

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٤٠ .

(٢) سورة الحديد ، الآية ١٣ .

(٣) سورة الحديد ، الآية ١٥ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٧٣ ، وسورة التحريم ، الآية ٩ .

(٥) سورة الحشر ، الآية ١١ .

(٦) سورة الحج ، الآية ١٧ .

(٧) سورة البيّنة ، الآية ١ .

(٨) سورة البيّنة ، الآية ٦ .

(٩) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

(١*) (فضرب بينهم بسور له باب) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (من أهل الكتاب) غير موجودة في الهندية .

(٤*) (تعالى) زيادة في الهندية .

(٥*) (والأول) غير موجودة في الهندية .

(٦*) (بعث) غير موجودة في الهندية .

الكتاب أو الأمّيّين وكل أمّة لم تكن من الذين أوتوا الكتاب فهم من الأمّيّين[*1] من العرب ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان وغيرهم من الأمم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء كلهم أميّون والرسول مبعوث إليهم كما بعث إلى الأمّيّين من العرب ، وقوله : ﴿ **وقل للّذين أُوتوا الكتاب** ﴾[1] ، وهو إنما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل ولا فرق بين أولادهم[*2] ، فدلّ على أن من دان بِدين اليهود والنصارى فهو من الذين أوتوا الكتاب ، لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم ، فإن أولادهم إذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممّن أوتوا الكتاب فكذلك غيرهم إذا كانوا كلهم كفاراً وقد جعلوا هم[*3] الذين أوتوا الكتاب بقوله : ﴿ **وقُلْ للّذين أوتوا الكتاب** ﴾[2] ، وهو لا يخاطب بذلك إلا من بلغته رسالته لا من مات فدل ذلك على أن قوله : ﴿ **وطعام الذين أُوتوا الكتاب** ﴾[3] ، يتناول هؤلاء كلهم كما هو مذهب الجمهور من السلف والخلف وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وهو المنصوص عن أحمد في عامة أجوبته لم يختلف كلامه إلا في نصارى بني تغلب ، وآخر الروايتين عنه أنهم تباح نساؤهم وذبائحهم كما هو قول جمهور الصحابة . وقوله في الرواية الأخرى : لا تباح متابعة لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن لأجل النسب بل لكونهم لم يدخلوا في دين أهل الكتاب إلا فيما يشتهونه من شرب الخمر ونحوه ، ولكن بعض التابعين ظن أن ذلك لأجل النسب كما نُقل عن عطاء وقال به الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد وفرعوا إلى ذلك فروعاً كمن كان أحد أبويه كتابياً والآخر ليس بكتابي ونحو ذلك حتى لا يوجد في طائفة من كتب أصحاب أحمد إلا هذا القول وهو خطأ على مذهبه مخالف لنصوصه لم يعلق الحكم بالنسب[*4] في هذا البتة كما قد بسط في موضعه ولفظ المشركين يذكر مفرداً في مثل قوله : ﴿ **ولا تَنْكِحُوا المُشركات حتّى يؤمنّ** ﴾[4] وهل يتناول أهل الكتاب فيه قولان مشهوران للسلف والخلف والذين قالوا بأنها تعمّ منهم من قال هي محكمة

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٥ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .

(١*) (كالأميين) زيادة في الهندية .
(٢*) (ولا فرق بين أولاهم) غير موجودة في الهندية .
(٣*) (وقد جعلوا هم) في الأصل يقابلها (وقد جعلهم) في الهندية .
(٤*) (مثل) زيادة في الهندية .

كابن عمر والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات كما ذكر الله تعالى[*1] في آية المائدة وهي متأخرة عن هذه . ومنهم من يقول ينسخ[*2] منها تحريم نكاح الكتابيات ، ومنهم من يقول بل هو مخصوص لم يرد باللّفظ العام وقد أنزل الله تعالى بعد صلح الحديبية قوله : ﴿ **ولا تمسكوا بِعِصَم الكوافر** ﴾[1] ، وهذا قد يقال إنما نهى عن التمسك بالعصمة من كان متزوجاً كافرة ولم يكونوا حينئذ مزوجين إلا بمشركة وثنيّة فلم يدخل في ذلك الكتابيات .

فصـــل :

لفظ الصالح والشهيد والصديق

(وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق) يذكر مفرداً فيتناول النبيّين ، قال تعالى في حق الخليل : ﴿ **وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾[3] ، وقال الخليل : ﴿ **ربِّ هبْ لي حَكماً وألْحقني بالصالحين** ﴾[4] ، وقال يوسف : ﴿ **توفَّني مسلماً وألْحِقْني بالصالحين** ﴾[5] ، وقال سليمان : ﴿ **وأدْخِلْني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾[6] ، وقال النبيّ ﷺ في الحديث المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم : السلام على الله قبل عباده السلام على فلان ، فقال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم : « إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإذا قالها أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض »[7] الحديث ، وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى : ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النَبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين** ﴾[8] ، قال الزجّاج وغيره : الصالح القائم

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ . (٢) سورة العنكبوت ، الآية ٢٧ . (٣) سورة النحل ، الآية ١٢٢ .
(٤) سورة الشعراء ، الآية ٨٣ . (٥) سورة يوسف ، الآية ١٠١ . (٦) سورة النمل ، الآية ١٩ .
(٧) حديث صحيح رواه الشيخان البخاري في كتاب الإذن باب التشهد في الآخرة ٢/٣١١ عن عبدالله .
(٨) سورة النساء ، الآية ٦٩ .

(١*) (تعالى) غير موجودة في الهندية . (٢*) (ينسخ) في الأصل (نسخ) في الهندية .

بحقوق الله وحقوق عباده . ولفظ الصالح خلاف الفاسد فإذا أطلق فهو الذي صلح جميع أمره فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله وأعماله على ما يرضي ربه وهذا يتناول النبيّين وَمَن دونهم ، ولفظ الصّدّيق قد جعل هنا معطوفاً على النبيّين ، وقد وصف به النبيّين في مثل قوله : ﴿ **واذْكُر في الكتاب إبراهيم إنه كان صِدّيقاً نبيّاً** ﴾[1] ، ﴿ **واذْكُر في الكتاب إدريس إنه كان صِدّيقاً نبيّاً** ﴾ ، وكذلك الشهيد قد جعل هنا قرين الصّدّيق والصالح وقد قال : ﴿ **وَجِيء بالنبيّين والشهداء وقُضِي بينهم بالحق** ﴾[3] ، ولما قيدت الشهادة على الناس وصفت به الأمة كلها في قوله : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسولُ عليكم شهيداً** ﴾[4] ، فهذه شهادة مقيّدة بالشهادة على الناس كالشهادة المذكورة في قوله : ﴿ **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** ﴾[5] ، وقوله : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾[6] وليست هذه الشهادة المطلقة في الآيتين بل ذلك كقوله : ﴿ **ويتخذ منكم شهداء** ﴾[7] .

فصـــل :

لفظ المعصية والفسوق والكفر

(وكذلك لفظ المعصية والفسوق والكفر) فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله : ﴿ **وَمَن يعْصِ الله ورسولَه فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها أبداً** ﴾[8] وقال : [*1] ﴿ **وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربّهم وعَصَوْا رسلَه واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد** ﴾[9] فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوْا هوداً معصية تكذيب لجنس الرسل فكانت المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال : ﴿ **فكذّبنا وقلنا ما نزّل ا لله من شيء** ﴾[10] ، ومعصية من كذّب وتولّى ،

(١) سورة مريم ، الآية ٤١ .
(٢) سورة مريم ، الآية ٥٦
(٣) سورة الزمر ، الآية ٦٩ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .
(٥) سورة النور ، الآية ١٣ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٤٠
(٨) سورة الجن ، الآية ٢٣ .
(٩) سورة هود ، الآية ١٥٩ .
(١٠) سورة تبارك ، الآية ٩ .

(١*) (تعالى) زيادة في الهندية .

قال تعالى : ﴿ **لا يَصْلاَهَا إلا الأشقى الذي كذّب وتولّى** ﴾[1] أي كذّب بالخبر وتولّى[*1] عن طاعة الأمر وإنما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال في فرعون : ﴿ **فكذّب وعصى** ﴾[2] ، وقال في جنس الكافر : ﴿ **فلا صدّق ولا صلّى ولكنْ كذّب وتولّى** ﴾[3] ، فالتكذيب بالخبر والتولِّي عن الأمر ، وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله تعالى[*2] : ﴿ **كما أرسَلْنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول** ﴾[4] ، ولفظ المتولي بمعنى التولي عن الطاعة مذكور في مواضع من القرآن كقوله : ﴿ **ستُدْعَوْنَ إلى قومٍ أولي بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يُسْلِمون ، فإن تطيعوا يُؤتِكُمُ الله أجْراً حسناً وإن تَتَولّوْا كما تولّيْتُم من قبلُ يُعذِّبْكُم عذاباً أليماً** ﴾[5] ، وذمه في غير موضع من القرآن من تولّى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وأن الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم المتولّي عن الطاعة كما علق الذمّ بمطلق المعصية في مثل قوله : ﴿ **فعصى فرعوْن الرسولَ** ﴾[6] وقد قيل أن التأييد لم يذكر في القرآن إلا في وعيد الكفار ولهذا قال : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضِبَ الله عليه ولَعَنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً** ﴾[7] ، وقال فيمن يجور في المواريث : ﴿ **ومن يعْصِ الله وَرسولَه ويتعدّ حدوده يُدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مَهِينٌ** ﴾[8] ، فهنا قيّد المعصية بتعدي حدوده فلم يذكرها مطلقة وقال : ﴿ **وَعَصَى آدمُ ربّه فَغَوَى** ﴾[9] ، فهي معصية خاصة ، وقال تعالى : ﴿ **حتى إذا فشِلْتُم وتنازعْتُم في الأمر وعصيْتُم من بعد ما أراكم ما تحبّون** ﴾[10] ، فأخبر عن معصية واقعة معينة وهي معصية الرماة للنبي ﷺ

---

(١) سورة الليل ، الآيتان ، ١٥ ، ١٦ .
(٢) سورة النازعات ، الآية ٢١ .
(٣) سورة القيامة ، الآية ٣٢ .
(٤) سورة المزّمل ، الآية ١٥ .
(٥) سورة الفتح ، الآية ١٦ .
(٦) سورة المزّمل ، الآية ١٦ .
(٧) سورة النساء ، الآية ٩٣ .
(٨) سورة الحجرات ، الآية ٧ .
(٩) سورة طه ، الآية ١٢١ .
(١٠) سورة آل عمران ، الآة ١٥٢ .

(١*) (أي كذب بالخبر وتولى) غير موجودة في الهندية . (٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

حيث أمرهم بلزوم ثغرهم وإن رأوا المسلمين قد انتصروا فعصى من عصى منهم هذا الأمر وجعل أميرهم يأمرهم لما رأوا الكفار منهزمين وأقبل من أقبل منهم على المغانم وكذلك قوله : ﴿ **وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾[1] جعل ذلك ثلاث مراتب ، وقد قال : ﴿ **ولا يعصينّك في معروف** ﴾[2] فقيّد المعصية ولهذا فسّرت بالنياحة . قال ابن عباس وروى ذلك عمر[*1] مرفوعاً وكذلك قال زيد بن أسلم « لا يدعن ويلاً ولا يخدشن وجهاً ولا ينشرن شعراً ولا يشققن ثوباً[3] » ، وقد قال بعضهم هو جميع ما أمرهم به الرسول من شرائع الإسلام وأدلّته كما قال أبو سليمان الدمشقي[4] : ولفظ الآية عام أنهن لا يعصينه في معروف ومعصيته لا تكون إلا في معروف فإنه لا يأمر بِمُنكر لكن هذا كما قيل فيه دلالة على أن طاعة ولي الأمر إنما تلزم في المعروف كما ثَبَت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إنما الطاعة في المعروف »[5] ، ونظير هذا قوله : ﴿ **استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لِمَا يُحْييكم** ﴾[6] ، وهو لا يدعو إلى ذلك والتقييد هنا لا مفهوم له فإنه لا يقع دعاء لغير ذلك ولا أمر بغير معروف وهذا كقوله تعالى : ﴿ **ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إن أرَدْن تحصّناً** ﴾[7] فإنهن إذا لم يردن تحصناً امتنع الإكراه ولكن في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ومنه قوله : [*2]﴿ **ومَن يَدْعُ مع الله إلٰهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾[8] ، فقوله : ﴿ **ويقتلون النبيّين بغير الحق** ﴾[9] ، فالتقييد في جميع هذا للبيان والإيضاح لا لإخراج[*3] وصف آخر ، ولهذا يقول من يقول من النحاة الصفات في المعارف

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٧ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ١٢ .

(٣) رواه ابن عباس مرفوعاً .

(٤) أبو سليمان الدمشقي : لم أقف على ترجمة له .

(٥) متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام فتح الباري ١٢٢/١٣ عن علي ، ومسلم في كتاب الإمارة باب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٩/٣ عن علي .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ٢٤ .

(٧) سورة النور ، الآية ٣٣ .

(٨) سورة المؤمنون ، الآية ١١٨ .

(٩) سورة البقرة ، الآية ٦١ .

(١*) (عمر) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (تعالى) زيادة في الهندية .

(٣*) (في) زيادة في الهندية .

للتوضيح لا للتخصيص كقوله : ﴿ **سبح اسم ربّك الأعلى الذي خلق فسوّى** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمّيّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم** ﴾[3] والصفات في النكرات إذا تميزت تكون للتوضيح ، ومع هذا فقد عطف المعصية على الكفر والفسوق في قوله : ﴿ **وكرّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ** ﴾[4] ، ومعلوم أن الفاسق عاصٍ أيضاً .

فصـــــل :

ظلـــم النفـــس

(ومن هذا الباب ظلم النفس) فإنه إذا أطلق تناول جميع الذنوب ، فإنها ظلم العبد نفسه ، قال تعالى : ﴿ **ذلك من أنباء القرى نقصّه عليك منها قائمٌ وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغْنَتْ عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تتبيب** ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم** ﴾[6] ، وقال في قتل النفس : ﴿ **ربِّ إني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفر له**[*1] ﴾[7] ، وقالت بلقيس : ﴿ **ربِّ إني ظلمتُ نفسي وأسْلمتُ مع سليمان لله ربّ العالمين** ﴾[8] وقال آدم عليه السلام : ﴿ **ربّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترْحمْنا لَنكونَنَّ من الخاسرين** ﴾[9] ، ثم قد يقرن بعض الذنوب كقوله تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم** ﴾[10] وقوله : ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾[11] ،

---

(1) سورة الأعلى ، الآيتان ١ ، ٢ .
(2) سورة الأعراف ، الآية ١٥ .
(3) سورة الفاتحة ، الآية ١ .
(4) سورة الحجرات ، الآية ٧ .
(5) سورة هود ، الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ .
(6) سورة البقرة ، الآية ٥٤ .
(7) سورة القصص ، الآية ١٦ .
(8) سورة النمل ، الآية ٤٤ .
(9) سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .
(10) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .
(11) سورة النساء ، الآية ١١٠ .

(*1) (فغفر له) غير موجودة في الهندية .

وأما لفظ الظلم المطلق فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب ، قال تعالى : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ، وَقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾(١) ، قال عمر بن الخطاب : وضرباؤهم(*١) وهذا ثابت عن عمر وروي ذلك عنه مرفوعاً ، وكذلك قال ابن عباس وأشباههم وكذلك قال قتادة والكلبي كل من عمل بمثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر ، وأهل الزنا مع أهل الزنا وعن الضحّاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين كل كافر معه شيطانه في سلسلة وهذا القول(*٢) ﴿ **وإذا النفوس زُوِّجت** ﴾(٢) ، قال عمر بن الخطاب : الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح ، قال ابن عباس وذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة ، وقال الحسن وقتادة : الحق كل امرىء بشيعته ، اليهودي مع اليهود والنصراني مع النصارى . وقال الربيع بن خيثم يحشر المرء مع صاحب عمله وهذا كما ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ لما قيل له الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال : « المرء من أحبّ »(٣) ، وقال : « الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »(٤) ، وقال « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »(٥) ، وزوج الشيء نظيره وسمّي الصنف زوجاً لتشابه أفراده كقوله : ﴿ **أنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾(٦) ، وقال : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون** ﴾(٧) ، قال غير واحد من المفسرين : صنفين ونوعين مختلفين السماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل

---

(١) سورة الصافّات ، الآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة التكوير ، الآية ٧ .
(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب علامة الحب ٥٥٧/١٠ عن عبدالله فتح الباري ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب المرء مع من أحب ٢٠٣٤/٤ عن عبدالله .
(٤) رواه مسلم والبخاري ، مسلم في كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجنّدة ٢٠٣١/٤ عن أبي هريرة ، البخاري في الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة ٣٦٩/٦ عن عائشة ، فتح الباري .
(٥) حديث حسن ، رواه الترمذي وغيره وذكره ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ ، رواه الترمذي في باب الزهد باب ٤٥ ـ ٥٨٩/٤ عن أبي هريرة .
(٦) سورة الشعراء ، الآية ٧ .
(٧) سورة الذاريات ، الآية ٤٩ .

(*١) (وضرباؤهم) في الأصل ، (ونظرائهم) في الهندية .
(*٢) (وهذا القول) في الأصل ، (وهذا كقوله) في الهندية .

والشتاء والصيف والجنّ والإنس والكفر والإيمان والسعادة والشقاوة والحق والباطل والذكر والأنثى والنور والظلمة والحلو والمر وأشباه ذلك .

لعلكم تذكرون ، فتعلمون أن خالق الأزواج واحد ، وليس المراد أن يحشر معهم زوجاتهم مطلقاً ، فإن المرأة الصالحة قد يكون زوجها فاجراً ، بل كافراً كامرأة فرعون ، وكذلك الرجل الصالح قد تكون امرأته فاجرة بل كافرة كامرأة نوح ولوط ، لكن إن كانت المرأة على دين زوجها ، دخلت في عموم الأزواج ، ولهذا قال الحسن البصري : وأزواجهم المشركات ، فلا ريب أن هذه الآية تناولت الكفار كما دل عليه سياق الآية ، وقد تقدم كلام المفسرين : أنه يدخل فيها الزناة مع الزناة ، وأهل الخمر مع أهل الخمر ، وكذلك الأثر المروي : « إذا كان يوم القيامة قيل : أين الظلمة وأعوانهم ؟ أو قال وأشباههم فيجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم في النار »[1] ، وقد قال غير واحد من السلف : أعوان الظلمة من أعانهم ، ولو أنه ناولهم دواة أو برى لهم قلماً ، ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم ، وأعوانهم هم من أزواجهم المذكورين في الآية . فإن المعين على البر والتقوى من أهل ذاك ، والمعين على الإثم والعدوان من أهل ذاك ، قال تعالى : ﴿ **مَنْ يَشْفَعْ شفاعةً حسنة يَكُنْ له نصيبٌ منها ومن يشفع شفاعةً سيئةً يكُن له كِفْلٌ منها** ﴾[2] ، والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفعاً بعد أن كان وتراً ، ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد ، والشفاعة السيئة بإعانة الكفار على قتال المؤمنين ، كما ذكر ذلك ابن جرير وأبو سليمان . وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الإنسان للإنسان ليجتلب له نفعاً أو يخلصه من بلاء كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد ، فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبّه الله ورسوله ، من نفع من يستحق النفع ودفع الضر عمن يستحق دفع الضر عنه ، والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله ، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان ، أو منع الإحسان الذي يستحقه ، وفسرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين والسيئة بالدعاء عليهم ، وفسرت الشفاعة الحسنة بالإصلاح بين اثنين ، وكل هذا صحيح . فالشافع زوج المشفوع له إذ المشفوع عنده من الخلق إما أن يعينه على برّ وتقوى وإما أن يعينه على إثم وعدوان ، وكان النبيّ ﷺ إذا أتاه طالب حاجة قال لأصحابه : « اشفعوا

---

(١) لم أجد هذا الحديث في كتب الحديث .

(٢) سورة النساء ، الآية ٨٥ .

تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيّه ما شاء »[1] ، وتمام الآية[1*] يبين أن الآية وإن تناولت الظالم الذي ظلم بكفره فهي أيضاً متناولة ما دون ذلك وإن قيل فيها وما يعبدون فقد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتفش »[2] ، وثبت عنه في الصحيح أنه قال : « ما من صاحب كنز إلاّ جعل له كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه : أنا مالك ، أنا كنزك »[3] ، وفي لفظ « إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه »[4] ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾[5] ، وفي حديث آخر : « مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفرّ منه هذا مالك الذي كنت تبخل به فإذا رأى أنه لابدّ منه أدخل يده في فيه فيقضمها كما يقضم الفحل »[6] ، وفي رواية : « فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضمها ثم يلقمه سائر جسده »[7] ، وقد قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ **والذين يَكْنِزُون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم يوم يُحْمَى عليها في نار جهنم فتُكْوى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورهُم هذا ما كَنَزْتُم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكْنِزُون** ﴾[8] وقد ثبت في الصحيح وغيره عن النبيّ ﷺ أنه قال : « ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمى عليها في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تَعُدّون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[9] ، وفي حديث أبي ذر : « بشّر الكانزين برضف يُحمى عليها في نار جهنم فتُوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نفص كتفيه ويوضع على نفص

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة ٢٩٩/٣ عن أبي موسى ، فتح الباري .
(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو ٨١/٦ عن أبي هريرة ، فتح الباري .
(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة ٢٦٨/٣ عن أبي هريرة .
(٤) حديث صحيح ، رواه البخاري .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٨٠ .
(٦) حديث صحيح رواه البخاري .
(٧) حديث صحيح رواه البخاري .
(٨) سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(٩) حديث صحيح ، رواه البخاري في كتاب الزكاة ، باب من أدّى زكاته فليس يكنز ٢٧٢/٣ عن الأحنف ابن قيس .

(١*) (الآية) في الأصل ، (الكلام) في الهندية .

كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وتكوى الجباه والجنوب والظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم »[1] ، وهذا كما في القرآن ويدل على أنه بعد دخوله النار فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل به ذلك أولاً في الموقف ، فهذا الظالم لما منع الزكاة يُحشر مع أشباهه وماله الذي صار عبداً له من دون الله ، فيُعذَّب به ، وإن لم يكن هذا من أهل الشرك الأكبر الذين يخلدون في النار ولهذا قال في آخر الحديث : « ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[2] ، فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما تعدّون ثم يدخل الجنّة . وقد قال النبي ﷺ : « الشّرك في هذه الأمّة أخفى من دبيب النمل »[3] ، قال ابن عباس وأصحابه : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ، وكذلك قال أهل السنة كأحمد بن حنبل وغيره ، كما سنذكره إن شاء الله ، وقد قال تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارَهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيحَ بنَ مريم وما أُمروا إلاّ لِيعبُدوا إلٰهاً واحداً لا إلٰه إلاّ هُوَ سبحانه عمّا يُشركون** ﴾[4] . وفي حديث عدي بن حاتم وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، وقد كان قد قدم على النبيّ ﷺ وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية ، قال : فقلت له إنّا لسنا نعبدهم قال : « أليْس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ، ويُحلّون ما حرّم الله فتحلّونه » قال : قلت بلى ، قال : « فتلك عبادتهم »[5] ، وكذلك قال أبو البختري أما إنهم لم يصلّوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمروهم فجعلوا حلالَ الله حرامَه وحرامَه حلالَه فأطاعوهم فكان تلك الربوبية ، وقال الربيع بن أنس قلت لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال : كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أُمِروا به وما[1*] نُهُوا عنه ، فقالوا : لن تسبق أحبارنا بشيء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا[2*] عنه انتهينا ، فاستنصحوا الرجال ونبذوا الكتاب[3*] وراء ظهورهم . فقد بيّن النبيّ ﷺ

---

(١) حديث رواه أبو ذر ، تابع الحديث رقم ٢ .

(٢) حديث صحيح ، تابع الحديث رقم ٢ .

(٣) حديث صحيح من حديث ابن عباس وعائشة وأبيها أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٠٣/٤ ، عن أبي موسى الأشعري .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٣١ .

(٥) حديث حسن ، رواه أحمد والترمذي .

(١*) (وما) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (وما نهونا) في الأصل ، (وما نهوا) في الهندية .

(٣*) (الكتاب) في الأصل ، (كتاب الله) في الهندية .

أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال إلا أنهم صلّوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دونه[*1] ، فهذه عبادة الرجال وتلك عبادة الأموال قد بيّنهما النبيّ ﷺ . وقد ذكر الله تعالى أنّ ذلك شرك بقوله : ﴿ **لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون** ﴾[1] ، فهذا من الظلم الذي يدخل في قوله : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله** ﴾[2] ، فإن هؤلاء هم الذين أمروهم بهذا[*2] جميعاً معذبون وقال : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنّم أنتم لها واردون** ﴾[3] ، وإنما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع في معصية الله فهم الذين سبقت لهم الحسنى كالمسيح وغيرهم وعزير وغيرهما فأولئك[*3] عنها مبعدون . وأما من رضي أن يعبد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد ولو لم يأمر بذلك فكيف إذا أمر وكذلك من أمر غيره بأن يعبد غير الله وهذا من أزواجهم فإن أزواجهم قد يكونون رؤساء لهم ، وقد يكونون أتباعاً وهم أزواج وأشباه لتشابههم في الدين ، وسياق الآية يدلّ على ذلك فإنه سبحانه قال : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾[4] ، قال ابن عباس دلّوهم ، وقال الضحاك مثله دلّوهم[*4] ، وقال ابن كيسان قدّموهم ، والمعنى قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه ، ولهذا تسمّى الأعناق الهوادي لأنها تقود سائر البدن وتسمى أوائل الوحشي الهوادي ﴿ **وَقِفُوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون** ﴾[5] ، أي كما كنتم تناصرون في الدنيا على الباطل ﴿ **بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين فحقّ علينا قول ربّنا إنا لذائقون فأغْويْناكُم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين ، إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئِنا لتاركوا آلهتنا لِشَاعِرٍ مجنون** ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ **ادخلوا في أممٍ قد خَلَتْ من قَبْلِكم**

---

(1) سورة التوبة ، الآية ٣١ .
(2) سورة الصافّات ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(3) سورة الأنبياء ، الآية ٩٨ .
(4) سورة الصافّات ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(5) سورة الصافّات ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .
(6) سورة الصافّات ، الآيات من ٢٦ إلى ٣٦ .

(*1) (الله) زيادة في الهندية .
(*2) (هم) زيادة في الهندية .
(*3) (عنها) غير موجودة في الهندية .
(*4) (دلوهم) غير موجودة في الهندية .

من الجنّ والإنسِ في النار كلما دخلت أمّة لَعَنَتْ أُختَها حتى إذا ادَّاركُوا فيها جميعًا قالت أُخراهم لأُولاهُم ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتِهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال لكلٍّ ضِعفٌ ولكن لا تعلمون ، وقالت أُولاهم لأُخراهم فما كان لكم علينا من فضلٍ فذوقوا العذابَ بما كنتم تكسبون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وإذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنّا لكم تَبَعاً فهل أنتم مُغْنُون عنّا نصيباً من النار قال الذي استكبروا إنا كلٌّ فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذِ الظالمون موقوفون عند ربّهم يرجع بعضُهم إلى بعض القول يقول الذين استُضْعِفوا للّذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين ، قال الذين استكبروا للذين استُضعفوا أنحن صَدَدْناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استُضعفوا للّذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأَسَرُّوا الندامةَ لمّا رأوا العذابَ وجعلْنا الأغلالَ في أعناق الذين كفروا هل يُجزَوْنَ إلاّ ما كانوا يعملون ﴾[3] ، وقوله في سياق الآية ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إلٰه إلا الله يستكبرون ﴾[4] ، ولا ريب أنها تتناول الشِّركين الأكبر والأصغر[*1] وتتناول أيضاً من استكبر عما أمره الله به من طاعته فإن ذلك من تحقيق[*2] لا إلٰه إلاّ الله ، فإن الإلٰه هو المستحق للعبادة ، فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تألّه العباد له فمن استكبر عن بعض عبادته سامعاً ومطيعاً في ذلك لغيره لم يحقق قول لا إلٰه إلاّ الله في هذا المقام وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله يكون على وجهين أحدهما أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله اتّباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شِركاً وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم فكان من اتّبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله ، مشركاً مثل هؤلاء . الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم

(١) سورة الأعراف ، الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) سورة غافر ، الآيتان ٤٧ ، ٤٨ .
(٣) سورة سبأ ، الآيات من ٣١ إلى ٣٣ .
(٤) سورة الصافّات ، الآية ٣٥ .

(*١) (الأكبر والأصغر) في الأصل ، (الأصغر والأكبر) في الهندية .
(*٢) (قول) زيادة في الهندية .

الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما قد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إنما الطاعة في المعروف »[1] ، وقال : « على المرء[*1] المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ أوكره ما لم يُؤمر بمعصية »[2] ، وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[3] ، وقال : « من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه »[4] ، ثم ذلك المحرِّم للحلال والمحلِّل للحرام إن كان مجتهداً قصده اتّباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتّقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربّه ، ولكن من علم أن هذا أخطأ[*2] فيما جاء به الرسول ثم اتّبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيبٌ من هذا الشِّرك الذي ذمّه الله تعالى[*3] لا سيّما إن اتّبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول فهذا مشرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز[*4] تقليد أحد في خلافه وإنما سارعوا[*5] في جواز التقليد للقادر على الاستدلال وإن كان عاجزاً عن إظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام[*6] وهو بين النصارى ، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يُؤاخَذ بما عجز عنه وهؤلاء كالنجاشي وغيره ، وقد أنزل الله في هؤلاء آيات في كتابه كقوله تعالى : ﴿ **وإنْ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم** ﴾[5] ، وقوله ﴿ **ومن قوم موسى أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾[6] ، وقوله : ﴿ **وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى**

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٤٢/٢ ، عن ابن عمر .
(٢) حديث صحيح ، تابع لحديث رقم ١ .
(٣) حديث صحيح ، تارع لحديث رقم ١ .
(٤) حديث صحيح ، تابع لحديث رقم ١ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٩٩ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٥٩ .

(*١) (المرء) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (أخطأ) في الأصل ، (خطأ) في الهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (له) زيادة في الهندية .
(*٥) (سارعوا) في الأصل ، (تنازعوا) في الهندية .
(*٦) (حق) زيادة في الهندية .

أعينَهم تَفِيضُ من الدّمع ممّا عرفوا من الحق ﴾[1] ، وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة ، وأما إن قلّد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه وبصره[*1] بيده ولسانه من غير علم أنه معه الحق فهذا من أهل الجاهلية وإن كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً وإن كان متبوعه مخطئاً كان أبداً[*2] كمن قال في القرآن برأيه ، فإن أصاب فقد أخطأ وإن أخطأ قلبه وأبغض النار[*3] وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي يقدم فيه الوعيد ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة فإن ذلك كمن[*4] أحبّ المال حبّا منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون فيهم شِرك أصغر ولهم منه[*5] بحسب ذلك . وفي الحديث : « إنّ يسير الرياء شِرك »[2] ، وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشِّرك على كثير من الذنوب . والمقصود هنا أن الظلم المطلق يتناول الكفر ولا يختص بالكفر بل يتناول ما دونه أيضاً وكلٌّ بحسبه كلفظ الذنب والخطيئة والمعصية فإن هذا يتناول الكفر والفسوق والعصيان كما في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود[*6] ، قلت يا رسول الله : أي الذنب أعظم : قال : « أن تجعل الله ندّاً وهو خلقك »[3] ، قلت ثم أيّ ؟ قال : ثم أن تقتل ولدك خَشية أن يطعم معك »[4] ، قلت ثم أيّ ؟ قال : « ثم أن تزاني[*7] بحليلة

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٨٣ .

(٢) روى ابن ماجه معنى هذا الحديث فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدّجال ، قال : قلنا بلى يارسول الله ، فقال : « الشرّك الخفي » سنن ابن ماجه رقم الحديث ٤٢٠٢ ، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤٢٨/٥ ، عن محمود بن لبيد .

(٣) حديث صحيح ، رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب كون الشر لشر أقبح الذنوب ٩٠/١ ، عن عبدالله بن مسعود .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ، تابع لحديث رقم ٢ .

(*١) (وبصره) في الأصل ، (ونصره) في الهندية .

(*٢) (أبدا) في الأصل ، (آثما) في الهندية .

(*٣) (وإن أخطأ قلبه وأبغض النار) في الأصل (وان أخطأ فليتبوأ مقعده من النار) في الهندية .

(*٤) (كمن) في الأصل ، (لما) في الهندية .

(*٥) (الوعيد) زيادة في الهندية .

(*٦) (قال) زيادة في الهندية .

(*٧) (تزانى) في الأصل ، (تزني) في الهندية .

جارك »[1] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **والذين لا يدْعُونَ مع الله إلٰهاً آخر ولا يقتلونَ النفسَ الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ ولا يَزْنُونَ ومن يفعلْ ذلك يَلْقَ أثاماً يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامةِ ويخْلُدْ فيه مُهاناً إلاّ مَنْ تابَ وآمن وعمِلَ عَمَلاً صالحاً فأولئك يُبدّل الله سيئاتِهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيماً ومن تاب وعمِلَ صالحاً فإنه يتوبُ إلى الله متاباً** ﴾[2] ، فهذا الوعيد بتمامه على الثلاثة ولكل عمل قسط منه فلو أشرك ولم يقتل ولم يزن كان عذابه دون ذلك ، ولو زنى وقتل ولم يشرك كان له من[*1] العذاب نصيب كما في قوله : ﴿ **ومن يقتلِ مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضِبَ الله عليه وَلَعَنَه وأعدّ له عذاباً عظيماً** ﴾[3] . ولم يذكر أبداً وقد قيل إن لفظ التأبيد لم يجيء إلا مع الكفر ، وقال[*2] تعالى : ﴿ **ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾[4] ، فلا ريب أن هذا يتناول الكافر الذي لم يؤمن بالرسول وسبب نزول الآية كان في ذلك . فإن الظلم المطلق يتناول ذلك ويتناول مادونه بحسبه فمن خال مخلوقاً في خلاف أمر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى : ﴿ **الأخلاّء يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدو إلا المتّقين** ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ **إذ تبرّأ الذين اتُّبِعُوا مِن الذينَ اتّبَعُوا ورأَوُا العذابَ وتقطّعت بِهُمُ الأسباب** ﴾[6] ، قال الفضيل ابن عباس[*3] : عن ليث عن مجاهد هي المودات التي كانت بينهم لغير الله فإن المخالفة تَحَابٌّ وتَوادُدْ ، ولهذا قال : « المرء على دين خليله »[7] ، فإن المتحابّين يحبّ أحدهما ما يحبه الآخر بحسب الحب . فإذا اتّبع أحدهما صاحبه على محبة ما يبغضه الله[*4] نقص من دينهما بحسب ذلك إلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر ، قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم**

---

(١) حديث صحيح ، رواه مسلم تابع لحديث رقم ٢ .
(٢) سورة الفرقان ، الآيات من ٦٨ ـ ٧١ .
(٣) سورة النساء ، الآية ٩٣ .
(٤) سورة الفرقان ، الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(٥) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ١٦٦ .
(٧) حديث صحيح ، مر توثيقه .

(١*) (هذا) زيادة في الهندية .
(٢*) (الله) زيادة في الهندية .
(٣*) (حدثنا) زيادة في الهندية .
(٤*) (ورسوله) زيادة في الهندية .

كحبّ الله والذين آمنوا أشدّ حبًّا لله ﴾[1] ، والذين قدموا محبة المال الذي كنزوه والمخلوق الذي اتّبعوه على محبة الله ورسوله كان فيهم من الظلم والشِّرك بحسب ذلك . ولهذا ألزمهم محبوبهم كما في الحديث « أليس عدلاً في أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا »[2] ، وقد ثبت في الصحيح أنه يقول : « ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيتبع[*1] من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، ويمثل للنصارى المسيح ولليهود عزيز فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها »[3] ، كما سيأتي في الحديث إن شاء الله فهؤلاء أهل الشّرك الأكبر ، وأما عبيد المال الذين[*2] كنزوه وعبيد الرجال الذين أطاعوهم في معاصي الله فأولئك يعذبون عذاباً دون عذاب أولئك المشركين إما في عَرَصَة[*3] القيامة وإما في جهنّم . ومن أحبّ شيئاً دون الله تعالى[*4] عُذِّب به ، وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفِقُوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتيَ يومٌ لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّة ولا شفاعةٌ والكافرون هم الظالمون ﴾**[4] ، فالكفر المطلق هو الظلم المطلق ولهذا لا شفيع لأهله يوم القيامة كما نفى الشفاعة في هذه الآية : **﴿ وأنْذِرْهُم يوم الأزفَةِ إذِ القلوبُ لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع يعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور ﴾**[5] ، وقال : **﴿ فَكَبْكَبُوا فيها هم والغَاوُون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تَاللهِ إنّا كنّا لَفِي ضلالٍ مبينٍ إذ نسوّيكم بربّ العالمين وما أضلَّنا إلاّ المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم فلو أنّ لنا كرَّةً فنكون من المؤمنين ﴾**[6] ، وقوله : **﴿ نُسوّيكم ﴾** لم يريدوا به أنهم جعلوهم مساوين لله تعالى[*5] من كل وجه فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم ولم يقل قطّ عن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٦ .
(٢) لم أجد هذا الحديث في كتب الرواة .
(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة ٤١٩/١٣ عن أبي هريرة .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٤ .
(٥) سورة غافر ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .
(٦) سورة الشعراء ، الآيات من ٩٤ ــ ١٢٠ .

(*١) (فيتبع) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (الذين) في الأصل ، (الذي) في الهندية .
(*٣) (عرصة) في الأصل (عرصات) في الهندية .
(*٤) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٥) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

قوم[*1] من الكفار أنهم قالوا إن هذا العالم له خالقان متماثلان حتى المجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة متفقون على أن النور خير يستحق أن يُعبد ويُحمد وأن الظلمة شريرة تستحق أن تذمّ وتُلعِنَ واختلفوا هل الظلمة محدثة أو قديمة على قولين وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه ولذلك مشركو العرب كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض بل كانوا مقرّين بأن الله وحده خلق السموات والأرض وما بينهما كما أخبر الله عنهم بذلك في غير آية كقوله تعالى : ﴿ **ولئن سألْتَهم من خَلَق السمواتِ والأرض وسخّر الشمس والقمر لَيَقُولُنَّ الله فأنَّى يؤفكون ، الله يبسُط الرزقَ لمن يشاء من عباده ويَقْدِرُ لَهُ إن الله بكلّ شيءٍ عليم ، ولَئِن سألْتَهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها لَيَقُولَنَّ الله قُلِ الحمدُ لله بل أكثرُهُم لا يعقِلُون** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **ولَئِنْ سألتهم من خلق السمواتِ والأرضَ ليقُولُنَّ خلقهُنَّ العزيزُ العليم الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سُبُلاً لعلّكم تهتدون ، والذي نزّل من السماء ماءً بِقَدَرٍ فأنْشرْنا به بلدةً مَيْتاً كذلك تُخرجون والذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفُلك والأنعام ما تركبون لِتَسْتَووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربّكم إذا اسْتَوَيْتُم عليه وتقولوا سبحانَ الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لَمُنْقَلِبون** ﴾[2] ، وهذه الصفات من كلام الله ليست من تمام جوابهم وقال تعالى : ﴿ **قُلْ لِمَن الأرضُ ومن فيها إن كنتُم تعلمون سيقولون لله ، قُل أفلاَ تذكرون قُلْ مَنْ ربُّ السمواتِ السبع وربُّ العرشِ العظيم سيقولون الله** ﴾[3] الآيات ، وقال تعالى : ﴿ **قل أرأيتكم إن أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعةُ أغيرَ الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون** ﴾[4] ، وكذلك قوله : ﴿ **آللهُ خير أم ما يشركون أمَّنْ خلق السمواتِ والأرضَ وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرضَ قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسيَ وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله** ﴾[5] ، أي إله مع الله فعل هذا ، وهذا استفهام إنكار وهم مقرّون بأنه لم

(١) سورة العنكبوت ، الآيات من ٦١ ـ ٦٣ .
(٢) سورة الزخرف ، الآيات من ٩ ـ ١٤ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآيات من ٨٤ ـ ٨٧ .
(٤) سورة الأنعام ، الآيتان ، ٤٠ ، ٤١.
(٥) سورة النمل ، الآيات من ٥٩ ـ ٦١ .

(*١) (ولم يقل قط عن قوم) في الأصل (ولا نقل عن قوم قط) في الهندية .

يفعل هذا إلٰه آخر مع الله ومن قال من المفسرين أن المراد هل مع الله إلٰه آخر فقد غلط فإنهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى : ﴿ **أإنكم لتشهدون أنّ مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد**[*١] **قل إنما هو إلٰه واحد وإنني بريءٌ مما تُشركون** ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ **فما أغْنَت عنهم آلِهتُهم التي يدعون من دون الله من شيء** ﴾[٢] ، وقال تعالى عنهم : : ﴿ **أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إنّ هذا لشيءٌ عُجاب** ﴾[٣] ، وكانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض ولا خلق شيء بل كانوا[*٢] يتخذونهم شفعاء ووسائط ، كما قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾[٤] ، وقال عن صاحب يس : ﴿ **وما لِيَ لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجعون أأتّخذ من دونه آلهةً إنْ يُرِدْن الرحمـٰنُ بِضُرٍّ لا تُغني عني شفاعتُهم شيئاً ولا يُنقذُون** ﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿ **وأَنذِرْ به الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربّهم ليس لهم من دونه من وليٍّ ولا شفيع** ﴾[٦] ، وقال تعالى : ﴿ **الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيامٍ ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من وليٍّ ولا شفيعٍ أفلاَ تذكرون** ﴾[٧] ، وقال : ﴿ **قُل ادْعوا الذين زعمْتُم من دون الله لا يملكون مثقالَ ذرّة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شِرْكٍ وما له منهم من ظَهيرٍ ولا تنفع الشفاعةُ عنده إلاّ لِمَن أذِنَ له** ﴾[٨] ، فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو أن[*٣] يكون عوناً له[*٤] ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذِن له الربّ ، كما قال[*٥] : ﴿ **مَن ذا الذي يشفع عنده إلاّ**

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٩ .
(٢) سورة هود ، الآية ١٠١ .
(٣) سورة ص ، الآية ٥ .
(٤) سورة يونس ، الآية ١٨ .
(٥) سورة يس ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية ٥١ .
(٧) سورة السجدة ، الآية ٤ .
(٨) سورة سبأ ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(١*) ﴿ قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ﴾ غير موجودة في الهندية .
(٢*) (كانوا) غير موجودة في الهندية .
(٣*) (أن) غير موجودة في الهندية .
(٤*) (له) في الأصل ، (لله) في الهندية .
(٥*) (تعالى) زيادة في الهندية .

بإذنه﴾[1]، وقال[*1] عن الملائكة : ﴿ولا يشفعون إلاّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[2]، وقال : ﴿ وكم مِن ملك في السموات لا تغني شفاعتُهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذَنَ الله لِمن يشاء ويرضى ﴾[3]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها[*2] القرآن . وأما ما أخبر به النبي ﷺ أنه يكون فأخبر أنهَ يأتي فيسجد لربّه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه ، يقال له : «أي محمد ارفع رأسك وقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَعْ» فيقول : «أي ربِّ أمتي فيحدّ لهم حدّاً فيدخلهم الجنّة»[4]، وكذلك في الثانية ، وكذلك في الثالثة، وقال له أبو هريرة[*3] من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال : « من قال لا إله إلاّ الله خالصاً من قلبه »[*5]، فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص بإذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا بإذن الله وحقيقته أن الله سبحانه[*4] هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذِن له أن يشفع ليكون بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون وصلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ، كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب[*5] دعاءه وشفاعته وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع : فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه، وظلم الناس بعضهم بعضاً لابدّ فيه من إعطاء المظلوم حقّه لا يسقط حقّ المظلوم[*6] بشفاعة ولا غيرها ولكن

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

(2) سورة الأنبياء ، الآية ٢٨ .

(3) سورة النجم ، الآية ٢٦ .

(4) متفق عليه ، البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي » ٣٩٢/١٣ عن أنس ـ فتح الباري ، مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٨٠/١ عن أنس .

(5) متفق عليه ، البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ١٩٣/١ عن أبي هريرة ـ فتح الباري ، الإمام أحمد في المسند ٣٧٣/٢ عن أبي هريرة .

(*1) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*2) (نفاها) في الأصل ، (نفاه) في الهندية .

(*3) (وقال له أبو هريرة) في الأصل ، (قال أبو هريرة) في الهندية .

(*4) (سبحانه) غير موجودة في الهندية .

(*5) (يجيب) في الأصل ، (يحب) في الهندية .

(*6) (لا) زيادة في الهندية .

قد يعطي المظلوم من الظالم كما قد يغفر لظالم(*1) نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع ، وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما ينفعه(*2) في الحقيقة إخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة . ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي الشّرك وهو أن أحداً لا يعبد إلاّ الله ولا يدعو غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا في شفاعة ولا في غيرها ، فليس له أن يتوكل على غيره(*3) أحد في أن يرزقه وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب . كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له أو يرحمه في الآخرة وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها ، فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقاً ما كان فيها شِرك وتلك منفية(*4) مطلقاً ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وتلك قد بيّن الرسول ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد وأما الظلم المقيد فقد يختص بظلم الإنسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضاً ، كقول آدم(*5) وحواء : ﴿ **ربَّنا ظلَمْنا أنفُسَنا** ﴾[1] ، وقول موسى : ﴿ **ربِّ إني ظلمتُ نفسي** ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾[3] ، لكن قول آدم وموسى أخبار عن واقع لا عموم فيه وذلك قد عرف ، ولله الحمد أنه ليس كفراً، وأما قوله : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم** ﴾[4] ، فهو نكرة في سياق الشرط يعمّ كل ما فيه ظلم الإنسان نفسه وهو إذا أشرك ثم تاب ، تاب الله عليه ، وقد تقدم أن ظلم الإنسان لنفسه يدخل فيه كل ذنب كبيراً أو صغيراً مع الإطلاق . وقال تعالى : ﴿ **ثم أوْرَثْنَا الكتابَ الذين اصْطَفَيْنَا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مُقْتَصِدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات** ﴾[5] فهذا ظلم لنفسه مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرط الأكبر ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه لما أنزلت هذه

---

(1) سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .

(2) سورة القصص ، الآية ١٦ .

(3) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .

(4) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .

(5) سورة فاطر ، الآية ٣١ .

(*1) (الظالم) في الأصل ، (للظالم) في الهندية .

(*2) (ينفعه) في الأصل ، (نفعه) في الهندية .

(*3) (غيره) غير موجودة في الهندية .

(*4) (منفية) في الأصل ، (منتفية) في الهندية .

(*5) (عليه السلام) زيادة في الهندية .

أنزلت هذه الآية : ﴿ **الذين آمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بِظلم** ﴾[1] ، شقّ ذلك على أصحاب النبيّ ﷺ وقالوا أيّنا لم يظلم نفسه ، فقال النبي ﷺ : « إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى قول الرجل[*1] الصالح »[2] : ﴿ **إن الشركَ لَظُلمٌ عظيمٌ** ﴾[3] ، والذين شقّ ذلك عليهم ظنّوا أن الشِّرك[*2] المشروط هو ظلم العبد نفسه وأنه لا يكون الأمْنُ والاهتداء إلا لِمن يظلم نفسَه ، فشقّ ذلك عليهم فبيّن النبيّ ﷺ لهم ما دلّهم على أن الشّرك ظلم في كتاب الله تعالى ، وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لِمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم ومن لم يلبس إيمانه به كان من أهل الأمن والاهتداء ، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله : ﴿ **ثم أوْرثْنا الكتابَ الذين اصطفينَا من عِبَادِنا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **جنّات عدنٍ يدخلونَها** ﴾[4] ، وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلم نفسه إذا لم يثبت كما قال تعالى : ﴿ **فمن يعملْ مثقالَ ذرّة خيراً يَرَه ، ومن يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شرّاً يَره** ﴾[5] ، وقال[*3] : ﴿ **مَنْ يعملْ سوءًا يُجْزَ بِه** ﴾[6] .

وقد سأل أبو بكر النبيّ ﷺ عن ذلك فقال يا رسول الله وأيّنا لم يعمل سوءًا فقال : « يا أبا بكر ألستَ تَنْصَبْ ، أَلَسْتَ تَحْزَن ، أَلسْتَ تصيبكُ اللاواء ، فذلك ما تُجْزَوْن به »[7] ، فبيّن أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنّة قد يجزى بسيّئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه ، كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « مَثَلُ المؤمن كَمَثَلِ الخامة من الزرع تفيئها الرياح ، تقوّمها تارة وتميلها أخرى وَمَثَل المنافق[*4] كشجرة الأرز تكون[*5] ثابتة[*6] أصلُها حتى يكون انجعافها

---

(1) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ١/١١٤ ، عن عبدالله .

(3) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

(4) سورة فاطر ، الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

(5) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨ .

(6) سورة النساء ، الآية ١٢٣ .

(7) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والحاكم من طرق واللاواء صعاب ومشاق الحياة ، أحمد في المسند ١/٦ عن أبي بكر الصديق ، والترمذي في كتاب التفسيرات باب تفسير سورة النساء ٥/٢٤٥ .

(*1) (الرجل) في الأصل ، (العبد) في الهندية .

(*2) (الشرك) في الأصل ، (الظلم) في الهندية .

(*3) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*4) (كمثل) زيادة في الهندية .

(*5) (تكون) في الأصل ، (لاتزال) في الهندية .

(*6) (على) زيادة في الهندية .

مرة واحدة »[1] ، وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « ما يصيب المؤمن من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا غمٍّ ولا أذًى حتى الشوكةُ يشاكُّها إلاّ كفَّر الله[(*1)] بها من خطاياه »[2] . وفي حديث سعد بن أبي وقّاص قلت : يا رسول الله أيّ الناس أشدّ بلاءً قال : « الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقّة خفّف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة »[3] ، رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، وقال : « المرض حطّة يحط الله به[(*2)] الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها »[4] ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الأمن التام والاهتداء التام ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقاً بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى ، وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي يكون عاقبته فيه إلى الجنّة ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه وليس مراد النبيّ ﷺ بقوله : « إنما هو الشرّك » إنّ من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذين يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولابدّ لهم من دخول الجنة ، وقوله ﷺ « إنما هو الشرك » أراد به الشرك الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك ، وإن كان مراده جنس الشرك فيقال

---

(١) حديث صحيح ، رواه الشيخان ، أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب مَثَل المؤمن كالزرع ١٦٣/٤ ، عن أبي هريرة .

(٢) حديث صحيح ، رواه الشيخان ، البخاري في كتاب المرض باب أشد الناس بلاءً ١١١/١٠ عن عبدالله بن عمر ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٩٩١/٤ ، عن عبدالله بن عمر .

(٣) رواه أحمد والترمذي وغيرهما وإسناده صحيح وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ماجاء في الصبر على البلاء ٦٠١/٤ ، عن مصعب بن سعد عن أبيه .

(٤) حديث صحيح ، رواه أحمد والترمذي ، الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ٦٠٢/٤ عن أبي هريرة ، الإمام أحمد في المسند ٤٥٠/٢ عن أبي هريرة .

(*١) (الله) غير موجودة في الهندية .   (*٢) (الله به) غير موجودة في الهندية .

ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحبه ما يبغضه الله حتى يكون هواه يقدم على محبة الله[*1] شِرك أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه[*2] من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار .

فصـــل :

لفـظ الصـلاح والفسـاد

(ومن هذا الباب لفظ الصلاح والفساد) فإذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر كما يقدم في اسم الصالح وكذلك اسم المفسد والمصلح[*3] ، قال تعالى في قصة موسى : ﴿ **أتريدُ أن تقتلَنِي كما قتلتَ نفساً بالأمس إن تريد إلاّ أن تكونَ جبّارًا في الأرض وما تريد أن تكونَ من المصلحين** ﴾[1] ، وقال موسى لأخيه هارون : ﴿ **اخلفني في قومي وأصْلح ولا تتّبع سبيلَ المفسدين** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألاَ إنهم هم المفسدون ولكنْ لا يشعرون** ﴾[3] ، والضمير عائد على المنافقين في قوله : ﴿ **ومِنَ النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾[4] ، وهذا متناول مطلق[*4] تناول من كان على عهد النبي ﷺ ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي إنه عَنَى بهذه الآية قوماً[*5] لم يكونوا خُلقوا حين نزولها وكذا قال السدي عن استباحة[*6] الفساد والكفر والمعاصي ، وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر واجتناب النواهي والقولان معناهما واحد ، وعن ابن عباس : الكفر وهذا معنى قول من قال النفاق الذي صافوا به

(1) سورة القصص ، الآية ١٩ .
(2) سورة الأعراف ، الآية ١٤٢ .
(3) سورة البقرة ، الآيتان ١١ ، ١٢ .
(4) سورة البقرة ، الآية ٨ .

(*1) (حتى يكون هواه يقدم على محبة الله) في الأصل ، (حتى يكون يقدم هواه على محبة الله) في الهندية .
(*2) (قد فاته) زيادة في الهندية .
(*3) (المفسد والمصلح) في الأصل ، (المصلح والمفسد) في الهندية .
(*4) (وهذا متناول مطلق) في الأصل ، (وهذا مطلق يتناول) في الهندية .
(*5) (قوماً) في الأصل ، (قوم) في الهندية .
(*6) (استباحة) في الأصل ، (أشياخه) في الهندية .

الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين ، وعن أبي العالية ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضاً عامّ كالأولين وقولهم : ﴿ **إنّما نحن مصلحون** ﴾[1] فسّر بإنكار ما فرقوا به[*1] أي إنا إنما نفعل ما أمرنا به الرسول وفسّر بأن الذي يفعله صلاح ويقصد به الصلاح وكلا القولين يروى عن ابن عباس وكلاهما حقّ فإنهم يقولون هذا وهذا ، يقولون الأول لمن لم يطلع على بواطنهم ويقولون الثاني لأنفسهم ولمن اطلع على باطنهم[*2] ، لكنّ الثاني يتناول الأول فإن من جملة أفعالهم إسرار خلاف ما يظهرون وهم يرون هذا إصلاحاً ، قال مجاهد أرادوا أن مصافاة الكفار صلاح لافساد ، وعن السدي : إن فعلنا هذا هو الصلاح وتصديق محمد فساد ، وقيل أرادوا أن هذا صلاح في الدنيا فإن الدولة إن كانت للنبي[*3] فقد آمنوا بمتابعته وإن كانت للكفار فقد أمنوهم بمصافاتهم ولأجل القولين قيل في قوله : ﴿ **أَلاَ إنّهم هم المفسدون ولكنْ لا يَشْعُرون** ﴾[2] أي لا يشعرون أنّ ما فعلوه فساد لا صلاح وقيل لا يشعرون أن الله يطلع نبيّه على فسادهم والقول الأول يتناول الثاني فهو المراد كما يدل عليه لفظ الآية ، وقال تعالى : ﴿ **إن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين** ﴾[3] ، وقال[*4] موسى : ﴿ **ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله إن الله لا يُصلح عملَ المفسدين** ﴾[4] ، وقول يوسف : ﴿ **تَوفَّني مُسلماً وأَلْحِقْني بالصّالِحين** ﴾[5] وقد يقرن أحدهما بما هو أخص منه كقوله : ﴿ **وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسدَ فيها ويهلكَ الحرثَ والنسلَ والله لا يحبّ الفساد** ﴾[6] ، قيل بالكفر ، وقيل بالظلم وكلاهما صحيح ، وقال تعالى : ﴿ **تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون عُلوًّا في الأرضِ وَلا فَسادًا** ﴾[7] ، وقد تقدم قوله[*5] : ﴿ **إن فرعونَ علاَ في الأرض وجعل أهلَها شِيعاً يستضعفُ طائفةً منهم يذبّح أبناءَهم ويسْتحْيي نساءَهم إنه كان من المفسدين** ﴾[8] ، وقال تعالى : ﴿ **مِن أجلِ ذلك**

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١١ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٩٦ .
(٤) سورة يونس ، الآية ٨١ .
(٥) سورة يوسف ، الآية ١٠١ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٠٥ .
(٧) سورة القصص ، الآية ٨٣ .
(٨) سورة القصص ، الآية ٤ .

(١*) (ما فرقوا به) في الأصل ، (ما أقروا به) في الهندية .
(٢*) (باطنهم) في الأصل ، (بواطنهم) في الهندية .
(٣*) (صلّى الله عليه وسلّم) زيادة في الهندية .
(٤*) (وقال موسى) في الأصل ، (وقال : قال موسى) في الهندية .
(٥*) (تعالى) زيادة في الهندية .

كتبْنَا على بَني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نَفْسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناسَ جميعاً ﴾[1] ، وقتْل النفسِ الأول من[*1] الفساد لكنّ الحق في القتل لولي المقتول ، وفي الردة والمحاربة والزنا الحق فيها لعموم الناس ولهذا يقال هو حقّ لله تعالى[*2] ولهذا لا يعفى عن هذا كما يعفى عن الأول لأن[*3] فساده عامّ ، قال تعالى : ﴿ **إنما جزاءُ الذين يحاربون الله وَرَسولَهُ وَيسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطّع أيدِيهم وأرجلُهم من خِلافٍ**[*4] **أو يُنفوا من الأرض** ﴾[2] ، الآية ، وقيل سبب نزول هذه الآية العرنيون الذين ارتدّوا وقتلوا وأخذوا المال وقيل سببه ناس معاهدون نقضوا العهد وحاربوا وقيل المشركون فقد قرن بالمرتدين والمحاربين[*5] وناقضي العهد المحاربين وبالمشركين المحاربين[*6] وجمهور السلف والخلف على أنها تتناول قطّاع الطريق من المسلمين ، والآية تتناول ذلك كله ، لهذا كان من تاب قبل القدرة عليه من جميع هؤلاء فإنه يسقط عنه حدّ الله تعالى ، وقرن الصلاح والإصلاح بالإيمان في مواضع كثيرة كقوله تعالى : ﴿ **إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات** ﴾[3] ، ﴿ **فمن آمن وأصْلحَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُون** ﴾[4]، ومعلومٌ أن الإيمان أفضل الإصلاح وأفضل العمل الصالح كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل قال : « إيمانٌ بالله »[5] ، وقال تعالى : ﴿ **وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمِل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **إلاّ من تاب وآمن وعمِل صالحاً فأولئك يدخلون الجنّة** ﴾[7] ، وقال : ﴿ **إلاّ من تاب وآمن وعمِلَ عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسناتٍ** ﴾[8] ، وقال في القذف : ﴿ **إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصْلحوا فإن الله غفورٌ رحيمٌ** ﴾[9] وقال في السارق : ﴿ **فَمَن تاب من بعد ظُلمه وأصْلح فإن الله يتوبُ عليه** ﴾[*10] ، وقال : ﴿ **واللّذان يأْتيانِهَا منكم فآذوهما فإن تابَا وأصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عنهما** ﴾[11] ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهم في قبول شهادة القاذف أن يصلح وقدّروا ذلك بسنة كما فعل عمر بصبيغ

(1) سورة المائدة ، الآية ١٤٣ .
(2) سورة المائدة ، الآية ٣٣ .
(3) سورة البقرة ، الآية ٢٧٧ .
(4) سورة الأنعام ، الآية ٤٨ .
(5) حديث صحيح .
(6) سورة طه ، الآية ٨٢ .
(7) سورة مريم ، الآية ٦٠ .
(8) سورة الفرقان ، الآية ٧٠ .
(9) سورة آل عمران ، الآية ٨٩ .
(10) سورة المائدة ، الآية ٣٩ .
(11) سورة النساء ، الآية ١٦

(*1) (جملة) زيادة في الهندية .
(*2) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*3) (لان) في الأصل ، (بأن) في الهندية .
(*4) (أو ينفوا من الأرض) غير موجودة في الهندية .
(*5) (والمحاربين) غير موجودة في الهندية .
(*6) (وبالمشركين المحاربين) غير موجودة في الهندية .

ابن عسل لما أجّله سنة وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي إلى البدعة أنه يؤجل سنة كما أجّل عمر صبيغ بن عسل .

فصـــل :

تنوع دلالة اللفظ بالإطلاق والتقييد

فإن قيل ما ذكر من تنوع دلالة اللفظ بالإطلاق والتقييد في كلام الله ورسوله وكلام كلّ أحد بين ظاهر لا يمكن دفعه لكن نقول دلالة لفظ الإيمان علي الأعمال مجاز فقوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة[١*] أعلاها قول لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[1] مجاز . وقوله : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه[٢*] »[2] إلى آخره حقيقة وهذا عمدة المرجئة[3] والجهمية والكرامية[4] وكل من لم يدخل الأعمال في اسم الإيمان . ونحن نجيب بجوابين : أحدهما كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز ، والثاني ما يختص بهذا الموضع فبتقدير أن يكون أحدهما مجازاً ما هو الحقيقة من ذلك من المجاز هل الحقيقة هو المطلق أو المقيد أو كلاهما حقيقة حتى نعرف أن لفظ الإيمان إذا أطلق على ماذا يحمل فيقال أولاً تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز أو تقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة فإنّ هذا كله[٣*] يقع في كلام المتأخرين ، ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان وفتح الباري ٥١/١ السلفية ، مسلم باب عدد شعب الإيمان ٦٣/١ عن أبي هريرة ـ إحياء التراث .

(٢) حديث صحيح ، البخاري ، فتح الباري ١١٤/١ ، مسلم ٣٦/١ .

(٣) المرجئة : فرقة ابتدعها رجل من بني هاشم في المدينة المنورة يقال له الحسن بن محمد وهو أول من قال بالإرجاء وأبوه ابن الحنفية وهو ثقة فقيه وقد تكلم أصحاب هذه الفرقة في الإيمان والعمل ، وقد وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة ، راجع الملل والنحل ص ١١٤ تقريع التهذيب ١٧١/١ .

(٤) الكرامية : تنسب هذه الفرقة إلى أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني وقد خرج إلى نيسابور وقد دعا أهل السواد إلى بدعته وقال عنه عبد القادر البغدادي في الفرق بين الفرق ص ١٣١ أن ابن كرام دعا اتباعه إلى تجسيم معبوده وهذا شبيه بقول الثنوية وقد بلغ أتباعه في خراسان عدداً كثيراً وقد بلغت الفرق التابعة له اثنتا عشرة فرقة . توفي ابن كرام ٣٥٥ هـ وقد ترجم له ابن عساكر ، راجع الملل والنحل ١٠٨ ، الفرق بين الفرق ١٣١ .

(١*) (الإيمان بضع وسبعون شعبة) في الأصل يقابلها (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة) في الهندية .

(٢*) (ورسله) زيادة في الهندية . (٣*) (قد) زيادة في الهندية .

الألفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم ، وأول من عرف أن تكلم للّفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية ، ولهذا[1*] من قال من الأصوليين كأبي الحسن البصري وأمثاله أنه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نصّ أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فقد تكلم بلا علم فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة . ولا من سلف الأئمة وعلمائها وإنما هذا اصطلاح حادث ، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة[1] ونحوهم من المتكلمين فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف . وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه ولم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك محمد بن الحسن له[2*] المسائل المنفية[3*] على العربية كلام معروف في (الجامع الكبير) وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز ، وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم إلاّ في كلام أحمد بن حنبل فإنه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله (أنا ونحن) ونحو ذلك في القرآن هذا من مجاز اللغة يقول الرجل إنا سنعيطك إنا سنفعل فذكر أن هذا من[4*] مجاز اللغة وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال إن في

---

(١) المعتزلة : ويسمّوْن أهل العدل والتوحيد ويُلقّبون بالقدرية والعدلية وقد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازاً من اللقب إذا كان الذم به متفقاً عليه لقول النبيّ ﷺ : (القدرية مجوس هذه الأمة) . ومن أبرز رؤساء هذا المذهب الأول معبد الجهني المتوفى سنة ٨٠ هـ ثم غيلان الدمشقي ومن الرؤساء التاليين واصل بن عطاء وغيره ، راجع الملل والنحل ص ٤٣ .

(١*) (قال) زيادة في الهندية .

(٢*) (في) زيادة في الهندية .

(٣*) (المنفية) في الأصْل يقابلها (المبنية) في الهندية .

(٤*) (من) غير موجودة في الهندية .

القرآن مجازاً كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهم من أكابر أصحابه(١*) منعوا أن يكون في القرآن مجاز كأبي الحسن الجزري وأبي عبدالله بن حامد وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز محمد بن خوز منداد(٢*) وغيره من المالكية ومنع منه داود بن علي وابنه أبو بكر ومنذر بن سعيد البلوطي وصنّف فيه مصنّفاً ، وحكى بعض الناس عن أحمد في ذلك روايتين ، وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب أحمد إن في القرآن مجازاً لا مالك ولا أبو حنيفة ولا الشافعي(٣*) فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجوداً في الثانية اللّهم إلاّ أن يكون في أواخرها والذين أنكروا أن يكون أحمد أو غيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا إن معنى قول أحمد من مجاز اللغة أي مما يجوز في اللغة أي يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان نحن فعلنا كذا أو نفعل كذا ونحو ذلك ، قالوا ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز لا في القرآن ولا غيره كأبي اسحق الإسفرائني وقال المنازعون له النزاع معه لفظي فإنه إذا سلم أن في اللغة لفظاً مستعملاً في غير ما وضع له لا يدل على معناه إلاّ في نية فهذا المجاز وإن لم يسمّه مجازاً فيقول من ينصره إن الذين قسموا اللفظ إلى(٤*) حقيقة ومجاز قالوا : الحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وضع له ، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الأسد والحمار إذا أريد بهما البهيمة أو أريد بهما الشجاع والبليد . وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولاً لمعنًى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير موضوعه ، ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز ، فإذا استعمل في غير موضعه فهو مجاز لا حقيقة له وهذا كله إنما يصح أن لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولاً لمعانٍ ثم بعد ذلك استعملت فيها فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال ، وهذا

(١*) (وغيرهم من أكابر صحابه) في الأصل يقابلها (وآخرون من أصحابه) في الهندية .

(٢*) (محمد بن خوز منداد) في الأصل يقابلها (محمد بن جرير مندر) في الهندية .

(٣*) (لا مالك ولا أبو حنيفة ولا الشافعي) في الأصل وردت (لا مالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة) في الهندية .

(٤*) (إلى) غير موجودة في الهندية .

إنما يصحّ[*١] على قول من يجعل اللغات اصطلاحية ، فيدعى أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسمّوا هذا بكذا[*٢] في جميع اللغات ، وهذا القول لا نعرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن حبان[*٣] فإنه وأبا الحسن الأشعري[١] كلاهما قرأ على أبي علي الجبائي لكن الأشعري رجع عن مذهب المعتزلة وخالفهم في القدر والوعيد وفي الأسماء والأحكام وفي صفات الله تعالى وبيّن من تناقضهم وفساد مذهبهم قولهم ما هو معروف عنه فتنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ اللغات ، فقال أبو هاشم هي اصطلاحية وقال الأشعري هي توقيفية ثم خاض الناس بعدهم[*٤] في هذه المسألة ، فقال الآخرون[*٥] بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي وقال فريق رابع بالوقف والمقصود هنا أنه لا يمكن لأحد[*٦] أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني فإن ادّعى مدّعٍ أنه يعلم وضعاً يتقدم ذلك فهو مبطل فإن هذا لم يعلمه[*٧] أحدٌ من الناس ولا يقال نحن نعلم ذلك بالدليل ، فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدم لم يكن الاستعمال قبل .

ليس الأمر كذلك بل نحن نجد أن الله تعالى[*٨] يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض وقد سمّى ذلك منطقاً وقولاً في قول سليمان : ﴿ **علمنا منطق الطير** ﴾[٢] وفي قوله : ﴿ **قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا**

---

(١) أبو الحسن الأشعري والفرقة الأشعرية :

تنسب هذه الفرقة إلى أبي الحسن الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري ومن رأي أبي الحسن الأشعري : الباري تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ، مريد بإرادة متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، ثم قال : وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى ، راجع الملل والنحل للشهرستاني ص ٩٤ .

(٢) سورة النمل ، الآية ١٦ .

(*١) (يصحح) في الأصل وردت (صح) في الهندية .

(*٢) (وهذا بكذا ويجعل هذا عاما) زيادة في الهندية .

(*٣) (أبي هاشم بن بحبان) في الأصل وردت (أبي هاشم الجبائي) في الهندية .

(*٤) (بعدهم) في الأصل وردت (بعدهما) في الهندية .

(*٥) (الآخرون) في الأصل وردت (آخرون) في الهندية .

(*٦) (لاحد) في الأصل وردت (أحدا) في الهندية .

(*٧) (ينقله) زيادة في الهندية .

(*٨) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

مساكنَكُم ﴾[1] وفي قوله : ﴿ **يا جبال أُوبي معه والطير** ﴾[2] وكذلك الآدميون فالمولود إذا ظهر منه التميز سمع أبويه أو من يربّيه ينطق باللفظ ويشير إلى المعنى فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى أي أراد المتكلم به ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظاً بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم بل ولا وقفوه[*1] على معاني الأسماء وإن كان أحياناً قد يسأل عن مسمّى بعض الأشياء فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللّغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها وإن باشر أهلها مدة علم ذلك بلا[*2] توقيف من أحد . نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يكن من قبلهم يعرفه فيسميه كما يولد لأحدهم ولد فيسميه إسماً إما منقولاً وإما مرتجلاً وقد يكون المسمّى واحداً لم يصطلح مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه به[*3] ، وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعته أو يصنف كتاباً أو يبني مدينة ونحو ذلك فيسمّيه باسم لأنه ليس من الأجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة وقد قـال[*4] تعالى : ﴿ **الرحمن . علّم القرآن . خلق الإنسانَ . علّمه البيان** ﴾[3] و ﴿ **قالوا أنطَقَنا الله الذِي أنطق كلَّ شيءٍ** ﴾[4] وقال : ﴿ **الذي خلقَ فسوّى والذي قدّر فهدَى** ﴾[5] فهو سبحانه يلهم الإنسان المنطق كما يلهم غيره وهو سبحانه إذا كان قد علّم آدم الأسماء كلّها وعرض المسمّيات على الملائكة كما أخبر بذلك في كتابه فنحن نعلم أنه لم يعلّم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٨ .
(٢) سورة سبأ ، الآية ١٠ .
(٣) سورة الرحمن ، الآيات من ١ ـ ٤ .
(٤) سورة فصّلت ، الآية ٢١ .
(٥) سورة الأعلى ، الآيتان ٢ ، ٣ .

(*١) (وقفوه) في الأصل ، (أوقفوه) في الهندية .
(*٢) (بلا) في الأصل (بدون) في الهندية .
(*٣) (به) غير موجودة في الهندية .
(*٤) كلمة (الله) زيادة في الهندية .

وأن تلك اللغات اتصلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها فان[*1] هذا دعوى[*2] كذب ظاهر فإن آدم عليه السلام إنما ينقل عنه بنوه وقد أغرق الله عام الطوفان جميع ذريته إلاّ مَنْ في السفينة وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح و لم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت به الأمم بعدهم ، فإن اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصيه إلا الله . والعرب أنفسهم لكل قوم لغات لا يفهمها غيرهم فكيف يتصور أن ينقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السفينة وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل وإنما النسل لنوح وجميع الناس من أولاده وهم ثلاثة سام وحام ويافث كما قال تعالى : ﴿ **وجعلْنا ذرّيته هم الباقين** ﴾[1] فلم يجعل باقياً إلا ذريته وكما روي ذلك عن النبيّ ﷺ : « أن أولاده ثلاثة »[2] رواه أحمد وغيره ومعلوم أن الثلاثة لا يمكن أن ينطقوا بهذا كله ويمنع[*3] تقدم ذلك عنهم فإن الذين يعرفون هذه اللّغة لا يعرفون هذه وإذا كان الناقل ثلاثة فهم قد علّموا أولادهم ، وأولادهم قد علّموا أولادهم ، ولو كان كذلك لاتصلت ونحن نجد بني الأب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها الأخرى والأب الواحد[*4] لا يقال إنه علّم أحد ابْنَيْه لغة وابنه الآخر لغة فإن الأب قد لا يكون له ابنان . واللغات في أولاده أضعاف ذلك والذي أجرى الله عليه عادة بني آدم أنهم إنما يعلّمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها أو يخاطبهم بها غيرهم فأما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم ، وأيضاً فإنه يوجد بنو آدم يتكلمون بألفاظ ما سمعوها قط من غيرهم والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم في الأسماء التي علّمها الله آدم قولان معروفان عن السلف أحدهماأنه إنما علّمه أسماء من يعقل واحتجوا بقوله : ﴿ **وعرضهم على**[*1] ﴾[1] قالوا وهذا الضمير لا يكون إلاّ لمن يعقل[*2] ولا

---

(١) سورة الصّافّات ، الآية ٧٧ .

(٢) رواه أحمد وغيره والأولاد هم : سام وحام ويافث وصححه العراقي والذهبي .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣١ .

(١*) (دعوى) زيادة في الهندية .

(٢*) (دعوى) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (ويمنع تقدم) في الأصل (ويمتنع نقل) في الهندية .

(٤*) (الواحد) في الأصل (واحد) في الهندية .

(١*) (وعرضهم على) في الأصل (ثم عرضهم على الملائكة) في الهندية .

(٢*) (وما) زيادة في الهندية .

يعقل يقال فيها علمها(*٣) ولهذا قال أبو العالية علّمه أسماء الملائكة لأنه لم يكن حينئذ من يعقل إلاّ الملائكة ولم يكن له ذريّة ولا كان إبليس قد انفصل عن الملائكة(*٤) . ولا كان له ذرية ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم علّمه أسماء ذريته وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي وصحّحه عن النبي ﷺ « أن آدم سأل ربّه أن يريَه صور الأنبياء من ذريّته فرآهم فرأى فيهم من يبض قال يا ربّ من هذا قال ابنك داود »[٢] ، فيكون قد أراه صور ذريته أو بعضهم وأسمائهم وهذه أسماء أعلام الأجناس(*٥) . والثاني أن الله علّمه أسماء كل شيء وهو(*٦) قول الأكثرين كابن عباس وأصحابه . وقال ابن عباس علمه حتى الفسوة والفسية والقصعة والقصيعة ، أراد أسماء الأعراض والأعيان مكبرها ومصغرها ، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن النبيّ ﷺ أنه قال في حديث الشفاعة : « إن الناس يقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلّمك أسماء كلّ شيء »[٣] وأيضاً فقوله : ﴿ **الأسماء كلها** ﴾ لفظ عام مؤكد فلا يجوز تخصيصه بالدعوى وقوله : ﴿ **ثم عرضهم**(*٧) ﴾[٤] لأنه اجتمع من يعقل ومن لا يعقل فغلبه من يعقل كما قال : ﴿ **فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع** ﴾[٥] قال عكرمة علّمه أسماء الأجناس دون أنواعها كقولك إنسان وجن وملك وطائر . وقال مقاتل وابن السائب وابن قتيبة علّمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب والهوام والطير ، ومما يدل على أن هذه اللغات ليست متلقاه عن آدم أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم

---

(٢) في رواية الترمذي (فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيض ما بين عينيه ..) .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وكلّم الله موسى تكليماً** ﴾ ٤٧٧/١٣ ، عن أنس – فتح الباري – الطبعة السلفية .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٣١ .
(٥) سورة النور ، الآية ٤٥ .

(*٣) (علمها) في الأصل (عرضها) في الهندية .
(*٤) (ولم يكن له ذرية ولا كان إبليس قد انفصل عن الملائكة) في الأصل وردت (ولا كان إبليس قد انفصل عن الملائحة ولا كان له ذرية) في الهندية .
(*٥) (الأجناس) في الأصل ، (لأجناس) في الهندية .
(*٦) (وهو) في الأصل ، (وهذا) في الهندية .
(*٧) (ثم عرضهم) في الأصل ، (ثم عرضهم على الملائكة) في الهندية .

أسماء خاصة للأولاد والبيوت والأصوات وغير ذلك مما يضاف على الحيوان بل إنما يستعملون في ذلك الإضافة فلو كان آدم(*1) علّم(*2) الجميع لعلمها متناسبة وأيضاً فإن كل أمة ليس لها كتاب ليس في لغتها أيام الأسبوع وإنما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة لأن ذلك عرف بالحس والعقل . فوضعت له الأمم الأسماء لأن التعبير يبيح(*3) التصور وأما الأسبوع فلم يعرف إلاّ بالسمع لم يعرف أن الله خلق السموات والأرضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش إلا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوماً يعبدون الله فيه ويحفظون(*4) الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم . ففي لغة العرب والعبرانيين ومن تلقّى عنهم أيام الأسبوع بخلاف الترك ونحوهم فإنه ليس في لغتهم أيام الأسبوع لأنهم لم يعرفوا ذلك ، فلم يعبّروا عنه فعلم أن الله ألهم النوع الإنساني أن يعبّر عن ما يتصوره ويريده(*5) بلفظ ، وأن أول من علّم ذلك أبوهم آدم وهم علّموا كما علّم وإن اختلفت اللغات . وقد أوحى الله إلى موسى بالعبرية(*6) وإلى محمد بالعربية والجميع كلام الله وقد بيّن الله بذلك ما أراد من خلقه وأمره وإن كانت هذه اللغة ليست الأخرى من أن العبرية(*7) (1) من أقرب اللغات إلى العربية حتى إنها أقرب إليها من لغة بعض العجم إلى بعض وبالجملة نحن ليس غرضنا إقامة الدليل على عدم ذلك بل يكفينا أن نقول(*8) هذا غير معلوم وجوده بل الإلهام كافٍ في النطق باللغات من غير مواضعه متقدمة وإذا سُمّي هذا توقيفاً فليسم(*9) وحينئذ فمن ادّعى وضعاً

---

(1) وقال ذلك تشابه كثير من الألفاظ مثل حمور بمعنى حمار عبور بمعنى عبر جيشر بمعنى جسر هلخ بمعنى ذهب .. وغير ذلك .

(*1) (عليه السلام) زيادة في الهندية .

(*2) (علم) في الأصل (علمها) في الهندية .

(*3) (يبيح) في الأصل (يتبع) في الهندية .

(*4) (به) زيادة في الهندية .

(*5) (عما يتصوره ويريده) في الأصل (عما يريده ويتصوره) في الهندية .

(*6) (بالعبرية) في الأصل (بالعبرانية) في الهندية .

(*7) (العبرية) في الأصل (العبرانية) في الهندية .

(*8) (أن نقول) في الأصل (أن يقال) في الهندية .

(*9) (توقيفاً) زيادة في الهندية .

متقدماً على استعمال جميع الأجناس فقد قال بما[(١*)] لا علم له به وإنما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال ثم هؤلاء يقولون لتمييز[(٢*)] الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ فإذا دل اللفظ بمجرده فهو حقيقة وإذا لم يدل إلاّ مع القرينة فهو مجاز وهذا أمر متعلق باستعمال اللفظ في المعنى لا بوضع متقدم . ثم يقال ثانياً هذا التقسيم لا حقيقة له ، وليس لمن فرّق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا فعلم أن هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقوله بل تكلم[(٣*)] بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للفعل ذلك أنهم قالوا الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له والمجاز هو المستعمل في غير ما وضع له احتاجوا إلى إثبات ذلك الوضع السابق على الاستعمال وهذا يتعذر ثم هم[(٤*)] يقسمون الحقيقة إلى لغوية وعرفية وأكثرهم يقسمها إلى ثلاثة[(٥*)] لغوية وشرعية وعرفية . فالحقيقة العرفية هي ما صار اللفظ دالاً فيها على المعنى بالعرف لا باللغة وذلك أن المعنى يكون تارة أعمّ من اللغوي وتارة أخص وتارة لا يكون مبايناً له لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها . فالأول مثل[(٦*)] الرقبة والرأس ونحوهما كان يستعمل في العضو المخصوص ثم صار يستعمل في جميع البدن . والثاني مثل لفظ الدابة ونحوها كان يستعمل في كل ما دبّ[(١)] ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات الأربع في عرف بعض الناس في

---

(١) دب : يقال دبّ النمل وغيره من الحيوان على الأرض يدب دبًّا ودبيباً مشى على هنيته ودبّ القوم إلى العدو مشوا على هنيتهم لم يسرعوا . وفي الحديث الشريف (عنده غليم يدبب) أي يدرج في المشي رويداً وكل ماش على الأرض دابة ودبيب ، والدابة اسم لما دب من الحيوان وفي التنزيل : ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على أربع** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾ قيل من دابة : من الإنس والجن . وفي حديث ابن عباس : « أول أشراط الساعة خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها » ، راجع المادة بالتفصيل في لسان العرب ١/٣٧٠ حرف الباء .

(١*) (بما) في الأصل (ما) في الهندية .

(٢*) (لتمييز) في الأصل (تتميز) في الهندية .

(٣*) (تكلم) في الأصل (يتكلم) في الهندية .

(٤*) (هم) غير موجودة في الهندية .

(٥*) (ثلاثة) في الأصل (ثلاث) في الهندية .

(٦*) (لفظ) زيادة في الهندية .

الفرس وفي عرف بعضهم في الحمار والثالث مثل لفظ الغائط والظعينة والراوية[*١] والمزادة . فإن الغائط في اللغة هو المكان المنخفض من الأرض فلما كانوا ينتابون لقضاء حوائجهم ، سمّوا ما يخرج من الإنسان باسم محله والظعينة اسم للدابة ثم سموا المرأة التي تركبها باسمها وتطاير[*٢] ذلك . والمقصود أن هذه الحقيقة العرفية لم تعد حقيقة بجماعة[*٣] تواطأوا على نقلها ولكن تكلم بها بعض الناس وأراد بها[*٤]ذلك المعنى العرفي ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال ، ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة في اللغة التي بها التخاطب ثم هم يعلمون ويقولون إنه قد يغلب الاستعمال على بعض الألفاظ فيصير المعنى العرفي أشهر فيه ولا يدلّ عند الإطلاق إلاّ عليه فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية ، واللفظ مستعمل في هذا الاستعمال الحادث العرفي وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع فعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لا يصح وإن قالوا يعنى بها وضع له لما[*٥] استعملت فيه أولاً فيقال من أي تعلم[*٦] ذلك وأين تعلم أن هذه الألفاظ التي كانت العرب تتخاطب بها عند نزول القرآن وقبله لم تستعمل قبل ذلك في معنى شيء آخر وإذا لم يعلموا هذا النفي فلا يعلم أنها حقيقة وهذا خلال ما اتفقوا عليه . وأيضاً ، فيلزم من هذا أن لا يقطع بشيء من الألفاظ أنه حقيقة وهذا لا يقوله عاقل ثم هؤلاء الذين يقولون هذا نجد ، أحدهم يأتي إلى ألفاظ لم يعلم أنها استعملت إلا مقيدة فينطق بها مجردة عن جميع القيود ثم يدعي أن ذلك هو حقيقتها من غير أن يعلم أنها نطق بها مجردة ولا وضعت مجردة مثل أن يقول حقيقة العين هو العضو المبصر ثم سميت بها عين الشمس والعين النابعة وعين الذهب للمشابهة ، لكن أكثرهم يقولون إن هذا من باب المشترك لا من باب الحقيقة والمجاز فمثل[*٧] بغيره مثل لفظ الرأس يقولون هو حقيقة في رأس الإنسان ثم قالوا رأس الدرب لأوله ، ورأس العين لمنبعها ورأس القوم لسيّدهم ورأس الأمر لأوله ورأس الشهر

(*١) (والراوية) في الأصل (والرواية) في الهندية .

(*٢) (وتطاير ذلك) في الأصل (ونظائر ذلك) في الهندية .

(*٣) (بجماعة) في الأصل يقابلها (لجماعة) في الهندية .

(*٤) (بها) في الأصل (منها) في الهندية .

(*٥) (لما) في الأصل (ما) في الهندية .

(*٦) (تعلم ذلك) غير موجودة في الهندية .

(*٧) (فمثل) في الأصل يقابلها (فيمثل) في الهندية .

ورأس الحوْل وأمثال ذلك على طريق المجاز وهم لا يجدون قط أن لفظ الرأس استعمل مجرداً بل يجدون أنه استعمل بالقيود في رأس الإنسان كقوله تعالى : ﴿ **وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾[1] ونحوه . وهذا القيد يمنع أن يدخل فيه تلك المعاني فإذا قيل رأس العين ورأس الدرب ورأس الناس ورأس الأمر فهذا المقيّد غير ذلك المقيد[*1] ومجموع اللفظ الدال هنا غير مجموع اللفظ الدال هناك ، لكنِ اشتركا في بعض اللفظ كاشتراك كلّ الأسماء المعرفة في لام التعريف . ولو قدّر أن الناطق باللغة نطق بلفظ رأس الإنسان أو لأن الإنسان يتصور رأسه قبل غيره والتعبير أولاً هو عما يتصوره[*2] أولاً ، فالنطق بهذا المضاف أولاً لا يمنع أن ينطق بمضاف[*3] إلى غيره ثانياً ولا يكون هذا من المجاز كما في سائر المضافات ، فإذا قيل ابن آدم أولاً لم يكن قولنا ابن الفرس وابن الحمار مجازاً وكذلك إذا قيل بنت الإنسان لم يكن قولنا بنت الفرس مجازاً وكذلك إذا قيل رأس الإنسان أولاً لم يكن قولنا رأس الفرس مجازاً ، وكذلك في سائر المضافات[*4] قيل يده أو رجله فإذا قيل هو حقيقة في ما أضيف إلى الحيوان قيل ليس جعل هذا هو الحقيقة بأولى من أن نجعل ما أضيف إلى الإنسان[*5] ثم قد يضاف إلى ما لا يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببال عامة الناطقين باللغة فإذا قيل إنه حقيقة في هذا فلماذا لا يكون حقيقة في رأس الجبل والطريق والعين وكذلك سائر ما يضاف إلى الإنسان من أعضائه وأولاده ومساكنه ، يضاف مثله إلى غيره ويضاف ذلك إلى الجمادات فيقال رأس الجبل ورأس العين وخطم الجبل أي أنفه وفم الوادي وبطن الوادي وظهر الجبل وبطن الأرض وظهرها ويستعمل مع الألف وهو لفظ الظاهر والباطن في أمور كثيرة والمعنى في الجميع أن الظاهر لما ظهر فبين[*6] والباطن لما بطن فخفض وسمى ظهر الإنسان ظهراً لظهوره وبطنه[*7] بطناً لبطونه ، فإذا قيل إن هذا حقيقة وذلك

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(*١) (الدال) زيادة في الهندية .

(*٢) (يتصوره) في الأصل ، (يتصور) في الهندية .

(*٣) (بمضاف) في الأصل ، (به مضافاً) في الهندية .

(*٤) (اذا) زيادة في الهندية .

(*٥) (رأس) زيادة في الهندية .

(*٦) (فبين) في الأصل يقابلها (فتبين) في الهندية .

(*٧) (الإنسان) زيادة في الهندية .

مجاز لم يكن هذا أولى من العكس . وأيضاً من الأسماء ما تكلم به أهل اللغة مفرداً كلفظ الإنسان ونحوه ثم قد يستعمل مقيّداً بالإضافة كقولهم إنسان العين وإبرة الذراع ونحو ذلك . وبتقدير أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز فقد ادّعى بعضهم أن هذا(*١) من المجاز وهذا خلط فإن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً وهذا لم يستعمل اللفظ بل ركّب مع لفظ آخر فصار وضعاً آخر بالإضافة فلو استعمل مضافاً في معنى ثم استعمل بتلك الإضافة في غيره كان مجازاً بل إذا كان بعلبك وحضرموت ونحوهما مما ركّب(*٢) تركيب مزج بعد أن كان الأصل فيه الإضافة ، لا يقال إنه مجاز فما لم ينطق به إلاّ مضافاً أولى أن لا يكون مجازاً وأما من فرّق بين الحقيقة والمجاز بأن الحقيقة ما تفيد المعنى مجرداً عن القرائن ، والمجاز ما لا يفيد إلاّ مع القيد(*٣) أو قال الحقيقة هي المعنى الذي يسبق إلى الذهن عند الإطلاق ، والمجاز ما لا يسبق إلى الذهن ، أو يقال(*٤) المجاز ما صح نفيه والحقيقة ما لم يصح نفيها ، فإنه يقال ما يعني بالتجريد عن القرآن(*٥) والاقتران بالقرائن أو ما تعنى(*٦) أن عنى بذلك القرائن(*٧) اللفظية مثل كون الاسم يستعمل مقروناً بالإضافة أو لام التعريف ويفيد بكونه فاعلاً أو مفعولاً ومبتدأً وخبراً فلا يوجد قط في الكلام المؤلف اسم إلا مقيداً وكذلك الفعل إن عنى بتقييده أنه لا بدّ له من فاعل وقد تقيّد بالمفعول به وظرفي الزمان والمكان والمفعول له ومعه والحال فالفعل لا يستعمل قطّ إلا مقيداً .

وأما الحرف فأبلغ فإن الحرف أتي به لمعنى في غيره ، ففي الجملة لا يوجد قط في كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف إلا مقيداً بقيود تزيل عنه الإطلاق فإن كانت القرينة ما تمنع الإطلاق عن كل قيد فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ، ولهذا كان لفظ

---

(١) (هذا) في الأصل ، (هنا) في الهندية .
(٢) (ركب) في الأصل ، (يركب) في الهندية .
(٣) (القيد) في الأصل ، (قرينه) في الهندية .
(ما يفيد اللفظ المطلق والمجاز ما لا يفيد إلا مع التقييد) زيادة في الهندية .
(٤*) (يقال) في الأصل ، (قال) في الهندية .
(٥*) (القرآن) في الأصل ، (القرائن) في الهندية .
(٦*) (أو ما تعنى) غير موجودة في الهندية .
(٧*) (القرآن في الأصل ، (القرائن) في الهندية .

الكلام والكلمة في لغة العرب بل وفي لغة غيرهم لا تستعمل إلا في المقيّد وهو الجملة التامة اسمية كانت أو فعلية أو ندائية إن قيل إنها قسم ثالث . فأما مجرد الاسم أو الفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمّى في كلام العرب قط كلمة وإنما نسميه هذا كلمة اصطلاح نحوي كما سمّوا بعض الألفاظ فعلاً وقسّموه إلى فعل ماضٍ ومضارعٍ وأمر ، والعرب لم تسمّ قط اللفظ فعلاً بل النحاة اصطلحوا على هذا فسمّوا اللّفظ باسم مدلوله فاللّفظ الدال على حدوث فعل في زمنٍ ماضٍ سمّوه فعلاً ماضياً وكذلك سائرها وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنّة بل وفي كلام العرب نظمه ونثره لفظ كلمة فإنما يراد به المفيد التي يسميها النحاة جملة تامة كقوله تعالى : ﴿ **وينذر الذين قالوا اتّخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كَبُرَتْ كلمةٌ تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **وجعل كلمة الذين كفروا السّفلى وكلمة الله هي العليا** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم** ﴾[3] وقوله : ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم**[*1] **يرجعون** ﴾[4] وقوله : ﴿ **وألْزمهم كلمةَ التقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلَها** ﴾[5] . وقول النبي ﷺ : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل »[6] وقوله : « كلمتان خفيفتان على اللّسان ثقيلتان في

---

(١) سورة الكهف ، الآيتان ٤ ، ٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٢٨ .

(٥) سورة الفتح ، الآية ٢٦ .

(٦) القائل لبيد بن ربيعة العامري شاعر فحل من أصحاب المعلّقات وهو من المخضرمين أسلم وحسن إسلامه والحديث في الصحيحين ، وفي معجم المرزباني أن النبي ﷺ قال هذا الحديث على المنبر ، عاش لبيد مائة وثلاثين عاماً وقيل مائة وأربعين عاماً والبيت بتمامه هكذا :

ألا كلّ شيء ما خلال الله باطل وكل نعيم لا محالةَ زائـلُ

راجع : الإصابة ٣٢٦/٣ ـ الشعر والشعراء ٢٧٤/١ ـ الأغاني ٤٥١/١٥ .

وقد روى هذا الحديث الإمام البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية ١٤٨/٧ عن أبي هريرة ، فتح الباري ، الطبعة السلفية ، ومسلم في كتاب الشعر ١٧٦٨/٤ عن أبي هريرة .

(١*) (لعلهم يرجعون) غير موجودة في الهندية .

الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[1] . وقوله : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة »[2] وقوله : « لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن[1*] بما قلته إلى يوم القيامة[2*] منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله مداد كلماته »[3] . وإذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام فإنه مقيد لا مطلق لم يجز أن يقال للفظ الحقيقة ما دل مع الإطلاق والتجرد عن كل قرينة مقارنة[4*] ، فإن قيل أريد بعض القرائن دون بعض قيل له أذكر الفصل بين القرينة التي تكون معها حقيقة والقرينة التي تكون معها مجازاً ولن يجد إلى ذلك سبيلاً يقدر به على تقسيم صحيح معقول ، ومما يدلّ على ذلك أن الناس اختلفوا في العام إذا خصّ هل يكون استعماله فيما بقي حقيقة أو مجازاً وكذلك لفظ الأمر إذا أريد به الندب هل يكون حقيقة أو مجازاً . وفي ذلك قولان لأكثر الطوائف لأصحاب أحمد قولان وأصحاب الشافعي قولان وأصحاب مالك قولان ، ومن الناس من ظن أن هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل كالصفة والشرط والغاية والبدل وجعل يحكي[5*] أقوال من يفصل كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين في أصول

---

(١) رواه الشيخان : البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ ٥٣٧/١٣ ، عن أبي هريرة فتح الباري ، مسلم في كتاب الذكر باب فضل التسبيح والتهليل ٢٠٧٢/٤ عن أبي هريرة .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب حفظ اللسان ٣٠٨/١١ ، عن أبي هريرة ، فتح الباري .

(٣) روي هذا الحديث في صحيح الإمام مسلم في كتاب الذكر باب التسبيح أول النهار وعند النوم ٢٠٩٠/٤ ، عن ابن عباس .

(١*) (وزن) في الأصل ، (وزنت) في الهندية .

(٢*) (إلى يوم القيامة) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (رضى) في الأصل ، (رضاء) في الهندية .

(٤*) (مقارنة) في الأصل ، (تقارنه) في الهندية .

(٥*) (في ذلك) زيادة في الهندية .

الفقه ، وهذا مما لم يعرف أن أحداً قاله فجعل اللفظ العام المقيد بالصفات[*1] والغايات والشروط مجازاً بل لما أطلق بعض المصنفين أن اللفظ العام إذا خص يصير مجازاً ظن هذا الناقل أن عنى التخصيص المتصل وأولئك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص إلا إذا خص بمنفصل وأما المتصل فلا يسمون اللفظ عاماً مخصوصاً البتّة[*2] فإنه لم يدل إلا متصلاً والاتصال منعه العموم وهذا اصطلاح كثير من الأصوليين وهو الصواب لا يقال لما قيد بالشرط والفة ونحوهما أنه داخل فيما خص من العموم ، ولا في العام المخصوص لكن يقيد فيقال تخصيص متصل وهذا المقيد لا يدخل في التخصيص المطلق وبالجملة ، فيقال إذا كان هذا مجازاً فيكون تقييد الفعل المطلق بالمفعول به وبظرف الزمان والمكان مجازاً . وكذلك بالحال ، وكذلك كل ما قيّد بقيد فيلزم أن يكون الكلام كله مجازاً فأين الحقيقة ؟ فإن قيل يفرق بين القرائن المتصلة والمنفصلة فما كان مع القرينة المتصلة ، فهو حقيقة وما كان مع المنفصلة كان مجازاً ، قيل يعني بالمتصل ما كان في اللفظ أو ما كان موجوداً حين الخطاب فإن عنيت الأول لزم أن يكون ما علم من حال المتكلم أو المستمع أولاً قرينة منفصلة فما استعمل بلام التعريف لما يعرفان كما يقول قال النبي[*3] وهو عند المسلمين رسول الله أو قال الصديق وهو عندهم أبو بكر وإذا قال الرجل لصاحبه اذهب إلى الأمير أو القاضي أو الوالي يريد ما يعرفانه أن يكون مجازاً وكذلك الضمير يعود إلى معلوم وغير مذكور كقوله : ﴿ **إنّا أنزلناه** ﴾[1] وقوله : ﴿ **حتّى تَوارَتْ بالحِجَاب** ﴾[2] وأمثال ذلك أن يكون هذا مجازاً وهذا لا يقوله أحد أيضاً فإذا قال لشجاع هذا الأسد فعل اليوم[*4] كذا ، ولبليد هذا الحمار قال اليوم كذا أو لعالم أو جواد هذا البحر جرى منه اليوم كذا أن يكون حقيقة لأن قوله هذا قرينة لفظية فلا تبقى قط مجازاً وإن قال المتصل أعمّ من ذلك وهو ما كان موجوداً حين الخطاب قيل له فهذا أشدّ عليك من الأول . فإن كل متكلم بالمجاز لابدّ أن يقترن به حال

---

(١) سورة القدر ، الآية ١ .

(٢) سورة ص ، الآية ٣٢ .

(١*) (بالصفات) في الأصل ، (في الصفات) في الهندية .

(٢*) (البتة) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .

(٤*) (اليوم) غير موجودة في الهندية .

الخطاب ما يبيّن مراده وإلا لم يجز التكلم به . فإن قيل أنا أجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقت الحاجة قيل أكثر الناس لا يجوزون أن يتكلم بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى إلا إذا بيّن وإنما يجوزون تأخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه كالمجملات ، ثم يقول إذا جوّزت تأخير البيان فالبيان قد يحصل بجملة تامة وبأفعال من الرسول وبغير ذلك ، ولا يكون البيان المتأخر إلاّ مستقلاً بنفسه لا يكون مما يجب إقرانه(*1) بغيره ، فإن جعلت هذا مجازاً لزم أن يكون ما يحتاج في العمل به(*2) إلى بيان مجازاً كقوله : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾(1) ثم قال(*3) : هب أن هذا جائز عقلاً لكن ليس واقعاً في الشريعة أصلاً وجميع ما يذكر من ذلك باطل كما قد بسط في موضعه فإن الذين قالوا الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يوفي بيان احتجوا بقوله : ﴿ **إنّ الله يأمركم أن تذبحُوا بقرة** ﴾(2) وادّعوا أنها كانت معينة وأخر بيان التعيين وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أنهم أُمروا ببقرة مطلقة ، فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها أجزأ عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والآية نكرة في سياق الإثبات فهي مطلقة . والقرآن يدل سياقه على أن الله دلهم على السؤال بما هي ولو كان المأمور به معيّناً لما كانوا ملومين ثم إن مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله أن يأمر عباده بشيء معين ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداءاً واحتجوا بأن الله أخّر بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج وأن هذه ألفاظ(*4) لها معانٍ في اللغة بخلاف الشرع وهذا غلط ، فإن الله إنما أمرهم بالصلاة بعد أن عرفوا ما(*5) المأمور به وكذلك الصيام والحج ولم يؤخر

---

(1) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

(2) سورة البقرة ، الآية ٦٧ .

(*1) (اقرانه) في الأصل (اقترانه) في الهندية .

(*2) (به) غير موجودة في الهندية .

(*3) (قال) في الأصل يقابلها (يقال) في الهندية .

(*4) (ألفاظ) في الأصل يقابلها (الألفاظ) في الهندية .

(*5) (ما) غير موجودة في الهندية .

الله قط بيان شيء من هذه المؤمورات ، ولبسط هذه المسألة موضع آخر ، وأما قول من يقول إن الحقيقة ما يسبق إلى الذهن عند الإطلاق فمن أفسد الأقوال فإنه يقال(١*) إذا كان اللفظ لم ينطق به إلا مقيّداً فإنه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع ، وأما إذا أطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقاً قط فلم تبق له حال إطلاق محض حتى يقال إن الذهن يسبق إليه أم لا وأيضاً فأيّ ذهن فإن العربي الذي يفهم كلام العرب يسبق إلى ذهنه من اللّفظ ما لا يسبق إلى ذهن(٢*) النبطي الذي صار يستعمل الألفاظ في غير معانيها ، ومن هنا غلط كثير من الناس فإنهم قد تعودوا ما اعتادوه إما من خطاب عامتهم وإما من خطاب علمائهم باستعمال اللفظ في معنى ، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ظنّوا أنه مستعمل في ذلك المعنى فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية[1] وعادتهم الحادثة وهذا مما دخل به الغلط على طوائف بل الواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به(٣*) القرآن والسنّة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك وأيضاً فقد بيّنا في غير هذا الموضع أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث إلا بيّن معناه للمخاطبين ولم يحوجهم إلى شيء آخر كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع فقد تبيّن أن ما يدعيه هؤلاء من اللفظ المطلق من جميع القيود لا يوجد إلا مقدراً في اللسان لا موجوداً في الكلام المستعمل كما أن ما يدعيه المنطقيون

---

(١) اللغة النبطية : تنسب اللغة النبطية إلى النبط أو النبيط وهم قوم ينزلون السواد وفي كتاب المحكم ينزلون سواد العراق ، وقد سمّي النبط نبطاً أو نبيطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين ، وفي حديث عمر رضي الله عنه تمعددوا ولا تستنبطوا أي تشبهوا بمعد ولا تتشبهوا بالنبط . وفي حديث لابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ربا قيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام ولد بها وكان النبط سكانها . راجع المادة في لسان العرب ٧/٤١٢ حرف الطاء .

(١*) (فانه يقال) في الأصل ، (فانه لا يقال) في الهندية .

(٢*) (ذلك) زيادة في الهندية .

(٣*) (به) في الأصل ، (في) في الهندية .

من المعنى المطلق من جميع القيود ولا يوجد إلا مقدراً في الذهن لا يوجد في الخارج شيء موجود خارج(*١) كل قيد . ولهذا ، كان ما يدعونه من تقسيم العلم إلى تصور وتصديق وأن التصور هو تصور المعنى الساذج الخالي عن كل قيد لا يوجد وكذلك ما يدعونه من البسائط التي تركب(*٢) منها الأنواع وأنها أمور مطلقة عن كل قيد لا يوجد وما يدعونه من وجود(*٣) واجب هو وجود مطلق عن كل أمر ثبوتي لا يوجد . فهذه(*٤) المطلقات عن جميع القيود ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه العلوم فإنه بسبب ظن وجودها ضل طوائف في العقليات والسمعيات ، بل إذا قال العلماء مطلق ومقيّد إنما يعنون به مطلق عن ذلك القيد ومقيّد بذلك القيد كما يقولون الرقبة مطلق في آية كفارة اليمين ومقيدة في آية القتل أي مطلقة عن قيد الإيمان وإلا فقد قيل ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾(١) فقيّدت بأنها رقبة واحدة وأنها موجودة وأنها تقبل التحرير والذين يقولون بالمطلق المحض يقولون هو الذي لا يتصف بوحدة ولا كثرة ولا وجود ولا عدم ولا غير ذلك بل هو الحقيقة من حيث هي هي كما يذكره الرازي تلقياً له عن ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة . وقد بسطنا الكلام في هذا الإطلاق والتقييد والكليات والجزئيات في مواضع غير هذا وبيّنّا من غلط هؤلاء في ذلك ما ليس هذا موضعه وإنما المقصود هنا الإطلاق اللفظي وهو أن يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل قيد وهذا لا وجود له ، وحينئذ فلا يتكلم أحد إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض فتكون تلك القيود(*٥) تمنعه(*٦) الإطلاق فتبين أنه ليس لمن فرّق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن به التمييز بين نوعين فعلم أن هذا التقسيم باطل وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله وسنّة رسوله فإنه مقيّد بما يبين معناه فليس

(١) سورة النساء ، الآية ٩٢ .

(*١) (عن) زيادة في الهندية .
(*٢) (تركب) في الأصل ، (تتركب) في الهندية .
(*٣) (وجود) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (الصفات) زيادة في الهندية .
(*٥) (القيود) في الأصل ، (قيود) في الهندية .
(*٦) (تمنعه) في الأصل ، (ممتنعة) في الهندية .

في شيء من ذلك مجاز بل كله حقيقة ، ولهذا لما ادّعى كثير من المتأخرين أن في القرآن مجازاً وذكروا ما يشهد لهم رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه فمن أشهر ما ذكروه قوله تعالى : ﴿ **جداراً يريد أن ينقضَّ** ﴾[1] قالوا الجدار ليس بحيوان والإرادة إنما تكون للحيوان فاستعمالها في ميل الجدار مجاز . فقيل لهم لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحي ، وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجماد وهو من مشهور اللّغة يقال هذا السقف يريد أن يقع ، وهذه الأرض تريد أن تحرث ، وهذا الزرع يريد أن يسقى ، وهذا الثمر يريد أن يقطف ، وهذا الثوب يريد أن يغسل ، وأمثال ذلك . واللفظ إذا استعمل في معنيين فصاعداً فإما أن يجعل حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر أو حقيقة فيما يختص به كل منهما فيكون مشتركاً اشتراكاً لفظياً أو حقيقة في القدر المشترك بينهما وهي الأسماء المتواطئة وهي الأسماء العامة كلها وعلى الأول يلزم المجاز وعلى الثاني يلزم الاشتراك وكلاهما خلاف الأصل فوجب أن يجعل من المتواطئة ، وبهذا يعرف عموم الأسماء العامة كلها ، وإلا فلو قال قائل هو في ميل الجماد حقيقة وفي ميل الحيوان مجاز لم يكن بين الدعويين فرق إلا كثرة الاستعمال في ميل الحيوان ولكن يستعمل مقيّداً بما يبين أنه أريد ميل الحيوان وهذا استعمل مقيداً بما يبين أنه أريد ميل الحيوان وهنا استعمل مقيداً بما يبين أنه أريد ميل الجماد والقدر المشترك بين مسمّيات الأسماء المتواطئة أمر كلي عام لا يوجد كليّاً عامّاً إلا في الذهن وهو مورد التقسيم بين الأنواع ، لكن ذلك المعنى العام الكلّي كان أهل اللغة لا يحتاجون إلى التعبير عنه لأنهم إنما يحتاجون إلى ما يوجد في الخارج وإلى ما يوجد في القلوب في العادة وما لا يكون في الخارج إلا مضافاً إلى غيره لا يوجد في الذهن مجرداً ، بخلاف لفظ الإنسان والفرس فإنه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف تعودت الأذهان تصور مسمّى الإنسان ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمّى الإرادة ، ومسمّى العلم ومسمّى القدرة ومسمّى الوجود المطلق العام ، فإن هذا لا يوجد له في اللغة لفظ مطلق يدل عليه بل لا يوجد لفظ الإرادة إلا مقيّداً بالمريد ولا لفظ العلم إلا مقيّداً بالعالم ، ولا لفظ القدرة إلا مقيّداً بالقادر[*1] وهكذا سائر الأعراض ما[*2] لم توجد

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٧٧ .

(١) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ٢١ .

إلا في محالها مقيّدة بها لم يكن لها في اللغة لفظ إلا كذلك فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض والطول والقصر إلا مقيّداً بالأسود والأبيض والطويل والقصير ونحو ذلك ، لا مجرداً عن كل قيد وإنما يوجد مجرداً في كلام المصنفين في اللغة لأنهم فهموا من كلام أهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك ومنه قوله تعالى : ﴿ **فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف** ﴾[1] فإن من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس مما يلبس على البدن ، وإنما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل : لفظ[*4] الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال الله[*5] تعالى : ﴿ **ولَنُذِيقَنَّهُم من العذابِ الأدنى دون العـذابِ الأكبر** ﴾[2] وقال : ﴿ **ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم** ﴾[3] . ﴿ **فَذُوقُوا عذابِي وَنُذُر** ﴾[6] ، ﴿ **لا يَذُوقُون فيها الموتَ إلاّ الموتَةَ الأولى** ﴾[7] ، ﴿ **لا يَذُوقُون فِيها برداً ولا شَرَاباً إلاّ حَمِيماً وغَسَّاقاً** ﴾[8] .

وقال النبي ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً »[9] ، وفي بعض الأدعية : « أذِقْنَا بردَ عفوك وحلاوةَ مَغْفِرَتِك » ، فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه ولذّته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذلك مقيّد .

---

(٣) سورة الدخان ، الآية ٤٩ .

(٤) سورة الطلاق ، الآية ٩ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٠٦ .

(٦) سورة القمر ، الآية ٣٩ .

(٧) سورة الدخان ، الآية ٥٦ .

(٨) سورة النبأ ، الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

(٩) رواه الإمام مسلم .

(١*) (بل) زيادة في الهندية .

(٢*) (ما) في الأصل (لما) في الهندية .

(٣*) (مما) في الأصل ، (بما) في الهندية .

(٤*) (لفظ) غير موجودة في الهندية .

(٥*) كلمة (الله) غير موجودة في الهندية .

فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم ، وإذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الإنسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه ، فالثوب[*١] إذا كان بارداً أو حاراً يقال ذقت حره وبرده ، وأما لفظ اللباس فهو مستعمل في كل ما يغشى الإنسان فيلتبس به قال تعالى : ﴿ **وجعلْنا اللّيلَ لَباساً** ﴾[١] وقال : ﴿ **ولِباسُ التّقوى ذلك خيرٌ** ﴾[٢] وقال : ﴿ **هنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لباسٌ لهنّ** ﴾[٣] ، ومنه يقال لبس الحق بالباطل إذا خلط به حتى غشاه فلم يتميز بالجوع الذي يشمل ألمه جميع الجائع : نفسه وبدنه وكذلك الخوف الذي يلبس البدن لو قيل (فأذاقها الله الجوع والخوف لم يدل ذلك على أنه شامل لجميع أجزاء الجائع بخلاف ما إذا قيل لباس الجوع والخوف) ولو قال فألبسهم لم يكن فيه ما يدل على أنهم ذاقوا ما يؤلمهم إلا بالعقل ، ومن حيث إنه يعرف أن الجائع الخائف يألم بخلاف لفظ دون[*٢] الجوع والخوف ، فإن هذا اللفظ يدل على الإحساس بالمؤلم وإذا أضيف إلى الملذ دل على الإحساس به كقوله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد[*٣] نبيًّا »[٤] فإن قيل فلم لم يوصف[*٤] نعيم الجنة بالذوق ؟ قيل لأن الذوق يدل على جنس الإحساس . ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وإن لم يأكله ، وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق في النفي كما قال عن أهل النار : ﴿ **لا يذُوقون فيها برداً ولا شراباً** ﴾[٥] أي لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة : ﴿ **لا يذُوقون فيها الموتَ إلاّ المَوْتَةَ الأولى** ﴾[٦] وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن لفظ[*٥] المكر والاستهزاء والسخرية المضاف

---

(١) سورة النبأ ، الآية ١٠ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .
(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب من رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً ٦٢/١ ، عن ابن عباس .
(٥) سورة النبأ ، الآية ٢٤ .
(٦) سورة الدخان ، الآية ٤٦ .

(*١) (فالثواب) في الأصل ، (فالشراب) في الهندية .
(*٢) (دون) في الأصل يقابلها (ذوق) في الهندية .
(*٣) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .
(*٤) (يوصف) في الأصل يقابلها (يصف) في الهندية .
(*٥) (لفظ) في الأصل يقابلها (كلفظ) في الهندية .

إلى الله تعالى[*1] وزعموا أنه مسمًّى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك بل مسمّيات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً له وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجنى[*2] من عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً كما قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ** ﴾[1] فكاد له[*3] إخوتُه كما قال له أبوه : ﴿ **لا تَقْصُصْ رؤياكَ على إخوتك فَيَكِيدُوا لك كَيْداً** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **إنهم يَكِيدُون كَيْداً وَأَكيدُ كَيْداً** ﴾[3] وقال[*4] : ﴿ **ومكروا مَكْراً ومكَرْنَا مكراً وهُم لا يَشْعُرُون فانظر كيف كان عَاقَبَةُ مَكْرِهِمْ** ﴾[4] . وقال : ﴿ **الذين يلمِزون المطّوّعين من المؤمنين في الصّدقاتِ والذين لا يجِدُون إلا جَهدَهم فَيَسْخَرُون منهم سَخِر الله منهم وَلَهُم[*5] عذابٌ أليمٌ** ﴾[5] ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس : أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق فيضحك منهم المؤمنون ، قال تعالى : ﴿ **فاليومَ الذين آمَنُوا من الكفّارِ يضْحكُون على الأرائِكِ ينظرون هل ثُوِّبَ الكفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُون** ﴾[6] وعن الحسن البصري : إذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر[*6] فيمشون فيخسِف بهم . وعن مقاتل : إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين[*7] بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قَبْلِه العذاب فيبقون في الظلمة فيقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً .

---

(1) سورة يوسف ، الآية ٧٦ .
(2) سورة يوسف ، الآية ٥ .
(3) سورة الطارق ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(4) سورة النمل ، الآيتان ٥٠، ٥١ .
(5) سورة التوبة ، الآية ٧٩ .
(6) سورة المطفّفين ، الآيات ٣٤، ٣٥، ٣٦ .

(*1) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*2) (عليه من) زيادة في الهندية .
(*3) (كادت) زيادة في الهندية .
(*4) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*5) (ولهم عذاب أليم) غير موجودة في الهندية .
(*6) (من القدر) غير موجودة في الهندية .
(*7) (وبين المؤمنين) غير موجودة في الهندية .

وقال بعضهم استهزاؤه : استدراجه لهم ، وقيل إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم . وقيل : إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن لهم(*١) في الآخرة وقيل هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة ومن الأمثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن قوله(*٢) : ﴿ **واسْأَلِ القرية** ﴾(١) قالوا المراد به أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فقيل لهم لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحل وكلاهما داخل في الاسم(*٣) قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية . قال الله تعالى : ﴿ **ضربَ الله مثلاً قريةً كانتْ آمِنةً مطمئنةً** ﴾(٢) وقوله : ﴿ **وَكَمْ من قريةٍ أهلكْنَاهَا فجاءها بأسُنَا بَيَاتاً أوْ هُم قائلُون فما كان دَعْواهُم إذ جاءَهُمْ بأسُنا إلاّ أن قالُوا إنّا كنّا ظالِمين** ﴾(٣) وقال في آية أخرى : ﴿ **أفَأَمِنَ أهلُ القرى أنْ يَأْتِيهم بأسُنا بياتاً وهم نائمُون** ﴾(٤) فجعل القرى هم المساكن(*٤) وقال : ﴿ **وَكَأَيِّنْ من قريةً أشدُّ قوةً من قريتِكَ التي أخرجَتْكَ أهلكْنَاهُم فلا نَاصِرَ لَهُم** ﴾(٥) وهم السكان وكذلك قوله(*٥) : ﴿ **وتلكَ القُرى أهلكْنَاهُم لما ظَلَمُوا وجعَلْنا لمَهْلِكِهِمْ مَوعِداً** ﴾(٦)وقال تعالى : ﴿ **أوْ كالّذي مرّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُروشِهَا** ﴾(٧) فهذا المكان لا السكان لكن لا بدّ أن يلحظ أنه كان مسكوناً فلا يسمي قرية إلا إذا كان قد عمّر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قربت الماء في الحوض إذا جمعته

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١١٢ .
(٣) سورة الأعراف ، الآيتان ٤ ، ٥ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ٩٧ .
(٥) سورة محمد ، الآية ١٣ .
(٦) سورة الكهف ، الآية ٥٩ .
(٧) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

(*١) (لهم) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (قوله) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (ثم) زيادة في الهندية .
(*٤) (المساكن) في الأصل ، (السكان) في الهندية .
(*٥) (تعالى) زيادة في الهندية .

فيه ونظير ذلك لفظ الإنسان يتناول الجسد والروح ثم الأحكام تتناول هذه تارة وهذا تارة لتلازمها فكذلك القرية إذا عذّب أهلها خربت وإذا خربت كان عذاباً لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله : ﴿ **واسْأَلِ القرْيَة** ﴾[1] مثل قوله : ﴿ **قريةً كانت آمِنَةً مطمئِنَّةً** ﴾[2] فاللفظ هنا يراد به السكان من غير إضمار ولا حذف فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز فلا مجاز في القرآن بل وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السّلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظيّاً بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ، ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق بين أنها فروق باطلة وكلما ذكر بعضهم فرقاً أبطله الثاني ، كما يدعي المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات تنقسم اللاّزمة لها إلى داخل في ماهيتها الثانية في الخارج وإلى خارج عنها لازم للماهية ولازم خارج للمجود ، وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة لأن هذا التقسيم باطل لا حقيقة له بل ما يجعلونه داخلاً يمكن جعله خارجاً وبالعكس كما قد بسط في موضعه . وقولهم اللّفظ إن دلّ بلا قرينة فهو حقيقة وإن لم يدل إلا معها فهو مجاز قد تبين بطلانه وأنه ليس في الألفاظ الدالّة ما يدل مجرداً عن جميع القرائن ولا فيها ما يحتاج إلى جميع القرائن ، وأشهر أمثلة المجاز[1*] الأسد والحمار والبحر ونحو ذلك مما يقولون إنه استعير للشجاع والبليد والجواد وهذه لا تستعمل إلا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية ، كما تستعمل الحقيقة كقول أبي بكر الصديق عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القتيل (لا ها الله إذاً نعمد إلى أسد من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله[2*])[3] وصف له بالقوة بالجهاد

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١١٢ .
(٣) قول مأثور لأبي بكر الصديق .

(١*) (لفظ) زيادة في الهندية .
(٢*) (فنعطيك سلبه فقوله نعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله) زيادة في الهندية .

في سبيله . وقد عيّنه تعييناً أزال اللّبس وكذلك قول النبيّ ﷺ « إن خالداً سيفٌ[*1] سلّه الله على المشركين »[1] ، وأمثال ذلك . وإن قال القائل القرائن اللفظية موضوعة ودلالتها على المعنى حقيقة لكن القرائن الحالية مجاز قيل اللفظ لا يستعمل قط إلا مقيداً بقيود لفظية موضوعة والحال حال المتكلم والمستمع لا بدّ من اعتباره في جميع الكلام فإنه إذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه ما لا يفهم إذا لم يعرف لأنه بذلك يعرف عادته في خطابه واللفظ إنما يدل على[*2] إذا عرف لغة المتكلم التي بها يتكلم وهي عادته وعرفه التي[*3] يعتادها في خطابه . ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية ، فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى فإذا اعتاد أن يعبر اللفظ[*4] عن المعنى كانت تلك لغته ، ولهذا كل من كان له عناية بألفاظ الرسول ومراده بها عرف عادته في خطابه وتبين له من مراده ما لا يتبين لغيره . ولهذا ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله فتعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنّة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره وكانت النظائر كثيرة عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة لا يختص بها هو صلّى الله عليه وسلم بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس وقد لا يعرفون انتفاء ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللغة . وإن جاز في الاستعمال فإنه لا يجوز في الاستدلال فإنه قد يجوز للإنسان أن يستعمل هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع ، لكن لا يجوز أن يعمد إلى ألفاظ قد عرف استعمالها في معانٍ فيحملها

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة بتصرف حيث قال : (نعم عبد الله هذا سيف من سيوف الله) وفي رواية : (نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار) ، الإصابة ٤١٣/١ ـ رقم الترجمة ٢٢٠١ ، ورواه الإمام البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب خالد بن الوليد ١٠٠/٧ عن أنس . ورواه الإمام أحمد في المسند ٨/١ عن أبي بكر الصديق .

(*١) (من سيوف الله) زيادة في الهندية .

(*٢) (على) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (التي) في الأصل (الذي) في الهندية .

(*٤) (اللفظ) في الأصل (باللفظ) في الهندية .

على غير تلك المعاني ويقول إنهم أرادوا تلك بالقياس على تلك بل هذا تبديل وتحريف فإذا قال (الجار أحق بسقبه)[1] فالجار هو الجار ليس هو الشريك فإن هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما يقتضي أن يستحق الشفعة لكن يدل على أن البيع له أوْلى ، وأما الخمر فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة أنها كانت اسماً لكل مسكر لم يسم النبيذ خمراً بالقياس وكذلك النباش كانوا يسمونه سارقاً كما قالت عائشة : سارق موتانا كسارق أحيائنا ، واللائط كان عندهم[*1] أغلظ من الزاني بالمرأة ولابدّ في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه . فمعرفة العربية التي بها[*2] خوطبنا مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة[*3] وهذه مجازاً كما أصاب[*4] المرجئة في اسم الإيمان جعلوا لفظ الإيمان حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للأعمال مجازاً فيقال إن لم يصح التقسيم إلى حقيقة ومجاز فلا حاجة إلى هذا وإن صحّ فهذا لا ينفعكم بل هو عليكم لا لكم لأن الحقيقة هي اللفظ الذي يدل بإطلاقه بلا قرينة ، والمجاز إنما يدل بالقرينة ، وقد تبين أن لفظ الإيمان حيث أطلق في الكتاب والسنّة دخلت فيه الأعمال . وإنما يدعى خروجها منه عند التقييد وهذا يدل على أن الحقيقة قوله : « الإيمان بضع وسبعون شعبة »[2] وأما حديث حبريل فإن كان أراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام فهو كذلك وهذا[*5] الذي أراده النبيّ ﷺ قطعاً كما أنه لما ذكر الإحسان أراد الإحسان مع الإيمان

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب الشفعة باب عرض الشفعة على صاحبها إلى ٤٣٧/٤ عن أبي رافع ـ فتح الباري السلفية .

(٢) حديث صحيح مر كثيراً وذكر راويه .

(*١) (كان عندهم) في الأصل ، (عندهم كان) في الهندية .

(*٢) (بها) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (حقيقية) في الأصل ، (حقيقة) في الهندية .

(*٤) (أصاب) في الأصل ، (أخطأ) في الهندية .

(*٥) (المعنى) زيادة في الهندية .

والإسلام لم يرد أن الإحسان مجرد عن إيمان وإسلام ولو قدر أنه أريد للفظ الإيمان مجرد التصديق فلم يقع ذلك إلا مع قرينه فيلزم أن يكون مجازاً وهذا معلوم بالضرورة لا مكننا المنازعة فيه بعد تدبّر القرآن والحديث بخلاف كون لفظ الإيمان في اللغة مرادفاً للتصديق ، ودعوى أن الشارع لم يغيّره و لم ينقله بل أراد به ما كان يريده أهل اللّغة بلا تخصيص ولا تقييد فإن هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما فلا يعارض اليقين بأمر محتمل[*١] وكيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين وأنها من أفسد الكلام وأيضاً فليس لفظ الإيمان في دلالته على الأعمال المأمور بها بدون لفظ الصلاة والزكاة والصيام والحج[*٢] في دلالته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي سواء قيل إن الشارع نقله أم أراد الحكم دون الاسم أو أراد الاسم وتصرّف فيه تصرّف أهل العرف أو خاطب بالاسم مقيداً لا مطلقاً فإن قيل الصلاة والحج ونحوهما لو ترك بعضهما بطلت بخلاف الإيمان فإنه لا يبطل عند أصحابه وأهل السنّة والجماعة لمجرد الذنب قيل إن أريد[*٣] بالبطلان أنه لا تبرأ الذمّة منها كلها فكذلك الإيمان الواجب إذا ترك منه شيئاً لم تبرأ الذمّة منه كله وإن أريد به وجوب الإعادة فهذا ليس على الإطلاق فإنّ في الحج واجبات إذا تركها لم يعد ، بل تجبر بدم وكذلك في الصلاة عند أكثر العلماء إذا تركها سهواً أو مطلقاً وحيث[*٤] وجبت الإعادة فإنما تجب إذا أمكنت الإعادة وإلا فما تعذرت إعادته يبقى مطالباً به كالجمعة ونحوها ، وإن أريد بذلك أنه لا يثاب على ما فعله فليس كذلك بل قد بيّن النبي ﷺ في حديث المسيء في صلاته أنه إذا لم يتمّها يثاب على ما فعل و لا يكون بمنزلة من لم يصلّ . وفي عدة أحاديث أن الفرائض تكمّل يوم القيامة من النوافل فإذا كانت الفرائض مجبورة بثواب النوافل دل على أنه يقيد له بما فعل منها فكذلك الإيمان فإنه[*٥] إذا ترك منه شيئاً كان عليه فعله إن كان محرماً تاب منه وإن كان واجباً فعله فإذا لم يفعله لم تبرأ ذمته منه وأثيب على[*٦] فعله كسائر العبادات وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان .

(١*) (بأمر محتمل) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (الصلاة والزكاة والصيام والحج) في الأصل ، (الصلاة والصيام والزكاة والحج) في الهندية .

(٣*) (أريد) في الأصل ، (أراد) في الهندية .

(٤*) (وحيث) غير موجودة في الهندية .

(٥*) (فإنه) غير موجودة في الهندية .

(٦*) (ما) زيادة في الهندية .

وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنّة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأوّلوه بفهمهم للّغة[*1] وهذه طريقة أهل البدع ، ولهذا كان الإمام أحمد[*2] أكثر ما يخطىء من جهة التأويل والقياس ولهذا تجد المرجئة والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة ولهذا تجد هؤلاء[*3] يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، فلا يعتمدون على السنّة ولا على إجماع السلف وآثارهم وإنما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والأحاديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم . وهذه طريقة الملاحدة أيضاً إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة[*4] والأدب واللغة ، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها ، هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عندهم لا تفيد العلم وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي صلى الله[*5] وأصحابه وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع وإذا تدبرت حججهم وجدت دعاوى لا يقوم عليها دليل والقاضي أبو بكر بن[*6] الباقلاني[1] نصر قول جهم في مسألة الإيمان متابعة لأبي الحسن الأشعري ، وكذلك أكثر أصحابه . فأما أبو العباس القلانسي وأبو علي الثقفي وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ القاضي أبي بكر وصاحب أبي الحسن فإنهم نصروا مذهب السلف وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول جميعاً موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد ابن أبي سليمان ومن اتّبعه مثل أبي حنيفة وغيره .

---

(١) القاضي أبو بكر الباقلاني : هو الحسن بن معالي شيخ العربية في وقته كان بارعاً في سائر العلوم ، سمع الحديث من ابن كليب وانتهت إليه الرئاسة في النحو والتوحيد ، مات سنة ٥٦٨ هـ ، راجع بغية الوعاة ٢٥٥/١ .

(١*) (للغة) في الأصل ، (اللغة) في الهندية .

(٢*) (يقول) زيادة في الهندية .

(٣*) (تجد هؤلاء) في الأصل ، (تجدهم لا) في الهندية .

(٤*) (وكتب) زيادة في الهندية .

(٥*) (عليه وسلم) زيادة في الهندية .

(٦*) (ابن) غير موجودة في الهندية .

فصـــــل :

أبو الحسن الأشعري ينصر قول جهم في الإيمان

وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع أنه نصر المشهور عن أهل السنّة من أنه يستثنى في الإيمان فيقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى[١] لأنه نصر مذهب أهل السنّة في أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة ولا يخلدون في النار وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك ، وهو دائماً ينصر في المسائل الذي[٢] استمر[٣] فيه النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث ولكن لم يكن خبيراً بمآخذهم فينصره على ما يراه هو من الأصول التي تلقّاها عن غيرهم فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء كما فعل في مسألة الإيمان ونصر فيه[٤] قول جهم . مع نصره للاستثناء ، ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء كما سنذكر فأخذه في ذلك واتّبعه أكثر الصحابة[٥] على نصر قول جهم في ذلك ومن لم يقف إلا على كتب الكلام ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنّة في هذا الباب فيظن إنما ذكره[٦] هو قول أهل السنة وهو قول لم يفعله أحد من أئمة السنة بل قد كفّر وكيع وأحمد ابن حنبل وغيرهما[٧] من كان يقول بقول جهم في الإيمان الذي نصره أبو الحسن وهو عندهم شر من قول المرجئة ، ولهذا صار من يعظّم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم ويطعن في كثير ممن ينتسب إليه يقولون الشافعي لم يكن فيلسوفاً ولا مرجئاً وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة وغرضهم ذم الإرجاء ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهوراً عند كثير من المتأخرين المنتسبين إلى السنّة ، قال القاضي أبو بكر في التمهيد : فإن قيل[٨] فخبرونا عن الإيمان عندكم ، قيل الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب ، فإن قال فما الدليل على ما قلتم قيل إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصديق لا يعرفون في

(١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٢) (الذي) في الأصل ، (التي) في الهندية .
(٣) (استمر) غير موجودة في الهندية .
(٤) (فيه) بالأصل ، (فيها) في الهندية .
(٥) (الصحابة) في الأصل ، (أصحابه) في الهندية .
(٦) (انما ذكره) في الأصل ، (أن ما ذكروه) في الهندية .
(٧) (وكيع وأحمد بن حنبل وغيرهما) بالأصل ، (أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما) في الهندية .
(٨) (قيل) بالأصل ، (قالوا) في الهندية .

اللغة إيماناً غير ذلك ويدل على ذلك قوله : ﴿ **وما أنتَ بِمُؤمِنٍ لنَا** ﴾[1] أي بمصدق لنا ومنه قولهم : فلان يؤمن بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر أي لا يصدق بذلك فوجب أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة لأن الله ما غيّر اللسان[*1] ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله وتوافرت دواعي الأمة على نقله ولغلب إظهاره على كتمانه ، وفي علمنا أنه لم يفعل ذلك بل أقرّ[*2] أسماء الأشياء والتخاطب بأسره على ما كان دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي ، ومما يتبين ذلك قوله[*3] : ﴿ **وما أرسلْنَا من رسولٍ إلا بِلسانِ قومِهِ** ﴾[2]وقوله : ﴿ **إنّا جَعلْنَاه قُرآناً عربِيّاً** ﴾[3] فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة العرب وسمّى الأسماء بتسمياتهم[*4] ولا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة ولا سيما مع القول بالعموم وحصول التوقيت على أن القرآن نزل بلغتهم فدل على ما قلناه من أن الإيمان ما وصفنا دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات هذا لفظه ، وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في مسألة الإيمان .

وللجمهور من أهل السنّة وغيرهم عن هذا أجوبة : أحدهما : قول من ينازعه في أن الإيمان في اللغة ترادف للتصديق ويقول هو بمعنى الإقرار وغيره ، الثاني : قول من يقول وإن كان في اللغة هو التصديق فالتصديق يكون بالقلب واللسان[*5] والجوارح كما قال النبي ﷺ « والفرج يصدق ذلك أو يكذبه »[4] ، الثالث : أنه يقال ليس هو مطلق التصديق بل تصديق خاص مقيّد بقيود اتصل اللفظ بها وليس هذا نقلاً للّفظ ولا تغييراً له فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصفه وبيّنه ، الرابع : أن يقال وإن كان هو التصديق فالتصديق التام القائم بالقلب[*6] مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح فإن هذه لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ويقول إن هذه اللوازم تدخل في مسمّى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى ، الخامس : قول من يقول : إن اللفظ باق على معناه في اللغة

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٧ .
(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٤ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية ٣ .
(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب القدر باب قدر ابن آدم حظه من الزنا ٤/٢٠٤٦ عن ابن عباس .

(*١) (العربي) زيادة في الهندية .
(*٢) (اقرأ) في الأصل ، (اقرار) في الهندية .
(*٣) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٤) (بتسمياتهم في الأصل ، (بمسمياتهم) في الهندية .
(*٥) (وسائر) زيادة في الهندية .
(*٦) (بالقلب) غير موجودة في الهندية .

ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً ، السادس : قول من يقول إن الشارع استعمل(*١) في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي ، السابع : قول من يقول : إنه منقول فهذه سبعة أقوال . الأول قول من ينازع في أن معناه في اللغة(*٢) ليس هو التصديق بل بمعنى الإقرار وغيره . قوله إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هي التصديق فيقال له من نقل هذا الإجماع وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع . الثاني : أن يقال : أتعني بأهل اللغة نَقَلَتها كأبي عمرو والأصمعي والخليل ونحوهم أو المتكلمين بها ، فإن عنيت الأول فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام بإسناد وإنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالإسناد ولا نعلم فيما نقلوه لفظ الإيمان فضلاً عن أن يكونوا أجمعوا عليه . وإن عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام فهؤلاء لم نشهدهم ولا نَقَل لنا أحد عنهم ذلك . الثالث : أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم أنهم قالوا الإيمان في اللغة هو التصديق بل ولا عن بعضهم وإن قدر أنه قاله واحد أو اثنان فليس هذا إجماعاً . الرابع : أن يقال هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا معنى هذا اللفظ كذا وكذا وإنما ينقلون الكلام المسموع من العرب وأنه يفهم منه كذا وكذا ، وحينئذ فلو قدّر أنهم نقلوا كلاماً عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو التصديق لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة للقرآن عن النبي ﷺ وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرد فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولى ، الخامس : أنه لو قدّر أنهم قالوا هذا فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر ، والتواتر من شرطه استواء الطرفين والواسطة وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن . إنهم كانوا لا يعرفون للإيمان معنى غير التصديق فإن قيل هذا القدح في العلم باللغة قبل نزول القرآن قيل فلْيكن ونحن لا حاجة بنا مع بيان الرسول ﷺ(*٣) لما بعثه الله به من القرآن(*٤) بعرف الله قبل نزول القرآن والقرآن نزل بلغة قريش والذين خوطبوا بها(*٥) كانوا عرباً وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة ، ثم الصحابة بلّغوا لفظ القرآن ومعناه إلى التابعين حتى انتهى إلينا فلم يبق بنا حاجة إلى أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن(*٦) لفظاً ومعنى وعرفنا أنه نزل بلغتهم ، عرفنا أنه كان في لغتهم لفظ السماء والأرض والليل والنهار والشمس

(*١) (استعمل) في الأصل ، (استعمله) في الهندية .
(*٢) (التصديق ويقول) زيادة في الهندية .
(*٣) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (أن) زيادة في الهندية .
(*٥) (بها) في الأصل ، (به) في الهندية .
(*٦) (لكن لما تواتر القرآن) زيادة في الهندية .

والقمر ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن وإلاّ فلو كلفنا نقلاً متواتراً لآحاد هذه الألفاظ من غير القرآن لتعذّر علينا ذلك في جميع الألفاظ لاسيما إذا كان المطلوب أن جميع العرب كانت تريد باللّفظ هذا المعنى فإن هذا يتعذر العلم به والعلم بمعاني القرآن ليس موقوفاً على شيء من ذلك ، بل الصحابة بلّغوا معاني القرآن كم[*1] بلّغوا لفظه ولو قدّرنا أن قوماً سمعوا كلاماً عجمياً وترجموه لنا بلغتهم لم نحتج إلى معرفة اللغة التي خوطبوا بها أولاً . السادس : أنه لم يذكر شاهداً من كلام العرب على ما ادّعاه عليهم وإنما استدل من غير القرآن بقول الناس فلان يؤمن بالشفاعة وفلان يؤمن بالجنة والنار ، وفلان يؤمن بعذاب القبر ، وفلان لا يؤمن به[*2] ، ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن بل هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة لما صار من[*3] أهل البدع مكذبون بالشفاعة وعذاب القبر ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله : فلان يؤمن بالجنة والنار وفلان لا يؤمن بذلك ، والقائل لذلك وإن كان تصديق القلب داخلاً في مراده فليس مراده ذلك وحده ، بل مراده التصديق بالقلب واللسان فإن مجرد تصديق[*4] بدون اللسان لا يعلم حتى يخبر به عنه . السابع : أن يقال من قال ذلك فليس مراده التصديق بما يرجى ويخاف بدون خوف ولا رجاء بل يصدق بعذاب القبر ويخافه ويصدّق بالشفاعة ويرجوها وإلا فلو صدق بأنه يعذب في قبره لم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلاً لم يسمّوه مؤمناً به كما أنهم لم يسمّوه مؤمناً بالجنة والنار إلا من رجا الجنة وخاف النار دون المعرف عن ذلك بالكلية مع علمه بأنه حق ، كما لا يسمون إبليس مؤمناً بالله وإن كان مصدقاً بوجوده وربوبيته ولا يسمون فرعون مؤمناً وإن كان عالماً بأن الله بعث موسى وأنه هو الذي أنزل الآيات وقد استيقنت بها أنفسهم مع جحدهم لها بألسنتهم ، ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وإن كانوا يعرفون أنه الحق كما يعرفون أبناءهم فلا يوجد قط في كلام العرب أنه من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى ويجب حبه وتعظيمه وهو مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ولا يخاف

(*1) (كم) في الأصل ، (كما) في الهندية .

(*2) (به) في الأصل ، (بذلك) في الهندية .

(*3) (الناس) زيادة في الهندية .

(*4) (القلب) زيادة في الهندية .

ولا يرجوه بل يجحد به ويكذبه(*١) بلسانه إنهم يقولون هو مؤمن به بل ولو عرفه بقلبه وكذب به لسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه لم يقولوا(*٢) مؤمن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما ادّعوه ، وقوله : ﴿ **وما أنتَ بِمُؤْمِنٍ لنا** ﴾(١) قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع فإن هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن فإن صحة المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر كما قد بسطناه في موضعه . الوجه الثامن :(*٣) لا يعرفون في اللغة إيماناً غير ذلك(*٤) أين له هذا اللفظ(*٥) الذي لا يمكن الإحاطة به بل هو قول بلا علم . التاسع : قول من يقول أصل الإيمان مأخوذ من الأمن كما ستأتي أقوالهم إن شاء الله وقد نقلوا في اللغة الإيمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ أبو البيان في قول (يوجد بياض في المخطوطة الأصلية وكذلك سائر النسخ)(٢) ، الوجه العاشر : أنه لو فرض أن الإيمان في اللغة التصديق(*٦) أن الإنسان(*٧) ليس هو التصديق بكل شيء بل بشيء مخصوص وهو ما أخبر به الرسول ﷺ وحينئذ فيكون الإيمان في كلام الشارع أخص من الإيمان في اللغة . ومعلوم أن الخاص ينضم إليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان إذا أخذ بعض أنواعه وهو الإنسان كان فيه المعنى العام ومعنى اختص به وذلك المجموع ليس هو المعنى العام ، فالتصديق الذي هو الإيمان أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام فلا يكون مطابقاً في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص كالإنسان الموصوف بأنه حيوان وأنه ناطق . الحادي عشر : أن القرآن ليس فيه ذكر إيمان مطلق غير مفسر

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٧ .

(٢) .... يوجد فراغ في النسخة الأصلية وكذلك سائر النسخ الأخرى .

(*١) (ويكذبه) في الأصل ، (ويكذب به) في الهندية .

(*٢) (هو) زيادة في الهندية .

(*٣) (قوله) زيادة في الهندية .

(*٤) (من) زيادة في الهندية .

(*٥) (اللفظ) في الأصل ، (النفي) في الهندية

(*٦) (فمعلوم) زيادة في الهندية .

(*٧) (الإنسان) في الأصل ، (الإيمان) في الهندية .

بل لفظ الإيمان فيه إما مقيد وإما مطلق مفسر فالمقيد كقوله : ﴿ **يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ** ﴾[1] وقوله : ﴿ **فما آمن لِمُوسى إلاّ ذُرِيّة من قومِه** ﴾[2] والمطلق المفسر كقوله تعالى : ﴿ **إنّما المؤمِنُون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم** ﴾[3] الآية ، وقوله : ﴿ **إنّما المؤمِنُون الّذين آمنوا بالله ورسُولِه ثم لم يَرْتابُوا وجَاهَدُوا بأمْوالِهم وأنْفُسِهِم في سَبِيلِ الله أولَئِكَ هُمُ الصادِقُون** ﴾[4] ونحو ذلك ، قوله : ﴿ **فَلاَ وَرَبُّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتّى يُحكِّمُوكَ فيما شَجَر بَيْنَهُم ثم لاَ يَجِدُوا في أنْفُسِهِمْ حَرَجاً ممّا قَضَيْتَ**[*1] ﴾[5] ، وأمثال هذه الآيات وكل إيمان مطلق في القرآن فقد تبيّن فيه أنه لا يكون الرجل مؤمناً إلا بالعمل مع التصديق فقد بيّن[*2] القرآن أن الإيمان لا بدّ فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والصيام والزكاة والحج فإن قيل تلك الأسماء باقية ولكن ضم إلى المسمّى أعمالاً في الحكم لا في الإسم كما يقوله القاضي أبو يعلى وغيره ، قيل إن كان هذا صحيحاً قيل مثله في الإيمان وقد أورد هذا السؤال بعضهم ثم لم يجب عنه بجواب صحيح بل زعم أن الإيمان[*3] لم يذكر فيه ذلك وليس كذلك بل القرآن والسنّة مملوء[*4] بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة فإن تلك إنما فسرتها السنّة ، والإيمان بيّن معناه الكتاب والسنّة وإجماع السلف . الثاني عشر : أنه إذا قيل إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب فإنما خاطبهم بلغتهم المعروفة وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقاً وعامّاً ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه كما يقولون : اذهب[*5] إلى القاضي والوالي والأمير يريدون شخصاً معيّناً معرّفاً[*6] به دلت عليه اللام مع معرفتها به وهذا

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٨٣ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ١ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

(١*) (ويسلموا تسليما) زيادة في الهندية .

(٢*) (في) زيادة في الهندية .

(٣*) (الإيمان) في الأصل ، (القرآن) في الهندية .

(٤*) (مملوء) بالأصل ، (مملوءان) في الهندية .

(٥*) (اذهب) بالأصل ، (ذهب) في الهندية .

(٦*) (معرفا به) بالأصل ، (يعرفونه) في الهندية .

الاسم في اللغة اسم جنس لا يدل على خصوص شخص وأمثال ذلك ، فكذلك الإيمان والصلاة والزكاة إنما خاطبهم بهذه الأسماء بلام التعريف وقد عرفهم قبل ذلك أن المراد الإيمان الذي صفته كذا وكذا والدعاء الذي صفته كذا وكذا فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق فإنه قد بيّن أني لا أكتفي بتصديق القلب واللسان فضلاً عن تصديق القلب وحده بل لابدّ أن يعمل بموجب ذلك التصديق كما في قوله(*1) : ﴿ **إنّما المُؤمِنُونَ الّذين آمَنُوا بالله ورسُولِه ثُمّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾[1] ، ﴿ **إنّما المُؤْمُنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم** ﴾[2] ، وفي قوله ﷺ : « لا يؤمنون حتى يكون كذا »[3] ، وفي قوله(*2) : ﴿ **لا تجد قوماً يُؤمِنُونَ بالله واليوم الآخر يُوادّون مَن حَادَ الله ورسُولَه** ﴾[4] ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بالله والنبي وما أُنزل إليهِ ما اتّخذُوهُم أوْلِيَاء** ﴾[5] ، ومثل هذا كثير في الكتاب والسنّة كقوله(*3) « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[6] وقوله : « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[7] ، وأمثال ذلك فقد بيّن لهم أن التصديق الذي لا يكون الرجل مؤمناً إلا به هو أن يكون تصديقاً على هذا الوجه وهذا بيِّنٌ في القرآن والسنّة من غير تغيير للّغة ولا نقل لها . الثالث عشر : أن يقال بل نقل وغير قوله لو فعل(*4) لتواتر قيل نعم وقد تواتر أنه أراد بالصلاة والزكاة والصيام والحج معانيها المعروفة وأراد بالإيمان ما بيّنه بكتابه وسنّة رسوله من أن العبد لا يكون مؤمناً

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(٣) ترد هذه العبارة في أحاديث كثيرة ، راجع كتب الحديث المشهورة .
(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .
(٥) سورة المائدة ، الآية ٨١ .
(٦) رواه البخاري في كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه ١١٩/٥ عن أبي هريرة ـ فتح الباري ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي ٧٦/١ عن أبي هريرة .
(٧) البخاري في كتاب الأدب ، إثم من لم يأمن جاره ٢٤٣/١٠ عن شريح .

(١*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٢*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٣*) (عليه السلام) زيادة في الهندية .
(٤*) (فعل) في الأصل ، (نقل) في الهندية .

إلا به كقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] ، وهذا متواتر في القرآن والسنن ، ومتواتر أيضاً أنه لم يكن يحكم لأحد بحكم الإيمان إلا أن يؤدي الفرائض ، ومتواتر عنه أنه أخبر : أن من[*1] مات مؤمناً دخل الجنة ولم يعذّب وأن الفساق لا يستحقون ذلك بل هم معرّضون للعذاب فقد تواتر عنه من معاني اسم الإيمان وأحكامه ما لم يتواتر عنه في غيره . فأي تواتر أبلغ من هذا وقد توفرت الدواعي على نقل ذلك وإظهاره ولله الحمد ولا يقدر أحد أن ينقل عن النبي ﷺ نقلاً يناقض هذا لكن أخبر أنه يخرج منها من كان معه شيء من الإيمان ولم يقل إن المؤمن يدخلها ولا قال إن الفساق مؤمنون لكن أدخلهم في مسمّى الإيمان في مواضع كما أدخل المنافقين في اسم الإيمان في مواضع مع القيود ، وأما الاسم المطلق الذي وعد به أهله بالجنة فلم يدخل فيه[*2] هؤلاء ولا هؤلاء . الرابع عشر : قوله : ولا وجه للعدول بالآيات التي تدل على أنه عربي عن ظاهرها .

فيقال له الآيات التي فسرت المؤمن وسلبت الإيمان عن من لم يعمل أصرح وأكثر من هذه الآيات ، ثم إذا دلّت أنه عربي فما ذكر لا يخرجه عن كونه عربياً ولهذا لمّا خاطبهم بلفظ الصلاة والحج وغير ذلك لم يقولوا هذا ليس بعربي بل خاطبهم باسم المنافق ، وقد ذكر أهل اللغة أن هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية ولم يقولوا إنه ليس بعربي ، لأن المنافق مشتق من نفق إذا خرج فإذا كان اللفظ مشتقًّا من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم لم يخرج ذلك عن كونه عربيًّا . الوجه الخامس عشر : أنه لو فرض أن هذه الألفاظ ليست عربية فليس تخصيص عموم[*3] الألفاظ بأعظم من إخراج لفظ الإيمان عما دل عليه الكتاب والسنّة وإجماع السلف ، فإن النصوص التي تنفي الإيمان عمّن لا يحب الله ورسوله ولا يخاف الله ويتّقيه ولا يعمل شيئاً من الواجب ولا يترك شيئاً من المحرم كثيرة صريحة فلو[*4] قدّر أنه[*5] عارضها آية كان تخصيص اللفظ القليل العام أولى من رد النصوص الكثيرة الصريحة . السادس عشر : أن هؤلاء واقفة في ألفاظ العموم

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢ .

(١*) (أن) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (لا) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (هذه) زيادة في الهندية .

(٤*) (فلو) في الأصل ، (فإذا) في الهندية .

(٥*) (أنه) في الأصل ، (أنها) في الهندية .

لا يقولون بعمومها والسلف الرسول وقفنا على معاني الإيمان وبيّنه لنا وعلمنا مراده(١*) بالاضطرار وعلمنا مراده علماً ضرورياً أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلّى ولا صام ولا أحبّ الله ورسوله ولا خاف الله بل كان مبغضاً للرسول معادياً له يقابله(٢*) أن هذا ليس بمؤمن كما علمنا أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله وفعلوا ذلك معه كانوا عنده كفاراً لا مؤمنين فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثر من علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي فلو قدّر التعارض لكان تقديم ذلك العلم الضروري أوْلى فإن قالوا من علم أن الرسول كفّره علم انتفاءً والتصديق من قلبه قيل لهم هذه مكابرة إن أرادوا أنهم كانوا شاكّين مرتابين وأما إن عنى التصديق الذي لم يحصل(٣*) فهو ناقص كالمعدوم فهذا صحيح ثم إنما يثبت إذا ثبت أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه وذلك إنما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا فلا تثبت الدعوى بالدعوى مع كفر صاحبها ثم يقال قد علمنا بالاضطرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله وكان يحكم بكفرهم فقد علمنا من دينه ضرورة أنه يكفّر الشخص مع ثبوت التصديق بثبوته في القلب إذا لم يعمل بهذا التصديق بحيث يحبه ويعظمه ويسلّم لما جاء به . ومما يعارضون به أن يقال هذا الذي ذكرتموه إن كان صحيحاً فهو أدل على قول المرجئة بل على قول الكرامية من على قولكم وذلك أن الإيمان إذا كان هو التصديق كما ذكرتم فالتصديق نوع من أنواع الكلام فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر من اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ بل يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه كالخبر والتصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما وإنما تستعمل مقيداً أو إذا كان الله ، إنما أنزل القرآن بلغة العرب فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال إلا ما كان معنى أو لفظاً يدل على معنى ، ولهذا لم يجعل الله أحداً مصدِّقاً للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم ولا يوجد في كلام العرب أن يقال فلان صدّق فلاناً أو كذّبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق

(١*) (منه) زيادة في الهندية .

(٢*) (يقابله) في الأصل ، (يقاتله) في الهندية .

(٣*) (معه عمل) زيادة في الهندية .

أو كاذب ولم يتكلم بذلك كما لا يقال أمره أو نهاه إذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقرن[*1] به من لفظ أو إشارة أو نحوهما ، ولمّا قال النبي ﷺ : « إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس »[1] ، وقال : « إن الله يُحدث من أمره ما شاء وإن ممّا أحدث أن لا تكلّموا في الصلاة »[2] اتفق العلماء على أنه إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بَطُلَت صلاته ، واتفقوا على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك ، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام وأيضاً في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تجاوز لأمتي بما[*2] حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به »[3] ، فقد أخبر أن الله عفى عن حديث النفس[*3] وبيّن الكلام وأخبر أنه لا يؤاخذ به والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء ، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع كما قرر إنما خاطب بلغة العرب ، وأيضاً ، ففي السنن أن معاذاً قال له يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال « وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »[4] ، فبيّن أن الكلام إنما هو ما يكون باللسان . وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل »[5]، وفي الصحيحين عنه أنه قال : « كلمتان خفيفتان على

---

(١) رواه الإمام مسلم والنسائي في كتاب السهو ، باب الكلام في الصلاة ١٦/٣ ، عن معاوية ابن الحكم ، والإمام أحمد في المسند ٤٤٧/٥ ، عن معاوية بن الحكم .

(٢) متفق عليه ، البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ ٤٩٦/١٣ عن ابن مسعود ، الإمام أحمد في المسند ٤٠٩/١ ، عن ابن مسعود .

(٣) متفق عليه ، البخاري في كتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاق ١٦٠/٥ ، عن أبي هريرة ـ فتح الباري ، ومسلم في كتاب الإيمان تجاوز الله عن حديث النفس ١١٦/١ ، عن أبي هريرة .

(٤) حديث رواه معاذ بن جبل وهو في السنن ، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٣١/٥ ، عن معاذ .

(٥) حديث صحيح ، وقد سبق توثيقه .

(١*) (يقرن) في الأصل ، (يقترن) في الهندية .

(٢*) (بما) في الأصل ، (عما) في الهندية .

(٣*) (إلى أن تتكلم ففرق بين حديث النفس) زيادة في الهندية .

اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[1] ، وقد قال[*1] تعالى : ﴿ **ويُنْذِرَ الذين قالُوا اتَّخَذَ الله وَلَداً مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أفوَاهِهِمْ إنْ يقولُون إلا كَذِباً** ﴾[2] ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من[*2] القرآن : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر »[4] ومثل هذا كثير وفي الجملة حيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق من الأنبياء أو أتباعهم أو مكذبيهم أنهم قالوا ويقولون وذلك قولهم وأمثال ذلك إنما يعني به المعنى مع اللفظ فهذا اللفظ وما تصرّف منه من فعل ماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ ومصدرٍ واسم فاعلٍ من لفظ القول والكلام ونحوهما إنما يعرف في القرآن والسنّة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى وكذلك أنواعه كالتصديق والتكذيب والأمر والنهي وغير ذلك ، وهذا مِا لا يمكن لأحد جحده فإنه أكثر من أن يحصى و لم يكن في مسمّى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم لا من أهل السنة ولا من أهل البدعة بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمّى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كلاب[5] وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل ، وقد أنكر ذلك عليه علماء أهل[*3] السنّة وعلماء البدعة فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات ابن آدم كما قال تعالى : ﴿ **فَوَرَبِّ السَّماءِ والأرْضِ إنه لَحَقٌّ مِثْلَمَا**

---

(١) رواه الشيخان ، وقد سبق توثيقه .

(٢) سورة الكهف ، الآيتان ٤ ، ٥ .

(٣) رواه الإمام مسلم والبخاري في كتاب الإيمان والنذور باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم مصلى ٥٦٦/١١ ـ فتح الباري .

(٤) سورة فاطر ، الآية ١٠ .

(٥) عبدالله بن سعد بن كلاب هو أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمّى الكلام المعنى فقط وكان هذا في زمن محنة الإمام أحمد بن حنبل وقد أنكر ذلك عليه علماء أهل السنّة وعلماء البدعة ، راجع فتاوى ابن تيمية ١٤٥/٧ .

(*١) (الله) زيادة في الهندية .

(*٢) (من) في الأصل ، (في) في الهندية .

(*٣) (أهل) غير موجودة في الهندية .

أنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[1] ، ولفظه لا تحصى وجوهه كثيرة مالم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولاً لم يسبقه أحد إليه[*1] من المسلمين ولا غيرهم ، فإن قالوا فقد قال[*2] تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ في أَنْفُسِهِمْ** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً** ﴾[3] ونحو ذلك ، قيل : إن كان المراد أنهم قالوه بألسنتهم سرّاً فلا حجّة فيه وهذا هو الذي ذكره المفسرون قالوا كانوا يقولون : سام عليك فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم أي يقولون[*3] بعضهم لبعض لو كان نبيّاً عذّبنا بقولنا له ما نقول ، وإن قدّر أنه أريد بذلك أنهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد بالنفس مثل قوله : « عما حدثت به[*4] أنفسها » ولهذا قالوا : ﴿ **لَوْلاَ يُعَذِّبُنا الله بما نَقُول** ﴾[4] ، وإن قدّر أنه أريد بذلك أنهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيّد أي[*5] ما أطلقوا لفظ القول هنا والمراد به ما قالوه بألسنتهم لأن النجوى والتحية التي نهوا عنها كما قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ نُهُوا عن النَّجوى ثم يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجُوْنَ بالإِثْم والعُدْوَانِ ومَعْصِيَةِ الرسول وإذا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِه الله وَيَقُولُونَ في أَنْفُسِهِمْ لَولاَ يُعَذِّبُنَا الله بِمَا نَقُولُ** ﴾[5] ، مع أن الأول هو الذي عليه[*6] المفسرون وعليه تدل نظائره فإن النبي ﷺ قال : « يقول الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم »[6] ليس المراد أنه لا يتكلم بلسانه بل المراد أنه ذكر الله بلسانه وكذلك قوله : ﴿ **واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ودُونَ**

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٨ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٨ .

(٥) سورة المجادلة ، الآية ٨ .

(٦) متفق عليه ، البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ **ويحذّركم الله نفسه** ﴾ ٨٤/١٣ عن أبي هريرة ـ فتح الباري ، المطبعة السلفية ، مسلم في كتاب الإيمان باب الحث على ذكر الله ٢٠٦١/٤ ، عن أبي هريرة .

(*١))(أحد إليه) في الأصل ، (إليه أحد) في الهندية .

(*٢) (الله) زيادة في الهندية .

(*٣) (يقولون) في الأصل ، (يقول) في الهندية .

(*٤) (به) في الأصل ، (بها) في الهندية .

(*٥) (وإن قدر أنه أريد بذلك أنهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد إلى) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (أكثر) زيادة في الهندية .

﴿الجَهْرِ من القَول﴾[1]، هو الذكر باللّسان والذي[*1] يقيد بالنفس لفظ الحديث يقال حدثت النفس[*2] ولهذا يعبّر بلفظ الحديث عن الأحلام التي ترى في المنام كقول يعقوب ﷺ[*3] : ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾[2] ، وقول يوسف : ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾[3] ، وتلك في النفس لا تكون باللّسان ، فلفظ الحديث قد تقيّد بما في النفس بخلاف لفظ الكلام فإنه لم يعرف أنه أريد به ما في النفس فقط وأما قوله تعالى : ﴿وأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[4] ، فالمراد من القول الذي تارة تسرّ به فلا يسمعه الإنسان ، وتارة يجهر به فيسمعونه ، كما يقال أسرّ القراءة وجهر بها وصلاة السرّ وصلاة الجهر ولهذا لم يقل قولوه بألسنتكم أو بقلوبكم وما في النفس ولا يتصور الجهر به وإنما تجهر بما في اللسان ، وقوله : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[5] ، من باب التنبيه يقول إنه يعلم ما في الصدور فكيف لا يعلم القول كما قال في الآية الأخرى : ﴿وإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّه يَعْلَمُ السِرَّ وأَخْفَى﴾[6] ، فنبّه بذلك على أنه يعلم الجهر ويدل على ذلك أنه قال : ﴿أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[7] ، فلو أراد بالقول ما في النفس لكونه ذكر علمه بذات الصدور لم يكن قد ذكر علمه بالنوع الآخر وهو الجهر وإن قيل فيه قيل بل نبّه على القسمين ، وقوله[*4] : ﴿آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إلاَّ رَمْزًا﴾[8] ، وقد ذكر هذا في قوله : ﴿ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[9] هناك لم يستثن شيئاً والقصة واحدة وهذا يدل

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٥ .
(٢) سورة يوسف ، الآية ٦ .
(٣) سورة يوسف ، الآية ١٠١ .
(٤) سورة الملك ، الآية ١٣٠ .
(٥) سورة الملك ، الآية ١٣٠ .
(٦) سورة طه ، الآية ٧ .
(٧) سورة الملك ، الآية ١٣٠ .
(٨) سورة آل عمران ، الآية ٤١ .
(٩) سورة مريم ، الآية ١٠ .

(*١) (والذي) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (ولم يوجد عنه أنهم قالوا كلام النفس كما قالوا حديث النفس) زيادة في الهندية .
(*٣) (صلى الله عليه وسلم) في الأصل ، (عليه السلام) في الهندية .
(*٤) (تعالى) زيادة في الهندية .

على أنَّ الاستثناء منقطع والمعنى : ﴿ **آيَتُكَ أَنْ لاَ تُكَلِّمَ النَّاسَ** ﴾[1] لكن ترمز إليهم رمزاً لنظائره في القرآن ، وقوله : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ** ﴾[2] هو الرمز ولو قدّر أن الرمز استثناء متصل لكان قد دخل في الكلام المقيّد بالاستثناء كما في قوله : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾[3] ، ولا يلزم من ذلك أن يدخل في لفظ الكلام المطلق فليس في لغة القوم أصلاً ما يدل على أن ما في النفس يتناوله لفظ الكلام والقول المطلق فضلاً عن التصديق والتكذيب ، فعلم أن من لم يصدق بلسانه مع القدرة يسمى[*١] في لغة القوم مصدّقاً[*٢] فليس بمؤمن[*٣] كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقول عمر رضي الله عنه : « زوّرت في نفسي مقالة أردت أن أقولها حجة عليهم » . قال أبو عبيد التزوير إصلاح الكلام وتهيئته ، قال وقال أبو زيد : المزوّر من الكلام والمزوق واحد وهو المصلح الحسن ، وقال غيره : زوّرت في نفسي مقالة أي هيّأتها لأقولها فلفظه[*٤] يدل على أنه قدر في نفسه مما[*٥] يريد أن يقوله ولم يقله فعلم أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيل باللسان ، وقيل ذلك لم يكن قولاً لكن كان مقدّراً في النفس يراد أن يقال كما يقدر الإنسان في نفسه أن يحج وأن يصلي وأن يسافر إلى غير ذلك فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس ولكن لا يسمّى قولاً وعملاً[*٦] إذا وجدت في الخارج كما أنه لا يكون حاجّاً ومصلّياً إلا إذا وجدت هذه الأفعال في الخارج ولهذا كان ما يهم به المرء من الأقوال المحرمة والأفعال المحرمة لا تكتب عليه حتى يقوله ويفعله وما همّ به من القول الحسن والعمل الحسن إنما تكتب له به حسنة واحدة فإذا صار قولاً وفعلاً كتب له به عشر حسنات إلى سبعمائة حسنة[*٧] .

---

(١) سورة مريم ، الآية ١٠ .

(٢) سورة مريم ، الآية ١١ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٥١ .

(*١) (يسمى في الأصل ، (لا يسمى) في الهندية .

(*٢) (مصدقا) في الأصل ، (مؤمنا) في الهندية .

(*٣) (فليس بمؤمن) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (فلفظه) في الأصل ، (فلفظها) في الهندية .

(*٥) (مما) في الأصل ، (ما) في الهندية .

(*٦) (الا) زيادة في الهندية .

(*٧) (حسنة) غير موجودة في الهندية .

وعوقب عليه[*1] ، كما قال النبي ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم[*2] أو تعمل »[1] ، وأما البيت الذي يحكى عن[2] الأخطل أنه قال[3] :

إنَّ الكلامَ لَفِي الفؤادِ وإنَّما   جُعِلَ اللسَانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلا

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه وهذا يروى عن أبي محمد الخشاب[*3] ، وقال بعضهم لفظه إن البيان لفي الفؤاد ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا هذا خبر واحد ويكون مما اتفق عليه العلماء على تصديقه وتلقّيه بالقبول وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد[*4] لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقّاه أهل العربية بالقبول فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمّى الكلام ثم يقال مسمّى الكلام والقول ونحوهما ليس هو ما يحتاج فيه إلى قول شاعر فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمّى الرأس واليد والرجل . وأيضاً ، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها لا بما يذكرونه من الحدود فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم أن الرأس كذا واليد كذا والكلام[*5] واللون كذا بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمّى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد ، إن كان قال ذلك ، ما فسر به المفسر للشعر أي أصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا يثق به وهذا كالأقوال التي ذكرها الله تعالى[*6] عن المنافقين

---

(١) متفق عليه ، البخاري في كتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة ٥٤/١٦٠ ، عن أبي هريرة ، مسلم في كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس ١/١١٦ ، عن أبي هريرة .

(٢) الأخطل : هو غياث بن بني تغلب وهو شاعر أموي فحل توفي سنة ٩٠ هـ .

(٣) البيت في ديوانه طبع في بيروت سنة ١٨٩١ م ـ الشعر والشعراء ١/٤٨٣ ، الأغاني ٨/٢٦٠ .

(*١) (إذا قال أو فعل) زيادة في الهندية .

(*٢) (به) زيادة في الهندية .

(*٣) (أبي محمد الخشاب) في الأصل ، (محمد بن الخشاب) في الهندية .

(*٤) (صحيح) زيادة في الهندية .

(*٥) (كذا) زيادة في الهندية .

(*٦) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولهذا قال :[1]

لا يعجبنَّكَ مِنْ أثيرٍ خُطْبَةٌ حَتَّى يكونَ معَ الكلام أَصِيلا
إنَّ الكلاَمَ لفي الفؤادِ وإنَّما جُعل اللِّسَانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل ولهذا قال حتى يكون مع الكلام أصيلاً وقوله مع الكلام دليل على أن اللفظ الظاهر قد سمّاه كلاماً وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه وهذا حجة عليهم فقد اشتمل شعره على هذا[*1] بل قوله مع الكلام مطلق وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد أراد به أصله ومعناه المقصود به واللسان دليل على ذلك ، وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمّى الكلام في لغة العرب والفرس والروم والترك وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم ، ثم هو من المولّدين ليس من الشعراء القدماء وهو نصراني كافر مثلِّث واسمه الأخطل ، والخطل فساد في الكلام وهو نصراني ، والنصارى قد أخطأوا في مسمّى الكلام فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله فبين[*2] أنه إن كان الإيمان في اللغة هو التصديق ، والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول ولم يسم العمل تصديقاً فليس الصواب إلا قول المرجئة أنه اللفظ والمعنى ، أو قول الكرامية إنه قول باللسان فقط ، فإن تسمية قول اللسان قولاً أشهر[*3] في اللغة من تسمية معنى في القلب قولاً كقوله تعالى : ﴿ **يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[3] ، وأمثال ذلك بخلاف ما في النفس ، فإنه إنما سمّي[*4] حديثاً ، والكرامية[4] يقولون المنافق مؤمن وهو

---

(١) البيتان في إحدى الروايات هكذا : « لا يعجبنّك منطق من امرئ » وفي رواية : « لا يعجبنّك من أثير لفظه » .

(٢) سورة الفتح ، الآية ١١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٨ .

(٤) الكرامية نسبة إلى إمام مذهبهم وهو أبو عبد الله محمد بن كرام النيسابوري وكان والده يقوم بحراسة الكروم في البساتين فقيل له الكرام وكان أبو عبدالله من أهل نيسابور ثم رحل إلى بيت المقدس واستوطنها ومات فيها سنة ٢٤٤ .

(١*) (وهذا) زيادة في الهندية .

(٢*) (فبين) في الأصل ، (فتبين) في الهندية .

(٣*) (أشهر) في الأصل ، (اشتهر) في الهندية .

(٤*) (سمى) في الأصل ، (يسمى) في الهندية .

مخلّد في النار لأنه آمن ظاهراً لا باطناً وإنما يدخل الجنّة من آمن باطناً وظاهراً[*1] .
قالوا والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدنيوية[*2] المعلقة[*3] باسم الإيمان كقوله تعالى : ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ** ﴾[1] ويخاطب في الظاهر بالجمعة والطهارة وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا ، وأما من صدّق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[2] فعلم أن قول الكرامية في الإيمان وإن كان باطلاً مبتدعاً لم يسبقهم إليه أحد ، قول الجهمية أبطل منه وأولئك أقرب إلى الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية ، والكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان بل يقولون هو مؤمن حقّاً لمن أظهر الإيمان وإذا كان منافقاً فهو مخلد في النار عندهم ، فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطناً وظاهراً ومن حكى عنهم أنهم يقولون المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مؤمن[*4] لأن الإيمان هو القول الظاهر كما يسمّيه غيرهم[*5] إذ الإسلام هو الاستسلام الظاهر ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من قولهم من وجوه متعددة شرعاً ولغة وعقلاً . وإذا قيل قول الكرامية قول خارج عن إجماع المسلمين قبلهم ،[*6] قيل وقول الجهمية[*7] في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله ، بل السلف كفّروا من يقول بقول جهم في الإيمان وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة ، والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[3] قالوا فقد نفى الله الإيمان عن المنافقين فنقول هذا حق

---

(١) سورة النساء ، الآية ٩٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٠٤ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٨ .

(*١) (باطنا وظاهرا) في الأصل ، (ظاهرا وباطنا) في الهندية .
(*٢) (الدنيوية) في الأصل ، (الدينية) في الهندية .
(*٣) (المعلقة) في الأصل ، (المتعلقة) في الهندية .
(*٤) (لا) زيادة في الهندية .
(*٥) (مسلم) زيادة في الهندية .
(*٦) (قبلهم غير موجودة في الهندية .
(*٧) (الجهمية) في الأصل ، (جهم) في الهندية .

فإن المنافق ليس بمؤمن وقد ضلّ من سمّاه مؤمناً وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول ويعاديه كاليهود وغيرهم سمّاهم الله كفّاراً لم يسمّهم مؤمنين قط ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان بخلاف المنافق ، فإنه يدخل في أحكام الإيمان الظاهرة في الدنيا . بل قد نفى الله الإيمان عمّن قال بقلبه ولسانه(*١) إذا لم يعمل كما قال تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾(١) إلى قوله : ﴿ **إنَّما المُؤْمِنُون الّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون** ﴾(٢) فنفى الإيمان عمّن سوى هؤلاء ، وقال تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِالله وَبالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٣) ، والتولّي هو التولّي عن الطاعة ، كما قال(*٢) : ﴿ **سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُون ، فإنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ الله أَجْراً حَسَناً وَإنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ **فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾(٥) ، فعلم أن التولّي ليس هو التكذيب(*٣) ، وقال تعالى : ﴿ **لاَ يَصْلاَهَا إلاّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾(٦) وكذلك قول(*٤) موسى وهارون : ﴿ **إنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا(*٥) أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾(٧) ، فدل(*٦) على أن التولي ليس هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعة فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .
(٣) (سورة النور ، الآية ٤٧ .
(٤) سورة الفتح ، الآية ١٦ .
(٥) سورة القيامة ، الآيتان ٣١ ، ٣٢ .
(٦) سورة الليل ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٧) سورة طه ، الآية ٤٨ .

(*١) (بقلبه ولسانه) في الأصل ، (بلسانه وقلبه) في الهندية .
(*٢) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٣) (فعلم أن التولي ليس هو التكذيب) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (قول) في الأصل ، (قال) في الهندية .
(*٥) (انا قد أوحي إلينا) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (فدل) في الأصل ، (فعلم) في الهندية .

فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولّي فلهذا قال : ﴿ **فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾[1] ، ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] ، فنفى الإيمان عمّن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوه** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم** ﴾[4] ، ففي القرآن والسنّة من نفى الإيمان عن من لم يأت بالعمل في مواضع كثيرة ، كما فيها من نفى[*1] الإيمان عن المنافق ، وأما العالم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمناً عند الجهمية إذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان ، إيمانه كإيمان النبيّين ، ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل ولا يتصور وعندهم أن يُنتفى عنه الإيمان إلا إذا نزل ذلك العلم من قلبه . ثم أكثر المتأخرين الذين نصروا قول جهم يقولون بالاستثناء في الإيمان ويقولون : الإيمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربّه وإن كان في اللغة أعمّ من ذلك فجعلوا في مسألة الاستثناء مسمّى الإيمان ما ادّعوا أن مسمّاه في الشرع وعدلوا عن اللغة ، فهلاّ فعلوا هذا في الأعمال ودلالة الشرع على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تعني كثرة بخلاف دلالته على أنه لا يسمّى إيماناً إلا ما مات الرجل عليه فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف ، لكن هؤلاء ظنوا أن الذين استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذهم لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف بل يبصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقّوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع فيبقى الظاهر قول السلف والباطن قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الإيمان ، وسنذكر إن شاء الله تعالى[*2] أقوال السلف في الاستثناء ولهذا لِما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فساد قول

---

(١) سورة القيامة ، الآيتان ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة النور ، الآية ٤٧ .

(٣) سورة النور ، الآية ٦٢ .

(٤) سورة الانفال ، الآية ٢ .

(١*) (كما فيها من نفى) في الأصل ، (كما نفى فيها) في الهندية .

(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

جهم في الإيمان خالفه كثير منهم ، فمنهم من اتبع السلف ، قال أبو القاسم الأنصاري شيخ الشهرستاني في شرح الإرشاد لأبي المعالي بعد أن ذكر قول الصحابة[*١] ، قال : « وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها وعبّروا عنه بأنه إتيان ما أمر الله[*٢] به فرضاً ونفلاً ، وانتهاءً عمّا نهى عنه تحريماً وإذناً[*٣] ، قال وبهذا كان يقول أبو علي الثقفي من متقدمي أصحابنا وأبو العباس القلانسي وقد مال إلى هذا المذهب أبو عبد الله بن مجاهد[١]، قال وهذا قول مالك بن أنس[٢] إمام دار الهجرة ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين وكانوا يقولون : الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، ومنهم من قال بقول المرجئة إنه التصديق بالقلب واللسان ومنهم من قال إذا ترك التصديق باللسان عناداً كان كافراً بالشرع وإن كان في قلبه التصديق والعلم ، قلت[*٤] : هذان القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بأنه ليس إليّ . وقال آخرون إنه من الكبائر لا يخرج المرء بالمخالفة فيه عن الإيمان ، وكذلك قال أبو اسحاق الاسفرائيني قال الأنصاري رأيت في تصانيفه أن المؤمن[*٥] يكون مؤمناً حقًّا إذا حقق إيمانه بالأعمال الصالحة كما أن العالم إنما يكون عالماً[*٦] إذا عمل ما[*٧] علم واستشهد بقول الله[*٨] :

---

(١) أبو عبد الله بن مجاهد : هو أحمد بن موسى بن العباس شيخ القراء في عصره ، له مصنف القراءات السبعة ، راجع طبقات القراء ٢٨٦/١ ، فهرست ابن النديم ٤٣١/١ ، توفي في شعبان سنة ٣٢٤ .

(٢) مالك بن أنس إمام دار الهجرة : هو إمام دار الهجرة ، وهو رأس المتقين وإمام الفقه الزاهد العبد الفقيه المدني من الطبقة السابعة ولد سنة ٩٣ هـ وبلغ عمره تسعين عاماً ، راجع التهذيب ١٤٠/٧ حرف الميم .

(*١) (الصحابة) في الأصل ، (أصحابه) في الهندية .

(*٢) (الله) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (واذنا) في الأصل ، (وأدبا) في الهندية .

(*٤) (قلت : هذان القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بأنه ليس إليّ ، وقال آخرون إنه من الكبائر لا يخرج المرء بالمخالفة فيه عن الإيمان) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (إنما) زيادة في الهندية .

(*٦) (حقا) زيادة في الهندية .

(*٧) (ما) في الأصل ، (بما) في الهندية .

(*٨) (تعالى) زيادة في الهندية .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾[1] إلى قوله : ﴿ أُولَـئِكَ هُـمُ الْمُؤْمِنُـونَ حَقًّا ﴾[2] ، وقـال أيضاً أبو اسحاق : حقيقة الإيمان في اللغة التصديق ولا يتحقق ذلك إلا بالمعرفة والائتمار وتقوم الإشارة والانقياد مقام العبارة ، وقال أيضاً أبو اسحاق في كتاب « الأسماء والصفات » اتفقوا على أن ما يستحق به المكلف اسم الإيمان في الشريعة أوصاف كثيرة وعقائد مختلفة وإن اختلفوا فيها على تفصيل ذكروه واختلفوا في إضافة ما لا يدخل في جملة التصديق إليه لصحة الاسم فمنها ترك قتل الرسول وترك تعظيمه[*1] وترك تعظيم الأصنام فهذا من التروك . ومن الأفعال نصرة الرسول والذبّ عنه فقالوا إن جميعه يضاف إلى التصديق شرعاً وقال آخرون إنه من الكبائر لا يخرج المرء بالمخالفة[*2] عن الإيمان وكانوا يقولون الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ومنهم من قال بقول المرجئة إنه التصديق بالقلب واللّسان ومنهم من قال إذا ترك التصديق باللسان عناداً كان كافراً بالشرع وإن كان في قلبه التصديق والعلم[*3] : قلت وهذان القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بأنه ليس مجرد تصديق القلب وهو ليس[*4] شيئاً واحداً وقال إن الشرع تصرف فيه وهذا يهدم[*5] أصلهم ولهذا كان حذاق هؤلاء كجهم والصالحي وأبي الحسن والقاضي أبي بكر على أنه لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بزوال العلم من قلبه ، قال أبو المعالي :

باب : في ذكر الأحكام والأسماء[*6]

أعلم أن غرضنا في هذا الباب يستدعي تقديم ذكر حقيقة الإيمان قال وهذا مما

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٤ .

(*١) (تعظيمه) في الأصل ، (ايذائه) في الهندية .

(*٢) (فيه) زيادة في الهندية .

(*٣) (وكانوا يقولون الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ومنهم من قال بقول المرجئة إنه التصديق بالقلب واللسان ومنهم من قال : إذا ترك التصديق باللسان عناداً كان كافراً بالشرع وإن كان في قلبه التصديق والعلم) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (وهو ليس) في الأصل ، (وليس هو) في الهندية .

(*٥) (يهدم) في الأصل ، (أهم) في الهندية .

(*٦) (باب في ذكر الأحكام والأسماء) في الأصل ، (باب في ذكر الأسماء والأحكام) في الهندية .

تباينت فيه مذاهب[*1] ثم ذكر قول الخوارج والمعتزلة والكرامية ثم قال وأما مذهب[*2] أصحابنا فصار أهل[*3] التحقيق من أصحاب الحديث والنظّار منهم إلى أن الإيمان هو التصديق ، وبه قال شيخنا أبو الحسن رحمة الله عليه واختلف رأيه في معنى التصديق ، فقال مرة : هو المعرفة بوجوده وقدمه وإلٰهيته وقال مرة : التصديق قول في النفس غير أنه يتضمن المعرفة ولا يصح أنه يوجد دونها وهذا مرتضاه . فإن التصديق والتكذيب والصدق والكذب بالأقوال أجدر ، فالتصديق إذا قيل في النفس يعبّر عنه باللسان فتوصف العبادة بأنها تصديق لأنها عبارة عن التصديق ، قال[*4] : وقال بعض أصحابنا التصديق لا يتحقق إلا بالقول[*5] جميعاً فإذا كان تصديقاً واحداً ومنهم من اكتفى بترك العناد فلم يجعل الإقرار أحد ركني الإيمان فيقول : الإيمان هو التصديق بالقلب وأوجب ترك العناد بالشرع وعلى هذا الأصل يجوز أن يعرف الكافر الله وإنما يكفر بالعناد لا لأنه ترك ما هو الاسم[*6] في الإيمان ، وعلى هذا الأصل يقال إن اليهود كانوا عالمين بالله ونبوّة محمد ﷺ إلا أنهم كفروا عناداً وبغياً وحسداً ، قال[*7] وعلى قول شيخنا أبي الحسن كل من حكمنا بكفره فنقول إنه لا يعرف الله أصلاً ولا عرف رسوله ولا دينه قال أبو القاسم الأنصاري تلميذه كأن المعنى لا يحكم[*8] لإيمانه ولا لمعرفته شرعاً قلت وليس الأمر على هذا القول كما قاله الأنصاري هذا ولكن على قولهم المعاند كافر شرعاً فنجعل الكفر تارة بانتفاء الإيمان الذي في القلب وتارة بالعناد ونجعل هذا كافراً في الشرع وإن كان معه حقيقة الإيمان الذي هو التصديق ويلزمه أن يكون كافراً في الشرع مع أن معه الإيمان الذي هو مثل إيمان الأنبياء والملائكة . والحذاق في هذا المذهب كأبي الحسن والقاضي ومن قبلهم من أتباع جهم عرفوا أن هذا تناقض يفسد

(*1) (الاسلاميين) زيادة في الهندية .

(*2) (مذهب) في الأصل ، (مذاهب) في الهندية .

(*3) (أهل) غير موجودة في الهندية .

(*4) (قال) غير موجودة في الهندية .

(*5) (والصدق) زيادة في الهندية .

(*6) (الاسم) في الأصل ، (الاهم) في الهندية .

(*7) (قال) غير موجودة في الهندية .

(*8) (لايحكم) في الأصل ، (لاحكم) في الهندية .

الأصل فقالوا لا يكون أحد كافراً[*1] إلا إذا ذهب ما في قلبه من التصديق والتزموا أن كل من حكم الشرع بكفره فإنه ليس في قلبه شيء من معرفة الله ولا معرفة رسوله ، ولهذا أنكر هذا عليهم جماهير العقلاء وقالوا هذه مكابرة وسفسطة وقد احتجوا على قولهم بقوله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَه** ﴾[1] إلى قوله : ﴿ **أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمان** ﴾[2] الآية ، قالوا ومفهوم هذا[*2] من لم يعمل بمقتضاه لم يكتب في قلوبهم الإيمان قالوا فإن قيل معناه لا يؤمنون إيماناً مجزئاً معتدّاً به أو يكون[*3] لا يُؤدّون حقوق الإيمان ولا يعملون بمقتضاه قلنا هذا عام لا يخص إلا بدليل فيقال لهم هذه الآية فيها نفي الإيمان عمّن يوادّ المحادّين لله ورسوله وفيه أن من لا يوادّ المحادّين لله ورسوله فإن الله كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه وهذا يدل على مذاهب السلف أنه لا بدّ في الإيمان من محبة القلب لله ورسوله ومن بغض من يحادّ الله ورسوله ثم لم تدل الآية على أن العلم الذي في قلوبهم بأن محمداً رسول الله يرتفع لا يبقى منه شيء والإيمان الذي كتب ليس هو مجرد العلم والتصديق بل هو تصديق القلب وعمل القلب ولهذا قال : ﴿ **أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾[3] ، فقد وعدهم بالجنّة ، وقد اتفق الجميع على أن الوعد بالجنّة لا يكون إلا مع الإتيان بالمأمور به وترك المحظور ، فعلم أن هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه قد أدوا الواجبات التي بها يستحقون ما وعد الله به الأبرار المتقين ، ودل هذا على أن الفسّاق لم يدخلوا في هذا الوعد ودلّت هذه الآية على أنه لا يوجد مؤمن يوادّ الكفّار ومعلوم أن خلقاً من الناس يعرف من نفسه أن التصديق في قلبه لم يكذب الرسول وهو مع هذا يوادّ بعض الكفّار ، فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب لكن قد يكون

---

(١) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(*١) (أحد) في الأصل ، (واحد) في الهندية .

(*٢) (أن) زيادة في الهندية .

(*٣) (المعنى) زيادة في الهندية .

ذلك بزوال عمل القلب الذي هو حبّ الله ورسوله وخشية الله ونحو ذلك لا يستلزم أن لا يكون في القلب شيء من التصديق أصلاً[*] وهذا سفسطة[1] عند جماهير العقلاء وكذلك حكى ابن فورك عن أبي الحسن قال : الإيمان هو اعتقاد صدق المخبر فيما يخبر به اعتقاداً هو علم ومنه[*2] ما ليس بعلم والإيمان بالله وهو اعتقاد صدقه وإنما يصح إذا كان عالماً بصدقه في إخباره وإنما يكون كذلك إذا كان عالماً بأنه يتكلم والعلم بأنه تكلم بعد العلم بأنه حي والعلم بأنه حي بعد العلم بأنه فاعل والعلم بأنه فاعل بعد العلم بالفعل وهو كون العالم فعلاً له قال وكذلك يتضمن العلم يكون قادراً أو له قدرة وعالماً وله علم ومريد وله إرادة وسائر ما لا يصح العلم بالله إلا بعد العلم به من شرائط الإيمان .

قلت : هذا مما اختلف فيه قول الأشعري وهو أن الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلاً بالموصوف أم لا على قولين والصحيح الذي عليه الجمهور وهو آخر قوليه أنه لا يستلزم الجهل بالموصوف وجعل إثبات الصفات من الإيمان مما خالف فيه الأشعري جهماً فإن جهماً غالى في نفي الصفات بل وفي نفي[*3] الأسماء ، قال أبو الحسن ثم السمع ورد بضم شرائط آخر إليه وهو أن يقارن به ما يدل على كفر ما يأتيه فعلاً وتركاً وهو أن الشرع أمر بترك العبادة والسجود للصنم ، فلو أتى به دلّ على كفره وكذلك من قتل نبيّاً أو استخفّ به دل على كفره وكذلك لو ترك تعظيم المصحف أو الكعبة دل على كفره قال وأحد ما استدللنا به على كفره ما منع الشرع أن يقرنه بالإيمان أو أوجب ضمّه إلى الإيمان لو وجد دلنا ذلك على أن التصديق الذي هو الإيمان مفقود لا من قلبه وكذلك كل ما كفر به المخالف من طريق التأويل فإنما كفّرناه لدلالته على فقد ما هو إيمان في قلبه لاستحالة أن يقضي السمع بكفر من معه الإيمان والتصديق بقلبه فيقال : لا ريب أن الشارع

---

(١) كلمة سفسطة : كلمة يونانية تعني الكلام الذي لا يعتمد على دليل بل هو كلام جدلي لا يأتي بفائدة علمية ويركز على الأسلوب وزخرفته .

(١*) (وعند هؤلاء كل من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق) زيادة في الهندية .

(٢*) (ما) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (نفى) غير موجودة في الهندية .

لا يقضي بكفر من معه الإيمان بقلبه لكن دعواكم أن الإيمان هو التصديق وأن يجرد عن جميع أعمال القلب غلط ولهذا قالوا أعمال التصديق والمعرفة من قلبه ألا ترى أن الشريعة حكمت بكفره ، فالشريعة لا تحكم بكفر المؤمن المصدق ولهذا نقول إن كفر إبليس لعنه الله كان أشدّ من كفر كل كافر وأنه لم يعرف الله بصفاته قطعاً ولا آمن به إيماناً حقيقياً باطناً وإن وجد منه القول والعبادة ، كذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة لم توجد في قلوبهم حقيقة الإيمان المعتدّ به في حال حكمنا لهم بالكفر . قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء** ﴾[1] وقوله : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾[2] ، الآية ، فجعل الله تعالى[*1] هذه الأمور شرطاً في ثبوت حكم الإيمان فثبت أن الإيمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدّاً به دونها ، فيقال إن قلتم إن ضم إلى معرفة القلب شروط[*2] في ثبوت الحكم أو الاسم لم يكن هذا قول جهم بل يكون هذا قول من جعل الإيمان كالصلاة والحج وهو وإن كان في اللغة بمعنى الدعاء والقصد ،[*3] لكن الشارع ضم إليه أموراً إما في الحكم وإما في الحكم والاسم . وهذا القول قد سلم صاحبه أن حكم الإيمان المذكور في الكتاب والسنّة لا يثبت بمجرد تصديق القلب بل لابدّ من تلك الشرائط ، وعلى هذا فلا[*4] يمكن جعل الفاسق مؤمناً إلا بدليل يدل على ذلك لا بمجرد قوله إن معه تصديق القلب ومن جعل الإيمان[*5] تصديق القلب يقول كل كافر في النار ليس معهم من التصديق بالله شيء لا مع إبليس ولا مع غيره وقد قال[*6] تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذين اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ**

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٨١ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (شروط) في الأصل ، (شروطا) في الهندية .

(*٣) (الدعاء والقصد) في الأصل ، (القصد والدعاء) في الهندية .

(*٤) (فلا) في الأصل ، (لا) في الهندية .

(*٥) (هو) زيادة في الهندية .

(*٦) (الله) زيادة في الهندية .

الْعِبَادِ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ فقد اعترفوا بأن الرسل أتتهم وتلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا فقد عرفوا الله ورسوله[*1] واليوم الآخر وهم في الآخرة كفار وقال تعالى : ﴿ **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾[3] ، فقد كذبوا بوجوده وكذبوا بتنزيله وأما في الآخرة[*2] فقد عرفوا الجميع ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ تُرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾[5] ، إلى قوله : ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾[6] ، آيات أُخر كثيرة تدل على أن الكفار في الآخرة يعرفون ربهم فإن كان مجرد المعرفة إيماناً كانوا مؤمنين في الآخرة فإن قالوا الإيمان في الآخرة لا ينفع وإنما الثواب على الإيمان في الدنيا قيل هذا صحيح لكن إذا لم يكن الإيمان إلا مجرد العلم فهذه الحقيقة لا تختلف ، فإن لم يكن العمل من الإيمان فالعارف في الآخرة لم يَفُتْه شيء من الإيمان لكن أكثر ما يدعونه أنه حين مات لم يكن في قلبه من التصديق بالربّ شيء ونصوص القرآن في غير موضع تدل على أن الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب حتى فرعون الذي أظهر التكذيب كان في الباطن[*3] مصدقاً ، قال تعالى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا**

---

(١) سورة غافر ، الآيتان ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) سورة الزّمر ، الآية ٧١ .
(٣) سورة الملك ، الآيتان ٧ ، ٨ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٣٠ .
(٥) سورة ق ، الآية ١٩ .
(٦) سورة ق ، الآية ٢٢ .

(١*) (ورسله) في الأصل ، (ورسوله) في الهندية .
(٢*) (فقد) غير موجودة في الهندية .
(٣*) (الباطن) في الأصل ، (باطنه) في الهندية .

وَعُلُوّاً ﴾ وقال[1*] موسى لفرعون : ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ** ﴾[2] ، ومع هذا لم يكن مؤمنا بل قال موسى : ﴿ **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾[3] ، قال الله تعالى[2*] : ﴿ **قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا** ﴾[4] ، ولما قال فرعون : ﴿ **آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ** ﴾[5] ، قال الله تعالى[3*] : ﴿ **الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[6] ، فوصفه بالمعصية لم يصفه بعدم العلم في الباطن كما قال : ﴿ **فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ** ﴾[7] ، أو كما قال عن إبليس : ﴿ **فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ** ﴾[8] ، فلم يصفه إلا بالإباء والاستكبار ولمعارضة[4*] الأمر لم يصفه بعدم العلم[5*] وأخبر الله تعالى[6*] عن المشركين[7*] في غير موضع[8*] أنهم كانوا معترفين بالصانع[9*] ثم يقال لهم إذا قلتم هو التصديق بالقلب أو باللسان أو بهما فهل هو التصديق المجمل أو لابد فيه من التفصيل فلو صدق أن محمداً رسول الله ولم يعرف صفات الحق هل يكون مؤمنا[10*] فإن جعلوه مؤمناً قيل فإذا بلغه

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٤ .
(٢) سورة الاسراء ، الآية ١٠٢ .
(٣) سورة يونس ، الآية ٨٨ .
(٤) سورة يونس ، الآية ٨٩ .
(٥) سورة يونس ، الآية ٩٠ .
(٦) سورة يونس ، الآية ٩١ .
(٧) سورة المزمل ، الآية ١٦ .
(٨) سورة ص ، الآيتان ٧٣ ؛ ٧٤ .

(١*) (وكما) زيادة في الهندية .
(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٣*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٤*) (ولمعارضة) في الأصل (ومعارضته) في الهندية .
(٥*) (وقد) زيادة في الهندية .
(٦*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٧*) (المشركين) في الأصل (الكفار) في الهندية .
(٨*) (في غير موضع) غير موجودة في الهندية .
(٩*) (في مثل قوله : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) زيادة في الهندية .
(١٠*) (أم لا) زيادة في الهندية .

ذلك فكذّب به لم يكن مؤمناً باتفاق المسلمين فصار بعض الإيمان أكمل من بعض وإن قالوا لا يكون مؤمناً لزمهم أن لا يكون أحد مؤمناً حتى يعرف تفصيل كل ما أخبر به الرسول ، ومعلوم أن أكثر الأمة لا يعرفون ذلك وعندهم الإيمان لا يتفاضل إلا بالدوام فقط . قال أبو المعالي فإن قال قائل[*1] : أصلكم يلزمكم أن يكون إيمان المتهتّك في فسقه كإيمان النبي ﷺ[*2] قلنا الذي يفضل إيمانه على إيمان من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب والتصديق عرض من الأعراض لا يبقى وهو متوال للنبي ﷺ ثابت لغيره في بعض الأوقات وزائل عنه في أوقات الفترات فثبت[*3] للنبي ﷺ أعداد من التصديق ولا يثبت لغيره إلا بعضها فيكون إيمانه لذلك أكثر وأفضل[*4] ولو وصف الإيمان بالزيادة والنقصان وأريد به ذلك كان مستقيماً . قلت : فهذا[*5] الذي يفضل به النبي غيره في الإيمان[*6] ، ومعلوم أن هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة كما[*7] بسط في مواضع أُخر .

فصـــــل :

قول الذين نصروا مذهب جهم في الإيمان

قال الذين نصروا مذهب جهم في الإيمان من المتأخرين كالقاضي أبي بكر وهذا لفظه : فإن قال قائل : وما الإسلام عندكم ؟ قيل له الإسلام الانقياد والاستسلام وكل طاعة انقاد العبد بها لربّه واستسلم فيها لأمره فهي إسلام والإيمان

(*1) (قائل) في الأصل (القائل) في الهندية .

(*2) (وآله) زيادة في الهندية .

(*3) (فثبت) في الأصل (فيثبت) في الهندية .

(*4) (قال) زيادة في الهندية .

(*5) (هو) زيادة في الهندية .

(*6) (عندهم) زيادة في الهندية .

(*7) (قد) زيادة في الهندية .

خصلة من خصال الإسلام فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً فإن قال فلِمَ قلتم إن معنى الإسلام ما وصفتم قيل لأجل قوله[1*] : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾[1] فنفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام وإنما أراد بما أثبته الانقياد والاستسلام ومنه القول[2*] السلم وكل من استسلم لشيء فقد أسلم وإن كان أكثر ما يستعمل ذلك في المستسلم لله ولنبيّه ، قلت : هذا الذي ذكره مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنّة هو تناقض فإنهم جعلوا الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، فالطاعات كلها إسلام فليس فيها إيمان إلا التصديق والمرجئة وإن قالوا إن الإيمان يتضمن الإسلام فهم يقولون الإيمان[3*] تصديق القلب واللسان. وأما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب فلا تكون الشهادتان ولا الصلاة ولا الزكاة ولا غيرهن من الإيمان وقد تقدم ما بيّنه الله تعالى ورسوله من أنَّ الإسلام داخل في الإيمان فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون مسلماً ، كما أن الإيمان داخل في الإحسان فلا يكون محسناً حتى يكون مؤمناً ، وأما التناقض فإنهم إذا قالوا الإيمان خصلة كان من أتى بالإيمان إنما أتى بخصلة من خصال الإسلام لا بالإسلام الواجب جميعه ولا يكون مسلماً حتى بالإسلام كله كما لا يكون عندهم مؤمناً حتى يأتي بالإيمان كله وإلا فمن أتى ببعض الإيمان عندهم لا يكون مؤمناً ولا فيه شيء من الإيمان فكذلك يجب أن يقولوا في الإسلام وقد قالوا كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً وهذا إن أرادوا به أن كل إيمان هو الإسلام الذي أمر الله به ناقض قولهم إن الإيمان خصلة من خصاله فجعلوا الإيمان بعضه ولم يجعلوه إيّاه وإن قالوا كل إيمان فهو إسلام أي هو طاعة لله وهو جزء من الإسلام الواجب ، وهذا مرادهم ، قيل لهم فعلى هذا يكون الإسلام متعدداً بتعدد الطاعات وتكون الشهادتان وحدهما إسلاماً والصلاة وحدها إسلاماً والزكاة إسلاماً بل كل درهم تعطيه للفقراء[4*] إسلاماً ،

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(١*) (تعالى) زيادة في الهندية .

(٢*) (ومنه القول السلم) في الأصل ، (وألقوا إليك السلم) في الهندية .

(٣*) (هو) زيادة في الهندية .

(٤*) (للفقراء في الأصل ، (للفقير في الهندية) .

وكل سجدة إسلاماً وكل يوم تصومه إسلاماً وكل تسبيحة تسبّحها في الصلاة وغيرها إسلاماً ، ثم المسلم إن كان لا يكون مسلماً إلا بفعل كل ما سميتموه إسلاماً لزم أن يكون الفسّاق ليسوا مسلمين مع كونهم مؤمنين فجعلتم المؤمنين الكاملي الإيمان عندكم ليسوا مسلمين وهذا شرّ من قول الكرامية ويلزم أن الفسّاق من أهل القبلة ليسوا مسلمين وهذا شرّ من قول الخوارج والمعتزلة وغيرهم ، بل وأن يكون من ترك التطوعات ليس مسلماً إذا كانت التطوعات طاعة لله إن جعلتم كل طاعة فرضاً أو نفلاً إسلاماً ثم هذا خلال ما احتججتم به من قوله للأعراب : ﴿ **لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾(١) ، فأثبت لهم الإسلام دون الإيمان وأيضاً فإخراجكم الفسّاق من اسم الإسلام إن أخرجتموهم أعظم شفاعة من إخراجهم من اسم الإيمان فوقعتم في أعظم ما عبتموه على المعتزلة فإن الكتاب والسنّة ينفي عنهم اسم الإيمان أعظم مما ينفي اسم الإسلام واسم الإيمان في الكتاب والسنّة أعظم . وإن قلتم بل كل من فعل طاعة سمّي مسلماً(١*) صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه أن يكون مسلما عندكم لأن الإيمان عندكم إسلام فمن أتى به فقد أتى بإسلام(٢*) فيكون مسلماً عندكم من لم(٣*) يتكلم بالشهادتين ولا أتى بشيء من الأعمال واحتجاجكم بقوله : ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾(٢) قلتم نفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام فيقال هذه الآية حجة عليكم لأنه لمّا أثبت الإسلام مع انتفاء الإيمان دل ذلك على أن الإيمان(٤*) جزء من الإسلام إذ لو كان بعضه لما كانوا مسلمين إن لم يأتوا به ، وإن قلتم أردنا بقولنا : أثبت لهم الإسلام أي إسلاماً ما فإن كل طاعة من الإسلام إسلام عندنا لزمكم ما تقدم من أن يكون صوم يوم إسلاماً وصدقة درهم إسلاماً وأمثال ذلك وهم يقولون كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، قالوا هذا من حيث الإطلاق وإلا فالتفصيل ما ذكرناه من أن الإيمان خصلة من

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(١*) (لزم أن يكون من فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بالشهادتين مسلما ومن) زيادة في الهندية .

(٢*) (باسلام) في الأصل ، (بالاسلام) في الهندية .

(٣*) (لم) غير موجودة في الهندية .

(٤*) (ليس) زيادة في الهندية .

خصال الإسلام والدين وليس هو جميع الإسلام والدين ، فإن الإسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعة وقعت موافقة للأمر والإيمان أعظم خصلة من خصال الإسلام واسم الإسلام شامل لكل طاعة انقاد بها العبد لله تعالى(*١) من إيمان وتصديق وفرض سواه ونفل غير أنه لا يصح(*٢) التقرب بفعل ما عدا الإيمان من الطاعات دون تقديم فعل الإيمان ، قالوا والدّين مأخوذ من التديّن وهو قريب من الإسلام في المعنى . فيقال لهم إذا كان هذا قولهم فقولكم كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً يناقض هذا ، فإن المسلم هو المطيع لله تعالى(*٣) ولا تصحّ الطاعة من أحد إلا مع الإيمان فيمتنع أن يكون أحد فعل شيئاً من الإسلام إلا وهو مؤمن ، ولو كان ذلك أدنى الطاعات فيجب أن يكون كل مؤمن مسلماً(*٤) سواء أريد بالإسلام فعل جميع الطاعات أو فعل واحدة منها وذلك كله لا يصح(*٥) إلا مع الإيمان وحينئذ فالآية حجة عليكم لا لكم . ثم قولكم : كل مؤمن مسلم(*٦) تريدون بالإيمان تصديق القلب فقط فيلزم أن يكون الرجل مسلماً وإن(*٧) لم يتكلم بالشهادتين ، ولا أتى بشيء من الأعمال المأمور بها وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام بل عامة اليهود والنصارى يعلمون أن الرجل لا يكون مسلماً حتى يأتي بالشهادتين(*٨) ولا بشيء من المباني الخمس بل أتى بما هو طاعة وتلك طاعة باطنة وليس هذا هو المسلم المعروف في الكتاب والسنّة ولا عند الأئمة الأولين والآخرين ثم استدللتم بالآية ، والأعراب إنما أتوا بإسلام ظاهر نطقوا فيه بالشهادتين سواء كانوا صادقين أو كاذبين فأثبت الله لهم الإسلام دون الإيمان فيظن من لا يعرف حقيقة الأمر أن هذا(*٩) قول السلف الذي دل عليه الكتاب والسنّة من أن كل

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (لا يصح) في الأصل ، (لا يصلح) في الهندية .

(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (كل مؤمن مسلما) في الأصل ، (مل مسلم مؤمنا) في الهندية .

(*٥) (كله لا يصح) في الأصل ، (لا يصح كله) في الهندية .

(*٦) (وأنكم) زيادة في الهندية .

(*٧) (وان لم) في الأصل ، (ولو لم) في الهندية .

(*٨) (أو ما يقوم مقامهما وقولكم كل مؤمن مسلم لا يريدون أنه أتى بالشهادتين) زيادة في الهندية .

(*٩) (هو) زيادة في الهندية .

مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وبينهما من التباين أعظم مما بين قول السلف وقول المعتزلة في الإيمان والإسلام فإن قول المعتزلة في الإيمان والإسلام أقرب من قول الجهمية بكثير ولكن قولهم في تخليد أهل القبلة أبعد عن قول السلف من قول الجهمية ، فالمتأخرون الذين نصروا قول جهم في مسألة الإيمان يظهرون قول السلف في هذا وفي الاستثناء وفي انتفاء الإيمان الذي في القلب حيث نفاه القرآن ونحو ذلك ، وذلك كله موافق للسلف في مجمل اللفظ وإلا فقولهم في غاية المباينة لقول السلف ، ليس في الأقوال أبعد عن السلف منه ، وقول المعتزلة والخوارج والكرامية في اسم الإيمان والإسلام أقرب إلى قول السلف من قول الجهمية لكن المعتزلة والخوارج يقولون بتخليد العصاة وهذا أبعد عن قول السلف من كل قوم فهم أقرب في الاسم وأبعد في الحكم . والجهمية وإن كانوا في قولهم ، بأن الفسّاق لا يخلدون ، أقرب في الحكم إلى السلف فقولهم في منتهى(*1) الإسلام والإيمان وحقيقتهما أبعد من كل قول عن الكتاب والسنّة وفيه من مخالفة(*2) العقل والشرع واللّغة ما لا يوجد مثله لغيرهم .

فصـــل :

الإيمان المطلق مستلزم للأعمال

ومما يدل من القرآن على أن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال ، قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[1] فنفى الإيمان عن غير هؤلاء فمن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين ، وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين وأما سجود التلاوة ففيه نزاع . وقد يحتج بهذه الآية من يوجبه

(١) سورة السجدة ، الآية ١٥ .

(*1) (منتهى) في الأصل ، (مسمى) في الهندية .
(*2) (مخالفة) في الأصل ، (مناقضة) في الهندية .

ولكن ليس هذا موضع بسط هذه المسألة فهذه الآية مثل قوله[*1] : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوه** ﴾[1]، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ، لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾[2] وهذه الآية مثل قوله : ﴿ **لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ**[*2] ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ**[*3] **وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[4] ، يبيّن الله سبحانه أن الإيمان له لوازم وله أضداد موجودة تستلزم ثبوت لوازمه وانتفاء أضداده ، ومِن أضداده[*4] موادة من حادّ الله ورسوله ، ومِن أضداده استئذانه في ترك الجهاد ثم صرح بأن استئذانه إنما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ودل قوله : ﴿ **وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** ﴾[5] على أن المتّقين هم المؤمنون ومن هذا الباب قوله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن[6] » ، وقوله : « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[7] ، وقوله : « لا تؤمنوا حتى

---

(١) سورة النور ، الآية ٦١ .

(٢) سورة التوبة ، الآيات من ٤٣ ـ ٤٥ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٨١ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١١٥ .

(٦) متفق عليه ، البخاري في كتاب المظالم ١٩٩/٥ ، ومسلم في كتاب الإيمان ٧٦/١ .

(٧) متفق عليه ، وقد تقدم .

(١*) هناك آيتان زيادتان في الهندية وهما :

﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ سورة الحجرات ، آية ١٥ .

وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ سورة الأنفال ، آية ٢ .

(٢*) ﴿ **ولو كانوا آباءهم** ﴾ غير موجودة في الهندية .

(٣*) ﴿ **ولكن كثيراً منهم فاسقون** ﴾ غير موجودة في الهندية .

(٤*) (ومن أضداده) غير موجودة في الهندية .

تحابّوا »[١] ، وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[٢] ، وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه »[٣] ، وقوله : « من غشّنا فليس منّا ومن حمل علينا السلاح فليس منّا »[٤]

فصـــل :

تقييـد الإيمان واقترانه بالإسـلام

وأما إذا قيّد الإيمان فقرن بالإسلام أو بالعمل الصالح فإنه قد يراد به ما في القلب من الإيمان باتفاق الناس ، وهل يراد به أيضاً المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام أو لا يكون حين الاقتران داخلاً في مسماه بل يكون لازماً له على مذهب أهل السنة أو[*١] لا يكون بعضاً ولا لازماً هذا فيه ثلاثة أقوال للناس كما سيأتي إن شاء الله تعالى[*٢] وهذا موجود في عامة الأسماء بتنوع مسمّاها بالإطلاق والتقييد ، مثال ذلك اسم المعروف والمنكر ، فإذا أطلق كما في قوله تعالى : ﴿ **يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[٦] ، وقوله : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[٧] يدخل في المعروف كل خير وفي المنكر كل شر ، ثم قد يقرن هذا[*٣] بما هو أخص منه كقوله : ﴿ **لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[٨] ، فغاير بين المعروف وبين

---

(١) رواه الإمام مسلم وقد تقدم .
(٢) متفق عليه ، البخاري في كتاب الإيمان ٥٨/١ ، مسلم في كتاب الإيمان ٦٧/١ .
(٣) متفق عليه ، البخاري في كتاب الإيمان ٥٦/١ عن أنس ، مسلم في كتاب الإيمان ٦٧/١ .
(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان ٩٩/١ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .
(٦) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .
(٧) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
(٨) سورة النساء ، الآية ١١٤ .

(*١) (أو) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (هذا) غير موجودة في الهندية .

الصدقة والإصلاح بين الناس كما غاير بين اسم الإيمان والعمل واسم الإيمان والإسلام وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إنْ الصَّلاة تنْهى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكرِ** ﴾[1] ، غاير بينهما وقد دخلت الفحشاء في المنكر في قوله : ﴿ **وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكرِ** ﴾[2] ، ثم ذكر مع المنكر اثنين في قوله : ﴿ **إنَّ الله يَأْمُرُ بالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْي** ﴾[3] جعل البغي هنا مغايراً لهما وقد جعل في المنكر في ذينك الوضعين ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر[*1] به[*2] والتوكل عليه ممّا أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في قوله : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾ وفي قوله : ﴿ **وَاعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** ﴾[5] ، وقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ﴾[6] ، وقوله : ﴿ **إنَّا أَنْزَلْنَا إلَيْكَ الْكِتَابَ بالْحَقِّ فَاعْبُدِ الله مُخْلِصاً لَهُ الدِّين** ﴾[7] ، وقوله : ﴿ **قُلْ الله أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي** ﴾[8] ، وقوله : ﴿ **قُلْ**[*3] **أَفَغَيْرَ الله تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُون** ﴾[9] ، ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله : ﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين** ﴾[10] ، وقوله : ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَتَوكَّلْ عَلَيْهِ** ﴾[11] ، وقول نوح : ﴿ **اعْبُدُوا الله وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُون** ﴾[12] ، وكذلك إذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذلك[*4] اسم

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ١٤٥ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
(٣) سورة النحل ، الآية ٩٠ .
(٤) سورة الذاريات ، الآية ٩٦ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٣٦ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢١ .
(٧) سورة الزّمر ، الآية ٢ .
(٨) سورة الزّمر ، الآية ١٤ .
(٩) سورة الزّمر ، الآية ٦٤ .
(١٠) سورة الفاتحة ، الآية ٥ .
(١١) سورة هـود ، الآية ١٢٣ .
(١٢) سورة نـوح ، الآية ٧٠ .

(*١) (الله) زيادة في الهندية .
(*٢) (بـه) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (قـل) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (وكذلك) في الأصل ، (وكذا) في الهندية .

التقوى[*1] دخل فيه كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب : التقوى أن يعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب[*2] الله وهذا كما في قوله : ﴿ **إنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾[1] ، وقد يقرن بها اسم آخر كقوله : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهْوَ حَسْبُه** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **إنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **وَاتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُون بِهِ والأَرْحَام** ﴾[4] ، وقوله : ﴿ **اتّقوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾[5] ، وقوله : ﴿ **اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين** ﴾[6] ، وقوله : ﴿ **اتّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمُون** ﴾[7] ، وأمثال ذلك فقوله : ﴿ **اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾[8] ، مثل قوله : ﴿ **آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِين فِيه** ﴾[9] ، وقوله : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إلَيْهِ مِنْ رَبِّه وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإلَيْكَ المَصِير** ﴾[10] فعطفف قولهم على الإيمان كما عطف القول السديد على التقوى . ومعلوم أن التقوى إذا أطلق[*3] دخل فيها القول السديد ، وكذلك الإيمان إذا أطلق

---

(1) سورة القمر ، الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .
(2) سورة الطلاق ، الآيتان ٢ ، ٣ .
(3) سورة يوسف ، الآية ٩٠ .
(4) سورة النساء ، الآية ١ .
(5) سورة الأحزاب ، الآية ٧٠ .
(6) سورة النور ، الآية ١١٩ .
(7) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .
(8) سورة الأحزاب ، الآية ٧٠ .
(9) سورة الحديد ، الآية ٧ .
(10) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .

(*1) (اسم التقوى) غير موجودة في الهندية .
(*2) (عقاب) في الأصل ، (عذاب) في الهندية .
(*3) (أطلق) في الأصل ، (أطلقت) في الهندية .

دخل فيه السمع والطاعة لله وللرسول وكذلك قوله : ﴿ **آمَنُوا بِـالله وَرَسُولِهِ** ﴾[1] ، وإذا أطلق الإيمان بالله في حق أمة محمد دخل فيه الإيمان بالرسول وكذلك قوله : ﴿ **كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾[2] ، وإذا أطلق الإيمان بالله دخل فيه الإيمان بهذه التوابع وكذلك قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ** ﴾[4] ، الآية ، وإذا قيل في قوله[*1] : ﴿ **آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ** ﴾[5] دخل في الإيمان برسوله الإيمان بجميع الكتب والنبيين وكذلك[*2] : ﴿ **وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾[6] ، وإذا قيل : ﴿ **آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** ﴾[7] دخل في الإيمان بالله ورسوله الإيمان بذلك كله والإنفاق يدخل في قوله في الآية الأخرى : ﴿ **آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ** ﴾[8] ، كما يدخل القول السديد في مثل قوله : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾[9]وكذلك لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما قال في قوله : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[10] ، وقوله : ﴿ **وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى** ﴾[11] ، وقوله : ﴿ **وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ والْكِتَابِ والنَّبِيِّينَ وآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ والسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ**

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

(٦) سورة الحديد ، الآية ٢٨ .

(٧) سورة الحديد ، الآية ٧ .

(٨) سورة الحديد ، الآية ٧ .

(٩) سورة النساء ، الآية ١٣١ .

(١٠) سورة الانفطار ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(١١) سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

(١*) (في) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (إذا قيل) زيادة في الهندية .

الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ والْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ في الْبَأْسَاءِ ووَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ ﴾[1] ، فالبر إذا أطلق كان مسمّاه مسمّى التقوى وإذا أطلقت التقوى[1*] كان مسمّاها مسمّى البر ثم قد يجمع بينهما كما في قوله[2*] : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى** ﴾[2] ، وكذلك لفظ الإثم إذا أطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقرن بالعدوان[3*] في قوله[4*] : ﴿ **وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ** ﴾[3] ، وكذلك لفظ الذنوب إذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما في قوله : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً[5*] إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[4] ، ثم[6] يقرن بغيره كما في قوله : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا في أَمْرِنَا** ﴾[5] ، وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذي[7*] الله به ورسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله[8*] به كما في قوله : ﴿ **أهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ** ﴾[6] ، والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً وكذلك قوله : ﴿ **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[9*] ، وقول أهل الجنة : ﴿ **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا** ﴾[7] ، وإنما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ، ثم قد يقرن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٢ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٢ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٤٧ .
(٦) سورة الفاتحة ، الآية ٦ .
(٧) سورة الأعراف ، الآية ٤٣ .

(١*) (وإذا أطلقت التقوى) في الأصل ، (التقوى إذا أطلقت) في الهندية .
(٢*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٣*) (كما) زيادة في الهندية .
(٤*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٥*) ﴿ إنه هو الغفور الرحيم﴾ غير موجودة في الهندية .
(٦*) (قد) زيادة في الهندية .
(٧*) (بعث) زيادة في الهندية .
(٨*) (الله) غير موجودة في الهندية .
(٩*) (المراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين) زيادة في الهندية .

الهدى إما بالاجتباء، كما في قوله: ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1]، وكما في قوله: ﴿ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ ﴾[2]، ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[3]، وكذلك قوله[*1]: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾[4]، والهدى هنا هو[*2] الإيمان ودين الحق[*3] الإسلام. وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا. ولفظ الضلال إذا أطلق تناول من ضلّ عن الهدى سواء كان عمداً أو جهلاً ولزم أن يكون معذباً كقوله: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُون ﴾[5]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾[6]، وقوله: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾[7]، ثم قد يقرن[*4] بالغي أو الغضب كما في قوله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[8]، وفي قوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين ﴾[9] وقوله: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُر ﴾[10]، وكذلك لفظ الغي إذا أطلق تناول كل معصية لله كما في قوله عن الشيطان: ﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنهُم الْمُخْلَصِين ﴾[11]. وقد يقرن بالضلال كما في قوله: ﴿ مَا ضَلَّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٧.
(٢) سورة النحل، الآية ١٢١.
(٣) سورة الشورى، الآية ١٣.
(٤) سورة الفتح، الآية ٢٨.
(٥) سورة الصافات، الآيتان ٦٩، ٧٠.
(٦) سورة الأحزاب، الآيتان ٦٧، ٦٨.
(٧) سورة طه، الآية ١٢٣.
(٨) سورة النجم، الآية ٢.
(٩) سورة الفاتحة، الآية ٧.
(١٠) سورة القمر، الآية ٤٧.
(١١) سورة الحجر، الآيتان ٣٩، ٤٠.

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية.
(*٢) (هو) غير موجودة في الهندية.
(*٣) (هو) زيادة في الهندية.
(*٤) (يقرن) في الأصل، (يقترن) في الهندية.

المحظور ومن فعل المحظور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن لإنسان[*1] أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فإن ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور ومن المحظور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب إلا به فعليه فعله ، ولهذا كان لفظ الأمر إذا أطلق يتناول النهي وإذا قيد بالنهي كان النفي نظير ما تقدم فإذا قال تعالى عن الملائكة : ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾[1] دخل في ذلك أنه إذا نهاهم عن شيء اجتنبوه ، وأما قوله تعالى[*2] : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] ، فقد قيل لا يتعدون ما أمروا به ، وقيل يفعلونه في وقته لا يقدمونه ولا يؤخرونه ، وقد يقال هو لم يقل ولا يفعلون إلا ما يؤمرون بل هذا دل عليه قوله تعالى[*3] : ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[3] ، وقد قيل لا يعصون ما أمرهم في الماضي ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل ، وقد يقال هذه الآية خبر عما سيكون ، ليس ما أمروا به هاهنا ماضياً بل الجميع مستقبل فإنه قال : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[4] ، وما يتقى إنما يكون مستقبلاً ، وقد يقال : ترك المأمور تارة يكون لمعصية المأمور وتارة يكون لعجزه فإذا كان قادراً مريداً لزم وجود المقدور فقوله : ﴿ لا يَعْصُونَ ﴾[5] لا يمتنعون عن الطاعة ، وقوله : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[6] ، أي هم قادرون على ذلك لا يعجزون عن شيء منه ، بل يفعلونه كله فيلزم وجود كل ما أمروا به ، وقد يكون في ضمن ذلك أنهم لا يفعلون إلا المأمور به ، كما يقول القائل أن أفعل ما أمرت به ، أي أفعله ولا أتعدّاه[*4] ، وأيضاً فقوله : ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾[7] ، إن كان نهاهم عن فعلٍ آخر

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٦ .
(٢) سورة التحريم ، الآية ٦ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٧ .
(٤) سورة التحريم ، الآية ٦ .
(٥) سورة التحريم ، الآية ٦ .
(٦) سورة التحريم ، الآية ٦ .
(٧) سورة التحريم ، الآية ٦ .

(١*) لانسان) في الأصل ، (الانسان) في الهندية .
(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٣*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٤*) (إلى زيادة ولا نقصان) زيادة في الهندية .

من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه قولاً فقط فقالوا بل هو قول وعمل[*1] والذين جعلوه أربعة فسّروا مرادهم . كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان فقال : قول وعمل ونيّة وسنّة لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولاً وعملاً بلا نيّة فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونيّة بلا سنّة فهو بدعة .

فصـــــل :

المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم

وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما والمغايرة على مراتب : أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزءه ولا يعرف لزومه[*2] كقوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّـةِ أَيَّـامٍ ﴾[1] ، ونحو ذلك وقوله : ﴿ وَجِبْرِيـلَ وَمِيكَـالَ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[3] ، وهذا هو الغالب . ويليه أن يكون بينهما لزوم كقوله : ﴿ وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[6] ، فإنَّ من كفر بالله فقد كفر[*3] بهذا كله ،

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥٩ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٩٨ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٣ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٤٢ .
(٥) سورة النساء ، الآية ١١٥ .
(٦) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .

(*١) (والذين جعلوه قولاً فقط فقالوا بل هو قول وعمل) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (له) زيادة في الهندية .
(*٣) (فان من كفر بالله فقد كفر بهذا كله) في الأصل ، (فان من كفر بهذا كله) في الهندية .

كان ذلك من أمره وإن كان ذلك من أمره[*1] وإن كان لم ينههم لم يكونوا مذمومين بفعل مالم ينهوا عنه ، والمقصود أن لفظ الأمر إذا أطلق تناول النهي ومنه قوله : ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ** ﴾[1] أي أصحاب الأمر ومن كان صاحب الأمر كان صاحب النهي ووجبت طاعته في هذا و هذا ، فالنهي[*2] في الأمر وقال موسى للخضر : ﴿ **سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً ، قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ منهُ ذِكْراً** ﴾[2] ، وهذا نهي له عن السؤال حتى يحدث له منه ذكراً ، ولما خرق السفينة ، قال له موسى : ﴿ **أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً** ﴾[4] ، فسأله قبل إحداث الذكر وقال عن الجدار : ﴿ **لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾[5] ، وهذا سؤال من جهة المعنى فإن السؤال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما تقول : لو نزلت عندنا لأكرمناك ، وإن بتّ الليلة عندنا أحسنت إلينا ، ومنه قول آدم : ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين** ﴾[6] ، وقول نوح : ﴿ **ربِّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنْ لاَ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ** ﴾[7] ، ومثله كثير ، ولهذا قال موسى : ﴿ **إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي** ﴾[8] فدل على أنه سأله الثلاث قبل أن يحدث الذكر ، وهذا معصية لنهيه ، وقد دخل في قوله : ﴿ **وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾[9] ، فدل على أن عاصي النهي عاصي الأمر ومنه قوله تعالى : ﴿ **ألا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ** ﴾[10] ، وقد

---

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .
(٢) سورة الكهف ، الآيتان ٦٩ ، ٧٠ .
(٣) سورة الكهف ، الآية ٧١ .
(٤) سورة الكهف ، الآية ٧٤ .
(٥) سورة الكهف ، الآية ٧٧ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .
(٧) سورة هود ، الآية ٤٧ .
(٨) سورة الكهف ، الآية ٧٦ .
(٩) سورة الكهف ، الآية ٧١ .
(١٠) سورة الأعراف ، الآية ٥٤ .

(*١) (وان كان ذلك من أمره) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (داخل) زيادة في الهندية .

فالمعطوف لازم للمعطوف عليه ، وفي الآية قبلها المعطوف عليه لازم فإنه : ﴿ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى فَقَدِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وفي الثاني نزاع ، وقوله : ﴿ ولا تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ هما متلازمان فإنّ من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به خفى من الحق بقدر ما ظهر من الباطل فصار ملبوساً ، ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلاً فيلبس الحق بالباطل ، ولهذا كان كل من كتم شيئاً[*1] من أهل الكتاب ما أنزل الله فلا بدّ أن يظهر باطلاً ، وهكذا أهل البدع لا تجد أحداً يترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئاً من السنة كما جاء في الحديث : « ما اتّبع قوماً بدعة إلا وتركوا من السنّة مثلها »[1] ، رواه الإمام أحمد ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[3] أي عن الذكر الذي أنزله الرحمن ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[4] ، وقال تعالى[*3] : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون ﴾[5] ، فأمر باتّباع ما أنزل ونهى عما يضاد ذلك وهو اتّباع أولياء من دونه فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر ولهذا قال : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[6] ،[*4] العلماء : « من لم يكن متبعاً سبيلهم كان مبتعاً غير سبيلهم » . فاستدلّوا بذلك على أن اتّباع سبيلهم واجب فليس لأحد أن يخرج عما أجمعوا عليه ، وكذلك من لم يفعل المأمور فعمل بعض

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده .
(٢) سورة المائدة ، الآية ١٣ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية ٣٦ .
(٤) سورة طه ، الآيتان ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية ٣ .
(٦) سورة النساء ، الآية ١١٥ .

(*١) (شيئاً) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (فلما تركوا حظا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوة والبغضاء) زيادة في الهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (قال) زيادة في الهندية .

يتناول جميع الطاعات كقوله : ﴿ **اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾[3] ، وقد يقرن به غيره كقوله : ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون** ﴾[4] ، وقوله : ﴿ **اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِين** ﴾[5] ، وقوله : ﴿ **واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾[6] وكذلك لفظ الأبرار إذا أطلق دخل فيه كل تقي من السابقين والمقتصدين وإذا قرن بالمقربين كان أخص ، قال تعالى في الأول : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَرَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[7] وقال في الثاني : ﴿ **إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[8] ، وهذا باب واسع يطول استقصاؤه وهو[*1] من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنّة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس من جملتها « مسألة الإيمان والإسلام » ، فإن النزاع في مسمّاه أول اختلاف وقع افترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب[*2] وكفّر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضاً[*3] ، كما قد بسطنا هذا في مواضع أُخر إذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبيّن أن الهدى كله مأخوذ من كلام الله ورسوله بإقامة الدلائل الدالة لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فإن الواجب أن يقصد[*4]

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٣ .
(٢) سورة طه ، الآية ١٢٣ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٥٥ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ١٠٦ .
(٦) سورة يونس ، الآية ١٠٩ .
(٧) سورة الانفطار ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٨) سورة المطفّفين ، الآيات ١٨ ـ ٢١ .

(١*) (وهو) غير موجودة في الهندية .
(٢*) (والسنة) زيادة في الهندية .
(٣*) (وقاتل بعضهم بعضا) غير موجودة في الهندية .
(٤*) (معرفة) زيادة في الهندية .

ماجاء به الرسول وأتباعه بالأدلة الدالة على ما بيّنه الله ورسوله ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنّة في تفسير الإيمان فتارة يقولون هو قول وعمل ونيّة وتارة يقولون هو(*1) قول وعمل ونيّة واتباع السنّة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق الناس لهم(*2) في مسمّى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال : فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً(*3) ، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً وقيل بل مسمّاه هو اللفظ والمعنى ليس جزء مسمّاه بل هو مدلول مسمّاه وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنّة وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ وقيل : بل مسمّاه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه . وقيل بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكرامية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين ، لأن حروف الآدميين تقوم بهم ، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم بخلاف الكلام العربي(*4) ، فإنه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه ولبسط هذا موضع آخر . والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن زاد(*5) الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونيّة قال : « القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان » . وأما العمل فقد لا يفهم منه النيّة فزاد ذلك من(*6) اتّباع السنّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتّباع السنّة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، إنما أرادوا ما كان مشروعاً

(*1) (هو) غير موجودة في الهندية .

(*2) (لهم) غير موجودة في الهندية .

(*3) (كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً) غير موجودة في الهندية .

(*4) (العربي) في الأصل ، (القرآني) في الهندية .

(*5) (زاد) بالأصل ، (أراد) في الهندية .

(*6) (زاد) زيادة في الهندية .

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[(١)] ، وكذلك الفقير إذا أطلق دخل فيه المسكين وإذا أطلق لفظ المسكين تناول الفقير وإذا قرن بينهما فأحدهما غير الآخر ، فالأول كقوله : ﴿ **وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾[(٢)] وقوله : ﴿ **فَكَفَّارَتُه إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** ﴾[(٣)] ، والثاني كقوله : ﴿ **إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ** ﴾[(٤)] وهذه الأسماء تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعمّ من[(١*)] الآخر كاسم الإيمان والمعروف[(٢*)] من العمل ومع الصدقة[(٣*)] وكالمنكر مع الفحشاء ومع البغي ونحو ذلك ، وتارة يكونان متساويين في العموم والخصوص كلفظ الإيمان والبرّ والتقوى ولفظ الفقير والمسكين فأيهما أطلق تناول ما يتناوله الآخر .

وكذلك لفظ التلاوة فإنها إذا أطلقت في مثل قوله : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ** ﴾[(٥)] ، تناولت العمل به كما فسّره بذلك الصحابة والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم قالوا : ﴿ **يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ** ﴾[(٦)] ، يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وقيل هو من التلاوة بمعنى الاتباع كقوله : ﴿ **والْقَمَرِ إذَا تَلاَهَا** ﴾[(٧)] ، وهذا يدخل فيه من لم يقرأه وقيل بل من تمام قراءته أن يفهم معناه ويعمل به كما قال أبو عبدالرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عبدالله بن مسعود ، وعثمان بن عفان[(٤*)] وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبيّ ﷺ عشر آيات لم

---

(١) سورة النجم ، الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧١ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٨٩ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(٧) سورة الشمس ، الآية ٢ .

(١*) (ذلك) زيادة في الهندية .

(٢*) (من) في الأصل ، (مع) في الهندية .

(٣*) (الصدقة) في الأصل ، (الصدق) في الهندية .

(٤*) (عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان في الأصل ، (عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود) في الهندية .

يتجاوزوها[*1] حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً وقوله : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ** ﴾[1] ، قد فسّر بالقرآن وفسّر بالتوراة وروى محمد بن نصر المروزي[*2] بإسناده الثابت عن ابن عباس : ﴿ **يَتْلُونَهُ حقَّ تِلاَوَتِه**[*3] ﴾[2] ، قال : يحلّون حلاله ويحرّمون حرامه ولا يحرّفونه عن مواضعه . وعن قتادة ﴿ **يَتْلُونه حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾[3] ، قال أولئك أصحاب محمد آمنوا بكتاب الله وصدقوا به ، أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه ، عملوا بما فيه ، ذكر لنا ابن مسعود كان يقول : إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، وأن تقرأه كما أنزل الله ولا تحرفه عن مواضعه . وعن الحق : ﴿ **يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ** ﴾[4] ، قال يعلمون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه ، وعن مجاهد : يتبعونه حق اتباعه ، وفي رواية : يعملون به حق عمله ، ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها كقوله : ﴿ **أُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾[5] ، قال أحمد بن حنبل وغيره : تلاوة الكتاب العمل بطاعة الله كلها كما[*4] خص الصلاة[*5] بالذكر كما في قوله : ﴿ **والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ** ﴾[6] وقوله : ﴿ **فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي** ﴾[7] ، وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله

---

(1) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(2) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(3) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(4) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(5) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ .

(6) سورة الأعراف ، الآية ١٧٠ .

(7) سورة طه ، الآية ١٢٣ .

(*1) (لم يتجاوزوها) في الأصل ، (لم يجاوزها) في الهندية .

(*2) (المروزي) غير موجودة في الهندية .

(*3) (قال يتبعونه حق اتباعه وروى أيضاً عن ابن عباس ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾) زيادة في الهندية .

(*4) (كما في الأصل ، (ثم) في الهندية .

دخل النهي في الأمر ومنه قوله : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾[2] ، فإن نهيه داخل في ذلك وقد تنازع الفقهاء في وقوله لامرأته : إذا عصيت أمري فأنت طالق ، إذا نهاها فعصته هل يكون ذلك داخلاً في قوله ، على قولين ، قيل لا يدخل لأن حقيقة النهي غير حقيقة الأمر ، وقيل يدخل لأن ذلك يفهم منه في العرف معصية الأمر والنهي وهذا هو الصواب لأن ما ذكره في العرف هو حقيقة في الشرع واللغة[*1] ، فإن الأمر المطلق في كل متكلم إذا قيل أطع أمر فلان ، أو فلان يطيع أمر فلان ، أولا يعصي أمره فإنه يدخل فيه النهي لأن الناهي أمر بترك المنهي عنه فلهذا قال سبحانه : ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[3] ، ولم يقل لا تكتموا الحقَّ فلم ينهَ عن كلِّ منهما لتلازمهما وليست هذه واو الجمع التي يسميها الكوفيون واو الصرف كما[*2] يظنه بعضهم ، فإنه كأن يكون المعنى لا تجمعوا بينهما فيكون أحدهما وحده غير منهي عنه ، وأيضاً فتلك إنما تجيء إذا ظهر الفرق كقوله تعالى[*3] : ﴿ **وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾[4] ، وقوله : ﴿ **أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ** ﴾[5] ، ومن عطف الملزوم قوله تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[6] ، فإنهم إذا أطاعوا الرسول فقد أطاعوا الله ، كما قال[*4] : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ** ﴾[7] ، وإذا أطاعَ من بلغته رسالة محمد ﷺ[*5]

---

(١) سورة النور ، الآية ٦٣ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٤٢ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٤٢ .
(٥) سورة الشورى ، الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(٦) سورة النساء ، الآية ٥٤ .
(٧) سورة النساء ، الآية ٨٠ .

(*١) (في الشرع) في الأصل ، (في اللغة والشرع) في الهندية .
(*٢) (قد) زيادة في الهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٥) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .

الله تعالى[*1] فإنه لابد أن يطيع الرسول فإنه لا طاعة لله إلا بطاعته .

والثالث عطف بعض الشيء كقوله : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الْوسْطَى** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا** ﴾[4] ، والرابع عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله : ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى** ﴾[5] وقوله : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾[6] ، وقد جاء في الشعر ما ذكر أنه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله : « وألفى قولها كذبا ومينا[7] ، ومن الناس من يدعي أن مثل هذا جاء في كتاب الله تعالى[*2] كما يذكرونه في قوله : ﴿ **شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾[8] ، وهذا غلط ومثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في كلام فصيح وغاية ما يذكر منها ما يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ كما ادعى بعضهم أن من هذا قوله : (ألا حبّذا هند وأرض بها هند[*3])[9] ، فزعموا أنها بمعنى واحد واستشهدوا بذلك على ما ادعوه من أن الشرعة هي المنهاج فقال لهم المخالفون لهم النأي أعم من البعد ، فإن النأي كلما قلّ بعده أو كثر كان مثل المفارقة والبعد إنما يستعمل فيما كثرت

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٢٣٨ .

(2) سورة الأحزاب ، الآية ٧ .

(3) سورة البقرة ، الآية ٩٨ .

(4) سورة الأحزاب ، الآية ٢٧ .

(5) سورة الأعلى ، من ١ ـ ٤ .

(6) سورة البقرة ، الآيتان ٣ ، ٤ .

(7) (وألفى قولها كذباً وميناً) شطر من بيت شعر والقائل مجهول .... وتمامه : لم أعثر على البيت بتمامه .

(8) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(9) هذا شطر من بيت وتمامه (وهند دونها النأى والبعد) والقائل : لم أجده في كتب الأدب .

(*1) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*2) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*3) (وهند أتى من دونها النأى والبعد) زيادة في الهندية .

مسافة مفارقته وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾[1] ، وهم مذمون على مجانبته والتنحي عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيداً عنه لاسيما عند من يقول نزلت في أبي طالب ، وقد قال النابغة « والنؤي كالحوضِ بالمَظلومةِ الجَلَدِ »[2] ، والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أي صار كالحوض فهو مجانب للخيمة ليس بعيداً منها .

فصـــــل :

إطلاق لفظ الإيمان في القرآن الكريم

فإذا تبين هذا فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنّة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم فإن النبيّ ﷺ بيّن أن « الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[3] ، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان وكذلك لفظ البر يدخل في جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك لفظ[*1] الدين أو دين الإسلام ، وكذلك

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٢٦ .

(٢) القائل : النابغة الذبياني وهو شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات والبيت بتمامه :

إلا الأواري لأيًا ما أبينُها ... والنوءي كالحَوْضِ بالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ

وذلك من معلقته المشهورة التي مطلعها :

يا دار مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ... أقْوَتْ وَطالَ عَليها سَالفُ الأَبَدِ

والأواري : واحدها أرى وهي الأخية تشد بها الدابة ، اللأى : الشدة ، النوءى : حفرة تجعل حول البيت لئلا يصل إليه الماء ، المظلومة : الأرض التي حفر فيها حوض وهي لا تصلح لذلك ، الجلد : الأرض الغليظة الصلبة .

والبيت في ديوانه ص ٣٠ ، المعلقات العشر ص ٩٥، الشعر والشعراء ١/١٥٧ ، الأغاني ١١/٣٤٤ .

(٣) حديث صحيح وقد تقدم .

(*١) (لفظ) غير موجودة في الهندية .

روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوَكُمْ** ﴾[1] ، الآيات[*1] ، وقد فسّر البر بالإيمان وفسر بالتقوى وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله تعالى[*2] والجميع حق وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ « أنه فسّر البر بالإيمان قال محمد بن نصر حدثنا اسحق بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن يزيد المقري والملائي قالا حدثنا المسعودي عن القاسم قال : جاء رجل إلى أبي ذر فسأله عن الإيمان فقرأ : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ** ﴾[2] إلى آخر الآية ، فقال الرجل ليس عن البر سألتك ، فقال جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فقرأ عليه الذي قرأت عليك ، فقال له : الذي قلت لي فلما أبى أن يرضى قال له » إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها ، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابلها »[3] ، وقال حدثنا اسحق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد أن أبا ذر سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقرأ عليه : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ** ﴾[4] إلى آخر الآية ، وروى بإسناده عن عكرمة قال : سئل الحسن بن علي بن أبي طالب مقبله من الشام عن الإيمان فقرأ : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** ﴾[5] وروى ابن بطه باسناده عن مبارك بن حسان قال قلت لسالم الأفطس رجل أطاع الله فلم يعصه ورجل عصى الله فلم يطعه فصار المطيع إلى الله فأدخله الجنة وصار العاصي إلى الله فأدخله النار هل يتفاضلان في الإيمان قال لا ، قال فذكرت ذلك لعطاء فقال سلهم الإيمان طيّب أو خبيث فإن الله قال : ﴿ **لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَه جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[6] فسألتهم فلم يجيبوني ، فقال بعضهم إن الإيمان يبطن ليس معه

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١٨/١ عن عمر بن الخطاب .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ٣٧ .

(*١) (الآيات) في الأصل ، (الآية) في الهندية .

(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

عمل فذكر في ذلك العطاء ، فقال سبحان الله أما يقرؤون الآية التي في البقرة : ﴿ لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ والكِتَابِ والنَّبِيِّينَ ﴾[1] ، قال ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه من العمل ، فقال : ﴿ وآتَى المَالَ عَلَى حبّه ذَوِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ وابنَ السَّبِيلِ ﴾[2] ، إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ ﴾ ، فقال سلهم هل دخل هذا العمل في هذا الاسم وقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخرةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[3] ، فألزم الاسم والعمل والعمل والاسم ، ومقصود عطاء[*1] أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل لا على إيمان خال عن عمل ، فإذا عرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه بل يكون نزاعياً[*2] لفظياً مع أنهم مخطئون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة ، وإن قالوا إنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكى هذا عنهم وأنهم يقولون : إن الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد ، لكن ما علمت معنياً أحكي عنه هذا القول وإنما الناس يحكون في الكتب ولا يعينون قائله ، وقد يكون من لا خلاق له من الفسّاق والمنافقين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد وبعض كلام الرادّين على المرجئة وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله :[*3] في آخر الآية ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُون ﴾[4] فقوله : صدقوا أي في قولهم آمنوا كقوله : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[5] إلى

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية ١٩ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .
(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(*١) (ومقصود عطاء) في الأصل ، (والمقصود هنا) في الهندية .
(*٢) (نزاعيا) في الأصل ، (نزاعاً) في الهندية .
(*٣) (تعالى) زيادة في الهندية .

قوله : ﴿ **إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[1] ، أي هم الصادقون في قولهم آمنا بالله . بخلاف الكاذبين الذين قال الله فيهم : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه واللهُ يشهد إن الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبِالْيَومِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرون فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون** ﴾[3] ، ويكذبون قراءتان مشهورتان فإنهم كذبوا في قولهم : ﴿ **آمَنَّا بِاللهِ وبِالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾[4] ، وكذّبوا الرسول في الباطن وإن صدّقوه في الظاهر ، وقال تعالى : ﴿ **آلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ** ﴾[5] ، فبيّن أنه لا بدّ أن يفتن الناس أن يمتحنهم ويبتليهم ويختبرهم يقال فتنت الذهب إذا أدخلته النار ليميزه مما اختلط به ومنه قول موسى عليه السلام[*1] : ﴿ **إِنْ هِيَ إلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ** ﴾[6] ، أي محنتك وابتلاؤك كما ابتليت عبادك بالحسنات والسيئات لتبيّن الصبّار الشكور من غيره وابتليتهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب لتبين المؤمن من الكافر فنجعل ذلك سبباً لضلال قوم وهدًى آخرين .

والقرآن فيه كثيرٌ من هذا يصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب لأن الطائفتين قالتا[*2] بألسنتهم آمنّا فمن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى**

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .
(٢) سورة المنافقون ، الآية ١ .
(٣) سورة البقرة ، الآيات من ٨ – ١٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٨ .
(٥) سورة العنكبوت ، الآيات من ١ – ٣ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٥٥ .

(*١) (عليه السلام) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (قالتا) في الأصل ، (قالت) في الهندية .

الجَمْعَان فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُم لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُون ﴾[1] ، فلما قال في آية البر : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ ﴾[2]دل على أن المراد صدقوا في قولهم ﴿ آمَنَّا ﴾ فإن هذا هو القول الذي أُمروا به وكانوا يقولون ولم يُؤمروا أن يلفظوا بألسنتهم يقولون[1*] نحن أبرار أو بررة بل أو قال الرجل أنا بِر فهذا مزكٍ لنفسه ولهذا كانت زينب بنت جحش اسمها برة فقيل تزكي نفسها فسماها النبي ﷺ زينب بخلاف إنشاء الإيمان بقولهم آمنّا فإن هذا قد فرض عليهم أن يقولوه ، قال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[3] ، وكذلك[2*] في آل عمران : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاط[3*] ﴾[4] ، الآية ، وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾[5] ، فقوله : (لا نفرق) دليل على أنهم قالوا آمنّا ولا نفرق ولهذا قال : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[6] ، فجمعوا بين قولهم آمنّا وبين قولهم سمعنا وأطعنا ، وقد قال في آية البر : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ ﴾[7] ، فجعل الأبرار هم المتقين عند الإطلاق والتجريد وقد ميز بينهما عند الاقتران والتقييد في قوله : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ﴾[8] ، ودلّت هذه الآية علي أن مسمّى الإيمان ومسمّى البر ومسمّى التقوى عند الإطلاق واحد

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٦٦ ـ ١٦٧ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٨٤ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .
(٧) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .
(٨) سورة المائدة ، الآية ٢ .

(١*) (يقولون) في الأصل ، (ويقولوا) في الهندية .
(٢*) (أول) زيادة في الهندية .
(٣*) (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) زيادة في الهندية .

فالمؤمنون هم المتقون وهم الأبرار ولهذا جاء في أحاديث الشفاعة الصحيحة « يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان »[1] ، وفي بعضها « من في قلبه مثقال ذرة من خير »[2] ، وهذا مطلق[*1] لقوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾[3] ، وذلك الذي هو مثقال ذرّة من خير هو مثقال ذرة من إيمان وهؤلاء هم[*2] المؤمنون الأبرار الأتقياء هم أهل السعادة المطلقة وهم أهل الجنة الذين وعدوا بدخولها بلا عذاب وهؤلاء الذين قال النبي ﷺ « من غشّنا فليس منّا ومن حمل علينا السلاح فليس منّا »[4] ، فإنه ليس من هؤلاء بل من أهل الذنوب المعرّضين للوعيد أسوة بأمثالهم .

فصـــل :

أسماء الله ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسوله ، وأسماء دينـه

وهذا النوع من نمط أسماء الله وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء دينه ، قال الله تعالى : ﴿ **قل ادْعُوا الله أو ادْعُوا الرحمن أياماً تدعوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى** ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ **ولله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾[6] وقال[*3] تعالى : ﴿ **هُوَ الله الذي لاَ إِلَـهَ إلاّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلَـهَ إلاّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ**

(١) حديث صحيح ، البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ٧٢/١ عن أبي سعيد الخدري .
(٢) حديث صحيح ، البخاري ٧٢/١ .
(٣) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨ .
(٤) رواه الإمام مسلم ، وقد تقدم الحديث أكثر من مرة ، وهو في صحيح مسلم ٩٩/١ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية ١١٠ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية ٨٠ .

(*١) (مطلق) في الأصل ، (مطابق) في الهندية .
(*٢) (هم) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (الله) زيادة في الهندية .

اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] ، فَأَسْمَاؤُه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر ، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته ، الخالق يدل[*1] نفسه مع خلقه والرحيم على نفسه مع رحمته ، ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم وهكذا أسماء كتابه : القرآن والفرقان والكتاب والهدى والبيان والشفاء والنور ونحو ذلك هي بهذه المنزلة . وكذلك أسماء رسوله محمد وأحمد والماحي والحاشر والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة . ونبي الملحمة كل اسم يدل على صفة من صفاته الممدوحة غير الصفة الأخرى وهكذا ما يثنّى ذكره من القصص في القرآن[*2] كقصة موسى وغيرها ليس المقصود بها أن تكون سمراً بل المقصود بها أن تكون عبراً كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾[2] فالذي وقع شيء واحد له صفات فعبّر[*3] عنه بعبارات متنوعة كل عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون وليس هذا من التكرير في شيء وهكذا أسماء دينه الذي أمر الله به ورسوله يسمى إيماناً وبرًّا وتقوى وخيراً وديناً وعملاً صالحاً وصراطاً مستقيماً ونحو ذلك ، وهو في نفسه واحد لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ والباقي تبع[*4] لها كان لازماً لها ثم صارت دالة عليه بالتضمن فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ولا بد فيه من شيئين تصديق القلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب قال

(*١) (على) زيادة في الهندية .
(*٢) (القرآن) في الأصل ، (القراءة) في الهندية .
(*٣) (فعبر) في الأصل ، (فيعبر) في الهندية .
(*٤) (والباقي تبع لها كان لازماً لها) في الأصل ، (والباقي كانن تابعا لها لازما لها) في الهندية .

الجنيد بن محمد : التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب فلا بدّ فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بدّ فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله ، وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سَرَى ذلك إلى البدن بالضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد(*١) وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب »(١) ، وقال أبو هريرة (القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده)(٢) ، وقول أبي هريرة تقريب وقول النبي ﷺ أحسن بياناً فإن الملك وإن كان صالحاً فالجند لهم اختيار وقد يعصون(*٢) ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط كما قال النبي ﷺ : « إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد »(٣) ، فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل ، فالإيمان المطلق كما قال أئمة(*٣) الحديث قول وعمل ، قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث : لو خضع قلب هذا الخشعت جوارحه ، فلا بدّ في إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

قـال(*٤) تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ

---

(١) متفق عليه ، البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ١٢٦/١ عن النعمان ابن بشير ، مسلم في باب أخذ الحلال وترك الحرام ١٢١٩/٣ عن النعمان بن بشير .

(٢) القائل أبو هريرة أحد رواة الحديث المشهورين وهو قول منه وليس هذا حديثاً .

(٣) متفق عليه وقد مر سابقاً .

(*١) (صلح الجسد) في الأصل ، (صلح لها سائر الجسد) في الهندية .

(*٢) (به) زيادة في الهندية .

(*٣) (أئمة) في الأصل ، (أهل) في الهندية .

(*٤) (الله) زيادة في الهندية .

كَحُبِّ الله والَّذِينَ آمنوا أشَدّ حبّاً لله ﴾[1] ، فوصف الذين آمنوا بأنهم أشدّ حبّاً لله من المشركين ، وفي الآية قولان : قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله ، والذين آمنوا أشد حبّاً منهم لأوثانهم ، وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حبّاً لله[*1] منهم لله وهذا هو الصواب ، والأول قول متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله ، والمحبة[*2] تستلزم الإرادة ، والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الإنسان محبّاً لله ورسوله مريداً لما يحبه الله ورسوله إرادة حازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فإذا لم يتكلم بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه ، ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا أعمال القلوب[*3] من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسبّ الله ورسوله ويعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفّار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة قالوا وهذه كلها معاصٍ لا تنافي الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما يثبت[*4] له في الدنيا أحكام الكفّار لأن هذه الأفعال[*5] أمارة على الكفر فيحكم[*6] بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود[*7] ، فإذا أورد عليهم الكتاب والسنّة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة قالوا فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه ، فالكفر عندهم شيء واحد وهو والجهل والإيمان شيء واحد وهو العلم

---

(1) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

(*1) (الله) غير موجودة في الهندية .

(*2) (والمحبة) غير موجودة في الهندية .

(*3) (القلوب) في الأصل ، (القلب) في الهندية .

(*4) (يثبت) في الأصل ، (ثبت) في الهندية .

(*5) (الأفعال) في الأصل ، (الأقوال) في الهندية .

(*6) (فيحكم) في الأصل ، (ليحكم) في الهندية .

(*7) (وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد به الشهود) زيادة في الهندية .

أو تكذيب القلب وتصديقه فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول مع أنه أفسدّ قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه من أهل الكلام المرجئة وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا فإبليس كافر بنصّ القرآن وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا بكونه كذّب خبراً ، وكذلك فرعون وقومه ، وقال الله[*١] فيهم : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾[١] ، وقال موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ إلا ربُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾[٢] بعد قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فاسْأَلْ بَنِي إسرَائِيلَ إذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤلاء إلاّ ربّ السّموات والأرضِ بَصَائِرَ وإنّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾[٣] ، فموسى وهو الصادق المصدوق يقول : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هؤلاء إلاّ ربّ السّمواتِ والأرضِ بَصَائِرَ ﴾ ، فدل على أن فرعون كان عالماً بأنّ الله أنزل هذه[*٢] الآيات وهو من أكثر[*٣] خلق الله عناداً وفساداً[*٤] وبَغْياً لِفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه ، قال تعالى : ﴿ إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إنَّه كَانَ مِنَ المُفْسِدِين ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾[٥] ، وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَه كَمَا يَعْرِفُونَ أَبناءَهُم ﴾[٦] وكذلك كثير[*٥] من المشركين الذين قال الله تعالى[*٦] فيهم : ﴿ فَإنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُون ﴾[٧]

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٤ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الإسراء ، الآيتان ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) سورة القصص ، الآية ٤ .

(٥) سورة النمل ، الآية ١٤ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٤٦ .

(٧) سورة الأنعام ، الآية ٣٣ .

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٢) (هذه) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (أكثر) في الأصل ، (أكبر) في الهندية .

(*٤) (وفساداً) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (كثير) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

فهؤلاء غلطوا في أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالاً ومقامات أو منازل السائرين إلى الله تعالى[*1] أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها[*2] مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه الله[*3] ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب فالأول لابد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين والثاني للمقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله[*4] خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده لا شريك له دون[*5] المخلوقين[*6] والإنابة إليه مع خشيته كما قال[*7] : ﴿ **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بقلبٍ مُنِيبٍ** ﴾[1] ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله . والثاني ظنهم من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذلك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا فيه[*8] الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار ، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع ذلك يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوّه عليه أو لهوى النفوس وعملية ذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه . وعامة من

---

(١) سورة ق ، الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (كل ما فيها) في الأصل ، (كلها فيها) في الهندية .

(*٣) (الله) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (مثل) زيادة في الهندية .

(*٥) (رجاء) زيادة في الهندية .

(*٦) (التوكل على الله وحده دون المخلوقين) زيادة في الهندية .

(*٧) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٨) (فيه) في الأصل ، (به) في الهندية .

كذبوا الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلوّ والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كابليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة يقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح : ﴿ **أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُون** ﴾[1] ، ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي ﷺ إبعاد الضعفاء كسعد بن أبي وقاص[2] وابن مسعود[3] وخباب بن الأرت[4] وعمار ابن ياسر[5] وبلال[6] ونحوهم وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل صفة فأنزل الله[1*] تعالى : ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَه مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شيءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ**

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ١١١ .

(٢) سعد بن أبي وقاص : أحد العشرة المبَشَّرين بالجنة وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، قاد كثيراً من المعارك الإسلامية الفاصلة كالقادسية ، توفي بالعقيق سنة ٥٥ هـ ، راجع الإصابة ٣٣/٢ رقم ٣١٩٤ ، تقريب التهذيب ٢٩٠/١ .

(٣) عبد الله بن مسعود : صحابي جليل من كبار مفسري كتاب الله، روى كثيراً من الأحاديث وقال الرسول ﷺ فيه : « لرجل وعبد الله أثقل في الميزان من أحد » الإصابة ٣٧/٢ ، تقريب التهذيب ١٠٤/٢ .

(٤) خباب بن الأرت : من فضلاء الصحابة أسلم في السنة السادسة للهجرة وهو أول من أظهر إسلامه وعُذّب عذاباً شديداً شهد بدراً وما بعدها نزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ هـ ، الإصابة ١٢٤/١ .

(٥) عمار بن ياسر : كان من السابقين في الإسلام وقد عُذّب في سبيل الله كثيراً وكان الرسول ﷺ يمر عليه وهو يُعذّب ويقول : « صَبْراً آل ياسر موعدكم الجنة » روى عدة أحاديث : الإصابة ٥١٢/٢ .

(٦) بلال بن رباح : هو مؤذّن رسول الله ﷺ وأول من أسلم من العبيد وقد أذاقه المشركون عندما أسلم عذاباً شديداً ، راجع الإصابة ٧٥/١ حرف الباء ، طبقات ابن سعد ١٦٥/٣ .

(١*) (تبارك) زيادة في الهندية .

مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمِ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[1] ، ومثل قول فرعون : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾[2] وقول فرعون : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾[3] ، ومثل قول مشركي العرب : ﴿ إِنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾[4] ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا ﴾[5] ومثل قول قوم شعيب[*1] : ﴿ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾[6] ، ومثل قول عامة المشركين : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾[7] ، وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح في صدق الرسول[*2] بل تبيّن أنها تخالف إرادتهم وأهواءهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوه[*3] ، وهؤلاء كلهم كفار بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ﷺ ويحبون علوّ كلمته وليس عندهم حسد له وكانوا يعلمون صدقه ، ولكن[*4] في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك تلك[*5] العادة واحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بل لهوى الأنفس ، فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل كافر جاهلاً بالحق حتى قالوا هو لا يعرف أن الله موجود حق والكفر عندهم ليس هو

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٤٧ .
(٣) سورة الشعراء ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .
(٤) سورة القصص ، الآية ٥٧ .
(٥) سورة القصص ، الآية ٥٧ .
(٦) سورة هود ، الآية ٨٧ .
(٧) سورة الزخرف ، الآية ٢٣ .

(١*) (له) زيادة في الهندية .
(٢*) (الرسول) في الأصل ، (الرسل) في الهندية .
(٣*) (لم يتبعوه) في الأصل ، (لم يتبعوهم) في الهندية .
(٤*) (كانوا يعلمون) زيادة في الهندية .
(٥*) (تلك) غير موجودة في الهندية .

الجهل بأن حق كان بل الجهل بهذا الحق المعين ونحن والناس كلهم يرون خلقاً من الكفار في الباطن[*1] يعرفون[*2] أن دين الإسلام حق ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان إما معاداة أهلهم وإما ما يحصل لهم من جهتهم يقطعونه[*3] وأما خوفهم إذا آمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين[*4] ، وأمثال ذلك من أغراضهم التي يثبتون[*5] أنها هي[*6] المانعة لهم من الإيمان مع علمهم بأن دين الإسلام حق ودينهم باطل وهذا موجود في جميع الأمور التي هي حق[*7] من يعرف بقلبه أنها حق وهو في الظاهر يجحد ذلك ويعادي أهله لظنه أن ذلك يجلب له منفعة ويدفع عنه مضرة قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إن الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهُؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ** ﴾[1] ، والمفسرون متفقون على أنها نزلت بسبب قوم فمن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض خاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود[*8] وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كاذب واليهود والنصارى صادقون وأشهر المنقول في ذلك أن عبادة بن الصامت قال يا رسول الله إن لي موالي من اليهود وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود فقال عبدالله بن أبيّ لكني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية يهود فنزلت هذه الآية . والمرجئة الذين قالوا الإيمان تصديق القلب وقول اللسان والأعمال ليست منه كان منهم طائفة من

---

(1) سورة المائدة ، الآيات من ٥١ ــ ٥٣ .

(*1) (في الباطن) غير موجودة في الهندية .

(*2) (في الباطن) غير موجودة في الهندية .

(*3) (عنهم) زيادة في الهندية .

(*4) (كحرمتهم في دينهم) زيادة في الهندية .

(*5) (يثبتون) في الأصل ، (يبينون) في الهندية .

(*6) (هي) غير موجودة في الهندية .

(*7) (يوجد) زيادة في الهندية .

(*8) (والنصارى) زيادة في الهندية .

فقهاء الكوفة وعبّادها ولم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه وعرفوا أن فرعون وإبليس وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم وإن أدخلوها في الإيمان لزم(١*) دخول أعمال الخوارج أيضاً فإنها لازمة لها ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم فإنهم رأوا أن الله تعالى(٢*) قد فرّق في كتابه بين الإيمان والعمل فقال في غير موضع: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾(١) ورأوا أن الله خاطب الإنسان بالإيمان قبل وجود الأعمال فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾(٢)، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ** ﴾(٣)، وقالوا لو أن رجلاً آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمناً وكان من أهل الجنة فدل على أن الأعمال ليست من الإيمان وقالوا نحن نسلم أن الإيمان يزيد بمعنى أنه كان كلما أنزل(٣*) آية وجب التصديق بها فانضم هذا التصديق إلى التصديق الذي كان قبله لكن بعد كمال ما أنزله الله ما بقي الإيمان يتفاضل عندهم بل إيمان الناس كلهم سواء إيمان السابقين الأولين كأبي بكر وعمر وإيمان أفجر الناس كالحجاج وأبي مسلم الخراساني وغيرهما والمرجئة المتكلمون منهم والفقهاء منهم يقولون: إن الأعمال قد تسمى إيماناً مجازاً لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه ولأنها دليل عليه ويقولون قوله: « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »، مجاز

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥.
(٢) سورة المائدة، الآية ٦.
(٣) سورة الجمعة، الآية ٩.

(١*) (لزم) في الأصل، (لزمهم) في الهندية.
(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية.
(٣*) (الله) زيادة في الهندية.

والمرجئة ثلاثة أصناف الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما(*1) ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه وذكر فرقاً كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم ومنهم من لا يدخلها كجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو أكثر أصحابه (*2) . والثاني من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية . والثالث تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم . وهؤلاء غلطوا من وجوه : أحدها ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العبادات(*3) وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص ، وليس الأمر كذلك فإن أتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان ما لم يوجبه على أمة محمد من الإيمان ما لم يوجبه عليهم(*4) . والإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن والإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً ليس مثل الإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً فإنه لابدّ في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر لكن من صدق الرسول أو مات عقب ذلك لم يوجب(*5) عليه من الإيمان غير ذلك وأمّا من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر وأمر أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر ، وأيضاً لو قدر أنه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر به بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل في الزكاة ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة فصار يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين وبهذا

(*1) (قد) زيادة في الهندية .

(*2) (والقول) زيادة في الهندية .

(*3) (العبادات) في الأصل ، (العباد) في الهندية .

(*4) (عليهم) في الأصل ، (غيرهم) في الهندية .

(*5) (يوجب) في الأصل ، (يجب) في الهندية .

يظهر الجواب عن قولهم خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال فنقول إن قلتم إنهم خوطبوا به قبل أن يجب تلك الأعمال فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان ، وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن تفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ولهذا قال تعالى : ﴿ **وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِين** ﴾[1] .

ولهذا لم يجيء ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام كحديث وفد عبد القيس وحديث الرجل النجدي الذي يقال له ضمام بن ثعلبة وغيرهما وإنما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر وجبريل وذلك أن[*1] الحج آخر ما فرض من الخمس فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام ، فلما فرض أدخله النبي ﷺ في الإيمان إذا أفرد وأدخله في الإسلام إذا أقرن بالإيمان أو إذا أفرد وسنذكر إن شاء الله متى فرض وكذلك قولهم : من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً صحيح لأنه إذا أتى بالإيمان الواجب عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد ، فهذا مما يجب أن يعرف فإنه تزول به شبهة حصلت للطائفتين . فإذا قيل الأعمال الواجبة من الإيمان فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئاً واحداً في حق جميع الناس . وأهل السنة والحديث يقولون جميع الأعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الإيمان أي من الإيمان الكامل بالمستحبات ليست من الإيمان الواجب ففرّق[*2] بين الإيمان الواجب[*3] والإيمان الكامل بالمستحبات كما يقول الفقهاء : الغسل ينقسم إلى مجزىء وكامل، فالمجزىء ما أتى فيه بالواجبات فقط والكامل ما أتى فيه بالمستحبات . ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب وقد يراد به الكمال المستحب وأما قولهم : إن الله فرّق بين الإيمان والعمل في مواضع فهذا صحيح وقد بينّا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

(*١) (أن) في الأصل ، (لأن) في الهندية .
(*٢) (ففرق) في الأصل ، (ويفرق) في الهندية .
(*٣) (وبين) زيادة في الهندية .

ذلك كثيرة ، ذلك أن أصل الإيمان هو ما في القلب ، والأعمال الظاهرة(*١) ، لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الواجبة(*٢) الظاهرة كان لبعض(*٣) الإيمان الذي في القلب فصار الإيمان متناً ولا للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب ، وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب بل لا بدّ معه من الأعمال الصالحة ثم للناس في مثل هذا قولان : منهم من يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصاً له لئلاّ يظن أنه لم يدخل في الأول . وقالوا هذا في كل ما عطفت فيه خاصّاً(*٤) على عام كقوله : ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوّاً لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ** ﴾(١) ، وقوله : ﴿ **وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ** ﴾(٢) ، وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾(٣) ، فخصّ الإيمان بما نزل على محمد بعد قوله : ﴿ **والَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وهذه آية(*٥) أنزلت في الصحابة وغيرهم من المؤمنين وقوله : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الوُسْطَى** ﴾(٤) ، وقوله : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾(٥) والصلاة والزكاة من العبادة ، وقوله : ﴿ **آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾(٦) كقوله : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾(٧) ، فإنه قصد أولاً

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٩٨ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٧ .
(٣) سورة محمد ﷺ ، الآية ٢ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٣٨ .
(٥) سورة البيّنة ، الآية ٥ .
(٦) سورة محمد ، الآية ٢ .
(٧) سورة البيّنة ، الآية ٥ .

(*١) (لازمة) زيادة في الهندية .
(*٢) (الواجبة) زيادة في الهندية .
(*٣) (لبعض) في الأصل ، (لنقص) في الهندية .
(*٤) (ما عطفت فيه خاصا) في الأصل ، (ما عطف فيه خاص) في الهندية .
(*٥) (آية) غير موجودة في الهندية .

أن تكون العبادة لله وحده لا لغيره ، ثم أمر بالصلاة والزكاة ليعلم أنهما عبادتان واجبتان ، فلا يكتفى بمطلق العبادة الخالصة دونهما ، وكذلك يذكر الإيمان أولاً لأنه الأصل الذي لا بد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لا بدّ منه ، فلا يظن الظان اكتفاءه بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح ، وكذلك قوله : ﴿ **آلم ذَلكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾[1] وقد قيل هؤلاء هم أهل الكتاب الذي آمنوا بما أنزل عليه وما أنزل على من قبله كابن سلام ونحوه ، وأن هؤلاء نوع غير النوع المتقدم ، الذين يؤمنون بالغيب وقد قيل : هؤلاء جميع المتقين[*1] الذين آمنوا بما أنزل إليه وبما أنزل من قبله وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب وهم صنف واحد ، وإنما عطفوا لتغاير الصفتين كقوله تعالى[*2] : ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى والَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى** ﴾[2] ، فهو سبحانه واحد وعطف بعض صفاته على بعض ، وكذلك قوله تعالى[*3] : ﴿ **وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى** ﴾[3] ، وهي صلاة العصر ، والصفات إذا كانت معارف كانت للتوضيح ، وتضمنت المدح أو الذم ، نقول : هذا الرجل هو الذي فعل كذا وهو الذي فعل كذا[*4] تعدد محاسنه ، ولهذا مع الاتباع قد يعطفونها وينصبون أو يرفعون ، وهذا القول هو الصواب ، فإن المؤمنين بالغيب إن لم يؤمنوا بما أنزل إليه ، وما أنزل من قبله ، لم يكونوا على هدًى من ربهم ، ولا مفلحين ولا متّقين ، وكذلك الذين آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله

---

(١) سورة البقرة ، الآيات من ١ ـ ٥ .

(٢) سورة الأعلى ، الآيات من ١ ـ ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٣٨ .

(١*) (المتقين) في الأصل ، (المتقدمين) في الهندية .

(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٤*) (وهو الذي فعل كذا) زيادة في الهندية .

وقال في آخرها : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْه مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه وَقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرِ** ﴾[1] ، والآية الأخرى . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه »[2] ، والآية الوسطى قد ثبت في الصحيح أنه كان يقرأ بها في ركعتي الفجر تارة وبقوله : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾[3] الآية و بـ ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ** ﴾[4] و ﴿ **قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ** ﴾[5] تارة ، فيقرأ بما فيه ذكر الإيمان والإسلام أو بما فيه ذكر التوحيد والإخلاص فعلى قول هؤلاء يقال : الأعمال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان وعطفت عليه عطف الخاص على العام ، إما لذكره خصوصاً بعد عموم وإما لكونه إذا عطف كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام ، وقيل بل الأعمال في الأصل ليست من الإيمان ، فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له ، فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت في عرف الشارع داخلة في اسم الإيمان إذا أطلق كما تقدم في كلام النبي ﷺ ، فإذا عطفت عليه ذكرت ، لئلا يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان يوجب الوعد ، وكان ذكرها تخصيصاً وتنصيصاً ، ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب ، لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً ، لا يكون لمن ادّعى الإيمان ولم يعمل ، وقد بيّن سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله آمنت لا بدّ أن يقوم بالواجب وحق الإيمان في هؤلاء يدل على انتفائه عمن سواهم ، وللجهمية هنا سؤال ذكره أبو الحسن في كتاب الموجز ، وهو أن القرآن نفى الإيمان عن غير هؤلاء كقوله : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[6] ، ولم يقل إن هذه الأعمال من الإيمان ، قالوا فنحن نقول من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه والجواب عن هذا من وجوه :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .

(٢) حديث صحيح ، رواه الشيخان .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

(٤) سورة الكافرون ، الآية ١ .

(٥) سورة الإخلاص ، الآية ١ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ٣ .

إن لم يكونوا[*1] يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقهم الله ينفقون لم يكونوا على هدى من ربهم ، ولم يكونوا مفلحين ولم يكونوا متقين فدل على أن الجميع صفة المهتدين المتقين ، الذين اهتدوا بالكتاب المنزل إلى محمد ، فقد عطفت هذه الصفة على تلك مع أنها داخلة فيها ، لكن المقصود صفة إيمانهم وأنهم يؤمنون بجميع ما أنزل الله على أنبيائه لا يفرقون بين أحد منهم ، وإلا فإذا لم يذكر إلا[*2] الغيب فقد يقول من يؤمن ببعض ويكفر ببعض نحن نؤمن بالغيب ، ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن ويقال إنها أول سورة نزلت بالمدينة افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في المنافقين ، فإنه من حين هاجر النبي ﷺ صار الناس ثلاثة أصناف : إما مؤمن ، وإما كافر مظهر للكفر ، وإما منافق بخلاف ما كانوا بمكة ، فإنه لم يكن هناك منافق ، ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره ، لم يكن في[*3] المهاجرين منافق ، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار ، فإن مكة كان[*4] الكفار مستولين عليها ، فلا يؤمن ويهاجر إلا من هو مؤمن ، ليس هناك داع يدعو إلى النفاق ، والمدينة آمن بها أهل الشوكة ، فصار للمؤمنين بها عزة ومنعة بالأنصار ، فمن لم يظهر الإيمان آذوه ، فاحتاج المنافقون إلى إظهار الإيمان مع أن قلوبهم لم تؤمن ، والله تعالى افتتح البقرة وختم البقرة ، ووسط البقرة[*5] بالإيمان بجميع ما جاءت به الأنبياء ، فقال في أولها ما تقدم وقال في أوسطها : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَي وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ[*6] فسيكفيكهم اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[1] ،

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ١٣٦ ، ١٣٧ .

(١*) (من الذين) زيادة في الهندية .

(٢*) (الايمان) زيادة في الهندية .

(٣*) (في) في الأصل ، (من) في الهندية .

(٤*) (كان) في الأصل ، (كانت) في الهندية .

(٥*) (افتتح البقرة وختم البقرة ووسط البقرة) في الأصل ، (افتتح البقرة ووسط البقرة وختم البقرة) في الهندية .

(٦*) (فسيكفيكهم وهو السميع العليم) غير موجودة في الهندية .

أحدهما : أنكم سلمتم أن هذه الأعمال اللازمة لإيمان القلب فإذا انتفت لم يبق في القلب إيمان وهذا هو المطلوب ، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزءاً نزاعٌ لفظي .

الثاني : أن نصوصنا[*1] صرحت بأنها جزء كقوله : « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة »[1] .

الثالث : أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خالٍ من كل إيمان كان قولكم قول الخوارج وأنتم في طرف والخوارج في طرف فكيف توافقونهم ، ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج والجهاد والإجابة إلى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفّرون تاركه ، وإن كفّرتموه كان قولكم قول الخوارج .

الرابع : أن قول القائل إن انتفاء بعض هذه الأعمال تستلزم أن لا يكون في قلب الإنسان شيء من التصديق بأن الرب حق قول يعلم فساده بالاضطراب .[*2]

الخامس : أن هذا إذا ثبت في هذه ثبت في سائر الواجبات فيرتفع النزاع المعنوي .

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم كثيراً .

(١*) (نصوصنا) في الأصل ، (نصوصاً) في الهندية .

(٢*) (بالاضطراب) في الأصل ، (بالاضطرار) في الهندية .

فصـــــل :

غلط المرجئة في فهم الإيمان

الوجه الثاني من غلط المرجئة ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليست إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة ، الثالث ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تامّاً بدون شيء من الأعمال ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبّب ولا يجعلونها لازمة له والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمنع[*١] أن يقوم بالقلب إيمان[*٢] بدون عمل ظاهر ، ولهذا صاروا يقدرون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقيق الارتباط الذي بين البدن والقلب . مثل ذلك أن يقولوا : رجل في قلبه من الإيمان مثل ما في قلب أبي بكر وعمر ، وهو لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ويزني بأمه وأخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقولون هذا مؤمن تام الإيمان فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الإنكار . قال أحمد بن حنبل حدثنا خلف بن حيان حدثنا معقل بن عبيد الله العنسي قال : قدم علينا سالم الأفطس بالأرجاء فنفر منه أصحابنا نفوراً شديداً منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فأما عبد الكريم بن مالك[*٣] فإنه عاهد الله تعالى[*٤] أن لا يؤويه وإياه سقف بيت إلا المسجد قال معقل فحججت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابه[*٥] وهو يقرأ : ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا** ﴾[١] قلت إن لنا حاجة فأدخلنا ففعل فأخبرته : إن قوماً قبلنا قد أحدثوا وتكلموا وقالوا إن الصلاة والزكاة ليستا[*٦] من الدين ، فقال : أو ليس الله[*٧] يقول : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللهَ**

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

(*١) (ويمنع) في الأصل ، (ويمتنع) في الهندية .

(*٢) (تام) زيادة في الهندية .

(*٣) (فأما عبدالكريم بن مالك) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (أصحابه) في الأصل ، (أصحابي) في الهندية .

(*٦) (ليستا) في الأصل ، (ليسا) في الهندية .

(*٧) (تعالى) زيادة في الهندية .

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[1] ، فالصّلاة والزكاة من الدين قال فقلت : فإنهم يقولون ليس في الإيمان زيادة ، فقال : أوليس قد قال الله تعالى[*1] فيما أنزل : ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾[2] هذا الإيمان ، فقلت إنهم انتحلوك ، وبلغني أن ابن ذر دخل عليك في أصحاب له فعرضوا عليك قولهم فقبلته ، فقلت هذا الأمر فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو مرتين أو ثلاثاً ثم قال قدمت المدينة فجلست إلى نافع فقلت له[*2] يا أبا عبدالله إن لي إليك حاجة فقال سرّ أم علانية ، فقلت لا بل سرّ ، قال رب سر لا خير فيه ، فقلت ليس من ذلك ، فلما صلّينا العصر قام وأخذ بثوبي ثم خرج من الخوخة ولم ينتظر القاص ، فقال حاجتك قال فقلت : أخلني هذا فقال تنحّ ، قال فذكرت له قولهم فقال قال رسول الله ﷺ[*3] : « أُمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »[3] ، قال فقلت إنهم يقولون نحن نقر بأن الصلاة فرض ولا نصلي وبأن الخمر حرام ونشربها وأن نكاح الأمهات حرام ونحن ننكح فنثر يده من يدي وقال : من فعل هذا فهو كافر تعقل فلقيت[*4] الزهري فأخبرته بقولهم فقال سبحان الله وقد أخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب[*5] الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[4] ، قال معقل فلقيت الحكم بن عتبة فقلت له : إن عبدالكريم وميموناً بلغهما أنه دخل عليك ناس من المرجئة فعرضوا قولهم عليك فقبلت

---

(١) سورة البيّنة ، الآية ٥ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٤ .

(٣) حديث صحيح ، البخاري في كتاب الإيمان باب : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ ٧٥/١ عن ابن عمر .

(٤) حديث صحيح ، وقد سبق تخريجه .

(١*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (له) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (وعلى آله) زيادة في الهندية .

(٤*) (فلقيت) في الأصل ، (فرأيت) في الهندية .

(٥*) (الشارب) غير موجودة في الهندية .

قولهم ، قال قيل(*١) ذلك على ميمون وعبد الكريم . قال(*٢) دخل عليّ اثنا عشر رجلا وأنا مريض فقالوا : يا أبا محمد بلغك أن رسول الله ﷺ أتاه رجل بأَمَةٍ سوداء أو حبشية فقال يا رسول الله عليَّ رقبة مؤمنة أفترى هذه مؤمنة ؟ فقال لها(*٣) رسول الله ﷺ : « أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ »[١] فقالت : نعم ، قال : « وتشهدين أن محمداً رسول الله »[٢] ، قالت : نعم ، قال : « وتشهدين أن الجنة حق وأن النار حق »[٣] ، قالت : نعم ، قال : « وتشهدين أن الله يبعثك من بعد الموت »[٤] ، قالت : نعم ، قال : « فأعتقها(*٤) »[٥] ، فخرجوا وهم ينتحلوني(*٥) ، قال معقل ثم جلست إلى ميمون ابن مهران ، فقلت يا أبا أيوب لو قرأت لنا سورة ففسرتها قال فقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[٦] حتى إذا بلغ ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[٧] ، قال : ذاكم جبريل والخيبة لمن يقول إن إيمانه كإيمان جبريل ورواه حنبل عن أحمد ، ورواه أيضاً عن ابن أبي مليكة .

قال : لقد أتى عليّ برهة من الدهر وما أراني أدرك قوماً يقول أحدهم إني مؤمن مستكمل الإيمان ثم صارحني حتى قال إيماني على إيمان جبريل وميكائيل ، وما زال بهم الشيطان حتى قال : أحدهم(*٦) وإن نكح أخته وأمه وبنته والله لقد أدركت كذا وكذا من أصحاب النبي ﷺ ما مات أحد منهم إلا وهو يخشى على نفسه النفاق(*٧) ، وقد ذكر هذا المعنى عنه البخاري في « صحيحه » ، قال :

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ٣٨١/١ عن معاوية بن الحكم ، البخاري في كتاب النكاح باب من هاجر أو عمل خيراً ١١٥/٩ ، عن عمر بن الخطاب .

(٢) حديث صحيح وهو جزء من الحديث رقم (١) .

(٣) حديث صحيح وهو جزء من الحديث رقم (١) .

(٤) حديث صحيح وهو جزء من الحديث رقم (١) .

(٥) حديث صحيح وهو جزء من الحديث رقم (١) .

(٦) سورة التكوير ، الآية ١ .

(٧) سورة التكوير الآية ٢١ .

(*١) (قيل) في الأصل ، (فقيل) في الهندية .

(*٢) (قال) في الأصل ، (لقد) في الهندية .

(*٣) (لها) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (فإنها مؤمنة) زيادة في الهندية .

(*٥) (ينتحلوني) في الأصل ، (ينتحلون ذلك) في الهندية .

(*٦) (إني مؤمن) زيادة في الهندية .

(*٧) (على نفسه النفاق) في الأصل ، (النفاق على نفسه) في الهندية .

أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول : إيمانه كإيمان جبريل . وروى البغوي عن عبدالله بن محمد عن ابن مجاهد قال : كنت عند عطاء بن أبي رباح فجاء ابنه يعقوب فقال : يا أبتاه إن أصحاباً لي يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل فقال : يا بني ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله . قلت قوله : عن المرجئة إنهم يقولون إن الصلاة والزكاة ليستا من الدين ، قد يكون قول بعضهم فإنهم كلهم يقولون ليستا من الإيمان وأما من الدين فقد حكى عن بعضهم أنه يقول ليستا من الدين ولا يفرق بين الإيمان والدين ومنهم من يقول بل هما من الدين ويفرق بين اسم الإيمان واسم الدين وهذا هو المعروف من أقوالهم التي يقولونها عن أنفسهم ولم أر أنا في كتاب أحد منهم أنه قال : إن الأعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الإيمان ، وكذلك حكى أبو عبيد عمّن ناظره منهم فإن أبا عبيد وغيره يحتجون بأن الأعمال من الدين فذكر قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1] ، إنها نزلت في حجة الوداع ، قال أبو عبيد فأخبر أنه إنما أكمل الدين الآن في آخر الإسلام في حجة النبي ﷺ . وزعم هؤلاء أنه كان كاملاً قبل ذلك بعشرين سنة من أول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس إلى الإقرار قال حتى[*1] لقد اضطر بعضهم حين أدخلت عليه هذه الحجة إلى أن قال : إن الإيمان ليس بجميع الدين ولكن الدين ثلاثة أجزاء ، فالإيمان جزء والفرائض جزء والنوافل جزء . قلت هذا الذي قاله هو مذهب القوم . وهذا غير ما نطق به الكتاب ألا تسمع إلى قوله تعالى[*2] : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾[2] وقال : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3] وقال : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾[4] فأخبر أن الإسلام هو الدين برمته

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(١*) (قال حتى) في الأصل ، (حتى قال) في الهندية .

(٢*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

وزعم(*١) أنه ثلث الدين . قلت إنما قالوا إن الإيمان ثلث ولم يقولوا(*٢) إن الإيمان ثلث الدين لكنهم فرّقوا بين مسمّى الإيمان ومسمّى الدين وسنذكر إن شاء الله(*٣) الكلام في مسمّى هذا ومسمّى هذا فقد يحكى عن بعضهم أنه يقول ليستا من الدين ولا يفرق بين اسم الإيمان والدين . ومنهم من يقول : بل كلاهما من الدين ويفرق بين اسم الإيمان وبين اسم الدين(*٤) ، والشافعي رضي الله عنه كان معظّماً لعطاء ابن أبي رباح ويقول ليس في التابعين أتبع للحديث منه . وكذلك أبو حنيفة قال : ما رأيت مثل عطاء ، فقد أخذ الشافعي هذه(*٥) عن عطاء . فروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي حدثنا أبّي حدثنا الميموني(*٦) حدثنا أبو عثمان بن الشافعي : سمعت أُبّي يقول ليلة للحميدي ما يحتج عليهم . يعني أهل الأرجاء ، بآية أحج من قوله : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ** ﴾[1] ، وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب « الأم »[2] في باب النيّة في الصلاة يحتج بأن لا تجزىء صلاة إلا بنيّة بحديث عمر ابن الخطاب(*٧) عن النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيّات »[3] ، ثم قال : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قول وعمل ونيّة لا يجزّأ واحد من الثلاث إلا بالآخر ، وقال حنبل : حدثنا الحميدي قال : وأخبرت أن ناساً يقولون : من أقرّ بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من

---

(١) سورة البيّنة ، الآية ٥ .

(٢) كتاب الأم للإمام الشافعي : كتاب الأم ألّفه الإمام محمد بن ادريس الشافعي نزيل مصر ولد في فلسطين في مدينة غزة وهو رأس الطبقة التاسعة وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين وكتاب الأم يجمع علوم الدين ، تقريب التهذيب ٢/٣٧٠ .

(٣) حديث صحيح .

(*١) (هؤلاء) زيادة في الهندية .

(*٢) (ولم يقولوا) في الأصل ، (ولم يقولون) في الهندية .

(*٣) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٤) ومنهم من يقول : بل كلاهما من الدين ويفرق بين اسم الإيمان وبين اسم الدين) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (الحجة) زيادة في الهندية .

(*٦) (الميموني) في الأصل ، (ميمون) في الهندية .

(*٧) (رضي الله عنه) زيادة في الهندية .

ذلك شيئاً حتى يموت فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقرًّا بالفرائض واستقبال القبلة فقلت هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنّة رسوله ولعلماء[*1] المسلمين قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين**[*2] **حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة** ﴾[1] ، وقال حنبل : سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول من قال هذا فقد كفر بالله وردّ على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به قلت وأما احتجاجهم بقوله للأمة : « اعتقها فإنها مؤمنة » فهو من حججهم المشهورة وبه احتج ابن كلاب وكان يقول : الإيمان هو التصديق والقول جميعاً فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه وهذا لا حجة فيه لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا تستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة فإن المنافقين الذين قالوا : ﴿ **آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] هم في الظاهر مؤمنون يصلّون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون ، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد النبي ﷺ ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم ولا مواريثهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله ابن أبي[*3] سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين وكذلك سائر من كان يموت منهم ترثه ورثته المؤمنون وإذا كان لأحدهم[*4] وارث ورثوه مع المسلمين . وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث على قولين والصحيح أنه يرث ويورث وإن عُلم أنه في الباطن منافق كما كان الصحابة على عهد النبي ﷺ ، لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة لا على المحبة التي في القلوب ، فإنه لو علق بذلك لم

---

(١) سورة البيّنة ، الآية ٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٨ .

(١*) (ولعلماء) في الأصل ، (وعلماء) في الهندية .

(٢*) ﴿ حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة ﴾ غير موجودة في الهندية .

(٣*) (ابن) زيادة في الهندية .

(٤*) (كان) في الأصل ، (مات) في الهندية .

تمكنه معرفته ، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها وهو ما أظهره من موالاة المسلمين ، فقول النبي ﷺ : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم »[1] ، لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار بل كانوا يورَثون ويرِثون ، وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين وقد أخبر الله تعالى[*1] عنهم أنهم يصلّون ويزكّون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم . وقال : ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُم نَفَقَاتُهُم إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[3] ، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ[*2] : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً »[4] وكانوا يخرجون مع النبي ﷺ في المغازي ، كما خرج ابن أُبَيّ في غزوة بني المصطلق وقال فيها : « لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ »[5] ، وفي الصحيحين عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أُبَيّ لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا من حوله ، قال زهير قرأه عبد الله بن حفص من حوله[*3] ، وقال : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل »[6] ، فأتيت النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الشيخان ، البخاري في كتاب الحج باب توريث دور مكة وبيعها ٣/٤٥٠ عن أسامة ابن زيد ، فتح الباري ، ومسلم في كتاب الفرائض باب أول الكتاب ٣/١٢٣٣ عن أسامة بن زيد .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٥٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٤٢ .

(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد باب استحباب التكبير بالعصر ١/٤٣٤ عن أنس .

(٥) سورة المنافقون الآية ٨ ، وقد ورد تعليق على هذه الآية الكريمة في صحيح مسلم في كتاب البر والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ٤/١٩٩٨ ، عن جابر بن عبد الله .

(٦) سورة المنافقون ، الآية ٨ .

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (قال) زيادة في الهندية .

(*٣) (قال زهير قرأه عبد الله بن حفص من حوله) غير موجودة في الهندية .

فأخبرته بذلك[*1] فأرسل إلى عبد الله بن أُبّي ، فسأله فاجتهد يمينه ما فعل ، فقيل[*2] كذب زيد يا رسول الله ، قال فوقع في نفسي مما قالوه[*3] شدة حتى أنزل الله عزل وجل[*4] تصديقي[*5] : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾[1] ، قال ثم[*6] دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله[*7] : ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾[2] ، قال كانوا رجالاً أجمل شيء ، وفي غزوة تبوك استنفرهم النبي ﷺ كما استنفر غيرهم فخرج بعضهم معه وبعضهم تخلّفوا ، وكان في الذين خرجوا معه من همّ بقتله في الطريق همّوا بحل حزام ناقته ليقع في واد هناك ، فجاءه الوحي فأسرّ إلى حذيفة أسماءهم ولذلك يقال هو صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره ، كما ثبت ذلك في الصحيح . ومع هذا ففي الظاهر يجري عليهم أحكام أهل الإيمان وبهذا يظهر الجواب[*8] شبه كثيرة[*9] تورد في هذا المقام فإن كثيراً من المتأخرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق وأعرضوا عن حكم المنافقين ، والمنافقون مازالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة والنفاق شُعَبٌ كثيرة . وقد كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه[*10] قال : « آية المافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتُمِنَ خان »[3] ، وفي

---

(١) سورة المافقون ، الآية ١ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٤ .

(٣) رواه الشيخان ، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ٧٨/١ .

(*١) (بذلك) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (فقيل) في الأصل ، (وقالوا) في الهندية .

(*٣) (قالوه) في الأصل ، (قالوا) في الهندية .

(*٤) (عز وجل) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (في) زيادة في الهندية .

(*٦) (قال ثم) غير موجودة في الهندية .

(*٧) (وقوله : ﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ « قال كانوا رجالا أجمل شيء » غير موجودة في الهندية .

(*٨) (عن) زيادة في الهندية .

(*٩) (شبه كثيرة) في الأصل ، (شبهات كثيرة) في الهندية .

(*١٠) (أنه) غير موجودة في الهندية .

لفظ مسلم : « وإن صلى وصام[*1] وزعم أنه مسلم »[1] . وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه شُعبة منهنّ كانت فيه شُعبة من النفاق حتى يدعها : إذا حدّث كذب ، وإذا ائتُمِنَ خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[2] ، وكان النبي ﷺ أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم ، حتى نهاه الله عن ذلك ، فقال : ﴿ **ولاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ** ﴾[4] فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ولكنْ دماؤهم وأموالهم معصومة لا يستحل منهم ما يستحله من الكفار ، الذين لا يظهرون أنهم مؤمنون ، بل يظهرون الكفر دون الإيمان فإنه صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوا ذلك[*2] عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »[5] ، ولما قال لأسامة بن زيد : « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله »[6] ، قال : إنما قالها تعوّذاً ، قال : هلاّ شققت[*3] قلبه »[7] ، وقال : « إني لم أومر أنْ أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم »[8] ، وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول : « أليس يصلي ، أليس يتشهّد » فإذا قيل له إنه منافق قال : « ذاك »[9] فكان النبي[*4] ﷺ حكم في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الشيخان ، رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق ٧٨/١ ، عن عبد الله ابن عمرو .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٨٤ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٨ .

(٥) متفق عليه ، البخاري في كتاب الإيمان ٧٥/١ ، مسلم في كتاب الإيمان ٥١/١ ، عن أبي هريرة .

(٦) رواه مسلم في الزكاة ، باب ذكر الخوارج ٧٤٢/٢ عن علي .

(٧) متفق عليه جزء من حديث رقم (٦) .

(٨) رواه مسلم ، جزء من حديث رقم (٦) .

(٩) متفق عليه ، البخاري في كتاب المغازي رقم ٦١ ، ٦٧/٨ عن علي بن أبي طالب ، مسلم في كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٢/٢ عن علي ، فتح الباري ، السلفية .

(*١) (وان صلى وصام) في الأصل ، (وان صام وصلى) في الهندية .

(*٢) (قالوا ذلك) في الأصل ، (قالوها) في الهندية .

(*٣) (عن) زيادة في الهندية .

(*٤) (النبي) غير موجودة في الهندية .

غيرهم لا يستحلّ منها شيء إلاّ بأمر ظاهر مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه ، قال تعالى : ﴿ **وممَّن حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُم نَحنُ نَعْلَمُهُم سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عذابٍ عظيمٍ** ﴾[1] وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنه منافق ومن علم أنه منافق لم يصلّ عليه وكان عمر إذا مات ميّت لم يصلّ عليه حتى يصلي عليه حذيفة لأن حذيفة كان قد علم أعيانهم وقد قال الله عز وجل[*1] : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُونَهُنَّ الله أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فإن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تُرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّار** ﴾[2] فأمر بامتحانهنّ هنا ، وقال : ﴿ **الله أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ** ﴾[3] ، والله تعالى لمّا أمر في الكفّارة بعتق رقبة مؤمنة لم يكن على الناس أن[*2] يعتقوا إلا من يعلمون[*3] أن الإيمان في قلبه ، فإن هذا كما لو قيل لهم اقبلوا[*4] إلا من علمتم أن الإيمان في قلبه وهم[*5] لم يؤمروا أن ينقبوا عن قلوب الناس ولا يشقوا بطونهم ، فإذا رأوا رجلاً يظهر لهم[*6] الإيمان جاز لهم عتقه ، وصاحب الجارية لما سأل النبي ﷺ هل هي مؤمنة إنما أراد الإيمان الظاهر الذي يفرق فيه[*7] بين المسلم والكافر ، وكذلك من عليه نذر لم يلزم أن لا[*8] يعتق إلا من علمه أن الإيمان في قلبه ، فإنه لا يعلم ذلك مطلقاً[*9] ، ولا أحد من الخلق يعلم ذلك مطلقاً ، وهذا رسول الله ﷺ

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠١ .
(٢) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .
(٣) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .

(*١) (عز وجل) في الأصل ، (تعالى) في الهندية .
(*٢) (لا) زيادة في الهندية .
(*٣) (يعلمون) في الأصل ، (يعلموا) في الهندية .
(*٤) (اقبلوا في الأصل ، (اعتقوا) في الهندية .
(*٥) (لو) زيادة في الهندية .
(*٦) (لهم) غير موجودة في الهندية .
(*٧) (فيه) في الأصل ، (به) في الهندية .
(*٨) (لا) غير موجودة في الهندية .
(*٩) (بل) زيادة في الهندية .

أعلم الخلق والله يقول له : ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ**(*١) **يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾(١) ، فأولئك إنما كان النبي ﷺ يحكم فيهم(*٢) بحكمه في سائر المؤمنين ، ولو حضرت جنازة أحدهم صلّى عليها ، ولم يكن منهياً عن الصلاة إلا على من علم نفاقه وإلا لزم أن ينقب عن قلوب الناس ويعلم سرائرهم وهذا لا يقدر عليه بشر ، ولهذا لمّا كشفهم الله بسورة براءة بقوله : ﴿ **وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ** ﴾(٢) صار يعرف نفاق ناس(*٣) لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك ، فإن الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم وما كان الناس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم ، وإن كان بعضهم يظن ذلك ، وبعضهم يعلمه فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة بخلاف حالهم لما نزل القرآن ، ولهذا لما نزلت سورة براءة كتموا النفاق وما بقي يمكنهم من إظهاره أحياناً ما كان يمكنهم قبل ذلك وأنزل الله تعالى : ﴿ **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً** ﴾(٣) ، فلمّا توعدوا بالقتل إذا أظهروا النفاق كتموه ، ولهذا لما تنازع الفقهاء في استتابة الزنديق ، فقيل يستتاب ، واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل أمرهم إلى الله تعالى(*٤) فيقال له هذا كان في أول الأمر ، وبعد هذا أنزل الله تعالى(*٥) : ﴿ **مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً** ﴾(٤) ، فعلموا أنهم إن أظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا فكتموه . والزنديق هو المنافق وإنما يقتله إذا

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠١ .

(٢) سورة التوبة ، الآيات ٤٩ ، ٥٨ ، ٧٥ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات ٦٠ ـ ٦٢ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٦١ .

(*١) ﴿ ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ غير موجودة في الهندية .

(*٢) (بحكمه) في الأصل ، (كحكمه) في الهندية .

(*٣) (منهم) زيادة في الهندية .

(*٤) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

ظهر منه أنه يكتم النفاق ، قالوا ولا نعلم توبته لأن غاية ما عنده أنه يظهر ما كان يظهره وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق ، ولو قبلت توبة الزنادقة لم يكن سبيل إلى تقتيلهم والقرآن قد توعدهم بالتقتيل ، والمقصود أن النبي ﷺ إنما أخبر عن تلك الأمة بالإيمان الظاهر الذي علقت به الأحكام الظاهرة ، وإلا فقد ثبت عنه أن سعداً لما شهد لرجل أنه مؤمن قال « أَوَ مسلم » ، وكان يظهر من الإيمان ما تظهره الأمة وزيادة ، فيجب أن يفرّق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب ، فالمؤمن المستحق للجنة لا بدّ أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة حتى الكرامية الذين يسمون المنافق مؤمناً ويقولون : الإيمان هو الكلمة ، يقولون إنه لا ينفع في الآخرة إلا الإيمان الباطن ، وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين ـ من أهل الجنة ، وغلط عليهم إنما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجئة في أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل ، ولهذا أكثر ما اشترط الفقهاء في الرقبة التي تجزىء في الكفّارة العمل الظاهر فتنازعوا هل يجزىء الصغير .... ؟

على قولين معروفين للسلف هما روايتان عن أحمد ، فقيل لا يجزىء عتقه ، لأن الإيمان قول وعمل ، والصغير لم يؤمن من نفسه إنما إيمانه تبع لأبويه في أحكام الدنيا ، ولم يشترط أحد أن يعلم أنه مؤمن في الباطن ، وقيل[*1] يجزىء عتقه لأن العتق من الأحكام الظاهرة وهو تبع لأبويه ، فكما أنه يرث منهما ويصلّى عليه ، ولا يصلّى إلا على مؤمن فإنه يعتق ، وكذلك المنافقون الذين لم يظهر نفاقهم يصلّى عليهم إذا ماتوا ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النبي ﷺ ، والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياة خلفائه[*2] يدفن فيها كل من أظهر الإيمان وإن كان منافقاً في الباطن ، لم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون بها ،[*3] ومن دفن في مقابر المسلمين صلّى عليه المسلمون ، والصلاة لا تجوز على من عُلم نفاقه بنص القرآن ، فعلم أن ذلك بناءً على الإيمان الظاهر والله يتولّى السرائر ، وقد كان النبي ﷺ يصلي

(*1) (بل) زيادة في الهندية .

(*2) (وأصحابه) زيادة في الهندية .

(*3) (عن المسلمين في شيء من ديار الإسلام كما تكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها) زيادة في الهندية .

عليهم ويستغفر لهم حتى نهى عن ذلك وعلل ذلك بالكفر فكان ذلك دليلاً على أن كل من لم يعلم أنه كافر في الباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له . وإن كانت فيه بدعة وإن كان له ذنوب ، وإذا ترك الإمام أو أهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجراً عنها ، لم يكن ذلك محرماً للصلاة عليه والاستغفار له ، بل قال النبي ﷺ فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغال وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له : « صلوا على صاحبكم »[1] ، وروي أنه كان يستغفر للرجل في الباطن وإن كان في الظاهر يدع ذلك عن مثل مذهبه كما روى في حديثه محلم بن جثامة وليس في الكتاب والسنّة المظهرون للإسلام إلا قسمان مؤمن ومنافق[*1] ، فالمنافق في الدرك الأسفل من النار ، والآخر مؤمن ثم قد يكون ناقص الإيمان ، فلا يتناوله الاسم المطلق ، وقد يكون تامّ الإيمان ، وهذا يأتي الكلام عليه إن شاء الله في مسألة الإسلام والإيمان وأسماء الفسّاق من أهل الملّة لكن المقصود هنا أنه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا بدعة ابتدعها ولو دعا الناس إليها كافراً في الباطن إلا إذا كان منافقاً فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع فهذا ليس بكافر أصلاً ، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها ، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي ابن أبي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع ، وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة ، من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقاً[*2] كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن ، فإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطا[*3] خطوءه وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ، ولا يكون فيه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفرائض ، باب من ترك مالا فلورثته ١٢٣٧/٣ ، عن أبي هريرة .

(*١) (ومنافق) في الأصل ، (أو منافق) في الهندية .

(*٢) (بل) زيادة في الهندية .

(*٣) (خطا) غير موجودة في الهندية .

النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، ومن قال إن الثنتين وسبعين فرقة ، كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملّة فقد خالف الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة ، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة ، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع ، وإنما قال الأئمة بكفر هذا لأن هذا فرض ما لا يقع فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة ونكاح الأمهات وهو مع ذلك مؤمن في الباطن بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه ، ولهذا كان أصحاب أبي حنيفة يكفرون أنواعاً ممن يقول كذا وكذا لما فيه من الاستخفاف ويجعلونه مرتداً لبعض هذه الأنواع من النزاع اللفظي الذي بين أصحابه وبين الجمهور في العمل هل هو داخل في اسم الإيمان أم لا ، ولهذا فرض متأخرو الفقهاء مسألة يمتنع وقوعها وهو أن الرجل إذا كان مُقِرّاً بوجوب الصلاة فدعي إليها وامتنع واستتيب ثلاثاً مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافراً أو فاسقاً على قولين ، وهنا الفرض باطل فإنه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد أن الله تعالى[*1] فرضها عليه ، وأنه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك ، هذا لا يفعله بشر قط ، بل ولا يضرب أحد ممن يقرّ بوجوب الصلاة إلاّ صلّى ، لا ينتهي الأمر إلى القتل وسبب ذلك أن القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الإنسان إلاّ لأمرٍ عظيم مثل لزومه لدين يعتقد أنه إن فارقه هلك فيصبر عليه حتى يقتل ، وسواء كان الدين حقّاً أو باطلاً ، أما مع اعتقاده أن الفعل يجب عليه باطناً وظاهراً ، فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من احتمال القتل قط ، ونظير هذا لو قيل إن رجلاً من أهل السنّة قيل له : ترضّ عن أبي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلهما ومع عدم الإعذار المانعة له من الترضي عنهما ، فهذا لا يقع قط ، وكذلك لو قيل إن رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً ، وقد طلب منه ذلك ، وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها فامتنع منها حتى قتل ، فهذا

(*1) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله ، ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة(*١) إلاّ به عند عامة السلف والخلف(*٢) الأولين والآخرين إلا الجهمية ، جهماً ومن وافقه(*٣) ، فإذا قدر أنه معذور لكونه أخرس أو لكونه خائفاً من قوم إن ظهر الإسلام آذوه ونحو ذلك ، فهذا(*٤) يمكن أن لا يتكلم مع إيمان في قلبه كالمكره على كلمة الكفر ، قال(*٥) تعالى : ﴿ **إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾(١) وهذه الآية مما تدل على فساد قول جهم فإنه جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإن قيل : فقد قال(*٦) : ولكن من شرح بالكفر صدراً قيل وهذا موافق لأولها فإنه من كفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدراً ، وإلا تناقض أول الآية وآخرها ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا إكراه ، لم يستثن المكره فقط بل كان يجب أن يستثني المكره وغير المكره . إذا لم يشرح صدره وإذا تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بها صدراً(*٧) وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ، وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾(٢) فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب ، وبيّن أن الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام ، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام ، والقرآن يبيّن أن إيمان القلب مستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾(١) إلى قوله : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾(٢) ، فنفى الإيمان عمّن تولّى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم(*١) سمعوا وأطاعوا فبيّن أن هذا من لوازم الإيمان .

---

(١) سورة النور ، الآيات من ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) سورة النور ، الآية ٥١ .

(*١) (بينهم) زيادة في الهندية .

فصـــل

قول الخوارج والمعتزلة في أهل الذنوب

فإن قيل فإذا كان الإيمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله فمتى ذهب بعض ذلك بطل الإيمان فيلتزم تكفير أهل الذنوب كما تقوله الخوارج ، وتخليدهم في النار وسلبهم اسم الإيمان بالكلية ، كما يقول المعتزلة ، وكلا هذين القولين شر من قول المرجئة فإن المرجئة منهم جماعة من العلماء والعباد المذكورين عند الأمة بخير ، وأما الخوارج والمعتزلة فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف مطبقون على ذمهم ، قيل أولاً ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار ، فإن هذا القول من البدع المشهورة ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، واتفقوا أيضاً على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته وفي الصحيحين عنه أنه قال : « لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[1] وهذه الأحاديث مذكورة في موضعها ، وقد نقل بعض الناس عن الصحابة في ذلك خلافا لما[1*] روي عن ابن عباس . أن القاتل لا توبة له وهذا غلط على الصحابة فإنه لم يقل أحد منهم أن النبي ﷺ لا يشفع لأهل الكبائر ولا قال إنهم يخلدون في النار ولكن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه قال : إن القاتل لا توبة له وعن أحمد بن حنبل في قبوله توبة القتل روايتان أيضاً والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد ، وذلك أن القاتل[2*] يتعلق فيه[3*] حق آدمي فلهذا حصل فيه النزاع ، وأما قول القائل إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا ممنوع وهذا هو الأصل الذي تفرعت منه[4*] البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان ، البخاري في كتاب باب في المشيئة والإرادة ٢٤٧/١٣ ، عن أبي هريرة ، فتح الباري ، ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله ﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة) ١٨٩/١ عن أبي هريرة .

(١*) (لما) في الأصل (كما) في الهندية .

(٢*) (القاتل) في الأصل (القتل) في الهندية .

(٣*) (فيه) في الأصل (به) في الهندية .

(٤*) (منه) في الأصل (عنه) في الهندية .

بعضه .ذهب كله ولم يبق منه شيء ثم قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الإيمان المطلق كما قال[*٥] أهل الحديث ، قالوا : فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار . وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم فلا تذهب الكبائر وتترك[*٦] الواجبات الظاهرة شيء[*٧] منه إذا لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »[٢] ، ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل ، وجمهورهم يقولون يزيد وينقص ومنهم من يقول يزيد ولا ينقص . كما روى عن مالك في إحدى الروايتين ، ومنهم من يقول يتفاضل كعبد الله بن المارك ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة فروى الناس من وجوه كثيرة متعددة[*١] مشهورة عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن جده عمير ابن حبيب الخطمي وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : الإيمان يزيد وينقص ، قيل[*٢] وما زيادته[*٣] ونقصانه : قال : إذا ذكرنا الله وحمده[*٤] وسبحناه فتلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه . وروى إسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد عن أبي الدرداء قال : الإيمان يزيد وينقص . وقال أحمد ابن حنبل : حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان قال سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء قال : إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه . ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص ، وإن من فقه الرجل أن يعلم نزعات الشيطان

---

(٢) حديث صحيح رواه أنس وفي الحديث تصرف ونصه : « إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يارب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة من إيمان فيدخلون ثم يقول : أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء » صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٧٩٢ الجزء الأول ٢٧٥ ـ تأليف الألباني ، ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ٧٢/١ عن أبي سعيد الخدري .

(*٥) (قال) في الأصل (قاله) في الهندية .

(*٦) (وتترك) في الأصل (وترك) في الهندية .

(*٧) (شيء) غير موجودة في الهندية .

(*١) (متعددة) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (له) زيادة في الهندية .

(*٣) (وما) زيادة في الهندية .

(*٤) (وحمده) في الأصل (وحمدناه) في الهندية .

أني تأتيه . وروى إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي عن أبي هريرة قال : الإيمان يزيد وينقص ، وقال أحمد بن حنبل : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن طلحة عن زبير عن ذر قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه(*٥) يقول لأصحابه هلموا نزدد إيماناً فيذكرون الله تعالى(*٦) . وقال أبو عبيد في الغريب في حديث على أن الإيمان يبدو لمظة(*٧)(١) في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة ويروى ذلك عن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي قال(*١) الأصمعي(١) اللمظمة مثل النكتة أو نحوها ، قال أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن شريك عن هلال عن عبد الكريم بن عكيم قال : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيماناً ويقينا وفقهاً . وروى سفيان الثوري عن جامع ابن شداد عن الأسود بن هلال قال : كان معاذ ابن جبل يقول لرجل : اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى . وروى أبو اليمان حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول قم بنا نؤمن ساعة فيجلس في مجلس ذكر ، وهذه الزيادة أثبتها الصحابة بعد موت النبي ﷺ ونزول القرآن كله وصح عن عمار بن ياسر أنه قال : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان أنصاف(*٢) من نفسه ، والإنفاق من الإقتار وبذل السلام للعالم ذكره البخاري — عنه(*٣) في صحيحه وقال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما : تعلمنا الإيمان ثم

---

(١) لمظة : اللمظة في اللغة النكتة من البياض وفي قلبه لمظة أي نكتة وفي الحديث الشريف « النفاق في القلب لمظة سوداء والإيمان لمظة بيضاء ، كلما ازداد ازدادت » وفي حديث علي : الإيمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة ، قال الأصمعي : لمظة مثل النكتة ونحوها من البياض : راجع المادة في لسان العرب حرف الظاء ٤٦٢/٧ .

(١) الأصمعي : هو الراوية الفقه البحر عبد الملك بن قريب ، أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر ، روى عن أبي عمرو بن العلاء وكان يحفظ ما لا يحصى من الشعر قال عنه الإمام الشافعي : ما عبر أحد عن لغة العرب بمثل عبارة الأصمعي ، وكان ثقة صدوقاً في الروايات جميعها وكان من أهل السنة والجماعة له عديد من المصنفات منها : غريب القرآن ، خلق الإنسان ، الأنواء ، كتاب المصادر ، كتاب النوادر .

(*٥) (رضي الله عنه) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (تعالى) في الأصل (عز وجل) في الهندية .
(*٧) (لمظة) في الأصل (كلمظة) في الهندية .
(*١) (إيماناً) زيادة في الهندية .
(*٢) (فيه) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (زيادة) زيادة في الهندية .

تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً . والآثار في هذه كثيرة رواها المصنفون في هذا الباب لآثار[*٤] الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة الزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله[*٥] : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾[٢] وهذه زيادة إذا تليت عليهم الآيات أي وقت تليت ليس هو تصديقهم بها عند النزول ، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذه زيادة الإيمان وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ** ﴾[١] ، فهذ الزيادة عند تخويفهم بالعدو لم يكن عند آية نزلت فزدادوا يقيناً وتوكلاً على الله وثباتاً على الجهاد وتوحيداً بأن لا يخافوا المخلوق بل يخافون الخالق وحده ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ** ﴾[٢] ، وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها بل زادتهم[*١] بحسب مقتضاها ، فإن كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه[*٢] وإن كانت نهيا عن شئ انتهوا عنه فكرهوه . ولهذا قال ﴿**وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[٣] والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ**﴾[٤] والفـرح بذلك من [*٣] الإيمان، قال تعالى : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**[*٤]

---

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(١) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ .
(٢) سورة التوبة ، الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ١٢٤ .
(٤) سورة الرعد ، الآية ١٣٦ .

(*٤) (هو خير مما يجمعون) غير موجودة في الهندية .
(*٥) (تعالى) زيادة في الهندية .
*** يوجد زيادة في الهندية الصفحات من ١٨٨ ، ١٨٩ وجزء من ص ١٩٠ ولا وجود لها في أصلنا .
(*١) (إيماناً) زيادة في الهندية .
(*٢) (فيه) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (زيادة) زيادة في الهندية .
(*٤) (هو خير مما يجمعون) غير موجودة في الهندية .

هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٥]، وقال: **﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ﴾**[٦] ، وقال تعالى : **﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾**[٧]، وقال[*١] : **﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾**[١] هذه نزلت لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من الحديبية فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان . والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه ولهذا قال يوم حنين : **﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾**[٢] وقال[*٢] **﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾**[٣] ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، ولم يكن قد نزل يوم حنين قرآن ولا يوم الغار ، وإنما أنزل سكينة وطمأنينة من خوف العدو ، فلما أنزل السكينة في قلوبهم مرجعهم من الحديبية ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم دل على أن الإيمان المزيد حال للقلب وصفة له وعمل مثل طمأنينته وسكونه ويقينه ، واليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة كما يكون بالعلم ، والريب المنافي لليقين يكون ريباً في العلم وريباً في طمأنينة القلب ولهذا جاء في الدعاء المأثور : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به[*٣] جنتك ومن اليقين ماتهون علينا به مصائب الدنيا »[٤] ، وفي حديث الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال : « سلوا الله العافية واليقين فما أعطى أحد بعد اليقين شيئاً خير من العافية فسلوهما الله تعالى »[٥] فاليقين عند المصائب

---

(٥) سورة يونس ، الآية ٥٨ .
(٦) سورة الروم ، الآيتان ٤ ، ٥ .
(٧) سورة المدثر ، الآية ٣١ .
(١) سورة الفتح ، الآية ٤ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ٢٦ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .
(٤) حديث صحيح رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب رقم ٨٠ ، ٥/٥٢٨ عن ابن عمر .
(٥) حديث صحيح في المسند رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، مسند الإمام أحمد ٤/١ عن أبي بكر ، ومسلم في كتاب الجهاد باب كراهية تمني لقاء العدو ١٣٦٢/٣ عن عبد الله بن أوفى .

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٢) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٣) (إلى) زيادة في الهندية .

من كان مسلماً مهاجراً كان يبايع النبي ﷺ كما بايعه الأنصار ليلة العقبة ، وإنما دعاهم إلى تحقيق الإيمان وتكميله بأداء مايجب من تمامه باطناً وظاهراً كما نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل صلاة ، وإن كان قد هدى المؤمنين للإقرار بما جاء به الرسول جملة ولكن الهداية المفصلة في جميع ما يقولونه ويفعلونه في جميع أمورهم لم تحصل ، وجميع هذه الهداية المفصلة الخاصة هي من الإيمان المأمور به ، وبذلك يخرجهم الله من الظلمات إلى النور .

فصـــل :

زيادة الإيمان الذي أمر الله به يكون من وجوه

وزيادة الإيمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه :أحدهما الإجمال والتفصيل فيما أمروا به ، فإنه وإن وجب على جميع الخلق الإيمان بالله ورسوله ، ووجب على كل أمّة التزام ما يأمر به رسولهم مجملاً فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما يجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الإيمان المفصل ما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبر[*1] ، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره . ولو آمن الرجل بالله وبالرسل باطناً وظاهراً ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمناً بما وجب عليه من الإيمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها ، بل إيمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً ، فإن ما وجب عليه من الإيمان أكمل وما وقع منه أكمل .

وقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ[*2] عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[1] أي في الشرائع[*3] بالأمر والنهي ، ليس المراد أن كل واحد من الأمّة وجب عليه ما يجب على سائر الأمّةِ وأنه فعل ذلك بل في الصحيحين عن النبى ﷺ أنه وصف

(١) سورة البقرة ، الآية ٣ .

(*١) (خبره) في الأصل ، (غيره) في الهندية .
(*٢) (وأتممت عليكم نعمتي) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (الشرائع) في الأصل ، (التشريع) في الهندية .

بعد العلم بأن الله تعالى[*1] قدرها سكينة القلب وطمأنينته وتسليمه ، وهذا من تمام الإيمان بالقدر خيره وشره كما قال تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[1] ، قال علقمة ويروى عن ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقوله تعالى : ﴿ **يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[*2] هو زيادة في إيمانه كما قال[*3] : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**[*3] **وَآتَاهُمْ** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾[3] ، ولفظ الإيمان أكثر ما يذكر في القرآن مقيداً ، فلا يكون ذلك اللفظ متناولاً لجميع ما أمر[*4] به بل يجعل موجباً للوازمه وتمام ما أقر به وحينئذ يتناوله الاسم المطلق ، قال تعالى : ﴿ **آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ، وَمَالَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾[4] ، وقال[*5] في آخر السورة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[5] ، وقد قال بعض المفسرين في الآية الأولى أنها خطاب لقريش وفي الثانية أنها خطاب لليهود والنصارى ، وليس كذلك ، فإن الله لم يقل قط للكفار ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ **لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ** ﴾[6] ، وهذه السورة مدنية باتفاق لم يخاطب بها المشركين في مكة ، وقد قال : ﴿ **وَمَالَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُم لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[7] وهذا لا يخاطب به كافر وكفار مكة لم يكن أخذ ميثاقهم وإنما أخذ ميثاق المؤمنين بيعتهم له ، فكل

---

(1) سورة التغابن ، الآية ١١ .
(2) سورة محمد ، الآية ١٧ .
(3) سورة الكهف ، الآية ١٣ .
(4) سورة الحديد ، الآيات من ٧ ـ ٩ .
(5) سورة الحديد ، الآية ٩ .
(6) سورة الحديد ، الآية ٢٩ .
(7) سورة الحديد ، الآية ٨ .

(*1) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*2) (هداه لقلبه) زيادة في الهندية .
(*3) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*4) (الله) زيادة في الهندية .
(*5) (تعالى) زيادة في الهندية .

النساء بأنهن ناقصات عقل ودين ، وجعل نقصان عقلها أن شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ونقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلّي ، وهذا النقصان ليس هو نقص مما أمرت به(*١) ، فلا تعاقب على هذا النقصان ، لكن من أمر بالصلاة والصوم ففعله كان دينه كاملاً بالنسبة إلى هذه الناقصة الدين .

الوجه الثاني : الإجمال والتفصيل فيما وقع منهم فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذبه قط ، لكن أعرض عن معرفة أمره ونهيه وخبره ، وطلب العلم الواجب عليه ، فلم يعلم الواجب عليه و لم يعمله بل اتبع هواه ، وآخر طلب علم ما أمر به فعمل به وأخر طلب علمه فعلمه وأمر(*٢) به و لم يعمل به ، فهؤلاء وإن اشتركوا في الوجوب لكن من طلب علم التفصيل وعمل به بعلمه (*٣) فإيمانه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقرّ به ، لكن لم يعمل بذلك كله وهذا المقر بما جاء به الرسول المعترف بذنبه الخائف من عقوبته على ترك العمل أكمل إيماناً ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ، ولا عمل بذلك ولا هو خائف أن يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول(*٤) مع أنه مقر بنبوّته باطناً وظاهراً ، فكل ما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في إيمانه على من لم يحصل له ذلك ، وإن كان معه التزام عام وإقرار عام وكذلك من عرف أسماء الله تعالى ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيماناً مجملاً أو عرف بعضها ، وكلما ازداد الإيمان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان إيمانه(*٥) أكمل .

الثالث : أن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه كما أن الحس الظاهر بالشئ

(*١) (به) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (وأمر) في الأصل ، (وآمن) في الهندية .
(*٣) (بعلمه) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .
(*٥) (به) زيادة في الهندية .

الواحد مثل رؤية الناس للهلال وإن اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتمّ من بعض ، وكذلك سماع الصوت الواحد ، وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الربِ وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها .

الرابع : أن التصديق المستلزم لعلم القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله ، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به وإذا كان شخصان يعلمان أن الله تعالى[*1] حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخر علمه لم يوجب ذلك فعلم الأول أكمل فإن قوة المسبب دل على قوة السبب وهذه الأمور نشأت عن العلم ، فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي ﷺ : « ليس المخبر كالمعاين »[1] فإن موسى لما أخبره ربّه أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح ، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها ، وليس ذلك لشك موسى في خبر الله تعالى[*2] لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره إذا عاينه بل يكون قلبه مشغولاً عن تصور المخبر به وإن كان مصدقاً به ومعلوم أنه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق .

الخامس : أن أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الإيمان كما دل على ذلك الكتاب والسنّة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً .

---

(١) رواه أحمد بسند جيد وهو في مسنده ١/٢١٥ ، عن ابن عباس .

(*١) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

السادس[*1] : الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الإيمان والناس يتفاضلون فيها .

السابع : ذكر الإنسان بقلبه مما أمره الله به واستحضاره ذلك[*2] بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فإن الغفلة تضادّ كمال العلم والتصديق ، والذكر والاستحضار تكميل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة :« إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا فذلك[*3] نقصانه وكان معاذ بن جبل يقول لأصحابه : اجلسوا بنا ساعة نؤمن ، قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ[*4] أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنْ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] ، وقال :[*5] ﴿ **سَيَذَّكَرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى** ﴾[3] ، ثم كل ما يذكر ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له معرفة شئ آخر لم يكن عرفه قبل ذلك ، وعرف من معاني أسماء الله وآياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك كما في الأثر : « من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم »[4] ، وهذا أمر يجده في نفسه كل مؤمن ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال[*6] : « مثل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكر ربّه مثل الحي والميت »[5] ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾[6] وذلك أنها تزيدهم على ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم عملاً بذلك العلم وتزيدهم تذكراً لماكانوا نَسَوْه وعملاً بتلك التذكرة وكذلك ما يشاهده العباد من الآيات في الآفاق وفي

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٨ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٥٥ .

(٣) سورة الأعلى ، الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٤) هذا القول حكمه وليس حديثاً .

(٥) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله ٢٠٨/١١ عن أبي موسى .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ٢ .

(١*) (أن) زيادة في الهندية .

(٢*) (ذلك) في الأصل ، (لذلك) في الهندية .

(٣*) (فذلك) في الأصل ، (فتلك) في الهندية .

(٤*) (وكان أمره فرطا) غير موجودة في الهندية .

(٥*) (تعالى) زيادة في الهندية .

(٦*) (قال) غير موجودة في الهندية .

أنفسهم ، قال تعالى :﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ** ﴾[1] ، أي أن القرآن حق ثم قال(*1) : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[2] فإن الله شهيد في القرآن بما أخبر به فآمن به المؤمن ، ثم أراهم في الآفاق وفي أنفسهم(*2) ما يدل على مثل ما أخبر به في القرآن فبينت لهم هذه الآيات أن القرآن حق مع ما كان قد حصل لهم قبل ذلك ، وقال تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ** ﴾[3] فالآيات المخلوقة والمتلوّة فيها تبصرة وفيها تذكرة ، تبصرة من العمى ، وتذكرة من الغفلة ، فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسي ، والإنسان يقرأ الآية(*3) مراتٍ حتى سورة الفاتحة ويظهر له(*4) أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة ، ثم كلما فعل شيئاً مما أمر به استحضر أنه آمن(*5) به فصدق الأمر فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلاً عنه وإن لم يكن مكذباً .

الوجه(*6) الثامن : أن الإنسان قد يكون مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق ثم يسمع الآية أو الحديث أو يتدبر أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان

---

(1) سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

(2) سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

(3) سورة ق ، الآيات من ٦ إلى ٨ .

(*1) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*2) (من الآيات) زيادة في الهندية .

(*3) (الآية) في الأصل ، (السورة) في الهندية .

(*4) (في) زيادة في الهندية .

(*5) (آمن) في الأصل ، (أمر) في الهندية .

(*6) (الوجه) غير موجودة في الهندية .

منكراً ، وهذا تصديق جديد وإيمان جديد ازداد به إيمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وإن أشبه المجمل والمفصل لكن صاحب المجمل[*1] قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق شيء من التفاصيل وعن معرفة وإنكار لشيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الإجمال على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلوم والعبادات فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة يخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون أنها تخالف فإذا عرفوا رجعوا ، وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه ، هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك . ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك .

فصـــل :

القرآن الكريم يثبت أنه قد يكون هناك إسلام بلا إيمان

وقد أثبت في القرآن إسلاماً بلا إيمان في قوله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً** ﴾[1] ، وقد ثبت في الصحيحين عن سعد ابن أبي وقاص ، قال أعطى النبي ﷺ رهطاً وفي رواية قسم قسماً وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقلت يارسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال رسول الله ﷺ : « أو مسلماً »[2] ، أقولها ثلاثاً ويرددها علي رسول الله ﷺ ثلاثاً ثم قال : « إني لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه مخافة أن يكبّه الله في النار »[3] وفي رواية : فضرب بين عنقي وكتفي وقال : « أقتال أي

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب إذا لم يكن الإسلام في الحقيقة ٧٩/١ عن سعد .
(٣) حديث صحيح رواه الشيخان وهو جزء من حديث رقم (٢) .

(*١) (لكن صاحب المجمل) غير موجودة في الهندية .

سعد »[1] فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمان في قلوبهم هل هو إسلام يثابون عليه أم هو من جنس إسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف . أحدهما : أنه إسلام يُثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا مروي عن الحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد وأحمد بن حنبل وسهل بن عبد الله التستري وأبي طالب المكّي وكثير من أهل الحديث والسنّة والحقائق . قال أحمد بن حنبل حدثنا مؤمل عن حماد[*1] بن زيد قال سمعت هشاماً يقول : كان الحسن ومحمد يقولان : مسلم ويهابان مؤمن ، وقال أحمد بن حنبل حدثنا أبو سلمة الخزاعي قال : قال مالك وشريك وأبو بكر بن عباس وعبد العزيز بن أبي أسلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد : الإيمان المعرفة والإقرار والعمل ، إلا أن حماد بن زيد يفرق بين الإسلام والإيمان فجعل الإيمان خاصًّا والإسلام عامًّا . والقول الثاني : أن هذا الإسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل إسلام المنافقين ، قالوا وهؤلاء كفار فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الإيمان في قلبه فهو كافر وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون في ذلك ، قال محمد : حدثنا إسحاق أنبأنا جرير عن مغيرة قال أتيت إبراهيم النخعي فقلت إن رجلاً خاصمني يقال له سعيد العرني[*2] فقال إبراهيم ليس بالعرني[*3] ولكنه زبيدي ، قوله : ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾[2] ، فقال هو الاستسلام فقال إبراهيم لا هو الإسلام ، وقال حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن مجاهد ، : ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾[3] ، قال استسلمنا خوف السبي والقتل ولكن هذا منقطع سفيان لم يدرك مجاهداً . والذين قالوا إن هذا

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان ، وهو جزء من حديث رقم (٢) .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(١*) (حماد بن زيد) في الأصل ، (عمار بن زيد) في الهندية .
(٢*) (العرني) في الأصل ، (العنبري) في الهندية .
(٣*) (بالعرني) في الأصل ، (بالعنبري) في الهندية .

الإسلام هو كإسلام المنافقين لا يثابون عليه قالوا لأن الله نفى عنهم الإيمان ومن نفى الله[*1] عنه الإيمان فهو كافر وقال هؤلاء الإسلام هو الإيمان وكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم ومن جعل الفسّاق مسلمين غير مؤمنين لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ ﴾[1] ، وفي قوله[*2] : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ﴾[2] ، وأمثال ذلك فإنهم إنما دعوا باسم الإيمان[*3] فمن لم يكن مؤمناً لم يدخل في ذلك ، وجواب هذا أن يقال : الذين قالوا من السلف إنهم خرجوا من الإيمان إلى الإسلام لم يقولوا إنه لم يبق معهم من الإيمان شيء بل هذا قول الخوارج والمعتزلة . وأهل السنة الذين قالوا هذا يقولون : الفسّاق يخرجون من النار بالشفاعة وإن معهم إيماناً يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليه اسم الإيمان لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة وهؤلاء ليسوا من أهله وهم يدخلون في الخطاب بالإيمان ، لأن الخطاب بذلك هو لمن دخل في الإيمان وإن لم يستكمله فإنه إنما خوطب ليفعل تمام الإيمان فكيف يكون قد أتمّه قبل الخطاب وإن[*4] كنا قد تبينّا أن هذا المأمور من الإيمان قبل الخطاب وإنما صار من الإيمان بعد أن أمروا به فالخطاب بـ ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[3] ، غير قوله : ﴿ إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ[*5] فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾[4] ونظائره ، فإن الخطاب بـ ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[5] أولاً[*6] يدخل فيه من لم يكن منافقاً وإن لم يكن من

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(*١) (الله) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٣) (الإيمان) في الأصل ، (الإسلام) في الهندية .

(*٤) (وان) في الأصل ، (والا) في الهندية .

(*٥) (في سبيل الله) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (يدخل فيه من أظهر الإيمان وإن كان منافقاً في الباطن يدخل فيه في الظاهر فكيف لا) زيادة في الهندية .

المؤمنين حقاً ، وحقيقة الأمر[*1] أن من لم يكن من المؤمنين حقاً يقال فيه إنه مسلم ومعه إيمان يمنعه الخلود في النار وهذا متفق عليه بين أهل السنة لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال مسلم ولا يقال مؤمن وقيل بل يقال مؤمن والتحقيق أنه يقال إنه مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولا يعطى الاسم المطلق بأن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله لأن ذلك إيجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزم[*2] غيره ، وإنما الكلام في اسم المدح المطلق وعلى هذا فالخطاب بالإيمان يدخل فيه ثلاث طوائف يدخل فيه المؤمن حقًّا ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة وإن كان في الآخرة في الدرك الأسفل من النار وهو في الباطن ينفي عنه إسلام والإيمان وفي الظاهر يثبت له الإسلام والإيمان الظاهر ويدخل فيه الذين أسلموا ولم يدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم ولكن معهم جزء من الإيمان والإسلام[*3] يثابون عليه ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم . وليس معهم من الكبائر ما يعاقبون عليه كأهل الكبائر لكن يعاقبون على ترك المفروضات وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم فإنهم قالوا : أمنّا من غير قيام منهم بما أمروا به باطناً وظاهراً فلا دخلت حقيقة الإيمان إلى[*4] قلوبهم ، ولا جاهدوا[*5] وقد كان دعاهم النبي ﷺ إلى الجهاد وقد يكونون من أهل الكبائر المعرضين للوعيد كالذين يصلّون ويزكون ويجاهدون ويأتون الكبائر وهؤلاء لا يخرجون عن الإسلام بل هم مسلمون ولكن بينهم نزاع لفظي ، هل يقال إنهم مؤمنون كما سنذكره إن شاء الله تعالى[*6]، وأما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الإيمان والإسلام فإن الإيمان والإسلام عندهم واحد، فإذا

(*1) (الأمر) غير موجودة في الهندية .
(*2) (يلزم) في الأصل ، (يلزمه) في الهندية .
(*3) (الإسلام) في الأصل ، (إسلام) في الهندية .
(*4) (إلى) في الأصل ، (في) في الهندية .
(*5) (في سبيل الله) زيادة في الهندية .
(*6) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

خرجوا عندهم من الإيمان خرجوا من الإسلام ، لكن الخوارج تقول لهم[*1] كفار ، والمعتزلة تقول لا مسلمون ولا كفار فينزلونهم منزلة بين المنزلتين ، والدليل على أن الإسلام المذكور في الآية هو إسلام يثابون عليه وأنهم ليسوا منافقين أنه قال : ﴿ **قالت الأعراب أمنّا قل لم تؤمنوا ولكنْ قولوا أسلمنا ، ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[1] ثم قال : ﴿ **وإن تُطيعوا اللهَ ورسوله لايلِتْكُم من أعمالكم شيئاً** ﴾[2] فدل أنهم إذا أطاعوا الله ورسوله مع هذا الإسلام آجرهم الله على الطاعة ، والمنافق عمله حابط في الآخرة ، وأيضاً فإنه وصفهم بخلاف صفات المنافقين ، فإن المنافقين وصفهم بكفر في قلوبهم وأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون كما قال[*2] ﴿ **ومن الناس من يقول أمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً** ﴾[3] ، الآيات ، وقال ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لَكَاذبون** ﴾[4] ، فالمنافقون يصفهم في القرآن بالكذب ، وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وبأن في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون عليه ، وهؤلاء لم يصفهم بشيء من ذلك ، لكن لما ادعوا الإيمان قال للرسول : ﴿ **قل لم تؤمنوا ولكنْ قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتْكُم من أعمالكم شيئاً** ﴾[5] ، ونفي الإيمان المطلق لا يستلزم أن يكونوا منافقين كما في قوله تعالى[*3] : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قُلِ الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾[6] ، ثم قال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقًّا** ﴾[7] ومعلوم أنه ليس من لم يكن كذلك

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآيات من ٨ ـ ١٠ .

(٤) سورة المنافقون ، الآية ١ .

(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ١ .

(٧) سورة الأنفال ، الآيات من ٢ ـ ٤ .

(*١) (لهم) في الأصل ، (هم) في الهندية .

(*٢) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

يكون منافقاً من أهل الدرك الأسفل من النار ، بل لا يكون قد أتى بالإيمان الواجب ، فنفى عنه كما ينفي سائر الأسماء عمّن ترك بعض ما يجب فيها فكذلك الأعراب لم يأتوا بالإيمان الواجب فنفى عنهم لذلك ، وإن كانوا مسلمين معهم من الإيمان ما يثابون عليه . وهذا حال أكثر الداخلين في الإسلام ابتداءً ، بل حال أكثر من لم يعرف حقائق الإيمان ، فإن الرجل إذا قوتل حتى أسلم كما كان الكفار يقاتلون حتى يسلموا أو أسلم بعد الأسر ، أو سمع بالإسلام فجاء فأسلم فإنه مسلم ملتزم طاعة الرسول ، ولم يدخل إلى قلبه المعرفة بحقائق الإيمان ، فإن هذا إنما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك ، إما بفهم القرآن ، وإما بمباشرة أهل الإيمان[*1] ، وإما بهداية خاصة من الله يهديه بها ، والإنسان قد يظهر له من محاسن الإسلام ما يدعوه إلى الدخول فيه ، وإن كان قد ولد عليه وتربى بين أهله فإنه يحبه وقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوئ الكفار وكثير من هؤلاء قد يرتاب إذا سمع الشبه الفادحة[*2] فيه ولا يجاهد في سبيل الله فليس هو داخلاً في[*3] ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** ﴾[1] ، وليس هو منافقاً في الباطن مضمراً للكفر فلا هو من المؤمنين حقًّا ، ولا هو من المنافقين ولا هو أيضاً من أصحاب الكبائر ، بل يأتي بالطاعات الظاهرة ولا يأتي بحقائق الإيمان التي يكون بها من المؤمنين حقًّا فهذا معه إيمان وليس هو من المؤمنين حقًّا ، ويثاب[*4] على ما فعل من الطاعات ، ولهذا قال الله[*5] تعالى لهم[*6] : ﴿ **ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[2] **ولهذا قال** : ﴿ **يَمُنُّون عليك أن أسلموا قل لا تَمُنُّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[3] يعني في قوله

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(*١) (والاقتداء بما يصدر عنهم من الأقوال والأعمال) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (الفادحة) في الأصل ، (القادحة) في الهندية .
(*٣) (قوله) زيادة في الهندية .
(*٤) (ويثاب) في الأصل ، (ياب) في الهندية .
(*٥) (الله) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (لهم) غير موجودة في الهندية .

﴿ **آمنّا** ﴾ يقول إن كنتم صادقين فالله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان وهذا يقتضي أنهم قد يكونون صادقين في قولهم ﴿ **آمنّا** ﴾ ثم صدقهم إما أن يراد به إنصافهم بأنهم آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون . وإما أن يراد به أنهم لم يكونوا كالمنافقين بل ومعهم إيمان وإن لم يكن لهم أن يدعوا مطلق الإيمان وهذا أشبه والله أعلم ، لأن النسوة الممتحنات قال فيهن : ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفار** ﴾[1] ولا يمكن نفي الريب عنهن في المستقبل ، ولأن الله إنما كذب المنافقين ولم يكذب غيرهم وهؤلاء لم يكذبهم ولكن قال : ﴿ **لم تؤمنوا** ﴾ كما قال : ﴿ **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه** ﴾[2] وقوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[3] و : « لايؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[4] وهؤلاء ليسوا منافقين وسياق الآية يدل على أن الله ذمّهم لكونهم منوا بإسلامهم لجهلهم وجفائهم وأظهروا ما في أنفسهم مع علم الله به فإن الله قال : ﴿ **قل أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات ومافي الأرض** ﴾[5] ، فلو لم يكن في قلوبهم شيءٌ من الدين لم يكونوا يعلمون الله بدينهم فإن الإسلام الظاهر يعرفه كل أحد ودخلت الباء في قوله : ﴿ **أتعلّمون الله بدينكم** ﴾[6] لأنه ضمن معنى تخبرون وتحدثون كأنه قال أتخبرونه وتحدثونه بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الأرض وسياق الآية يدل على أن الذي أخبروا به الله هو ما ذكره عنهم من قولهم آمنّا فإنهم أخبروا عمافي قلوبهم ، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله[1*] يحلفون أنهم مؤمنون صادقون فنزل قوله : ﴿ **قل أتعلّمون الله بدينكم** ﴾[7] وهذا يدل على أنهم كانوا صادقين أولاً في دخولهم في الدين لأنه لم يتحدد لهم بعد نزول الآية جهاد حتى

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .
(٢) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٣) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٤) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٦ .
(٦) سورة الحجرات ، الآية ١٦ .
(٧) سورة الحجرات ، الآية ١٦ .

(١*) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .

يدخلوا في الآية ، إنما هو كلام قالوه وهو سبحانه قال : ﴿ **ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[(1)] ، ولفظ لما ينفي به ما يقرب حصوله ويحصل غالباً كقوله : ﴿ **أمْ حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم** ﴾[(2)] وقد قال السدي : نزلت هذه الآية في أعراب مزينة وجهينة وأسلم ، وأشجع وغفار وهم الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وكانوا يقولون آمنّا بالله ليأمنوا على أنفسهم فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا فنزلت فيهم هذه الآية ، وعن مقاتل : كانت منازلهم بين مكة والمدينة . وكانت إذا مرت بهم سرية من سرايا رسول الله ﷺ قالوا آمنّا ليأمنوا على دمائهم وأموالهم ، فلما سار رسول الله ﷺ إلى الحديبية ، استنفرهم فلم ينفروا معه ، وقال مجاهد : نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة ، ووصف غيره حالهم فقال[(*1)] : قدموا المدينة في سنة مجدبة ، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارهم ، وكانوا يمنون على رسول الله ﷺ ويقولون : آتيناك بالأثقال والعيال ، ونزلت فيهم هذه الآية ، وقد قال قتادة في قوله تعالى[(*2)] : ﴿ **يمُنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[(3)] ، قال : منّوا على النبي ﷺ حين جاءوا فقالوا : إنّا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله تعالى[(*3)] لنبيّه : ﴿ **يمُنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾[(4)] ، وقال مقاتل بن حيان ، هم أعراب بني أسد ابن خزيمة قالوا يارسول الله : أتيناك بغير قتال وتركنا العشائر والأموال وكل قبيلة من

---

(1) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(2) سورة آل عمران ، الآية ١٤٢ .
(3) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .
(4) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(*1) (فقال) في الأصل ، (فقالوا) في الهندية .
(*2) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*3) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

العرب قاتلتك حتى دخلوا كرهاً في الإسلام فلنا بذلك عليك حق فأنزل الله[*1] : ﴿ **يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليَّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[1] فله بذلك المن عليكم وفيهم أنزل : ﴿ **ولا تُبطلوا أعمالكم** ﴾[2] ، ويقال من الكبائر التي ختمت بنار كل موجبة من ركبها ومات عليها لم يثبت منها ، وهذا كله بين أنهم لم يكونوا كفاراً في الباطن ، وكانوا قد دخلوا فيما يجب من الإيمان وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الأصناف فقال : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾[3] ، ولم يصفهم بكفر ولا نفاق ، لكن هؤلاء يخشى عليهم الكفر والنفاق ولهذا ارتد بعضهم لأنهم لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم ، وقال بعد ذلك : ﴿ **ياأيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا** ﴾[4] وهذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة ، وكان قد كذب فيما أخبر ، قال المفسرون : نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق لقبض[*2] صدقاتهم وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية ، فسار بعض الطريق ثم رجع فقال : إنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتلي ، فضرب رسول الله ﷺ البعث إليهم ، فنزلت هذه الآية ، وهذه القصة معروفة من وجوه كثيرة ثم قال[*3] في تمامها : ﴿ **واعلمُوا أنّ فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لَعَنِتُّم** ﴾[5] ، وقال[*4] : ﴿ **وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى** ﴾[6] الآية ، ثم نهاهم عن أن يسخر بعضهم ببعض وعن اللمز والتنابز بالألقاب وقال : ﴿ **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾[*7] وقد

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .
(٢) سورة محمد ، الآية ٣٣ .
(٣) سورة الحجرات ، الآية ٤ .
(٤) سورة الحجرات ، الآية ٦ .
(٥) سورة الحجرات ، الآية ٧ .
(٦) سورة الحجرات ، الآية ٩ .
(٧) سورة الحجرات ، الآية ١١ .

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٢) (لقبض) في الأصل ، (ليقبض) في الهندية .
(*٣) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٤) (تعالى) زيادة في الهندية .

قيل معناه لا يسمّيه فاسقاً ولا كافراً بعد إيمانه وهذا ضعيف بل المراد بئس الاسم أن تكونوا فسّاقاً بعد إيمانكم ، كما قال[*1] في الذي كذب : ﴿ **إنْ جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا** ﴾[1] فسماه فاسقاً ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « سباب المسلم فُسوق وقتاله كفر »[2] ، يقول : فإذا ساببتم المسلم ، وسخرتم منه ، ولمزتموه استحققتم أن تسموا فسّاقاً ، وقد قال في آية القذف : ﴿ **ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾[3] ، يقول فإذا أتيتم بهذه الأمور التي تستحقون بها أن تسموا فساقاً كنتم قد استحققتم اسم الفسوق بعد الإيمان ، وإلا فهم في تنابزهم ما كانوا يقولون : فاسق كافر ، فإن النبي ﷺ قدم المدينة وبعضهم يلقب بعضاً ، وقد قال طائفة من المفسرين في هذه الآية : لا تسميه بعد الإسلام بدينه قبل الإسلام كقوله لليهودي إذا أسلم : يايهودي وهذا مروي عن ابن عباس وطائفة من التابعين كالحسن وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني والقرظي ، وقال عكرمة هو قول الرجل : ياكافر يامنافق ، وقال عبد الرحمن بن زيد : هو تسميته بالأعمال كقوله : يازانٍ ، ياسارق ، يافاسق ، وفي تفسير العوفي عن ابن عباس قال ، هو تعيير التائب بسيئات كان قد عملها ومعلوم أن اسم الكفر واليهودية والزاني والسارق وغير ذلك من السيّئات ليست هي اسم الفاسق فعلم أن قوله : ﴿ **بِئْسَ الاسم الفُسوق** ﴾[4] لم يرد به تسمية المسبوب باسم الفاسق ، فإنّ تسميته كافراً أعظم ، بل إن الساب يصير فاسقاً كقوله : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[5] ثم قال : ﴿ **وَمَنْ لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾[6] فجعلهم ظالمين إذا لم يتوبوا من ذلك ، وإن كانوا يدخلون في اسم المؤمنين ، ثم ذكر النهي عن الغيبة ، ثم ذكر

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٦ .
(٢) حديث صحيح رواه الشيخان .
(٣) سور ة النور ، الآية ٤ .
(٤) سورة الحجرات ، الآية ١١ .
(٥) حديث صحيح رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب سباب المسلم فسوق ٨١/١ ، عن عبد الله بن مسعود .
(٦) سورة الحجرات ، الآية ١١ .

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية .

النهي عن التفاخر بالأحساب ، وقال : ﴿ **إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[1] ، ثم ذكر قول الأعراب (آمنّا) . فالسورة تنهى عن هذه المعاصي والذنوب التي فيها تعد على الرسول وعلى المؤمنين . فالأعراب المذكورون فيها من جنس الباقين[*1] وأهل السباب والفسوق والمنادين من وراء الحجرات وأمثالهم ليسوا من المنافقين ولهذا قال المفسرون : إنهم الذين استنفروا عام الحديبية وأولئك وإن كانوا من أهل الكبائر فلم يكونوا في الباطن كفاراً منافقين ، قال ابن إسحاق : لما أراد رسول الله ﷺ العمرة ، عمرة الحديبية استنفر من حول المدينة من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه خوفاً من قومه أن يعرضوا له بحرب أو بصدّ فتثاقل عنه كثير منهم الذين عنى الله بقوله : ﴿ **سيقول لك المخلَّفون من الأعراب شغلتنا أموالُنا وأهلُونا فاستغفِرْ لنا** ﴾[2] ، أي ادع الله أن يغفر لنا تخلفنا عنك : ﴿ **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم** ﴾[3] ما يبالون استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وهذا حال الفاسق الذي لا يبالي بالذنب . والمنافقون قال فيهم : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالَوْا يستغفر لكم رسول الله لَوَّوا رؤوسَهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم** ﴾[4] ولم يقل مثل هذا في هؤلاء الأعراب . بل الآية دليل على أنهم لو صدقوا في طلب الاستغفار نفعهم استغفار الرسول ثم قال : ﴿ **ستُدعوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم أجراً حسناً وإن تتولوْا كما توليّتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾[5] فوعدهم بالثواب على طاعة الداعي إلى الجهاد وتوعدهم بالتولي عن طاعته وهذا كخطاب أمثالهم من أهل الذنوب والكبائر بخلاف من هو كافر في الباطن فإنه لا يستحق الثواب بمجرد طاعة الأمر حتى يؤمن أولاً ، ووعيده ليس على مجرد توليه عن الطاعة في الجهاد فإن كفره أعظم من هذا

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٤ .
(٢) سورة الفتح ، الآية ٢١ .
(٣) سورة الفتح ، الآية ٢١ .
(٤) سورة المنافقون ، الآيتان ٥ ، ٦ .
(٥) سورة الفتح ، الآية ١٦ .

(*١) (الباقين) في الأصل ، (المنافقين) في الهندية .

فهذا كله يدل على أن هؤلاء من فساق الملة فإن الفسق يكون تارة بترك الفرائض وتارة بفعل المحرمات ، وهؤلاء لما تركوا ما فرضه(*1) الله عليهم من الجهاد وحصل عندهم نوع من الريب الذي أضعف إيمانهم لم يكونوا من الصادقين الذين وصفهم وإن كانوا صادقين في أنهم في الباطن متدينون بدين الإسلام . وقول المفسرين لم يكونوا مؤمنين نفي لما نفاه الله عنهم من الإيمان ، كما نفاه عن الزاني والسارق والشارب وعمّن لا يأمن جاره بوائقه وعمّن لا يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه ، وعمن لا يجيب إلى حكم الله ورسوله ، وأمثال هؤلاء ، وقد يحتج على ذلك بقوله ﴿ **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾[1] ، كما قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[2] فذم من استبدل اسم الفسوق بعد الإيمان ، فدل على أن الفاسق لا يسمّى مؤمناً ، فدل ذلك على أن هؤلاء الأعراب من جنس أهل الكبائر ، لا من جنس المنافقين ، وأما من نقل من أنهم أسلموا خوف القتل والسبي فهكذا كان إسلام غير المهاجرين والأنصار ، أسلموا رغبة ورهبة ، كإسلام الطلقاء من قريش بعد أن قهرهم النبي ﷺ ، وإسلام المؤلفة قلوبهم من هؤلاء ومن أهل نجد وليس كل من أسلم لرغبة أو رهبة كان من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار بل يدخلون في الإسلام والطاعة ، وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداة للرسول ، ولا استنارت قلوبهم بنور الإيمان(*2) واستبصروا فيه ، وهؤلاء قد يحسن إسلام أحدهم فيصير من المؤمنين كأكثر الطلقاء وقد يبقى من فساق الملة ومنهم من يصير منافقاً مرتاباً إذا قال له منكر ونكير : ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول : آه ، آه(*3) لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، وقد تقدم قول من قال : « أنهم أسلموا بغير قتال

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١١ .

(٢) حديث صحيح رواه الشيخان ، الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب سباب المسلم فسوق ٨١/١ عن عبد الله ابن مسعود .

(*١) (مافرضه) في الأصل ، (ما فرض) في الهندية .

(*٢) (ولا) زيادة في الهندية .

(*٣) (آه ، آه) في الأصل ، (هاه ، هاه) في الهندية .

فهؤلاء كانوا أحسن إسلاماً من غيرهم وإن الله إنما ذمّهم لكونهم منوا بالإسلام وأنزل فيهم ﴿ **ولا تُبطلوا أعمالكم** ﴾[1] وأنهم من جنس أهل الكبائر ، وأيضا قوله : ﴿ **ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[2] ، « ولما » إنما ينتفى بها ما ينتظر ويكون حصوله مترتباً كقوله ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾[3] وقوله ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مَثَلُ الذين خلوْا من قبلكم** ﴾[4] ، فقوله : ﴿ **ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[5] يدل على أن دخول الإيمان منتظر منهم ، فإن الذي يدخل في الإسلام ابتداء لا يكون قد حصل[*1] قلبه الإيمان لكنه يحصل فيما بعد كما في الحديث :

« كان الرجل يسلم أول النهار رغبة في الدنيا فلا يجيئ آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس »[6] ، ولهذا كان عامة الذين أسلموا رغبة ورهبة دخل الإيمان إلى[*2] قلوبهم بعد ذلك ، وقوله ﴿ **ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[7] ، أمر لهم بأن يقولوا ذلك والمنافق لا يؤمر بشيئ ثم قال : ﴿ **وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتْكُم من أعمالكم شيئاً** ﴾[8] والمنافق لا تنفعه طاعة الله ورسوله حتى يؤمن أولاً وهذه الآية مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره ، على أنه يستثني في الإيمان دون الإسلام وأن أصحاب الكبائر يخرجون من الإيمان إلى الإسلام ، قال الميموني : سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في « [*3] مؤمن إن شاء الله » فقال : أقول مؤمن إن شاء الله ،

---

(١) سورة محمد ، الآية ٣٣ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٢ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢١ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٤٢ .
(٦) لم أجده في كتب الرواية .
(٧) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٨) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(*١) (في) زيادة في الهندية .
(*٢) (إلى) بالأصل ، (في) في الهندية .
(*٣) (أنا) زيادة في الهندية .

وأقول مسلم ولا أستثني ، قال قلت لأحمد : تفرق بين الإسلام والإيمان ، فقال لي نعم ، قلت له بأي شئ تحتج قال لي : ﴿ **قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[1] . وذكر أشياء ، وقال الشالنجي : سألت أحمد عمن قال : أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث ولا أعلم ما أنا عند الله ، قال : ليس بمرجئ ، وقال أبو أيوب سليمان بن داود الهاشمي : الاستثناء جائز ، ومن قال أنا مؤمن[*1] ولم يقل عند الله ولم يستثن ، فذلك عندي جائز وليس بمرجئ وبه قال أبو خيثمة وابن أبي شيبة ، وذكر الشالنجي أنه سأل أحمد بن حنبل عن المصرّ على الكبائر يطلبه بجهده أي يطلب الذنب بجهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصرًّا من كانت هذه حاله قال : هو مصرّ ، مثل قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[2] ، ويخرج من الإيمان ويقع في الإسلام ، ومن نحو قوله : « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق[*2] حين يسرق وهو مؤمن »[3] ، ومن نحو قول ابن عباس في قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[4] ، فقلت له ما هذا الكفر ، فقال : كفر لا ينقل عن الملة مثل الإيمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر ، حتى يجئ من ذلك أمر لا يختلف فيه ، وقال ابن[*3] شيبة . « لا يزني[*4] حين يزني وهو مؤمن »[5] لا يكون مستكمل الإيمان ، يكون ناقصاً من إيمانه .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٢) حديث صحيح تقدم ذكره أكثر من مرة .

(٣) حديث صحيح تقدم ذكره أكثر من مرة .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٥) حديث صحيح تقدم ذكره أكثر من مرة .

(*١) (حقا) زيادة في الهندية .

(*٢) (السارق) زيادة في الهندية .

(*٣) (أبي) زيادة في الهندية .

(*٤) (الزاني) زيادة في الهندية .

قال الشالنجي : وسألت أحمد عن الإيمان والإسلام فقال : الإيمان قول وعمل ، والإسلام إقرار ، قال وبه قال أبو خيثمة وقال ابن أبي شيبة : لا يكون إسلام إلا بالإيمان ، ولا إيمان إلا بإسلام وإذا كان على المخاطبة فقال : قد قبلت الإيمان فهو داخل في الإسلام ، وإذا كان قد قبلت الإسلام فهو داخل في الإيمان ، وقال محمد بن نصر المروزي وحكى غير هؤلاء أنه سأل أحمد بن حنبل عن قول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[1] ، قال : من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمناً ومن أتى دون ذلك (يريد دون الكبائر) يسمّيه[*1] مؤمناً ناقص الإيمان ، قلت : أحمد بن حنبل كان يقول تارة بهذا الفرق ، وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف وهو المتأخر عنه قال أبو بكر الأثرم في « السنة » سمعت أبا عبد الله يسأل عن الاستثناء في الإيمان ما تقول فيه ، فقال : أما أنا فلا أعيبه أي من الناس من يعيبه قال أبو عبد الله : إذا كان يقول : إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطاً ، ليس كما يقولون على الشك ، إنما يستثنى للعمل ، فقال أبو عبد الله قال الله تعالى : ﴿ **لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله[*2] آمنين** ﴾[2] أي أن هذا استثناء بغير شك ، وقال النبي ﷺ[*3] « وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون »[3] أي لم يكن يشك في هذا وقد استثناه ، وذكر قول النبي ﷺ : « وعليها نبعث إن شاء الله »[4] يعني من القبر ، وذكر قول النبي ﷺ : « إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله »[5] ، قال : هذا كله تقوية للاستثناء في

---

(١) حديث صحيح تقدم ذكره .
(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .
(٣) رواه مسلم وأحمد في السلام على أهل القبور ، الإمام أحمد في المسند ٢/٣٠٠ ، عن أبي هريرة ، مسلم في كتاب الطهارة ٢١٨/١ عن أبي هريرة .
(٤) رواه أحمد وابن ماجه .
(٥) رواه مسلم بتمام الحديث في كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر ٧٨١/٢ ، عن عائشة .

(*١) (يسميه) بالأصل ، (أسميه) في الهندية .
(*٢) (آمنين) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (في أهل القبور) زيادة في الهندية .

الإيمان قلت لأبي عبد الله : وكأنك لا ترى بأساً أن لا يستثنى ، فقال : إذا كان ممن يقول الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص فهو أسهل عندي ، ثم قال أبو عبد الله : إن قوماً تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالمتعجب[*1] منهم . وسمعت أبا عبد الله : وقيل له : شبابة أي شئ تقول فيه فقال : شبابة كان يدعي الإرجاء ، قال : وحكى عن شبابة قول أخبث من هذه الأقاويل ما سمعت عن أحد بمثله قال أبو عبد الله : قال : شبابة : إذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون فإذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون[*2] ، فإذا قال فقد[*3] عمل بجارحته أي بلسانه حين تكلم به ثم قال أبو عبد الله : هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقوله به ولا بلغني . قيل لأبي عبد الله : كنت كتبت عن شبابة شيئاً قال[*4] : فقال : نعم كنت كتبت عنه قديماً يسيراً قبل أن نعلم أنه يقول بهذا ، قلت لأبي عبد الله : كتبت عنه[*5] قال : لا ولا حرف . قيل لأبي عبد الله : يزعمون أن سفيان كان يذهب إلى الاستثناء في الإيمان ، فقال : هذا مذهب سفيان المعروف به الاستثناء ، قلت لأبي عبد الله : من يرويه عن سفيان ، فقال : كل من حكى عن سفيان في هذا حكاية كان يستثنى قال : وقال وكيع عن سفيان : الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث ولا ندري ما هم عند الله قلت لأبي عبد الله : فأنت بأي شئ تقول ؟ فقال نحن نذهب إلى الاستثناء ، قلت لأبي عبد الله : فأما إذا قال : أنا مسلم فلا يستثنى فقال : نعم لا يستثنى إذا قال أنا مسلم قلت لأبي عبد الله : أقول هذا مسلم وقد قال النبي ﷺ : « المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده »[1] وأنا أعلم أنه لا يسلم الناس منه ، فذكر حديث معمر عن الزهري ، فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل قال أبو عبد الله : حدثناه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، قيل لأبي عبد الله ، فنقول الإيمان

(١) حديث صحيح وقد تقدم ذكره .

(١*) (كالمتعجب) في الأصل ، (كالتعجب) في الهندية .
(٢*) (قال قد عمل بلسانه كما يقولون) في الهندية .
(٣*) (فقد) غير موجودة في الهندية .
(٤*) (قال) غير موجودة في الهندية .
(٥*) (بعد) زيادة في الهندية .

يزيد وينقص فقال حديث النبي ﷺ يدل على ذلك ، يدل(*١) قوله « أخرجوا(*٢) من كان في قلبه مثقال كذا ، أخرجوا من كان في قلبه مثقال(*٣) كذا »(١) فهو يدل على ذلك(*٤) وذكر عند أبي عبد الله عيسى الأحمر وقوله في الإرجاء فقال نعم ذلك(*٥) خبيث القول . وقال أبو عبد الله حدثنا حماد بن زيد سمعت هشاماً يقول كان الحسن ومحمد يقولان : مسلم ، ويهابان : مؤمن ، قلت لأبي عبد الله : رواه غير سويد قال : ما علمت بذاك(*٦) ، وسمعت أبا عبد الله يقول : الإيمان قول وعمل قلت لأبي عبد الله فالحديث الذي يروى « أعتقها فإنها مؤمنة »(٢) ، قال ليس كل أحد يقول : إنها مؤمنة ، يقولون أعتقها ، قال : ومالك سمعه من هذا الشيخ ، هلال بن علي لا يقول : « فإنها مؤمنة »(٣) قال(*٧) وقد قال بعضهم بأنها مؤمنة فهو حين يقر بذاك فحكمها حكم مؤمنة(*٨) هذا معناه قلت لأبي عبد الله :

تفرق بين الإيمان والإسلام ، قال : قد اختلف الناس فيه ، وكان حماد بن زيد ـ زعموا ـ يفرق بين الإيمان والإسلام ، قيل له من المرجئة ؟ قال : الذين يقولون :

الإيمان قول بلا عمل : قلت : فأحمد بن حنبل لم يرد قط أنه سلب جميع الإيمان

---

(١) رواه الإمام أحمد ، وقد تقدم ذكره .
(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ٣١٨/١ عن معاوية ابن الحكم ، والإمام البخاري في كتاب النكاح باب من هاجر أو عمل خيراً ١١٥/٩ عن عمر بن الخطاب .
(٣) رواه الإمام مسلم وهو جزء من حديث رقم (٣) السابق .

(*١) (يدل) في الأصل ، (فذكر) في الهندية .
(*٢) (من النار) زيادة في الهندية .
(*٣) (مثقال) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (ذاك) في الأصل ، (ذلك) في الهندية .
(*٥) (ذاك) في الأصل ، (ذلك) في الهندية .
(*٦) (بذاك) في الأصل ، (بذلك) في الهندية .
(*٧) (قال) غير موجودة في الهندية .
(*٨) (مؤمنة) بالأصل ، (المؤمنة) في الهندية .

فلم يبق معه منه شيء كما تقوله الخوارج والمعتزلة . فإنه هو[*1] قد صرح في غير موضع بأن أهل الكبائر معهم إيمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي ﷺ :

« أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »[1] وليس هذا قوله ولا قول أحد من أئمّة السنّة بل كلهم متفقون على أن الفسّاق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار[*2] الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين لكن إذا كان معهم بعض الإيمان لم يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هؤلاء فقال : « لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن »[2] وقال :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه »[3] . وقال : « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[4] وأقسم على ذلك مرات وقال : « المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »[5] والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية ، واسم الإسلام أيضاً ، يقولون : ليس معه شيء من الإيمان والإسلام ويقولون : ننزله منزلة بين منزلتين : فهم يقولون : إنه يخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعة ، وهذا[*3]

الذي أنكر عليهم ، وإلا لو نفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئاً من الإيمان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة ، وكان أهل السنة متفقون على أنه قد سلب كمال الإيمان الواجب فزال بعض إيمانه الواجب لكنه من أهل الوعيد ، وإنما تنازع في ذلك من يقولون : الإيمان لا يتبعض من الجهمية والمرجئة ، فيقولون : إنه كامل الإيمان ، فالذي ينفي إطلاق الاسم يقول : الاسم المطلق مقرون بالمدح واستحقاق الثواب

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان ، البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ١/٧٢ ، عن أبي سعيد الخدري ، فتح الباري ، مسلم في كتاب الإيمان ١/١٦٧ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) حديث صحيح تقدم ذكره .

(٣) متفق عليه وقد تقدم كثيراً .

(٤) حديث صحيح وقد تقدم كثيراً ، البخاري في كتاب الأدب ١/٢٤٣ .

(٥) حديث صحيح أخرجه أحمد وغيره وصححه الترمذي .

(*١) (هو) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (هو) زيادة في الهندية .

(*٣) (هو) زيادة في الهندية .

كقولنا : متّق وبر ، وعلى الصراط المستقيم فإذا كان الفاسق لا تطلق عليه هذه الأسماء ، فكذلك اسم الإيمان ، وأما دخوله في الخطاب فلأن المخاطب باسم الإيمان كان من معه شيء منه لأنه أمر لهم ، فمعاصيهم لا تسقط عنهم الأمر ، وما[*1] ذكره أحمد في الإسلام فاتبع به الزهري حيث قال : كانوا يرون الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل في حديث سعد بن أبي وقاص وهذا على وجهيه : فإنه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الأعمال الظاهرة وهذا هو الإسلام الذي بيّنه النبي ﷺ حيث قال : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت »[1] ، وقد يراد[*2] الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة . وليس هذا هو الذي جعله النبي ﷺ الإسلام ، لكن قد يقال : إسلام الأعراب كان من هذا فيقال : الأعراب وغيرهم كانوا إذا أسلموا على عهد النبي ﷺ ألزموا بالأعمال الظاهرة : الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها ، وأحمد إن كان أراد في هذه الرواية أن الإسلام هو الشهادتان فقط فكل من قالها فهو مسلم فهذه إحدى الروايات عنه والرواية الأخرى لا يكون مسلماً حتى يأتي بها ويصلي فإذا لم يصل كان كافراً والثالثة أنه كافر بترك الزكاة أيضاً والرابعة أنه يكفر بترك الزكاة ، إذا قاتل الإمام عليها دون ما إذا لم يقاتله وعنده[*3] أنه لو قال أنا أؤديها ولا أدفعها إلى الإمام لم يكن للإمام أن يقتله وكذلك عنه رواية أنه يكفر بترك الصيام والحج إذا عزم أن لا يحج أبداً .

ومعلوم أنه على القول بكفر تارك المباني يمتنع أن يكون الإسلام بمجرد الكلمة بل المراد أنه إذا أتى بالكلمة دخل في الإسلام وهذا صحيح فإنه يشهد له بالإسلام ولا يشهد له بالإيمان الذي في القلب ولا يستثنى في هذا الإسلام لأنه أمر مشهود لكن الإسلام الذي هو أداء الخمس كما أمر به يقبل الاستثناء ،

---

(١) متفق عليه : الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ بُني الإسلام على خمس ، فتح الباري ٤٩/١ ، مسلم في كتاب الإيمان باب أركان الإسلام ٤٥/١ عن ابن عمر ـ دار إحياء التراث .

(*١) (ما) زيادة في الهندية .

(*٢) (به) زيادة في الهندية .

(*٣) (وعنده) في الأصل ، (وعنه) في الهندية .

فالإسلام الذي[*1] يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيه ، وقد صار الناس في مسمّى الإسلام على ثلاثة أقوال : ١ - قيل هو الإيمان وهما اسمان لمسمًّى واحد ، ٢ - وقيل هو الكلمة وهذان القولان لهما وجه سنذكره ، لكن التحقيق ابتداء هو ما بيّنه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان ففسّر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة ، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام ، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع وهذا هو الواجب ، وهل يكون مسلماً ولا يقال له مؤمن ،

قد تقدم الكلام فيه ، وكذلك هل يستلزم الإسلام للإيمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبيّنه والوعد الذي في القرآن بالجنّة والنجاة من العذاب إنما هو معلق باسم الإيمان ، وأما اسم الإسلام مجرداً مما علق به[*2] القرآن دخول الجنة ، لكنه فرضه ، وأخبر بأنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه ، وبالإسلام بعث الله جميع النبيين ، قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾[2] ، وقال نوح : ﴿ **ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعُوا أمركم وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إنْ أجريَ إلاّ على الله وأُمِرتُ أن أكون من المسلمين** ﴾[3] ، وقد أخبر أنه لم ينج من العذاب إلا المؤمنين ، فقال : ﴿ **قلنا احْمِلْ فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل** ﴾[4]، وقال : ﴿ **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن**

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩ .
(٣) سورة يونس ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ .
(٤) سورة هود ، الآية ٤٠ .

(*١) (لا) زيادة في الهندية .
(*٢) (في) زيادة في الهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

من قومك إلا من قد آمن ﴾[1] ، وقال نوح : ﴿ **وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾**[2] وكذلك أخبر عن إبراهيم أن دينه الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ **ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾**[3] ، وقال : ﴿ **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾**[4] ، وبمجموع هذين الوصفين علق السعادة فقال : ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[5] ، كما علقه بالإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في قوله : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[6] ، وهذا يدل على أن الإسلام الذي هو إخلاص الدين لله مع الإحسان وهو العمل الصالح الذي أمر الله به هو الإيمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان ، فإن الوعد على الوصفين وعد واحد وهو الثواب وانتفاء العقاب ، فإن انتفاء الخوف علة تقتضي انتفاء ما يخافه ولهذا[*1] : ﴿ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[7] لم يقل يخافون فهم لا خوف عليهم وإن كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن لا يحزنوا ، لأن الحزن إنما يكون على ماضٍ فهم لا يحزنون بحال لا في القبر ولا في عرصان القيامة بخلاف الخوف ، فإنه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم في الباطن ، كما قال تعالى : ﴿ **ألاَّ إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتّقون ﴾**[8]،

---

(١) سورة هود ، الآية ٣٦ .
(٢) سورة هود ، الآية ٢٩ .
(٣) سورة البقرة ، الآيات من ١٣٠ ـ ١٣٢ .
(٤) سورة النساء ، الآية ١٢٥ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ١١٢ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .
(٧) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .
(٨) سورة يونس ، الآيتان ، ٦٢ ، ٦٣ .

(*١) (قال) زيادة في الهندية .

وأما الإسلام المطلق المجرد فليس في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالإيمان المطلق كقوله : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعِدّت للذين آمنوا بالله ورسله** ﴾[1] ، وقال ﴿ **وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قَدَم صِدق عند ربّهم** ﴾[2] ، وقد وصف الخليل ومن اتبعه بالإيمان كقوله : ﴿ **فآمَنَ له لوط** ﴾[3] ، ووصفه بذلك فقال : ﴿ **فأيّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ **وتلك حُجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه** ﴾[5] ووصفه بأعلى طبقات الإيمان وهو أفضل البريّة بعد محمد ﷺ ، والخليل إنما دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال : ﴿ **وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾[6] وقال : ﴿ **واجعلنا مسلمين لك ومن ذريّتنا أمة مسلمة لك** ﴾[7] ، وقال موسى ﴿ **ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين** ﴾[8] ، بعد قوله : ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذريّة من قومه على خوفٍ من فرعون وملأهم أن يفتِنَهم** ﴾[9] ، وقال : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشّر المؤمنين** ﴾[10] ، وقد ذكر[*1] البشرى المطلقة للمؤمنين[*2] في قوله : ﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾[11] ، وقد وصف الله السحرة بالإسلام والإيمان معاً فقالوا : ﴿ **آمنا بربّ العالمين ربّ موسى وهارون** ﴾[12] ،

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢١ .
(٢) سورة يونس ، الآية ٢ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٢٦ .
(٤) سورة الأنعام ، الآيتان ، ٨١ ، ٨٢ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ٨٣ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٦ .
(٧) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .
(٨) سورة يونس ، الآية ٨٤ .
(٩) سورة يونس ، الآية ٨٣ .
(١٠) سورة يونس ، الآية ٨٧ .
(١١) سورة النحل ، الآية ٨٩ .
(١٢) سورة الأعراف ، الآيتان ١٢١ ، ١٢٢ .

(*١) (ذكر) في الأصل ، (ذكرنا) في الهندية .
(*٢) (للمؤمنين) في الأصل ، (للمسلمين) في الهندية .

وقالوا : ﴿ **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربّنا لما جاءتنا** ﴾[1] ، وقالوا : ﴿ **إنا نطمع أن يغفر لنا ربُّنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين** ﴾[2] ، وقالوا : ﴿ **ربّنا أفرِغْ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين** ﴾[3] ، ووصف[*1] أنبياء بني إسرائيل بالإسلام في قوله : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا** ﴾[4] والأنبياء كلهم مؤمنون ، ووصف الحواريين بالإسلام والإيمان ، فقال تعالى : ﴿ **وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهد بأنّنا مسلمون** ﴾[5] . وحقيقة[*2] الفرق أن الإسلام دين والدين مصدر دان يدين ديناً إذا خضع وذلّ ، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة أسلم الرجل إذا استسلم ، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح ، وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والأصل فيه التصديق والعمل تابع له ، فلهذا فسّر النبي ﷺ الإيمان بإيمان مخصوص[*2] ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وفسّر الإسلام باستسلام مخصوص وهو المباني الخمس وهكذا في سائر كلامه ﷺ يفسر الإيمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا وذالك[*4] النوع أعلى ولهذا قال ﷺ : « الإسلام علانية والإيمان في القلب »[6] ، فإن الأعمال الظاهرة يراها الناس وأما

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٢٦ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية ٥١ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٢٦ .
(٤) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .
(٥) سورة المائدة ، الآية ١١١ .
(٦) حديث ضعيف أخرجه الإمام أحمد ١٣٤/٣ .

(*١) (الله) زيادة في الهندية .
(*٢) (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون) زيادة في الهندية .
(*٣) (وذاك) في الأصل ، (وذلك) في الهندية .

مافي القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوماً ، فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق فلا يدل (........ يوجد نقص)(١) ، ففي حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعاً أن النبي ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »(٢) ، ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه ، وفسر المؤمن بأمر باطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم . وهذه الصفة أعلى من تلك ، فإن من كان مأموناً سلم الناس منه ، وليس كل من سلموا منه يكون مأموناً ، فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه ، خوفاً أن يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة لا لإيمان في قلبه وفي حديث عبيد بن عمير بن عمرو بن عنبسة(١*) عن النبي ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ ما الإسلام ؟ قال : « إطعام الطعام ولين الكلام »(٣) ، قال فما الإيمان ؟ قال : « السماحة والصبر »(٤) . فإطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الإنسان لمقاصد متعددة(٢*) وأما السماحة والصبر فخلقان في النفس ، قال تعالى : ﴿ **وتواصَوْا بالصبر وتواصَوْا بالمرحمة** ﴾(٥) ، وهذا أعلى من ذاك وهو أن يكون صبّاراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للإنسان وصبر على المكاره ، وهذا ضد الذي خُلق هلوعاً إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً ، فإن ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة ولا صبر عند المصيبة وتمام الحديث : فأي الإسلام أفضل ، قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »(٦) قال يارسول الله أي المؤمنين أكمل إيماناً ، قال : « أحسنهم خلقاً »(٧) ، قال يارسول الله : أي القتل أشرف قال : « من أريق دمه وعقر جواده »(٨) ، قال يارسول الله : فأي الجهاد

---

(١) فراغ في جميع النسخ .

(٢) حديث رواه عبد الله بن عمرو وأبو هريرة ، مسلم ٦٥/١ .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد في المسند ٢٠٤/٤ عن عمرو بن العاص .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد في المسند ٣١٩/٥ عن عبادة بن الصامت وهو في المسند ٣٨٥/٤ .

(٥) سورة البلد ، الآية ١٧ .

(٦) حديث صحيح رواه أحمد تقدم ذكره من حديث رقم م وهو في المسند ٣٨٥/٤ .

(٧) حديث صحيح رواه أحمد من حديث رقم ٢ .

(٨) حديث صحيح رواه أحمد من حديث رقم ٢ .

(١*) (عنبسه) في الأصل (عبسة) في الهندية .

(٢*) (وكذلك لين الكلام) زيادة في الهندية .

أفضل قال : « الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله »(١) قال يارسول الله فأي الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد المُقلّ »(٢) ، قال يارسول الله فأي الصلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت »(٣) قال : يارسول الله فأي الهجرة أفضل ؟ قال : « من هجر السوء »(٤) وهذا محفوظ بن عبيد بن عمير تارة ويروى مرسلاً تارة(١*) مسنداً ، وفي رواية أي الساعات أفضل ؟ قال : « جوف الليل الغابر »(٥) ، وقوله : « أفضل الإيمان السماحة والصبر »(٦) يروى من وجه آخر عن جابر عن النبي ﷺ ، وهكذا في سائر الأحاديث إنما يفسر الإسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الأعمال الظاهرة كما في الحديث المعروف الذي رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال والله يارسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه ألا أتيك فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به قال : « الإسلام »(٧) ، قال وما الإسلام ، قال « أن تسلم قلبك لله وأن توجه وجهك إلى الله تعالى(٢*) وأن تصلي الصلوات(٣*) المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة أخوان نصيران لا يقبل الله من عبد أشرك بعد إسلامه »(٨) وفي رواية قال : « أن تقول أسلمت نفسي لله »(٤*) ، وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم »(٩) ، وفي لفظ : « تقول : أسلمت نفسي لله وخليت وجهي إليه »(١٠) .

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد من حديث رقم ٢ .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد من حديث رقم ٢ .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد من حديث رقم ٢ .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد من حديث رقم ٢ .

(٥) حديث مسند ومرسل .

(٦) رواه ابن شيبة في كتاب الإيمان والإمام أحمد في المسند ٣١٩/٥ عن عبادة بن الصامت .

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٥ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

(٨) تابع الحديث رقم ١٢ .

(٩) رواه أحمد تابع الحديث رقم ١٢ .

(١٠) تابع الحديث رقم ١٢ .

(١*) (يروى) زيادة في الهندية .

(٢*) (الصلوات) في الأصل ، (الصلاة) في الهندية .

(٣*) (نفسي) في الأصل ، (وجهي) في الهندية .

(٤*) (صوراً) في الأصل ، (صوى) في الهندية .

وروى محمد بن نصر من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن للإسلام صوراً[*1] ومناراً كمنار الطريق من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلم على بني آدم إذا لقيتهم فإذا ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة وإن لم يردوا عليك ردت عليك الملائكة ولعنتهم إن سكت عنهم وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم فمن انتقص منهن شيئاً فهو سهم في الإسلام تركه ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره »[1] وقد قال الله تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافّةً** ﴾[2] ، قال مجاهد وقتادة نزلت في المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها ، وهذا لا ينافي قول من قال : نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب أو فيمن لم يسلم ، لأن هؤلاء كلهم مأمورون أيضاً بذلك ، والجمهور يقولون في السلم أي في الإسلام ، وقالت طائفة هو الطاعة وكلاهما مأثور عن ابن عباس وكلاهما حق فإن الإسلام هو الطاعة كما تقدم أنه من باب الأعمال وأما قوله ﴿ **كافّة** ﴾ فقد قيل : المراد ادخلوا كلكم ، وقيل المراد به ادخلوا في الإسلام جميعه ، وهذا هو الصحيح فإن الإنسان لا يؤمر بعمل غيره ، وإنما يؤمر بما يقدر عليه وقوله : ﴿ **ادخلوا** ﴾ خطاب لهم كلهم فقوله ﴿ **كافّة** ﴾ إن أريد به مجتمعين لزم أن يترك الإنسان الإسلام حتى يسلم غيره ، فلا يكون الإسلام مأموراً به إلاّ بشرط موافقة[*2] الغير له كالجمعة وهذا لا يقوله مسلم ، وإن أريد بكافة أي ادخلوا جميعكم فكل أوامر القرآن كقوله : ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾[3] ، ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾[4] كلها من هذا الباب وما قيل فيها كافة وقوله تعالى : ﴿ **قاتلوا المشركين كافّة** ﴾[5] أي قاتلوهم كلهم لا تدعوا مشركاً حتى تقاتلوه فإنها نزلت[*3] بعد نبذ العهود ، ليس المراد قاتلوهم مجتمعين أو جميعكم فإن

(١) رواه الحاكم أيضاً وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٤٣ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٣٦ .

(*١) (صورا) في الأصل ، (صوى) في الهندية .

(*٢) (موافقة) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (نزلت) في الأصل ، (أنزلت) في الهندية .

هذا لا يجب بل يقاتلون بحسب المصلحة والجهاد فرض على الكفاية ، فإذا كانت فرائض الأعيان لم تؤكد المأمورين فيها بكافّة ، فكيف يؤكد ذلك في فروض الكفاية وإنما المقصود تعميم المقاتلين وقوله : ﴿ كما يقاتلونكم كافّة ﴾[1] احتمالان[*1] :

والمقصود أن الله تعالى[*2] أمرنا[*3] بالدخول في جميع الإسلام كما دل عليه هذا الحديث ، فكل ما كان من الإسلام وجب الدخول فيه ، فإن كان واجباً على الأعيان لزم فعله وإن كان واجباً على الكفاية اعتقد وجوبه وعزم عليه إذا تعين أو أخذ بالفضل ففعله ، وإن كان مستحبّاً اعتقد حسنه وأحب فعله وفي حديث جرير أن رجلاً قال يارسول الله صِف لي الإسلام ، قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وتقر بما جاء من عند الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت »[2] ، قال : أقررت ، في قصة طويلة فيها أنه وقع في أخاقيق[3] جرذان وأنه قتل وكان جائعاً وملكان يدسان في شدقه ثمار الجنة . فقوله : « وتقر بما جاء من عند الله » هو الإقرار بأن محمداً رسول الله فإنه هو الذي جاء بذلك . وفي الحديث الذي يرويه أبو سلمان الداراني حديث الوفد الذين قالوا نحن المؤمنون قال فما علامة إيمانكم : قالوا خمس عشرة خصلة : خمس أمرتنا رسلك أن نعمل بهن ، وخمس أمرتنا رسلك أن نؤمن بهن ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها في الإسلام إلا أن تكره منها شيئاً ، قال فما الخمس الذي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها ، قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت . قال وما الخمس الذي أمرتكم أن تؤمنوا بها ، قالوا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية وثبتم عليها في الإسلام قالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضى بمر القضاء ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣٦ .

(٢) البخاري ١/٤٩ فتح الباري ، مسلم ١/٤٥ ، دار إحياء التراث .

(٣) الأخافيق شقوق في الأرض شبيهة بالأخاديد .

(*١) (فيه) زيادة في الهندية .

(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (أمرنا) في الأصل ، (أمر) في الهندية .

والصدق في بواطن اللقاء وترك الشماتة للأعداء[*1] ، قال : وأنا آمركم بخمس[*2] : لا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما أنتم عنه منتقلون ، واتّقوا الله الذي إليه ترجعون[*3] »[1] ، فقد فرقوا بين الخمس التي يعمل بها فجعلوها الإسلام ، والخمس التي يؤمن بها فجعلوها الإيمان ، وجميع الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ تدل على مثل هذا . وفي الحديث الذي رواه أحمد من حديث أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبي ﷺ قال له : « اسلم تسلم »[2] قال وما الإسلام ؟ قال : « أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك »[3] ، قال : فأي الإسلام أفضل قال : « الإيمان »[4] ، قال : وما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتب ورسله وبالبعث بعد الموت »[5] قال : فأي الإيمان أفضل ؟ قال : « الهجرة »[6] قال وما الهجرة قال : « أن تهجر السوء »[7] قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال : « الجهاد »[8] قال وما الجهاد ؟ قال : « أن تجاهد الكفار إذا لقيتهم ولا تغل ولا تجبن »[9] ثم قال رسول الله ﷺ : « ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما « قالها ثلاثاً » حجة مبرورة أو عمرة »[10] وقوله : « هما أفضل الأعمال »[11] أي بعد الجهاد لقوله : « ثم عملان »[12] ففي هذا الحديث جعل الإيمان خصوصاً في الإسلام والإسلام أعمّ منه

---

(١) حديث منكر أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده قال الذهبي : لا يعرف وأتى بخبر منكر فلا يحتج به ، ويقول الشيخ الألباني إنه يوافق الذهبي .

(٢) رواه الإمام أحمد مسنداً .

(٣) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(٤) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(٥) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(٦) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(٧) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(٨) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(٩) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(١٠) رواه الإمام أحمد ، المسند ١١٤/٤ .

(١١) رواه الإمام أحمد ، سبق تخريجه .

(١٢) رواه الإمام أحمد ، جزء من الحديث رقم (٩) .

(١*) (فقال النبي ﷺ « علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء » فقال ﷺ) زيادة في الهندية .

(٢*) (وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة إن كنتم تقولون) زيادة في الهندية .

(٣*) (وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون) زيادة في الهندية .

كما جعل الهجرة خصوصاً في الإيمان والإيمان أعمّ منه وجعل الجهاد خصوصاً من الهجرة والمهاجر أعمّ منه فالإسلام أن يعبد الله وحده مخلصاً له الدين وهذا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره لا من الأولين ولا من الآخرين ولا تكون عبادته مع إرسال الرسل إلينا إلا بما أمرت به رسله ، لا بما يضاد ذلك فإن ضد ذلك معصية وقد ختم الله الرسل بمحمد[*1] فلا يكون مسلماً إلا من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان الإسلام ، فمن قال الإسلام الكلمة وأراد هذا فقد صدق ، ثم لابد من التزام ما أمر به الرسول من الأعمال الظاهرة كالمباني الخمس ، ومن ترك من ذلك شيئاً نقص إسلامه بقدر ما نقص من ذلك كما في الحديث : « من انتقص منهنّ شيئاً فهو سهم من الإسلام تركه » وهذه الأعمال إذا عملها الإنسان مخلصاً لله تعالى فإنه يثيبه عليها ولا يكون ذلك إلا مع إقراره بقلبه أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيكون معه من الإيمان هذا الإقرار ، وهذا الإقرار يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب ولا أن يكون مجاهداً ولا سائر ما يتميز به المؤمن عن المسلم الذي ليس بمؤمن ، وخلق كثير من المسلمين باطناً وظاهراً معهم هذا الإسلام بلوازمه من الإيمان ولم يصلوا إلى اليقين والجهاد فهؤلاء يثابون على إسلامهم وإقرارهم بالرسول مجمل[*2] قد لا يعرفون أنه جاء بكتاب ، وقد لا يعرفون أنه جاءه ملك ، ولا أنه أخبر بذلك[*3] ، وإذا لم يبلغهم أن الرسول أخبر بذلك لم يكن عليهم الإقرار المفصل به ، لكن لابد من الإقرار بأنه رسول الله وأنه صادق في كل ما يخبر به عن الله ، ثم الإيمان الذي يمتاز به فيه تفصيل وفيه طمأنينة ويقين ، فهذا متميز بصفة وقدرة في الكمية والكيفية فإن أولئك معهم من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وتفصيل المعاد والقدر ما لا يعرفه هؤلاء ، وأيضاً ففي قلوبهم من اليقين والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هؤلاء وأولئك هم المؤمنون حقّاً ، وكل مؤمن لا بد أن يكون مسلماً ، فإن الإيمان يستلزم الأعمال وليس كل مسلم مؤمناً هذا الإيمان المطلق ، لأن الاستسلام لله والعمل له لا يتوقف على هذا الإيمان الخاص وهذا الفرق

(*1) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .

(*2) (مجمل) في الأصل ، (مجملا) في الهندية .

(*3) (بذلك) في الأصل ، (بكذا) في الهندية .

يجسده الإنسان من نفسه . ويعرفه من غيره ، فعامّة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله[*١] وهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل ، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم[*٢] تحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذلك وإلا فكثير من الناس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد ، ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفاراً ولا منافقين بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال . وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم فإنه لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق ، وكذلك إذا تعين عليهم الجهاد و لم يجاهدوا وكانوا من أهل الوعيد ، ولهذا لما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم عامة أهلها فلما جاءت المحنة والابتلاء نافق من نافق ، فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لماتوا على الإسلام ودخلوا الجنة و لم يكونوا من المؤمنين حقّاً الذين ابتلوا فظهر صدقهم ، قال الله[*٣] تعالى : ﴿ **أَلَم أحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين** ﴾[١] ، وقال[*٤] : ﴿ **ما كان الله لِيَذَر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميّزَ الخبيث من الطيب** ﴾[٢] ، وقال : ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة**[*٥]﴾[٣]

---

(١) سورة العنكبوت ، الآيات من ١ ـ ٣ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨٩ .
(٣) سورة الحج ، الآية ١١ .

(*١) (وهم) في الأصل ، (بكذا) في الهندية .
(*٢) (إنما) زيادة في الهندية .
(*٣) (الله) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٥) (ذلك هو الخسران المبين) زيادة في الهندية .

ولهذا ذم الله(*١) المنافقين بأنهم دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى : ﴿ **إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدّوا عن سبيل الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾(١) ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **قل أبِالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد(*٢) إيمانكم** ﴾(٢) وقول من يقول عن مثل هذه الآيات أنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم ولا يصح لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر ، فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان ، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم وهم مع خواصهم مازالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء وصاروا كافرين بعد إيمانهم ولا يدل اللفظ على أنهم مازالوا منافقين ، وقد قال تعالى : ﴿ **يأيها النبي جاهد الكفّار والمنافقين واغْلُظْ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ، يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة(*٣) وما لهم في الأرض من وليّ ولا نصير** ﴾(٣) . فهنا قال : كفروا بعد إسلامهم فهذا الإسلام قد يكون من جنس إسلام الأعراب فيكون قوله ﴿ **بعد إيمانهم** ﴾ وبعد إسلامهم سواء وقد

---

(١) سورة المنافقون ، الآيات من ١ ـ ٣ .
(٢) سورة التوبة ، الآيات ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) سورة التوبة ، الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .

(*١) (الله) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) فقد أمره أن يقول لهم : « قد كفرتم بعد إيمانكم » زيادة في الهندية .
(*٣) (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) غير موجودة في الهندية .

يكونون مازالوا منافقين فلم يكن لهم حال[*1] معهم فيها من الإيمان شيء لكنهم أظهروا الكفر والردة ولهذا دعاهم إلى التوبة ، قال تعالى[*2] : ﴿ **فإن يتوبوا يَكُ خيراً لهم وإن يتولّوْا** ﴾[1] بعد التوبة يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وهذا إنما هو كمن أظهر الكفر فيجاهده الرسول بإقامة الحد والعقوبة ولهذا ذكره[*3] في سياق قوله : ﴿ **جاهِدِ الكفّارَ والمنافقين واغْلُظْ عليهم** ﴾[2] ، ولهذا قال في تمامها : ﴿ **وما لهم في الأرض من وليٍّ ولا نصير** ﴾[3] وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد إسلامهم غير أولئك الذين كفروا بعد إيمانهم فإن هؤلاء حلفوا بالله ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد إسلامهم ، وهموا بما لم ينالوه وهو يدل على أنهم سعوا في ذلك فلم يصلوا إلى مقصودهم فإنه لم يقل هموا بما لم يفعلوا لكن ﴿ **بما لم ينالوا** ﴾ فصدر منهم قول وفعل وقال[*4] : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنّا نخوض ونلعب** ﴾[4] ، فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعْفُ عن طائفة منكم نعذّب طائفة** ﴾[5] فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه كفراً ، وكان كفراً كفروا به فإنهم لم يعتقدوا جوازه ، وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة المنافقين الذين ضرب لهم المثل في سورة البقرة أنهم أبصروا ثم عموا وعرفوا ثم أنكروا وآمنوا ثم كفروا كذلك[*5] قال قتادة ومجاهد : ضرب المثل لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٧٤ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ٧٣ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ٧٤ .
(٤) سورة التوبة ، الآية ٦٥ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ٦٦ .

(*١) (كان) زيادة في الهندية .
(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (هذا) زيادة في الهندية .
(*٤) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*٥) (كذلك) في الأصل ، (لذلك) في الهندية .

ما جاء به الرسول وذهاب نورهم قال : ﴿ **مَثَلُهم كَمَثَلِ الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون** ﴾[1] إلى ما كانوا عليه ، وأما قول من قال : المراد بالنور ما حصل في الدنيا من حقن دمائهم وأموالهم فإذا ماتوا سلبوا ذلك الضوء كما سلب صاحب النار[*1] ضوءه فلفظ الآية يدل على خلاف ذلك فإن قال : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون » ويوم القيامة يكونون في العذاب كما قال تعالى : ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب لهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم** ﴾[2] الآية ، وقد قال غير واحد من السلف : إن المنافق يعطى يوم القيامة نوراً ثم يطفأ ولهذا قال تعالى : ﴿ **يوم لا يخزي اللهُ النبيَّ والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأَيْمَانِهم يقولون : ربّنا أتمِمْ لنا نورنا واغفر لنا** ﴾[3] ، قال المفسرون إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله أن يتم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة ، قال ابن عباس : ليس أحد من المسلمين إلا ويعطى نوراً يوم القيامة فأما المنافق فيطفأ نوره والمؤمن يشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق فهو يقول : ﴿ **ربّنا أتْمِمْ لنا نورنا** ﴾[4] ، وهو كما قال فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو ثابت من وجوه أُخر عن النبي ﷺ ورواه مسلم من حديث جابر وهو معروف من حديث ابن مسعود وهو أطولها ومن حديث أبي مسلم[*2] في الحديث الطويل الذي يذكر فيه أنه ينادي يوم القيامة : « ليتبع كل أمة ما

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة الحديد ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة التحريم ، الآية ٧ .
(٤) سورة التحريم ، الآية ٧ .

(*١) (صاحب النار) في الأصل ، (ذلك النور) في الهندية .
(*٢) (أبي مسلم) في الأصل ، (أبي موسى) في الهندية .

كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا(*1) عرفنا فيأتيهم الله في الصورة(*2) التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه(*3) ويضرب الصراط بين ظهري جهنم »(1) ،(*4) الحديث ، فبيّن أن المنافقين يحشرون مع المنافقين(*5) في الظاهر كما كانوا معهم في الدنيا ثم وقت الحقيقة هؤلاء يسجدون لربهم وأولئك لا يتمكنون من السجود فإنهم لم يسجدوا في الدنيا بل قصدوا الرياء للناس والجزاء في الآخرة هو من جنس من(*6) العمل في الدنيا فلهذا أعطوا نوراً ثم أطفيء(*7) لأنهم في الدنيا دخلوا في الإيمان ثم خرجوا ولهذا ضرب الله لهم المثل بذلك ، وهذا المثل هو لمن كان فيهم آمن ثم كفر وهؤلاء الذين يعطون في الآخرة نوراً ثم يطفأ ولهذا قال فيهم(*8) « (*9) ﴿ **لا يرجعون** ﴾ ، قال قتادة ومقاتل : لا يرجعون عن ضلالهم ، وقال السدي لا يرجعون إلى الإسلام يعني في الباطن وإلا فهم يظهرونه وهذا المثل إنما يكون في الدنيا وهذا المثل مضروب لبعضهم وهم الذين آمنوا ثم كفروا وأما

---

(1) رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ ٤١٩/١٣ عن أبي هريرة .

(*1) (ربّنا) زيادة في الهندية .
(*2) (الصورة) في الأصل ، (صورته) في الهندية .
(*3) (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم) غير موجودة في الهندية .
(*4) « وفي رواية : (فيكشف عن ساقه) وفي رواية يقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد أنفاً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه » زيادة في الهندية .
(*5) (المنافقين) في الأصل ، (المؤمنين) في الهندية .
(*6) (من) غير موجودة في الهندية .
(*7) (أطفيء) في الأصل ، (طفيء) في الهندية .
(*8) (فيهم) غير موجودة في الهندية .
(*9) (فهم) زيادة في الهندية .

الذين لم يزالوا منافقين فضرب لهم المثل الآخر وهو قوله : ﴿ **أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ﴾[1] وهذا أصح القولين فإن المفسرين اختلفوا هل المثلان مضروبان لهم كلهم أو هذا المثل لبعضهم ، على قولين والثاني هو الصواب لأنه قال : ﴿ **أو كصيب** ﴾ ، وأو[*1] إنما يثبت بها أحد الأمرين ، فدل ذلك على أن مثلهم هذا أو[*2] هذا فإنهم لا يخرجون عن المثلين بل بعضهم يشبه هذا وبعضهم يشبه[*3] ، ولو كانوا كلهم يشبهون المثلين لم يذكر[*4] بل كان[*5] يذكر الواو العاطفة أو[*6] قول من قال (أو) هاهنا للتخيير كقولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين ليس بشيء لأن التخيير يكون في الأمر لا يكون في الخبر وهذا خبر[*7] وكذلك قول من قال : « أو » بمعنى الواو أو لتشكيك المخاطبين أو الإيهام عليهم ليس بشيء فإن الله يريد بالأمثال البيان والتفهيم لا يريد التشكيك والإيهام والمقصود تفهيم المؤمنين حالهم ويدل على ذلك أنه قال في المثل الأول : ﴿ **صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ** ﴾ وقال في الثاني : ﴿ **يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوْا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيءٍ قدير** ﴾[2] ، فبين في المثل الثاني أنهم يسمعون ويبصرون ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، وفي الأول كانوا يبصرون ثم صاروا في ظلمات لا يبصرون : ﴿ **صمٌّ بُكمٌ عميٌ** ﴾[3] وفي الثاني إذا أضاء لهم[*8] مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا فلهم حالان

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات من ١٩ ـ ٢٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨ .

(*١) (وأو) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (أو) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (هذا) زيادة في الهندية .

(*٤) (أو) زيادة في الهندية .

(*٥) (كان) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (أو) غير موجودة في الهندية .

(*٧) (وهذا خبر) غير موجودة في الهندية .

(*٨) (إذا أضاء لهم) في الأصل ، (إذا أصابهم) في الهندية .

حال ضياء ، وحال ظلام والأولون بقوا في الظلمة فالأول حال من كان في ضوء فصار في ظلمة والثاني حال من لم يستقر لا في ضوء ولا في ظلمة بل تختلف عليه الأحوال التي توجب مقامه واسترابته . يبين هذا أنه سبحانه ضرب للكفار أيضاً مثلين بحرف أو فقال : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بِقِيْعَةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لُجّيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضُها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[1] ، فالأول مثل الكفر الذي يحسبه صاحبه أنه على حق وهو على باطل كمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً فإنه لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فلهذا مثل بالسراب[*1] بِقَيْعَة والثاني مثل الكفر الذي لا يعتقد صاحبه شيئاً بل هو في ظلمات بعضها فوق بعض من عظم جهله لم يكن معه اعتقاد أنه على حق بل لم يزل جاهلاً ضالاً في ظلمات متراكمة وأيضاً قد يكون المنافق والكافر تارة متّصفاً بهذا الوصف وتارة متّصفاً بهذا الوصف[*2] فيكون التقسيم في المثلين لتنوع الأشخاص ولتنوع أحوالهم وبكل حال فليس ما أضرب له هذا المثل هو مماثل كما ضرب له هذا المثل لاختلاف المثلين صورةً ومعنًى ولهذا لم يضرب للإيمان إلا مثل[*3] واحد فضرب مثله بالنور وأولئك ضرب لهم المثل بضوء لا حقيقة له كالسراب بالقَيْعَة أو بالظلمات المتراكمة وكذلك المنافق يضرب له المثل بمن أبصر ثم عمى أو هو مضطرب يسمع ويبصر ما لا ينتفع به فبيّن أن المنافقين من كان آمن ثم كفر باطناً وهذا مما استفاض به النقل عند أهل العلم والحديث والتفسير والسيرة أنه كان ر وال قد آمنوا ثم نافقوا وكان يجري ذلك لأسباب منها : أمر القِبلة لما حولت ارتد عن الإيمان لأ لى ذلك

---

(١) سورة النور ، الآيتان ، ٤٩ ، ٥٠ .

(*١) (بالسراب) في الأصل ، (بسراب) في الهندية .
(*٢) (وتارة متصفاً بهذا الوصف) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (إلا مثل) في الأصل ، (الأمثل) في الهندية .

طائفة وكانت محنة امتحن الله به الناس ، قال تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾[1] قال : أي إذا حولت والمعنى أن الكعبة هي القِبلة التي كان في علمنا أن نجعلها قِبلتكم فإن الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق وقِبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء ، ولم يأمر الله قط واحداً أن يسجد[*1] ويصلي إلى بيت المقدس لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما فلم نكن لنجعلها لك قِبلة دائمة ، ولكن جعلناها أولاً قبلة لنمتحن بتحويلك الناس فيتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان في شرعها هذه الحكمة وكذلك أيضاً لما انهزم المسلمون يوم أحد وشج وجه النبي ﷺ وكسرت رباعيته ارتد طائفة نافقوا ، قال تعالى : ﴿ **ولا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلوْن إن كنتم مؤمنين إن يَمْسَسْكم قرحٌ فقد مسّ القومَ قرحٌ مثلُه وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلمَ الله الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداءَ والله لا يحب الظالمين وليمحِّصَ الله الذين آمنوا ويمحقَ الكافرين** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلمَ المؤمنين وليعلمَ الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون** ﴾ ، فقوله : ﴿ **وليعلم الذين نافقوا** ﴾[3] ظاهر فيمن أحدث نفاقاً وهو يتناول من لم ينافق قبل ومن ينافق[*2] ثم جدد نفاقاً ثانياً ، وقوله : ﴿ **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ﴾[4] يبين أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقرب منهم بل إما أن يتساويا وإما أن يكونوا للإيمان أقرب وكذلك كان ، فإن ابن أُبَيّ لما انخزل عن النبي ﷺ يوم أحد انخزل ثلث الناس قالوا[*3] كانوا نحو ثلاثمائة، وهؤلاء لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين في الباطن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .
(٢) سورة آل عمران ، الآيات من ١٣٩ ـ ١٤١ .
(٣) سورة آل عمران ، الآيتان ، ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٦٧ .

(*١) (يسجد) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (ينافق) في الأصل ، (نافق) في الهندية .
(*٣) (وقالوا) في الأصل ، (قيل) في الهندية .

الصّلاة ﴾[1] ، ولو قال القائل أتمّوا الصلاة ، ولازموا الصّلاة ، الزموا[*1] الصلاة افعلوا الصلاة كان المعنى صحيحاً ، لكن لا يدل[*2] على معنى أقيموا ، فكون اللفظ يرادف اللفظ يراد دلالته على ذلك ، ثم يقال ليس هو مرادفاً له وذلك من وجوه : أحدهما : أن يقال للمخبر إذا صدقته صدقه ، ولا يقال آمنه ولا آمن به ، بل يقال : آمن له كما قال : ﴿ **فآمن له لوط** ﴾[2] وقال : ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذرّيّة من قومه** ﴾[3] ، وقال فرعون : ﴿ **آمنتم له قبل أن آذن لكم** ﴾[4] ، وقالوا لنوح : ﴿ **أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون** ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ **قُل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾[6] ، ﴿ **فقالوا أنؤمن لبشريْن مثلنا وقومهما لنا عابدون** ﴾[7] وقال : ﴿ **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون** ﴾[8] فإن قيل فقد يقال : ما أنت بمصدق لنا ، قيل : اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه إذا ضعف عمله إما بتأخيره أو بكونه اسم فاعل ، أو مصدراً وباجتماعهما ، فيقال : فلان يعبد الله ويخافه ويتّقيه ، ثم إذا ذكر باسم الفاعل قيل هو عابد لربّه ، متّقٍ لربّه خائف لربّه ، وكذلك نقول : فلان يرهب الله ثم تقول هو راهب لربّه ، وإذا ذكرت العقل وأخّرته تقويه باللام كقوله : ﴿ **وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ﴾[9] وقد قال : ﴿ **فإيّايَ فارهبون** ﴾[10] فعداه بنفسه ، وهناك ذكر اللازم فإن قوله هنا[*3] ﴿ **فإيّايَ** ﴾ أتم من قوله فلي وقوله هناك[*4] لربهم أتم من قوله ربهم ، فإن الضمير

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١١٠ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٢٦ .
(٣) سورة يونس ، الآية ٨٣ .
(٤) سورة الشعراء ، الآية ٤٩ .
(٥) سورة الشعراء ، الآية ١١١ .
(٦) سورة التوبة ، الآية ٦١ .
(٧) سورة المؤمنون ، الآية ٤٧ .
(٨) سورة الدخان ، الآية ٢١ .
(٩) سورة الأعراف ، الآية ١٥٤ .
(١٠) سورة يوسف ، الآية ٤٣ .

(١*) (الزموا) في الأصل ، (التزموا) في الهندية .
(٢*) (هذا) زيادة في الهندية .
(٣*) (قوله هنا) في الأصل ، (هنا قوله) في الهندية .
(٤*) (هناك) في الأصل ، (هنالك) في الهندية .

المنفصل المنصوب أكمل من ضمير الجر بالياء ، وهناك اسم ظاهر فتقويته باللام أوْلى وأتمّ من تجريده ومن هذا قوله : ﴿ **إن كنتم للرؤيا تعبرون** ﴾[1] ويقال عبرت رؤياه ، وكذلك قوله : ﴿ **وإنهم لنا لغائظون** ﴾[2] وإنما يقال غظته ، لا يقال غظت له ، ومثله كثير ، فقول[*1] القائل ما أنت بمصدق لنا أدخل في اللام لكونه[*2] اسم فاعل ، وإلا فإنما يقال : صدقته ، لا يقال صدقت له ، ولو ذكروا الفعل لقالوا ما يصدقنا[*3] ، وهذا بخلاف لفظ الإيمان فإنه تعدى إلى المخبر باللام دائماً لا يقال آمنته قط ، وإنما يقال آمنت له ، كما يقال أقررت ، فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق ، مع أن بينهما فرقاً . الثاني : أنه ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب ، فيقال له في اللغة صدقت ، كما يقال كذبت ، فمن قال السماء فوقنا قيل له صدق[*4] ، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلاّ في الخبر عن غائب لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة ، كقوله : طلعت الشمس وغربت ، أن يقال آمنا له[*5] ، كما يقال صدقناه ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم يقال صدقناهم ، وما يقال آمنّا لهم ، فإن الإيمان مشتق من الأمن فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه ، المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر ، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في هذا النوع ، والإثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء يقال صدق أحدهما صاحبه ، ولا يقال آمن له ، لأنه لم يكن غيباً[*6] عنه ائتمنه عليه ولهذا قال : ﴿ **فآمن له لوط** ﴾[3] ، ﴿ **أنؤمن لبشرين مثلنا** ﴾[4] ﴿ **آمنتم له** ﴾[5] ﴿ **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾[6] فيصدقهم فيما أخبروا به مما غاب عنه ، وهو مأمون عنده على ذلك ، فاللفظ متمضن مع

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٤٣ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية ٥٥ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٢٦ .
(٤) سورة المؤمنون ، الآية ٤٧ .
(٥) سورة طه ، الآية ٧١ .
(٦) سورة التوبة ، الآية ٦١ .

(*١) (فقول) في الأصل ، (فيقول) في الهندية .
(*٢) (لكونه) في الأصل ، (كونه) في الهندية .
(*٣) (ما يصدقنا) في الأصل ، (ما صدقنا) في الهندية .
(*٤) (كما يقال كذب) زيادة في الهندية .
(*٥) (له) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (غيباً) في الأصل ، (غائبا) في الهندية .

التصديق معنى الائتمان والأمانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ، ولهذا قالوا ﴿ **ما أنت بمؤمن لنا** ﴾[1] أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ، ولا تطمئن إليه ، ولو كنّا صادقين ، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك فلو صدقوا لم يؤمن لهم[*1] .

الثالث : أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق ، فإن من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له صدقت أو كذبت ، ويقال صدقناه أو كذبناه ، ولا يقال لكل مخبر آمنّا له أو كذبناه ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له بل المعروف في مقابلة[*2] لفظ الكفر ، يقال هو مؤمن أو كافر ، والكافر والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال أنا أعلم أنك صادق لا اتبعك . بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم ، فلما[*3] كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط علم أن الإيمان ليس هو التصديق[*4] فقط بل إذا كان الكفر يكون تكذيباً ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا تكذيب ، فلابد أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقة وموالاة وانقياد . لا يكفي مجرد التصديق ، فيكون الإسلام جزء مسمّى الإيمان كما كان الامتناع من الانقياد مع التصديق جزء مسمّى الكفر فيجب أن يكون كل مؤمن مسلماً منقاداً للأمر وهذا هو العمل . فإن قيل فالرسول ﷺ فسّر الإيمان بما يؤمن به ، قيل : الرسول ذكر ما يؤمن به ، لم يذكر ما يؤمن له ، وهو نفسه يجب أن يؤمن به ويؤمن له ، فالإيمان به من حيث ثبوته ، غيب[*5] أخبرنا بها ، وليس كل غيب آمنّا به علينا أن نطيعه . وأما ما يجب من الإيمان له ، فهو الذي يوجب طاعته والرسول يجب الإيمان به وله فينبغي أن نعرف هذا ، وأيضاً فإن طاعته طاعة لله ، وطاعة الله من تمام الإيمان به .

الرابع : أن من الناس من يقول الإيمان أصله في اللغة من الأمن الذي هو ضد الخوف فآمن أي صار داخلاً في الأمن وأنشدوا : (...... بياض .....

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٧ .

(*١) (لم يؤمن) في الأصل ، (لم يأمن) في الهندية .
(*٢) (الإيمان) زيادة في الهندية .
(*٣) (فلما) في الأصل ، (فلو) في الهندية .
(*٤) (التصديق) في الأصل ، (التكذيب) في الهندية .
(*٥) (عنا) زيادة في الهندية .

بياض ....)[1] وأما المقدمة الثانية فيقال إنه إذا فرض أنه مرادف للتصديق فقولهم إن التصديق لا يكون إلا بالقلب أو اللسان ، عنه جوابان : أحدهما المنع ، بل الأفعال تسمى تصديقاً كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « العينان تزنيان وزناهما النظر . والأذن تزني وزناها السمع ، واليد تزني وزناهما البطش ، والرِّجل تزني وزناها المشي ، والقلب يتمنى ويشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه »[2] ، وكذلك قال أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف : قال الجوهري : « والصدّيق مثل الفسّيق الدائم التصديق ويكون الذي يصدق قوله بالعمل ، وقال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب[*1] وصدقته الأعمال . وهذا مشهور عن الحسن وروي[*2] عنه من غير وجه[*3] رواه عباس الدوري ، حدثنا حجاج حدثنا أبو عبيدة الناجي عن الحسن قال : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال . من قال حسناً وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل ذلك بأن الله يقول : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصلح يرفعه** ﴾[3] رواه ابن بطة من الوجهين وقوله : ليس[*4] بالتمني معنى الكلام ، وقوله بالتحلي يعني أن يصير حلية ظاهرة له فيظهره من[*5] حقيقة من قلبه ومعناه ليس هو ما يظهر من القول إلا من الحلية الظاهرة ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال ، فالعمل يصدق أن في القلب إيماناً ، وإذا لم يكن عمل كذب أن في قلبه إيماناً لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم وقد روى محمد بن نصر

---

(١) بياض في الأصول جميعاً .

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب القدر باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنا ٢٠٤٦/٤ ، عن أبي هريرة .

(٣) سورة فاطر ، الآية ١٠ .

(*١) (القلب) في الأصل ، (القلوب) في الهندية .

(*٢) (وروى) في الأصل ، (يروي) في الهندية .

(*٣) (كما) زيادة في الهندية .

(*٤) (الإيمان) زيادة في الهندية .

(*٥) (غير) زيادة في الهندية .

المروزي بإسناده أن عبد الملك بن مروان[1] كتب إلى سعيد بن جبير[2] يسأله عن هذه المسألة[*1] فأجابه عنها : سألت عن الإيمان فالإيمان هو التصديق أن يصدق العبد بالله وملائكته وما أنزل من كتاب وما أرسل من رسول وباليوم الآخر ، وسألت عن التصديق ، والتصديق أن يعمل العبد بما صدق به من القرآن ، وما ضعف من شيء منه وفرط فيه ، عرف أنه ذنب واستغفر الله وتاب منه ولم يصر عليه فذلك هو التصديق ويسأل عن الدين والدين هو العبادة فإنك لن تجد رجلاً من أهل دين[*2] يترك[*3] عبادة أهل دين ثم لا يدخل في دين آخر إلا صار لا دين له ويسأل عن العبادة والعبادة هي الطاعة ، ذلك أنه من أطاع الله فيما أمره به[*4] ونهاه عنه فقد آثر عبادة الله ومن أطاع الشيطان في دينه وعمله فقد عبد الشيطان ألا ترى أن الله تعالى[*5] قال للذين فرطوا ﴿ **ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان[*6] إنه لكم عدوّ مبين** ﴾[3] وإنما كانت عبادتهم الشيطان لأنهم[*7] أطاعوه في دينهم . وقال أسد بن موسى حدثنا الوليد ابن مسلم عن[*8] الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية قال ، الإيمان في كتاب الله صار إلى العمل قال الله تعالى :

---

(١) عبد الملك بن مروان : خليفة أموي أول من حكم من فرع مروان بن الحكم بعد انتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني ، راجع تقريب التهذيب ١٦٥/٥ .

(٢) سعيد بن جبير : من بني أسد ثقة فقيه من الطبقة الثالثة وروايته عن عائشة وأبي موسى وغيرهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ ، تقريب التهذيب ٢٩٢/١ .

(٣) سورة يس ، الآية ٦٠ .

(*١) (المسألة) في الأصل ، (المسائل) في الهندية .

(*٢) (دين) في الأصل ، (الدين) في الهندية .

(*٣) (يترك) في الأصل ، (ترك) في الهندية .

(*٤) (وفيما) زيادة في الهندية .

(*٥) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (إنه لكم عدو مبين) غير موجودة في الهندية .

(*٧) (لأنهم) في الأصل ، (أنهم) في الهندية .

(*٨) (عن) غير موجودة في الهندية .

﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وَجِلت قلوبهم** ﴾[1] الآية ، ثم صيّرهم إلى العمل فقال : ﴿ **الذين يقيمون الصّلاة وممّا رزقناهم ينفقون** ﴾[2] قال وسمعت الأوزاعي يقول ، قال الله تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾[3] ، والإيمان بالله باللسان والتصديق به العمل ، وقال معمر عن الزهري كنا نقول الإسلام بالإقرار والإيمان بالعمل[*1] قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر ، وما من أحد إلا يوزن قوله وعمله ، فإن كان علمه أوزن من قوله صعد إلى الله ، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله تعالى[*2] ، ورواه أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف ، وقال معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري عن الأوزاعي قال : لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنيّة موافقة للسنّة وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل . العمل من الإيمان والإيمان من العمل ، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ولم يعرفه بقلبه ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف أنهم يجعلون العمل مصدقاً للقول ، ورووا ذلك عن النبي ﷺ[*3] ، رواه معاذ بن أسد : حدثنا الفضيل بن عياض عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد أن أبا ذر سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال : « الإيمان الإقرار والتصديق بالعمل »[4] ثم تلا : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب** ﴾[5]

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ١١ .
(٤) حديث ضعيف ، الألباني .
(٥) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(*١) (والإيمان) زيادة في الهندية .
(*٢) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (كما) زيادة في الهندية .

إلى قوله : ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾[1] قلت حديث أبي ذر هذا مروي من غير وجه فإن كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول فلا كلام ، وإن كان[*1] رووه بالمعنى دل على أنه من المعروف في لغتهم أنه يقال : صدق قوله بعمله ، وكذلك قال شيخ الإسلام الهروي : الإيمان تصديق كله ، وكذلك الجواب الثاني : أنه إذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص ، كما أن الصلاة دعاء مخصوص ، والحج قصد مخصوص والصيام إمساك مخصوص ، وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخلة في مسماه عند الإطلاق فإنّ انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ، ويبقى النزاع لفظياً : هل الإيمان دال على العمل بالتضمن أو باللزوم ، ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنّة في هذه المسألة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون : بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنّة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد : وإن قالوا : إن إيمانهم كامل ، كإيمان جبريل ، فهم يقولون إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقّاً للذمّ والعقاب كما تقوله الجماعة[*2] . والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنّة متفقون على أنه لا يخلد في النار ، فليس من فقهاء الملّة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرّين ظاهراً وباطناً بما جاء به الرسول وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد ، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها ، ولا يدخل[*3] منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة وقول غلاة المرجئة الذين يقولون : ما نعلم أن أحداً منهم يدخل النار بل نقف في ذلك كله وحكى عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام .

ويقال للخوارج : الذي نفي عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الإيمان وهو لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل أحداً إلا المحصن ولم يقتله قتل المرتد فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا يرجم

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(*١) (كان) في الأصل ، (كانوا) في الهندية .
(*٢) (ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة) زيادة في الهندية .
(*٣) (ولا يدخل) في الأصل ، (ولا يخلد) في الهندية .

بالحجارة بلا استتابة فدلّ ذلك على أنه وإن نفى عنهم الإيمان فليسوا عنده مرتدّين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم ، وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، فأولئك لم يعاقبهم[*1] على ذنب ظاهر وسبب الكلام في مسألة الإيمان تنازع الناس . هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسمّاها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة ، فذهب[*2] الخوارج والمعتزلة إلى أنها منقولة ، وذهبت المرجئة إلى أنها باقية على ما كانت عليه في اللغة ولكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء ، وهكذا قالوا في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج : إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم أن الإيمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة إلى أن الشارع تصرّف فيها تصرف أهل العرف فهي بالنسبة إلى اللغة مجاز وبالنسبة إلى عرف الشارع حقيقة . والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما استعمل[*3] نظائرها كقوله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حجّ البيت** ﴾[1] فذكر حجّاً خاصّاً وهو حج البيت وكذلك قوله : ﴿ **فمن حجّ البيت أو اعتمر** ﴾[2] ، فلم يكن لفظ الحج متناولاً لكل قصد ، بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسه من غير تغيير للّغة والشاعر إذا قال :

وأَشهدُ بني عَوْفٍ حؤولاً كثيرةً ... يَحجُّونَ سَبَّ الزِبْرقانَ المُزَعْفَرَا[3]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥٨ .

(٣) القائل المخبل السعدي وفي الهندية السب : العمامة ورواية الهندية كالآتي :

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة ... يحجون سبَّ الزبرقان المزعفرا

والمخبل شاعر مخضرم فحل قيل إنه مات في خلافة عثمان وسمّاه الحافظ في الإصابة الربيع بن ربيعة بن عوف وكنيته أبو زيد راجع : الشعر والشعراء ٤٢٠/١ ، الأغاني ٣٨/١٢ ، المؤتلف والمختلف ١٧٧ ـ الخزانة ٥٣٦/٢ ـ اللالئ ٤١٨ ولم أعثر على البيت في كتب الأدب .

(*١) (إلا) زيادة في الهندية .

(*٢) (فذهب الخوارج والمعتزلة على أنها منقولة وذهب المرجئة إلى أنها باقية على ما كانت عليه في اللغة) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (استعمل) في الأصل ، (يستعمل) في الهندية .

كان متكلماً باللغة ، وقد قيد[*1] لفظه : بحج سب الزبرقان[*2] ومعلوم أن ذلك الحج المخصوص دلت عليه الإضافة فكذلك الحج المخصوص الذي أمر الله به دلت عليه الإضافة أو التعريف باللازم فإذا قيل الحج فرض عليك كانت لام العهد تبين أنه حج البيت . وكذلك الزكاة هي اسم لما تزكو به النفس ، وزكاة النفس زيادة خيرها وذهاب شرها ، والإحسان إلى الناس من أعظم ما تزكو به النفس ، كما قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقةً تُطهرّهم وتزكّيهم بها** ﴾[1] وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به ، قال تعالى : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكّى منكم من أحد أبداً** ﴾[2] وأصل زكاتها بالتوحيد وإخلاص الدين لله ، قال تعالى : ﴿ **وويلٌ للمشركين الذين لا يُؤتون الزكاة** ﴾[3] وهي عند المفسرين التوحيد ، وقد بيّن النبي ﷺ مقدار الواجب وسمّاها الزكاة المفروضة فصار لفظ الزكاة إذا عرف باللام ينصرف إليها لأجل العهد ومن الأسماء ما يكون أهل العرف نقلوه وينسبون ذلك إلى الشارع[*3] لفظ التيمم فإن الله تعالى قال : ﴿ **فتيَمَّموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيدَيكم منه** ﴾[4] ، فلفظ التيمّم استعمل في معناه المعروف في اللغة فإنه أمر بتيمّم الصعيد ثم أمر بمسح الوجه والأيدي منه فصار لفظ التيمم في عرف الفقهاء يدخل فيه هذا المسح وليس هو لغة الشارع بل الشارع فرق بين تيمّم الصعيد وبين المسح الذي يكون بعده ولفظ الإيمان أمر به مقيداً بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وكذلك لفظ الإسلام بالاستسلام لله رب العالمين ، وكذلك لفظ الكفر مقيداً . ولكن لفظ النفاق قد قيل إنه لم يكن العرب تكلمت به . لكنه مأخوذ من كلامهم : فإنّ نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة إذا ماتت ، ومنه نافقاء اليربوع ، والنفق في الأرض ، قال تعالى : ﴿ **فإنِ استطعت أن تبتغي**

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .
(٢) سورة النور ، الآية ٢١ .
(٣) سورة فصّلت ، الآيتان ، ٦ ، ٧ .
(٤) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(*١) (قيد) في الأصل ، (قيل) في المندية .
(*٢) (المزعفرا) زيادة في المندية .
(*٣) (مثل) زيادة في المندية .

نفقاً في الأرض﴾[1] فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً وقيد النفاق بأنه نافق[*1] من الإيمان ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك منافقاً عليه ، لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول ، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال إنها منقولة ، ولا إنه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقاً وهو إنما قال : ﴿ **أقيموا الصلاة** ﴾ بعد أن عرّفهم الصلاة المأمور بها فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها لم يترك لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه ، لهذا قال من قال في لفظ الصلاة إنه عام للمعنى اللغوي أو إنه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة . فإن هذا اللفظ[*2] ورد خبراً أو أمراً فالخبر كقوله : ﴿ **أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذَا صلّى** ﴾[2] وسورة ﴿ **إقْرأْ** ﴾ من أول ما أنزلت[*3] من القرآن وكان بعض الكفار إما أبو جهل وغيره قد نهى النبي ﷺ عن الصّلاة وقال : لئن رأيته يصلّي لأطأن عنقه ، فلما رآه ساجداً رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبيه فإذا قيل : ﴿ **أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذَا صلّى** ﴾[3] فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا إجمال في اللفظ ولا عموم . ثم إنه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي ﷺ لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة ذلك اليوم ، وكان جبريل[*4] يوءمّ النبي ﷺ والمسلمون يأتمّون بالنبي ﷺ ، فإذا قيل لهم ﴿ **أقيموا الصّلاة** ﴾[4] عرفوا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٥ .

(٢) سورة العلق ، الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة العلق ، الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٧٢ .

(*١) (نافق) في الأصل ، (نفاق) في الهندية .

(*٢) (إنما) زيادة في الهندية .

(*٣) (ما أنزلت) في الأصل ، (مانزل) في الهندية .

(*٤) (جبريل) في الأصل ، (جبرائيل) في الهندية .

أنها تلك الصلاة ، وقيل إنه قبل ذلك كانت لهم(*١) صلاتان طرفي النهار فكانت أيضاً معروفة(*٢) فلما تخاطبوا باسم(*٣) هذه الأسماء إلا ومسماه معلوم عندهم فلا إجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجًّا ودعاءً وصوماً ، فإن هذا إنما يكون إذا كان اللفظ مطلقاً وذلك لم يرد ، وكذلك الإيمان والإسلام قد كان معنى ذلك عندهم من أظهر الأمور ، وإنما سأل جبريل النبي ﷺ عن ذلك وهم يسمعون وقال : «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم »(١) ليبيّن لهم كمال هذه الأسماء وحقائقها التي ينبغي أن تقيّد لئلاّ يقتصروا على أدنى مسمَّياتها وهذا كما في الحديث الصحيح أنه قال : « ليس المسكين هو الطوّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غناءً يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس إلحافاً »(٢) فهم كانوا يعرفون المسكين وأنه المحتاج وكان ذلك مشهوراً عندهم فيمن يظهر حاجته بالسؤال ، فبيّن النبي ﷺ أن الذي يظهر حاجته بالسؤال والناس يعطونه تزول مسألته(*٤) بإعطاء الناس له ، والسؤال له بمنزلة الحرفة ، وهو وإن كان مسكيناً يستحق من الزكاة إذا لم يعط من غيرها كفايته فهو إذا وجد من يعطيه كفايته لم يبق مسكيناً وإنما المسكين المحتاج الذي لا يسأل ولا يُعرف فيُعطى فهذا(*٥) الذي يجب أن يقدم في العطاء فإنه مسكين قطعاً وذاك مسكنته تندفع بعطاء من يسأله ، وكذلك قوله : « الإسلام هو الخمس »(٣) يريد أن هذا كله واجب داخل في الإسلام فليس للإنسان أن يكتفي بالإقرار بالشهادتين وكذلك الإيمان يجب أن يكون على هذا الوجه المفصل لا يكتفى فيه بالإيمان المجمل ، ولهذا

---

(١) رواه الإمام مسلم وقد سبق تخريجه .

(٢) متفق عليه ، البخاري في كتاب الزكاة باب قوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ ٢٤١/٣ عن أبي هريرة ، الإمام أحمد في المسند ٣٨٤/١ عن عبد الله .

(٣) حديث صحيح مر تخريجه .

(*١) (لهم) في الأصل ، (له) في الهندية .

(*٢) (معروفة) غير موجدة في الهندية .

(*٣) (من) زيادة في الهندية .

(*٤) (مسألته) في الأصل ، (مسكنته) في الهندية .

(*٥) (هو) زيادة في الهندية .

لما وصف الإسلام بهذا ، وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما بالأعمال الأربعة فاختلفوا في تكفير تاركها ونحن إذا قلنا أهل السنة[*١] لا يكفرون[*٢] بالذنب فإنما تزيد به المعاصي كالزنا والشرب وأما ترك[*٣] هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور وعن أحمد : في ذلك نزاع ، وإحدى الروايتين[*٤] عنه أنه يكفر من ترك واحدة منها وهو اختيار أبي بكر وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب ، وعند رواية ثانية لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط ، ورواية ثالثة لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها ورابعة لا يكفر إلا بترك الصلاة ، وخامسة لا يكفر بترك شيء منهن ، وهذه أقوال معروفة للسلف ، قال الحكم بن[*٥] عُيَيْنة من ترك الصلاة متعمداً[*٦] فقد كفر ، ومن ترك الزكاة متعمداً فقد كفر ومن ترك الحج متعمداً فقد كفر ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر ، وقال سعيد بن جبير : من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك الزكاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله.

وقال الضحاك لا ترفع الصلاة إلا بالزكاة ، وقال عبد الله بن مسعود ، من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له ، رواهنّ أسد بن موسى . وقال عبد الله بن عمرو : من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ، ومن شربه مصبحاً أمسى مشركاً ، فقيل لإبراهيم النخعي كيف ذلك ؟ قال لأنه يترك الصلاة . وقال أبو عبد الله الأخنس في كتابه من شرب المسكر فقد تعرض لترك الصلاة ومن ترك الصلاة فقد خرج من الإيمان ، ومما يوضح ذلك أن جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان كان في آخر الأمر بعد فرض الحج ، وإنما الحج فرض سنة تسع أو عشر ، وقد اتفق الناس على أنه لم يفرض قبل ست من الهجرة ، ومعلوم أن الرسول[*٧]

(*١) (متفقون على أنه) زيادة في الهندية .

(*٢) (لا يكفرون) في الأصل ، (لا يكفر) في الهندية .

(*٣) (ترك) غير موجدة في الهندية .

(*٤) (الروايتين) في الأصل ، (الروايات) في الهندية .

(*٥) (عيينة) في الأصل ، (عتيبة) في الهندية .

(*٦) (متعمداً) في الأصل ، (معتمداً) في الهندية .

(*٧) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .

لم يأمر الناس بالإيمان ولم يبيّن لهم معناه إلى ذلك الوقت بل كانوا يعرفون أصل معناه وهذه المسائل لبسطها موضع آخر . والمقصود هنا أن من نفى عنه الرسول اسم الإيمان أو الإسلام فلابد أن يكون قد ترك الواجبات فيه وإن نفى[*1] بعضها ولهذا كان الصحابة والسلف يقولون : إنه يكون في العبد إيمان ونفاق ، قال أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا وكيع عن الأعمش عن شفيق عن أبي المقدام عن ابن يحيى قال : سئل حذيفة عن المنافق قال : الذي يصف الإسلام ولا يعمل به ، قال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة[1] قال : « القلب[*2] أربعة : قلب أغلف فذاك[*3] قلب الكافر ، وقلب مصفح فذاك[*4] قلب المنافق ، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك[*5] قلب المؤمن وقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدها ماء طيب ، ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيْح ودم فأيهما غلب عليه غلب »[2] وقد روى مرفوعاً وهو في المسند مرفوع[*6] وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله[*7] : ﴿ **هُمْ للكفر يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان** ﴾[3] ، فقد كان قبل ذلك

---

(١) حذيفة بن اليمان : صحابي جليل حليف الأنصار من السابقين الأولين في الإسلام صح عن مسلم أن الرسول ﷺ أخبره بما يكون إلى قيام الساعة وكان ثقة صدوقاً مات حذيفة بعد أن شهد عدة حروب شديدة في خلافة الإمام عليّ كرم الله وجه سنة ٣٦هـ ، راجع تقريب التهذيب ، ١٥٦/١ ، الإصابة ٣١٧/١ ، رقم الترجمة ١٦٤٧ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند مرفوعاً ١٧/٣ ، عن ابن سعد .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٦٧ .

(*١) (وإن نفى) في الأصل ، (وإن بقى) في الهندية .

(*٢) (القلب) في الأصل ، (القلوب) في الهندية .

(*٣) (فذاك) في الأصل ، (فذلك) في الهندية .

(*٤) (فذاك) في الأصل ، (فذلك) في الهندية .

(*٥) (فذاك) في الأصل ، (فذلك) في الهندية .

(*٦) (مرفوع) في الأصل ، (مرفوعاً) في الهندية .

(*٧) (تعالى) زيادة في الهندية .

فيهم نفاق مغلوب فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب وروى عبد الله بن المبارك[1] عن عوف بن أبي جميلة عن عبد الله بن عمرو بن هند عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[*1] قال : « إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد العبد إيماناً ازداد القلب بياضاً حتى إذا استكمل الإيمان أبيَضّ القلبُ كلُّه . وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب ، فكلّما ازداد العبد نفاقاً ازداد القلب سواداً حتى إذا استكمل النفاق أسوَّد القلب . وأيْم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيضَ ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسودَ » . وقال ابن مسعود : « الغناء ينبت في النفاق في القلب كما ينبت البقل »[2] رواه أحمد وغيره ، وهذا كثير في كلام السلف يثبتون أن القلب قد يكون فيه إيمان ونفاق والكتاب والسنّة يدل على ذلك فإن النبي ﷺ ذكر شُعب الإيمان وذكر شُعب النفاق وقال : « من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها »[3] وتلك الشعبة قد يكون معها كثير من شعب الإيمان ولهذا قال : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »[4] فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار وإن كان[*2] كثير منه النفاق ، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من

---

(١) عبد الله بن المبارك : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم ، المروزي التركي الأم الخوارزمي الأم ، عالم ، فقيه ، محدث ، مفسّر ، مؤرخ ، نحوي ، لغوي ، صوفي ، رحل رحلات شاسعة وتوفي بهيت بأعلى الفرات بالأنبار منصرفاً من الغزو . من تصانيفه الكثيرة ، كتاب التفسير ، كتاب الزهد ، السنن في الفقه ، التاريخ ، البر والصلة ، راجع كنوز الأولياء ٨٤/٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٥/١ ، الفهرست ٢٢٨/١ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٥٣/١ ، هدية العارفين ٤٣٨/١ ، معجم المؤلفين ١٠٦/٦ .

(٢) حديث سنده ضعيف ورواه أبو داود مرفوعاً في كتاب الأدب باب كراهية الغناء والزهر ٢٨٢/٤ ، عن أبي وائل .

(٣) حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند ١٩٨/٢ ، عن عبد الله بن عمر .

(٤) حديث سبق تخريجه .

(*١) (رضي الله عنه) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (معه) زيادة في الهندية .

ذلك ثم يخرج[*١] ، وعلى هذا فقوله تعالى للأعراب : ﴿ **لم تؤمنوا ولكنْ قولوا أسْلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[١] نفى حقيقة دخول الإيمان في قلوبهم ، وذلك لا يمنع أن يكون معهم شعبة منه كما نفاه عن الزاني والسارق ومن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومن لا يأمن جاره بوائقه وغير ذلك كما تقدم ذكره فإن في القرآن والحديث ممن نفي عنه الإيمان لترك بعض الواجبات شيء كثير ، وحينئذ فنقول : من قال من السلف أسلمنا أي استسلمنا خوف السيف وقول من قال هو الإسلام الجميع صحيح ، فإن هذا إنما أراد الدخول في الإسلام والإسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون ، فيدخل فيه من كان في قلبه إيمان ونفاق وقد علم أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله أسود فهذا هو الذي يكون في الدرك الأسفل من النار ، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم[*٢] يخشون النفاق على أنفسهم ولم يخافوا التكذيب لله ورسوله فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يكذب الله ورسوله يقيناً وهذا مستند من قال : أنا مؤمن حقًّا ، فإنه إنما أراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم ، ولكنّ الإيمان ليس مجرد التصديق ، بل لابد من أعمال قلبية تستلزم أعمالاً ظاهرة كما تقدم ، فحب الله ورسوله من الإيمان ، وحب ما أمر الله به وبغض ما انتهى عنه ، وهذا[*٣] أخص الأمور بالإيمان ولهذا ذكر ﷺ في عدة أحاديث أن : « من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »[٢] فهذا يحب الحسنة ويفرح بها ويبغض السيئة ويسوءه فعلها وإن فعلها بشهوة غالبة . وهذا الحب والبغض من خصائص الإيمان ، ومعلوم أن الزاني حين يزني إنما يزني لحب[*٤] نفسه لذلك الفعل فلو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة أو حب الله الذي يغلبها لم يزن ولهذا قال الله[*٥] تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿ **كذلك لنصرفَ عنه السوءَ والفحشاءَ إنه من عبادنا المُخْلَصِين** ﴾[٣]

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٢) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٢٤ .

(*١) (من النار) زيادة في الهندية .

(*٢) (رضوان الله عليهم) زيادة في الهندية .

(*٣) (من) زيادة في الهندية .

(*٤) (في) زيادة في الهندية .

(*٥) (الله) غير موجودة في الهندية .

فمن كان مخلصاً لله حق الإخلاص لم يزن ، وإنما يزني لخلوّه عن ذلك ، وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه نفس التصديق ، ولهذا(*1) فهو مسلم وليس بمؤمن . فإن المسلم المستحق للثواب لابدّ أن يكون مصدقاً وإلا كان منافقاً لكن(*2) كل من صدق قام بقلبه من الأحوال الإيمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله ومثل خشية الله والإخلاص له في الأعمال والتوكل عليه بل يكون الرجل مصدقاً بما جاء به الرسول وهو بذلك(*3) يرائي بأعماله ويكون أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله ، وقد خوطب بهذا المؤمنون آخر الأمر في سورة براءة فقيل لهم : ﴿ **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشوْن كسادها ومساكن ترضوْنها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتيَ الله بأمره واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين** ﴾[1] ومعلوم أن كثيراً من المسلمين أو أكثرهم بهذه الصفة وقد ثبت أنه لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وإنما المؤمن من لم يرتب وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله فمن لم تقم بقلبه الأحوال الواجبة في الإيمان هو الذي نفى عنه الرسول الإيمان وإن كان معه التصديق والتصديق من الإيمان ، ولابدّ أن يكون مع التصديق شيْ من حبّ الله وخشية الله ، وإلا فالتصديق الذي لا يكون معه شيْ من ذلك ليس إيماناً البتّة بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس ، وهذا هو الذي أنكره السلف على الجهمية قال الحميدي : سمعت وكيعاً[2] يقول : أهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون الإيمان قول ، والجهمية يقولون الإيمان المعرفة وفي رواية أخرى عنه وهذا كفر ، قال محمد بن عمرو الكلابي سمعت

---

(1) سورة براءة ، الآية ٢٤ .

(2) وكيع : هو وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي كوفي ثقة حافظ عابد زاهد من كبار الطبقة التاسعة ، يضرب به المثل في الذكاء والحفظ والفطنة ، مات سنة ١٩٦هـ ، راجع : تاريخ بغداد ٤٦٦/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٦/١ ، الجواهر المضيئة ٢٠٨/٢ ، تقريب التهذيب ٣٣١/٢ .

(*1) (قيل) زيادة في الهندية .

(*2) (ليس) زيادة في الهندية .

(*3) (بذلك) في الأصل ، (مع ذلك) في الهندية .

وكيعاً يقول : الجهمية شرٌّ من القدرية ، قال وقال وكيع المرجئة الذين يقولون : الإقرار يجزئ[*1] من العمل ، ومن قال هذا فقد هلك ، ومن قال النية تجزئ[*2] من العمل فهو كفر ، وهو قول جهم وكذلك قال أحمد بن حنبل ، ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل وعند أهل السنة من شعائر السنة . وحكى غير واحد الإجماع على ذلك وقد ذكرنا عن الشافعي رحمه الله[*3] ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله في « الأم » وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونيّة لا تجزأ واحد من الثلاثة إلا بالآخر وذكر ابن أبي حاتم في مناقبه : سمعت حرملة يقول : اجتمع حفص الفرد ومصلان الإباضي عند الشافعي في دار الجروي . يعني[*4] معه في الإيمان فاحتج مصلان في الزيادة والنقصان يعني وخالفه حفص الفرد فحمى الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فطمن حفص الفرد وقطعه . وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الجمال قال : أملى علينا إسحق ابن راهويه : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا شك أن ذلك كما وصفنا وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة والآثار العامة المحكمة وأخذ[*5] أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين وهلم جرّا على ذلك ، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه ، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالعراق ومالك بن أنس بالحجاز ومعمر باليمن على ما فسّرنا وبيّنّا : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقال إسحاق : من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقتها : الظهر إلى المغرب والمغرب إلى نصف الليل فإنه كافر بالله العظيم يستتابّ ثلاثة أيام فإن لم يرجع وقال تركها لا يكون كفراً ضربت عنقه يعني تركها وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد[*6] ، وقال واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم إلا

(*1) (من) في الأصل ، (عن) في الهندية .

(*2) (من) في الأصل ، (عن) في الهندية .

(*3) (رحمه الله) في الأصل ، (رضي الله عنه) في الهندية .

(*4) (يعني) في الأصل ، (فتناظرا) في الهندية .

(*5) (وأخذ) في الأصل ، (وآحاد) في الهندية .

(*6) (وقال ذلك وأما إذا صلى) زيادة في الهندية .

من باين الجماعة واتبع الأهواء المختلفة فأولئك[*1] يعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة ، فقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب مصنف في الإيمان قال هذه تسمية من كان يقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، من أهل مكة : عبيد بن عمير الليثي ، وعطاء بن أبي رباح ، مجاهد ، ابن جبراء بن أبي مليكة عمرو بن دينار ، ابن أبي نجيح عبيد الله بن عمير ، عبد الله بن عمرو بن عثمان ، عبد الملك بن جريج ، نافع بن جبير ، داود بن عبد الرحمن العطار ، عبد الله بن رجاء ، ومن أهل المدينة محمد بن شهاب الزهري ، ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أبو حازم الأعرج ، سعد[*2] ابن إبراهيم بن عبد الرحمن ، يحيى بن سعيد الأنصاري ، هشام بن عروة بن الزبير ، عبد الله بن عمر العمري ، مالك بن أنس ، محمد بن أبي ذئب ، سليمان بن بلال ، عبد العزيز بن عبد الله ، يعني ؟ الماجشون ، عبد العزيز بن أبي حازم ، ومن أهل اليمن طاؤوس[*3] اليماني ، وهب بن منبه ، معمر بن راشد ، عبد الرزاق بن همام ، ومن أهل مصر والشام : مكحول الأوزاعي ، سعيد بن عبد العزيز ، الوليد بن مسلم ، يونس بن يزيد الأيلي ، يزيد بن حبيب ، يزيد بن شريح ، سعيد بن أبي[*4] أيوب ، الليث بن سعد ، عبد الله بن أبي جعفر ، معاوية بن[*5] صالح ، صوة بن شريح ، عبد الله بن وهب ، وممن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة ميمون بن مهران ، يحيى بن عبد الكريم ، معقل بن عبيد الله ، عبيد الله بن عمرو الرقي ، عبد الملك بن مالك ، المعاذ بن عمران ، محمد بن سلمة الحراني ، أبو إسحاق الفزاري ، مخلد بن الحسين ، علي بن بكار ، يوسف بن أسباط ، عطاء بن مسلم ، محمد بن كثير ، الهيثم بن جميل ، ومن أهل الكوفة : علقمة الأسود بن يزيد ، أبو وائل سعيد بن جبير ، الربيع بن خيثم ، عامر الشعبي ، إبراهيم النخعي ، الحكم بن عُيَيْنَة ، طلحة بن مصرف ، منصور بن المعتمر ، سلمة بن كهيل ، مغيرة الضبي ،

(*1) (قوم) زيادة في الهندية .
(*2) (سعد) في الأصل ، (سعيد) في الهندية .
(*3) (طاوعوس) في الأصل ، (طاوس) في الهندية .
(*4) (أبي) غير موجودة في الهندية .
(*5) (أبي) زيادة في الهندية .

عطاء بن السائب ، إسماعيل بن أبي خالد ، أبو حيان يحيى بن سعيد ، سليمان بن مهران ، الأعمشى ، يزيد بن أبي زياد ، سفيان بن سعيد الثوري ، سفيان بن عُيَيْنَة ، الفضيل بن عياض ، أبو المقدام ثابت بن العجلاني(*1) ، ابن شبرمة ، ابن أبي ليلى ، زهير ، شريك بن عبد الله ، الحسن بن صالح ، حفص بن غياث ، أبو بكر بن عياش ، أبو الأخوص ، وكيع بن الجراح ، عبد الله بن نمير ، أبو أسامة ، عبد الله ابن إدريس ، زيد بن الحباب ، الحسين بن علي الجعفي ، محمد بن بشير العبري ، يحيى بن آدم ، محمد ويعلي وعمرو بنو عبيد ، قال(*2) ومن أهل البصرة : الحسن ابن أبي الحسن ، محمد بن سيرين ، قتادة بن دعامة ، بكر بن عبد الله المزني ، أيوب السختياني ، يونس بن عبيد ، عبد الله بن عون ، سليمان التيمي ، هشام بن حسان الدستوائي ، شعبة بن الحجاج ، حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، أبو الأشهب ، يزيد ابن إبراهيم ، أبو عوانة ، وهيب بن خالد ، عبد الوارث بن معيد ، معمر بن سليمان التيمي ، يحيى بن سعيد القطان ، عبد الرحمن بن مهدي ، بشر بن المفضل ، يزيد ابن ذريعة ، المؤمل بن إسماعيل ، خالد بن الحارث ، معاذ بن معاذ ، أبو عبد الرحمن المقري . ومن أهل واسط : هشيم بن بشير ، خالد بن عبد الله ، علي بن عاصم ، يزيد بن هارون ، صالح بن عمر ، عاصم بن علي ، ومن أهل المشرق : الضحّاك ابن مزاحم ، أبو جمرة ، نصر بن عمران ، عبد الله بن المبارك ، النضر بن شميل ، جرير بن عبد الحميد الضبي .

قال أبو عبيد : هؤلاء جميعاً يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهو قول أهل السنة المعمول به عندنا . قلت : ذكر من الكوفيين من قال ذلك أكثر مما ذكر من غيرهم لأن الإرجاء(*3) من أهل الكوفة ، وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان ، فاحتاج علماؤها أن يظهر إنكار ذلك ، فكثير منهم من قال ذلك ، كما أن التهجم وتعطيل الصفات لما كان ابتداء حدوثه من خراسان كثر من علماء خراسان ذلك الوقت من الإنكار على الجهمية ما لم يوجد لمن لم تكن هذه البدعة

(*1) (العجلاني) في الأصل ، (العجلان) في الهندية .

(*2) (قال) زيادة في الهندية .

(*3) (من) في الأصل ، (في) في الهندية .

في بلده ولا سمع بها كما جاء في حديث : « إن لله عند كل بدعة يكاد بها الإسلام وأهله من يتكلم بعلامات الإسلام فاغتنموا تلك المجالس فإن الرحمة تنزل على أهلها » أو كما قال وإذا كان من قول السلف : إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق ، فكذلك في قولهم إنه يكون فيه إيمان وكفر ، ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملّة ، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[1] [*1] وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة ، قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة اختلف الناس في تفسير حديث جبريل[*2] هذا ، فقالت طائفة من أصحابنا قول النبي ﷺ : « الإيمان أن نؤمن بالله »[2] وما ذكر معه كلام جامع مختصر له غور ، وقد أوهمت المرجئة في تفسيره فتأولوه على غير تأويله قلة معرفة منهم بلسان العرب وغور كلام النبي ﷺ الذى أعطى جوًّا مع الكلمة وفواتحه ، واختصر له الحديث اختصاراً ، أما قوله « الإيمان أن تؤمن بالله »[3] أن توحده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره بإعطاء اللازم للأداء لما أمر ، مجانباً الاستنكاف والاستكبار والمعاندة ، فانفعلت ذلك لزمت محابّه ، واجتنبت مساخطه وأما قوله : « وملائكته »[4] فأن تؤمن بمن سمّى الله لك منهم في كتابه وتؤمن بأن لله ملائكة سواهم لا يعرف أسماءهم وأعدادهم[*3] إلا الله[*4] الذي خلقهم ، وأما قوله : « وكتبه »[5] فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه ، من التوارة والإنجيل والزبور[*5] وأن[*6] تؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها وتؤمن بالفرقان وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب . إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان ، وإيمانك

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .
(٢) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٣) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٤) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٥) حديث صحيح سبق تخريجه .

(*١) (قالوا : كفر لا ينقل عن الملة) زيادة في الهندية ، راجع تفسير ابن عباس سورة المائدة الآية ٤ .
(*٢) (جبريل) في الأصل ، (جبرائيل) في الهندية .
(*٣) (أسماءهم وأعدادهم) في الأصل ، (أساميهم وعددهم) في الهندية .
(*٤) (الله) غير موجودة في الهندية .
(*٥) (خاصة) زيادة في الهندية .
(*٦) (وأن) غير موجودة في الهندية .

بالفرقان ، إقرارك به ، واتّباعك بما فيه ، وأما قوله : « ورسله »[1] فأن تؤمن بم سمّى الله تعالى[*1] في كتابه من رسله وتؤمن بأن لله رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم وتؤمن بمحمد ﷺ وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل . إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم وإيمانك بمحمد ﷺ[*2] إقرارك به وتصديقك إياه ، دائباً على ما جاء به ، فإذا اتّبعت ما جاء به أدّيتَ الفرائض وأحلَلْتَ الحلال وحرّمت الحرام ووقفتَ عندالشبهات وسارعت في الخيرات ، وأما قوله : « واليوم الآخر »[2] فأن تؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار وبكل ما وصف الله تبارك وتعالى[*3] به يوم القيامة ، وأما قوله « وتؤمن بالقدر خيره وشره »[3] فأن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك[*4] وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا هل[*5] لو كان كذا لم يكن كذا وكذا ، ولولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا قال : فهذا هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

فصـــل :

لماذا قال الإسلام بأن أركانه خمسة

ومما يسأل عنه : أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس فلماذا قال الإسلام هذه الخمس ، وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر

---

(١) حديث سبق تخريجه .
(٢) حديث سبق تخريجه .
(٣) حديث سبق تخريجه .

(*١) (الله تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (تبارك وتعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (وأن) زيادة في الهندية .
(*٥) (ولا هل) في الأصل ، (ولا تقل) في الهندية .

شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها[*1] يتم استسلامه وتركه لها يشعر بأغلال قيد انقياده . والتحقيق أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان ، فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب المصالح فلا يعمّ وجوبها جميع الناس بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من إمارة وحكم وفتيا وإقرار وتحديث وغير ذلك ، وإما أن يجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط بإسقاطه ، وإذا حصلت المصلحة[*2] فحقوق العباد مثل قضاء الديون ، ورد المغصوب[*3] ، والعواري والودائع والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض إنما هي حقوق الآدميين وإذا أبرئوا منها سقطت وتجب على شخص دون شخص في حال دون حال لم تجب عبادة محضة لله على كل عبد قادر ، ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسة فإنها من خصائص المسلمين ، وكذلك ما يجب من صلة الأرحام وحقوق الزوجة والأولاد والجيران والشركاء والفقراء وما يجب من أداء الشهادة والفتيا والقضاء والإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ، كل ذلك يجب بأسباب عارضة على بعض الأعمال[*4] دون بعض لجلب منافع ودفع مضارّ ، لو حصلت بدون فعل الإنسان لم تجب . فما كان مشتركاً فهو واجب على الكفاية وما كان مختصًّا فإنما يجب على زيد دون عمرو ، ولا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر سوى الخمس فإن زوجة زيد وأقاربه ليس زوجة عمرو وأقاربه ، فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا بخلاف صوم رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة ، فإن الزكاة وإن كانت حقًّا ماليًّا فإنها واجبة لله ، والأصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النيّة ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه ، ولم تطلب من الكفّار . وحقوق العباد لا يشترط لها النيّة ، ولو أدّاها غيره عنه بغير إذنه برئت ذمته ويطلب بها الكفار ، وما

(*1) (وبقيامه بها) في الأصل ، (وبقيام العبد بها) في الهندية .

(*2) (أو الإبراء ، إما بإبرائه وإما بحصول المصلحة) زيادة في الهندية .

(*3) (المغصوب) في الأصل ، (الغصوب) في الهندية .

(*4) (الأعمال) في الأصل ، (الناس) في الهندية .

يجب حقًّا لله(*1) كالكفارات هو بسبب من العبد وفيها شوب العقوبات فإن الواجب لله ثلاثة أنواع : عبادة محضة كالصلاة(*2) وعقوبات محضة كالحدود وما يشبهها كالكفارات . وكذلك كفارات الحج وما يجب بالنذر فإن ذلك يجب بسبب فعل من العبد وهو واجب في ذمته ، وأما الزكاة فإنها تجب حقًّا لله في ماله ، ولهذا يقال ليس في المال حق سوى الزكاة أي ليس فيه حق يجب بسبب المال سوى الزكاة وإلا ففيه واجبات بغير سبب المال كما تجب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق ، والبهائم ، ويجب حمل العاقلة ويجب قضاء الديون ، ويجب الإعطاء في النائبة ، ويجب إطعام الجائع ، وكسوة العاري ، فرضاً على الكفاية إلى غير ذلك من الواجبات المالية ، لكن بسبب عارض ، والمال شرط في(*3) وجوبها كالاستطاعة في الحج فإن البدن سبب الوجوب(*4) والاستطاعة شرط والمال في الزكاة هو السبب والوجوب معه(*5) حتى لو لم يكن في بلده من يستحقها حملها إلى بلد آخر(*6) فهي حق وجب لله تعالى ، ولهذا قال من قال من الفقهاء :(*7) التكليف شرط فيها ، فلا تجب على الصغير والمجنون ، وأما عامة الصحابة والجمهور كمالك والشافعي وأحمد فأوجبوها في مال الصغير والمجنون لأن مالهما من جنس مال غيرهما ووليهما يقوم مقامهما بخلاف بدنهما فإنه إنما يتصرف بعقلهما وعقلهما ناقص وصار هذا كما يجب العشر في أرضهما مع أنه إنما تستحقه الثمانية وكذلك إيجاب الكفارات(*8) في مالهما ، والصلاة والصيام إنما تسقط لعجز العقل عن الإيجاب لا سيما إذا انضم إلى عجز البدن كالصغير وهذا المعنى منتفٍ في المال فإن الولي قام مقامهما في الفهم كما يقوم مقامهما في جميع ما يجب في المال وأما بدنهما فلا يجب عليه منه(*1) شيء .

(*1) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*2) (كالصلاة) في الأصل ، (كالصلوات) في الهندية .

(*3) (في) غير موجودة في الهندية .

(*4) (معه) زيادة في الهندية .

(*5) (والاستطاعة شرط والمال في الزكاة هو السبب والوجوب معه) غير موجودة في الهندية .

(*6) (آخر) في الأصل ، (أخرى) في الهندية .

(*7) (أن) زيادة في الهندية .

(*8) (الكفارات) في الأصل ، (الكفارة) في الهندية .

فصـــل :
استدلال محمد بن نصر على أن الإيمان هو ما ذكر بالآيات

قال محمد بن نصر واستدلّوا على أن الإيمان هو ما ذكروه بالآيات التي تلوناها عند ذكر تسمية الصلاة وسائر الطاعات إيماناً ، واستدلّوا أيضاً بما قصّ الله من نبأ إبليس حين عصى(*٢) في سجدة واحدة أمر أنْ يسجدها لآدم فأباها ، فهل(*٣) جحد إبليس ربه وهو يقول : ﴿ **ربِّ بما أغويْتَنِي** ﴾(١) ويقول : ﴿ **ربِّ فأَنْظِرْنِي إلى يوم يُبعثون** ﴾(٢) إيماناً منه بالبعث وإيماناً بنفاذ قدرته في إنظاره إياه إلى يوم يبعثون ، وهل جحد أحداً من أنبيائه ، أو أنكر شيئاً من سلطانه وهو يحلف بعزّته ، وهل كان كفره إلا بترك سجدة واحدة أمر بها فأباها . قال واستدلّوا أيضاً بما قصّ الله علينا من نبأ بني آدم إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر إلى قوله : ﴿ **فأصبح من الخاسرين** ﴾(٣) قالوا(*٤) وهل جحد ربه وكيف يجحده وهو يقرب القربان قالوا قال الله تعالى : ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سُجّداً وسبّحوا بحمدِ ربهم** ﴾(*٥)(٤) الآية ولم يقل إذا ذكروا بها أقروا بها فقط وقال : ﴿ **الذين آتيانهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾(١) . يعني يتبعونه حق اتباعه ، فإن قيل فهل مع ما ذكرت من سنة ثابتة تبين أن العمل داخل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله قيل : نعم عامة السُنن والآثار ينطق بذلك

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .
(١) سورة الحجر ، الآية ٣٩ .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٣٦ .
(٣) سورة المائدة ، الآيات من ٣٠ ـ ٣٣ .
(٤) سورة السجدة ، الآية ١٥ .

(*١) (منه) في الأصل ، (فيه) في الهندية .
(*٢) (ربه) زيادة في الهندية .
(*٣) (فهل) في الأصل ، (فكيف) في الهندية .
(*٤) (قالوا) في الأصل ، (قال) في الهندية .
(*٥) (وهم لا يستكبرون) زيادة في الهندية .

فيها حديث وفد عبد القيس وذكر حديث شعبة وقرة بن خالد عن أبي جمرة عن ابن عباس كما تقدم ولفظه « آمركم بالإيمان بالله وحده »(٢) ثم قال : « هل تدرون ما الإيمان بالله وحده »(٣) قالوا الله ورسوله أعلم قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمس ما غنمتم »(٤) وذكر أحاديث كثيرة ، توجب دخول الأعمال في الإيمان مثل قوله في حديث رقم (٤) السابق(*١) لما سئل ﷺ . ثم قال أبو عبد الله محمد بن نصر اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »(٥) فقالت طائفة منهم إنما أراد النبي ﷺ إزالة اسم الإيمان عنه من غير أن يخرجه من الإسلام ولا يزيل عنه اسمه . وفرّقوا بين الإسلام والإيمان(*٣) بقوله تعالى : ﴿ **قالتِ الأعْرابُ أمنّا** ﴾(٦) الآية . فقالوا الإيمان خاص يثبت به الاسم(*٤) بالعمل مع التوحيد . والإسلام عام يثبت به(*٥) الاسم بالتوحيد والخروج من ملل الكفر واحتجوا بحديث سعد بن أبي وقاص وذكره عن سعد أن رسول الله ﷺ أعطى رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً فقلت يارسول الله أعطيتَ فلاناً وفلاناً ولم تُعط فلاناً وهو مؤمن فقال النبي(*٧) ﷺ : (أو مسلم)(٧) أعادها ثلاثاً والنبي(*٧)

---

(٢) رواه الإمام البخاري وقد سبق تخريجه .

(٣) رواه الإمام البخاري وقد سبق تخريجه .

(٤) رواه الإمام البخاري وقد سبق تخريجه .

(٥) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٦) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(٧) أخرجه الإمام البخاري وسبق تخريجه .

(*١) (السابق) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (الإيمان والإسلام) في الأصل ، (الإسلام والإيمان) في الهندية .

(*٣) (وقالوا إذا زنى فليس بمؤمن وهو مسلم واحتجوا لتفريقهم بين الإسلام والإيمان) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (يثبت به الاسم) في الأصل ، (يثبت الاسم به) في الهندية .

(*٥) (به) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (النبي) في الأصل ، (رسول الله) في الهندية .

(*٧) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .

يقول : « أو مسلم »[1] ثم قال : « إني لأعطي رجالاً وأمنع آخرين هم أحب إلي منهم مخافة أن يكبّوا على وجوههم في النار »[2] قال الزهري فنرى[*1] الإسلام الكلمة والإيمان العمل . قال محمد بن نصر : واحتجوا بإنكار عبد الله بن مسعود على من شهد لنفسه بالإيمان فقال : أنا مؤمن من غير استثناء وكذلك أصحابه من بعده وجل علماء الكوفة على ذلك[*2] واحتجوا بحديث أبي هريرة : « يخرج منه الإيمان فإن رجع رجع إليه »[3] وبما أشبه ذلك من الأخبار ، وبما روي عن الحسن ومحمد بن سيرين أنهما كانا يقولان مسلم ويهابان مؤمن واحتجوا بقول أبي جعفر الذي حدثناه إسحاق بن إبراهيم : أنبأنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن فضل بن يسار عن أبي جعفر محمد بن عليّ أنه سئل عن قول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[4] فقال أبو جعفر هذا الإسلام ودور دارة واسعة وهذا الإيمان ودور دارة صغيرة في وسط الكبيرة فإذا زنى أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله . واحتجوا بما روي عن رسول الله[*3] ﷺ قال : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص »[5] . حدثنا بذلك يحيى بن يحيى حدثنا ابن أبي[*4] لهيعة عن شريح بن هاني عن عقبة ابن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص »[6] . وذكر عن حماد بن زيد أنه كان يفرّق بين الإسلام والإيمان[*5] فجعل الإيمان خاصًّا والإسلام عامًّا قال ، فلنا في هؤلاء أسوة وبهم قدوة مع ما يثبت ذلك من النظر وذلك أن الله جعل اسم المؤمن اسم ثناء وتزكية ومدحه أوجب عليه الجنة فقال :

---

(١) رواه الإمام البخاري سبق تخريجه .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٧٩/١ عن سعد بن أبي وقاص .

(٣) رواه أبو هريرة وقد سبق تخريجه .

(٤) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٥) أخرجه الترمذي وأحمد في مسنديهما ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٥/٤ عن عقبة بن عامر .

(٦) أخرجه الترمذي ، وقد حققه ابن القيم في أعلام الموقعين .

(*١) (أن) زيادة في الهندية .

(*٢) (على ذلك) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (رسول الله) في الأصل ، (النبي) في الهندية .

(*٤) (أبي) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (الإسلام والإيمان) في الأصل ، (الإيمان والإسلام) في الهندية .

﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً تحيّتهم يوم يلقوْنه سلامٌ وأعدَّ لهم أجراً كريماً ﴾[1] وقال : ﴿ وَبَشرِّ المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾[2] وقال : ﴿ وبشرِّ الذين آمنوا أنّ لهم قدمَ صِدقٍ عند ربّهم ﴾[3] وقال : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين أيديهم وبأيْمانِهم ﴾[4] وقال : ﴿ الله وليِّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾[5] وقال : ﴿ وعد اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ﴾[6] قال ثم أوجب الله النار على الكبائر فدل بذلك على أن اسم الإيمان زائل عمّن أتى كبيرة ، فقالوا : ولم نجْده أوجب الجنة باسم الإسلام فثبت أن اسم الإسلام له ثابت على حاله واسم الإيمان زائد عنه . فإن قيل[*1] في قولهم هذا[*2] أليس الإيمان ضد الكفر قالوا الكفر ضد لأصل الإيمان لأن للإيمان أصلاً وفرعاً فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر فإن قيل لهم فالذي زعمتم أن النبي ﷺ أزال عنهم اسم الإيمان هل فيه من الإيمان شيء ، قالوا نعم أصله ثابت ولولا ذلك لكفروا ألم تسمع إلى ابن مسعود أنكر على الذي شهد أنه مؤمن ثم قال لكننا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يخبرك أنه قد آمن من جهة أنه صدق ، وأنه لا يستحق اسم المؤمن إذا كان يعلم أنه مقصّر لأنه لا يستحق هذا الاسم عنده إلا من أدى ما وجب عليه وانتهى عما حرم عليه من الموجبات للنار التي هي الكبائر . قالوا فما أبان الله أن هذا الاسم يستحقه من قد استحق الجنة وأن الله تعالى[*3] قد أوجب الجنة عليه وعلمنا أنا[*4] قد آمنّا وصدّقنا لأنه لا يخرج من التصديق إلا بالتكذيب ولسنا بشاكّين ولا مكذبين وعلمنا أنّا

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٤٩ .
(٣) سورة يونس ، الآية ٢ .
(٤) سورة الحديد ، الآية ١٢ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٥ .

(*١) (لهم) زيادة في الهندية .
(*٢) (أليس) في الأصل ، (ليس) في الهندية .
(*٣) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*٤) (أنا) في الأصل ، (أنه) في الهندية .

عاصون له مستوجبون للعذاب وهو ضد الثواب الذي حكم الله به للمؤمنين على اسم الإيمان . علمنا أنّا قد آمنّا وأمسكنا عن الاسم الذي أثبت الله عليه الحكم بالجنة[*١] وهو من الله اسم ثناء وتزكية وقد نهانا الله أن نزكي أنفسنا وأمرنا بالخوف على أنفسنا وأوجب لنا العذاب بعصياننا فعلمنا بأنّا لسنا مستحقين باسم المؤمنين إذ أوجب الله على اسم الإيمان الثناء والتزكية والرحمة[*٢] والرأفة[*٣] والمغفرة والجنة وأوجب على الكبائر النار وهذان حكمان متضادان . فإن قيل كيف أمسكتم عن اسم الإيمان أن تسمّوا به وأنتم تزعمون أن أصل الإيمان في قلوبكم وهو التصديق بأن الله حق وما قاله صدق وقالوا إن الله ورسوله وجماهير[*٤] المسلمين سمّوا الأشياء بما غلب عليها من الأسماء فسموا الزاني فاسقاً والقاذف فاسقاً وشارب الخمر فاسقاً ، ولم يسموا واحداً من هؤلاء متقياً ولا وَرِعاً ، وقد أجمع المسلمون أن فيه أصل التقوى والورع وذلك أنه يتقي أن يكفر وأن[*٥] يشرك به[*٦] شيئاً . وكذلك يتقي الله أن يترك الغسل من الجنابة أو الصلاة ويتقي أن يأتي أمه فهو في جميع ذلك متّقٍ . وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين أنهم لا يسمّونه متقياً ولا ورعاً إذا كان يأتي بالفجور فلما أجمعوا أن أصل التقوى والورع ثابت فيه وأنه قد يزيد فيه فروعاً بعد الأصل كتورّعه عن إتيان المحارم ثم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً مع إتيانه بعض الكبائر بل سمّوه فاسقاً فاجراً مع علمهم أنه قد اتّقى[*٧] بعض التقى والورع ففهم ذلك أن اسم التقى اسم ثناء وتزكية وأن الله قد أوجب عليه المغفرة والجنة قالوا فلذلك لا نسميه مؤمناً ونسميه فاسقاً زانياً ، وإن كان أُصّل في قلبه اسم الإيمان لأن الإيمان اسم اثني[*٩] به على المؤمنين وزكّاهم به وأوجب عليه الجنة فمن ثم قلنا مسلم ولم نقل مؤمن . قالوا ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه إيمان ولا إسلام لكان أحق الناس بذلك أهل النار الذين

(*١) (بالجنة) في الأصل ، (في الجنة) في الهندية .

(*٢) (التزكية والرحمة) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (والبركة) زيادة في الهندية .

(*٤) (وجماهير) في الأصل ، (وجماعة) في الهندية .

(*٥) (أن) في الأصل ، (أو) في الهندية .

(*٦) (به) في الأصل ، (بالله) في الهندية .

(*٧) (اتقى) في الأصل ، (أتى) في الهندية .

(*٨) (وإن كان أصل في قلبه) في الأصل ، (وإن كان في قلبه أصل اسم الإيمان) في الهندية .

(*٩) (الله) زيادة في الهندية .

دخلوها . فلما وجدنا النبي ﷺ يخبر أن الله يقوله : « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »[1] ثبت أن شر المسلمين في قلبه إيمان ، ولو وجدنا الأمة تحكم عليه بالأحكام التي ألزمها الله للمسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة ثبت أنهم مسلمون إذ أجمعوا أن يمضوا عليهم أحكام المسلمين وأنهم لا يستحقون أن يُسموا مؤمنين إذ كان الإسلام ثبت[*1] للملّة التي يخرج بها المسلم[*2] من جميع الملل فتزول عنه أسماء الملل إلا اسم الإسلام وثبتت أحكام الإسلام عليه وتزول عنه أحكام جميع الملل . فإن قال قائل لِمَ لَمْ تقولوا كافر إن شاء الله تريدون به كمال الكفر كما قلتم : مؤمن إن شاء الله تريدون به كمال الإيمان قالوا : لأن الكافر منكر للحق والمؤمن أصل إيمانه الإقرار والإنكار لا أول له ولا آخر فتنتظر به الحقائق والإيمان أصله التصديق والإقرار ينتظر به حقائق الأداء كما أقروا[*3] التحقيق لما صدق ومثل ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل فسأل أحدهما حقه فقال ليس لك عندي حق فأنكر وجحد فلم يبق له منزلة يحق بها ما قال إذ جحد وأنكر وسأل الآخر حقه فقال نعم لك علي كذا وكذا فليس إقراره بالذي يصل إليه بذلك حقه[*4] وأن يوفيه ، فهو منتظر له أن يحقق ما قال بالأداء وتصدق[*5] إقراره بالوفاء ولو أقر ثم لم يؤد إليه حقه[*6] فإن أدى جزءاً منه حقق بعض ما قال ووفى ببعض ما أقر به وكلما أدّى جزءاً ازداد تحقيقاً لما أقرّ به وعلى المؤمن الأداء أبداً لما أقر به حتى يموت فمن ثم قلنا مؤمن إن شاء الله ولم نقل كافر إن شاء الله . قال محمد ابن نصر وقالت طائفة أخرى من أصحاب الحديث بمثل ما قاله هؤلاء إلا أنهم سمّوه مسلماً لخروجه من ملل الكفر ولإقراره بالله وبما قال ولم يسموه مؤمناً وزعموا أنهم مع تسميتهم إياه بالإسلام كافر لا كافر بالله ولكن كافر عن طريق العمل وقالوا كفر لا ينقل عن الملة وقالوا : محال أن يقول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني

---

(١) حديث صحيح وقد سبق تخريجه .

(*١) (ثبت) في الأصل ، (تبتا) في الهندية .

(*٢) (المسلم) في الأصل ، (الإنسان) في الهندية .

(*٣) (كما أقروا) في الأصل ، (لما أقر) في الهندية .

(*٤) (دون) زيادة في الهندية .

(*٥) (وتصدق) في الأصل ، (وتصديق) في الهندية .

(*٦) (كان كمن جحده في المعنى إذا استويا في الترك للأداء فتحقيق ما قاله أن يؤدي إليه حقه) زيادة في الهندية .

وهو مؤمن »[1] والإيمان ضد الكفر[*1] ، فيزيل[*2] عنه اسم الإيمان إلا واسم الكفر لازم له لأن الكفر ضد الإيمان إلا أن الكفر كفران : كفر هو جحد بالله وبما قال فذاك ضده الإقرار بالله والتصديق به وبما قال وكفر عمل وهو الإيمان الذي هو عمل ألا ترى إلى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[2] قالوا فإذا لم يؤمن فقد كفر ولا يجوز غير ذلك إلا أنه كفر من جهة العمل إذ لم يؤمن من جهة العمل[*3] الفرض عليه وترك الكبائر إلا من قلّة خوفه ، وإنما يقل خوفه من قلّة تعظيمه لله ووعيده فقد ترك من الإيمان التعظيم الذي هو[*4] الخوف والورع من الخوف فأقسم النبي ﷺ أنه لا يؤمن إذا لم يأمن جاره بوائقه . ثم قد روى جماعة عن النبي ﷺ أنه قال[*5] « قتال المسلم كفر »[3] وأنه إذا قال[*6] : « لأخيه ياكافر فلم يكن كذلك باءَ بالكفر »[4] فقد سماه النبي ﷺ بقتاله أخاه كافراً وبقوله له ياكافر كافراً وهذه الكلمة دون الزنا والسرقة[*7] . قالوا فأما قول من احتج علينا فزعم أنّا إذا سميناه كافراً لزمنا أن نحكم عليه بكفر الكافرين بالله فستبينه وتبطل الحدود عنه لأنه إذا كفر زالت عنه أحكام المؤمنين وحدودهم وفي ذلك إسقاط الحدود وأحكام المؤمن[*8] عن[*9] كل من أتى كبيرة فإنا لم نذهب في

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٢) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٣) أخرجه الشيخان ، البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله ١١٠/١ عن عبد الله ومسلم في كتاب الإيمان بأن سباب المسلم فسوق ٨١/١ ، عن عبد الله بن مسعود .

(٤) أخرجه الشيخان ، البخاري في كتاب الأدب باب من كفر أخاه بغير تأويل ٥١٤/١٠ ، عن عبد الله ابن عمر ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم ياكافر ٧٩/١ ، عن ابن عمر .

(*١) (والإيمان ضد الكفر) في الأصل ، (والكفر ضد الإيمان) في الهندية .

(*٢) (فيزيل) في الأصل ، (فلا يزول) في الهندية .

(*٣) (الفرض عليه وترك الكبائر إلا من قلة خوفه وإنما يقل خوفه من قلة تعظيمه) في الأصل ، (لأنه لا يضيع ما فرض عليه ويركب الكبائر إلا من قلة خوفه وقلة تعظيمه) في الهندية .

(*٤) (هو) في الأصل ، (صدر عنه) في الهندية .

(*٥) (قتال المسلم كفر) في الأصل ، (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) في الهندية .

(*٦) (المسلم) زيادة في الهندية .

(*٧) (وشرب الخمر) زيادة في الهندية .

(*٨) (المؤمن) في الأصل ، (المؤمنين) في الهندية .

(*٩) (عن) في الأصل ، (على) في الهندية .

ذلك إلى حيث ذهبوا ولكنا نقول للإيمان أصل وفرع وضد الإيمان الكفر في كل معنى فأصل الإيمان الإقرار والتصديق ، وفروعه إكمال العمل بالقلب والبدن فهذا الإقرار والتصديق الذي هو أصل الإيمان الكفر بالله وبما قال وترك التصديق به وله . وضد الإيمان الذي هو عمل وليس هو إقرار كفر ليس بكفر[*1] ولكن كفر تضييع عمل[*2] كما كان العمل إيماناً وليس هو الإيمان الذي هو إقرار بالله فكما[*3] كان من ترك الإيمان الذي هو إقرار بالله كافراً يستتاب ومن ترك الإيمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم وترك الورع عن شرب الخمر والزنا قد زال عنه بعض الإيمان ولا يجب أن يستتاب عندنا ولا عند من خالفنا من أهل السنة . وأهل البدع ممن قال : إن الإيمان تصديق وعمل إلا الخوارج وحدها فكذلك لا يجب بقولنا كافر من جهة تضييع العمل أن يستتاب ولا تزول عنه الحدود كما لم يكن بزوال الإيمان الذي هو عمل استتابته وإزالة الحدود عنه إذ لم يزل أصل الإيمان عنه فكذلك لا يجب علينا استتابته وإزالة الحدود والأحكام عنه بإثباتنا له اسم الكفر من قبل العمل إذ لم يأت بأصل الكفر الذي هو جحد بالله أو بما قال . قالوا ولما كان العلم بالله إيماناً والجهل به كفراً وكان العمل بالفرائض إيماناً والجهل به قبل نزولها ليس بكفر لأن أصحاب رسول الله ﷺ قد أقروا بالله أول ما بعث الله رسوله ﷺ إليهم ولم يعلموا الفرائض التي فرضت عليهم بعد ذلك فلم يكن جهلهم بذلك كفراً ثم أنزل الله[*4] عليهم الفرائض فكان إقرارهم بها والقيام بها إيماناً وإنما يكفر من جحدها لتكذيبه خبر الله ، ولو لم يأت خبر من الله ما كان يجهلها كافراً . وبعد مجيء الخبر من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن يجهلها كافراً . والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر . قالوا فمن ثم قلنا إن ترك التصديق بالله كفر وإن ترك الفرائض مع تصديق الله أنه[*5] أوجبها كفر، ليس بكفر بالله إنما هو كفر من جهة ترك الحق كما يقول القائل كفرتني حقي ونعمتي يريد ضيّعت حقي وضيّعت شكر نعمتي وقالوا : ولنا في هذه قدوة بمن روي عنهم من أصحاب رسول الله ﷺ

(*1) (بالله ينقل عن الملة) زيادة في الهندية .

(*2) (عمل) في الأصل ، (العمل) في الهندية .

(*3) (فكما) في الأصل ، (فلما) في الهندية .

(*4) (الله) غير موجودة في الهندية .

(*5) (قد) زيادة في الهندية .

والتابعين . إذ جعلوا الكفر فروعاً دون أصله لا ينتقل صاحبه عن ملّة الإسلام . كما أثبتوا للإيمان من جهة العمل فرعاً للأصل لا ينقل بتركه عن ملّة الإسلام من ذلك قول ابن عباس في قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[1] قال محمد بن نصر : حدثني يحيى ، حدثنا سفيان بن عُيَيْنة عن هشام يعني ابن حجير عن طاووس عن ابن عباس : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾وليس بالكفر الذي يذهبون إليه . حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[2] قال هو به كفر ، قال ابن طاووس ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله . حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال : هو به كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله . وبه أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال قلت لابن عباس ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾[3] فهو كافر قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله . حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا عبد الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاووس عن ابن عباس قال : كفر لا ينقل عن الملّة[1*] . حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن ابن جريج عن عطاء قال : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق قال محمد بن نصر : قالوا : وقد صدق عطاء ، قد يسمّى الكافر ظالماً ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً ، فظلم ينقل عن ملة الإسلام ، وظلم لا ينقل قال الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يُلبِسُوا إيمانهم بِظلم** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **إنّ الشِّركَ لَظُلْمٌ عظيم** ﴾[5] وذكر حديث ابن

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٤ ، راجع تفسير ابن عباس سورة المائدة الآية ٤٤ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
(٥) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

(١*) (حدثنا اسحق أنبأنا وكيع عن سفيان عن سعيد المكي عن طاووس قال : ليس بكفر ينقل عن الملة) زيادة في الهندية .

مسعود المتفق عليه قال : لما نزلت : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بِظُلم** ﴾[1] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينّا لم يظلم نفسه ؟ قال رسول الله ﷺ : « ليس بذلك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح » ، : ﴿ **إن الشِّرك لَظُلْمٌ عظيم** ﴾[2] إنما هو الشرك . حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحجاج بن المنهال ، عن حماد بن سلمة عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر ابن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ ، فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية : ﴿ **الذين آمنوا ولم يُلبِسُوا إيمَانهم بِظُلم** ﴾[3] إلى آخر الآية ، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى إلى أُبيّ بن كعب ، فقال : ياأبا المنذر : أتيت قبل على هذه الآية : ﴿ **الذين آمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾[4] وقد ترى أنّا نظلم ونفعل فقال : ياأمير المؤمنين ، إن هذا ليس بذلك ، يقول الله تعالى : ﴿ **إن الشِّرك لَظُلْمٌ عظيم** ﴾[5] . إنما ذلك الشرك ، قال محمد بن نصر : وكذلك الفسق فسقان ، فسق ينقل عن الملّة ، فيسمى الكافر فاسقاً ، والفاسق من المسلمين فاسقاً ذكر الله إبليس فقال : ﴿ **ففسق عن أمر ربّه** ﴾[6] وكان ذلك الفسق منه كفراً وقال الله تعالى : ﴿ **وأما الذين فسقوا فمأْواهُمُ النار** ﴾[7] يريد الكفار . دل على ذلك قوله : ﴿ **كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذابَ النار الذي كنتم به تكذّبون** ﴾[8] . وسمّي الفاسق من المسلمين فاسقاً ولم يخرجه من الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين يرمون المُحْصَنَاتِ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾[9] وقال تعالى : ﴿ **فمن فرض فيهنّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحج** ﴾[10] فقالت العلماء في تفسير الفسوق هاهنا هي المعاصي ، قالوا فلما كان

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
(٢) سورة لقمان ، الآية ١٣ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
(٦) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .
(٧) سورة السجدة ، الآية ٢٠ .
(٨) سورة السجدة ، الآية ٢٠ .
(٩) سورة النور ، الآية ٤ .
(١٠) سورة البقرة ، الآية ١٩٦ .

الظلم ظلمين ، والفسوق فسقين ، كذلك الكفر كفرين ، أحدهما ينقل عن الملّة ، والآخر لا ينقل عن الملة ، وكذلك الشرك شركان ، شرك في التوحيد فينقل عن الملة ، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة ، وهو الرياء قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاءَ ربّه فلْيعملْ عَمَلاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً** ﴾[1] يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة . وقال النبي ﷺ : « الطيرة شرك »[2] . قال محمد بن نصر : فهذان مذهبان هما في الجملة ، يحكيان عن أحمد بن حنبل في موافقيه من أصحاب الحديث حكى الشالنجي إسماعيل بن سعيد أنه سأل أحمد بن حنبل عن المصرّ على الكبائر يطلبه بجهده ، إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصيام هل يكون مصرّاً من كانت هذه حاله ؟ قال هو مصرّ مثل قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[3] يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام ومن نحو قوله : « لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن »[4] . ومن نحو قول ابن عباس في قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[5] . فقلت له : ما هذا الكفر ؟ فقال : كفر لا ينقل عن الملة . مثل الإيمان بعض دون بعض ، وكذلك الكفر حتى يجيىء من ذلك أمر لا يختلف فيه . وقال ابن أبي شيبة : « لا يزني حين يزني وهو مؤمن »[6] لا يكون مستكمل الإيمان ، يكون ناقصاً عن إيمانه قال : وسألت أحمد بن حنبل عن الإسلام والإيمان فقال : الإيمان قول وعمل ، والإسلام إقرار . قال وبه قال أبو خثيمة : لا يكون الإسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام ، قلت فقد تقدم تمام الكلام بتلازمهما ، وإن كان مسمّى أحدهما ليس هو مسمى الآخر . وقد حكى غير واحد إجمال أهل السنة والحديث على أن الإيمان قول وعمل . قال أبو عمر بن عبد البر في (التمهيد) أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنيّة ، والإيمان عندهم يزيد بالطاقة وينقص

---

(١) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .

(٢) رواه ابن ماجه في باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ونص الحديث : « الطيرة شرك وما منّا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل » حديث رقم ٣٥٣٨ ـ سنن ابن ماجه ١١٧٠/٢ ، باب رقم ٤٣ .

(٣) حديث صحيح سبق تخريجه كثيراً .

(٤) حديث صحيح سبق تخريجه كثيراً .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٦) حديث صحيح سبق تخريجه كثيراً .

بالمعصية . والطاعات كلها عندهم إيمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه ، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمّى إيماناً . وقالوا : إنما الإيمان التصديق والإقرار ومنهم من زاد المعرفة ، وذكر ما احتجوا به إلى أن قال : وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم ، مالك بن أنس ، والليث ابن سعد ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحق ابن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وداود بن عليّ ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم فقالوا : الإيمان : قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار والاعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنيّة الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجلّ به من فريضة ونافلة ، فهو من الإيمان ، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر ، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[1] ... الحديث يريد مستكمل الإيمان ، ولم يرو به نفي جميع الإيمان . عن فاعل ذلك بدليل[1*] توريث الزاني والسارق وشارب الخمر ، إذا صلوا إلى القبلة وانتحلوا دعوة الإسلام ، من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال واحتج على ذلك ثم قال : وأكثر أصحاب مالك على أن الإيمان والإسلام شيء واحد . قال وأما المعتزلة ، فالإيمان عندهم جماع الطاعات ، ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق ولا مؤمن ولا كافر ، وهؤلاء المتحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين ، إلى أن قال : على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وعليه جماعة أهل الآثار ، والفقهاء من أهل الفتيا في الأمصار ، وروى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ، وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ومعن بن عيسى وابن نافع أنه يزيد وينقص ، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله .

ثم ذكر حجج المرجئة ، ثم حجج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكور للعصاة في الزنا والسرقة ونحو ذلك وبالموارثة وبحديث عبادة : « من

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه .

(١*) (الإجماع على) زيادة في الهندية .

أصاب شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة »[1] وقال الإيمان مراتب بعضها فوق بعض ، فليس ناقص الإيمان ككامل الإيمان . قال الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَت قلوبُهم** ﴾[2] أي حقًّا ، وكذلك قال : ﴿ **هُمُ المؤمنونَ حَقًّا** ﴾[3] وكذلك قوله ﷺ : « المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[4] يعني حقًّا . ومن هذا قوله : « أكمل المؤمنين » ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص . وقوله : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله »[5] ، وقوله : « لا إيمان لمن لا أمانة له »[6] . يدل على أن بعض الإيمان أوثق وأكمل من بعض وروى[*1] الحديث الذي رواه الترمذي وغيره : « من أحب لله وأبغض لله »[7] الحديث . وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الإيمان ، قول وعمل ونيّة وإصابة السنة . وقال أبو طالب المكي : مباني الإسلام الخمسة : يعني الشهادتين ، والصلوات الخمس ، والزكاة ، وصيام شهر رمضان ، والحج قال : وأركان الإيمان سبعة يعني الخمسة المذكورة في حديث جبرائيل ، والإيمان بالقدر والإيمان بالجنة والنار . وكلاهما قد رويت في حديث جبريل كما سنذكره إن شاء الله تعالى . قال : والإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ، والإيمان بكتب الله وأنبيائه ، والإيمان بالملائكة والشياطين ـ يعني والله أعلم ـ الإيمان بالفرق بينهما فإن من الناس من يجعلهما جنساً واحداً ، لكن تختلف باختلاف الأعمال ، كما يختلف الإنسان البرّ والفاجر والإيمان بالجنة والنار وأنهما قد خلقتا قبل آدم والإيمان بالبعث بعد الموت ، والإيمان بجميع أقدار الله خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، أنها من الله قضاءً وقدراً ، ومشيئة وحكماً ، وأن ذلك

---

(١) حديث رواه عبادة .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٤ .
(٤) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٥) حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند ٢٨٦/٤ ، عن البراء بن عازب .
(٦) حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند ١٣٥/٣ ، عن أنس .
(٧) حديث صحيح رواه الإمام الترمذي وقد سبق تخريجه .

(١*) (وروى) في الأصل ، (وذكر) في الهندية .

عدل منه وحكمة بالغة ، استأثر بعلم غيبها ومعنى حقائقها . قال وقد قال قائلون : إن الإيمان هو الإسلام ، وهذا قد أذهب التفاوت والمقامات ، وهذا يقرب من مذهب المرجئة ، وقال آخرون : إن الإسلام غير الإيمان ، وهؤلاء قد أدخلوا التضاد والتغاير ، وهذا قريب من قول الأباضية ، فهذه مسألة مشكلة تحتاج إلى شرح وتفصيل ، فمثل الإسلام من الإيمان ، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى في المعنى والحكم ، فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان في الأعيان ، واحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد ، كذلك الإسلام والإيمان[*1] أحدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد ، لا إيمان لمن لا إسلام له ، ولا إسلام لمن لا إيمان له ، إذ لا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه ، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه ، من حيث اشترط الله للأعمال الصالحة الإيمان ، واشترط للإيمان الأعمال الصالحة فقال في تحقيق ذلك : ﴿ **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لِسَعْيه** ﴾[1] . وقال في تحقيق الإيمان بالعمل : ﴿ **ومن يأْتِه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجاتُ العُلَى** ﴾[2] فمن كان ظاهره أعمال الإسلام ولا يرجع إلى عقود الإيمان بالغيب ، فهو منافق نفاقاً ينقل عن المِلّة . ومن كان عقده الإيمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام فهو كافر كفراً لا يثبت معه توحيد ، ومن كان مؤمناً بالغيب مما أخبرت به الرسل عن الله عاملاً بما أمر الله فهو مؤمن مسلم ، ولو أنه كذلك[*2] لكان المؤمن يجوز أن يسمى[*3] مسلماً ، ولجاز أن المسلم لا يسمّى مؤمناً بالله . وقد أجمع أهل القبلة على أن كل مؤمن مسلم ، وكل مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه قال : وَمَثَل الإيمان في الأعمال كَمَثَلِ القلب في الجسم لا ينفكّ أحدهما عن الآخر ، لا يكون ذو جسم حي لا قلب له ، ولا ذو قلب بغير جسم ، فهما شيئان منفردان ، وهما في الحكم والمعنى

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٩٤ .

(٢) سورة طه ، الآية ٧٥ .

(١*) (الإسلام والإيمان) في الأصل ، (الإيمان والإسلام) في الهندية .

(٢*) (ولو أنه كذلك) في الأصل ، (ولولا أنه كذلك) في الهندية .

(٣*) (يسمى) في الأصل ، (لا يسمى) في الهندية .

منفصلان ، ومثلهما أيضاً مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة . لا يقال حبتان لتفاوت صفتهما ، فكذلك أعمال الإسلام من الإسلام هو ظاهر الإيمان ، وهو من أعمال الخوارج ، والإيمان باطن الإسلام وهو من أعمال القلوب . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « الإسلام علانية والإيمان في القلب »[1] وفي لفظ : « الإيمان سر »[2] فالإسلام أعمال الإيمان ، والإيمان عقود الإسلام ، فلا إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بعقد ، ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن ، أحدهما مرتبط بصاحبه ، من أعمال القلوب وعمل الجوارح ، ومثله قول رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيّات »[3] أي لا عمل إلا بعقد وقصد ، لأن إنما تحقيق الشيء ونفي لما سواه ، فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات وعمل القلوب من النيّات . فمثل العمل من الإيمان كمثل الشفتين من اللسان ، لايصح الكلام إلا بهما ، لأن الشفتين تجمعان الحروف ، واللسان يظهر الكلام وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام ، وكذلك في سقوط العمل ذهاب الإيمان ، ولذلك حين عدّد الله نِعَمَه على الإنسان ذكر الشفتين مع اللسان في قوله : ﴿ **أَلَمْ نجعلْ له عيْنَيْن ولساناً وشفتَيْن** ﴾[4] بمعنى ألم نجعله ناظراً متكلماً فعبّر عن الكلام باللسان والشفتين ، لأن الكلام الذي جرت به النعمة لا يتمّ إلا بهما . ومثل الإسلام والإيمان[*1] أيضاً كفسطاط قائم في الأرض له ظاهر وأطناب وله عمود في باطنه ، فالفسطاط مثل الإسلام له أركان من أعمال العلانية والجوارح . وهي الإطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط ، والعمود الذي في وسط الفسطاط . مثله كالإيمان لا قوام للفسطاط إلاّ به ، فقد احتاج الفسطاط إليها ، إذ لا قوام له ولا قوة إلا بهما ، كذلك الإسلام في أعمال الجوارح لا قوام له إلا بالإيمان ، والإيمان من أعمال القلوب ، لا نفع له إلا بالإسلام وهو صالح الأعمال. وأيضاً فإن الله قد جعل ضد الإسلام والإيمان واحداً ، فلولا أنهما كشيء واحد في[*1] المعنى

---

(١) حديث ضعيف وقد سبق تخريجه .

(٢) حديث ضعيف وقد أشير إلى ذلك فيما تقدم .

(٣) حديث صحيح رواه عمر بن الخطاب ـ كتاب الأم باب النيّة .

(٤) سورة البلد ، الآيتان ٨ ، ٩ .

(*١) (الإسلام والإيمان) في الأصل ، (الإيمان والإسلام) في الهندية .

ما كان ضدهما واحداً فقال : ﴿ **كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم** ﴾(١) وقال : ﴿ **أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾(٢) . فجعل ضدهما الكفر . قال : وعلى مثل هذا أخبر رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام من صنف واحد فقال في حديث ابن عمر : « بُني الإسلام على خمس »(٣) وقال في حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس : أنهم سألوه عن الإيمان فذكر هذه الأوصاف فدل ذلك على أنه لا إيمان باطن إلاَّ بإسلام ظاهر ، ولا إسلام ظاهر علانية إلا بإيمان سر وأن الإيمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بدون صاحبه . قال فأما تفرقة النبي ﷺ في حديث جبريل بين الإيمان والإسلام فإن ذلك تفصيل أعمال القلوب وعقودهما على ما توجب هذه المعاني التي وصفناها أن تكون عقوداً من تفصيل أعمال الجوارح مما يوجب الأفعال الظاهرة التي وصفها أن تكون علانية ، لا أن ذلك يفرق بين الإسلام والإيمان في المعنى باختلاف وتضاد ، ليس فيه دليل أنهما مختلفان في الحكم ، قال ويجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكره من عقود القلب وصف قلبه ، وما ذكره من العلانية وصف جسمه . قال : وأيضاً فإن الأمة مجمعة(*٢) أن العبد لو آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبريل من وصف الإيمان ولم يعمل بما ذكره من وصف الإسلام أنه لا يسمّى مؤمناً ، وأنه إن عملِ بجميع ما وصف به الإسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الإيمان أنه لا يكون مسلماً ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمة لا تجتمع على ضلالة . قال : كأنه أراد بذلك إجماع الصحابة ومن اتّبعهم ، أو أنه لا يسمّى مؤمناً في الأحكام وأنه لا يكون مسلماً إذا أنكر بعض الأركان . أو علم أن الرسول أخبر بها ولم يصدقه ، أو أنه لم ير خلاف أهل الأهواء خلافاً ، وإلا فأبو طالب كان عارفاً بأقوالهم وهذا والله أعلم مراده ، فإنه عقد الفصل الثالث والثلاثين في بيان تفصيل الإسلام والإيمان وشرح عقود معاملة القلب من مذهب أهل الجماعة . وهذا الذي قاله أجود مما قاله كثير

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٧٠ .

(٣) حديث صحيح وقد تقدم تخريجه .

(*١) (الحكم) زيادة في الهندية .

(*٢) (مجمعة) في الأصل ، (مجتمعة) في الهندية .

من الناس لكن ينازع في شيئين : أحدهما : أن المسلم المستحق للثواب لابد أن يكون معه الإيمان الواجب المفصل المذكور في حديث جبريل . والثاني : أن النبي ﷺ إنما يطلق المؤمن دون مسلم في مثل قول النبي ﷺ : « أو مسلم »[1] لكونه ليس من خواص المؤمنين وأفاضلهم ، كأن يقول : لكونه ليس من السابقين المقربين بل من المقتصدين الأبرار ، فهذان مما تنازع فيهما جمهور العلماء ، ويقولون : لم يقل النبي ﷺ في ذلك الرجل : « أو مسلم »[2] لكونه لم يكن من خواص المؤمنين وأفاضلهم كالسابقين المقربين ، فإنّ هذا لو كان كذلك لكان ينفي الإيمان المطلق عن الأبرار المتقين الموعودين بالجنّة بلا عذاب ، إذا كانوا من أصحاب اليمين ، ولم يكونوا من السابقين والمقربين ، وليس الأمر كذلك ، بل كل من أصحاب اليمين مع السابقين المقربين ، كلهم مؤمنون موعودون بالجنة بلا عذاب ، وكل من كان كذلك ، فهو باتفاق المسلمين من أهل السنّة ، وأهل البدع ولو جاز أن ينفي الإيمان عن شخص لكون غيره أفضل منه إيماناً نفي الإيمان عن أكثر أولياء الله المتّقين ، بل وعن كثير من الأنبياء وهذا في غاية الفساد ، وهذا من جنس قول من يقول : نفي الاسم لنفي كماله المستحب .

وقد ذكرنا أن مثل هذا لا يوجد في كلام الله ورسوله ، بل هذا الحديث خص من قيل فيه : مسلم وليس بمؤمن ، فلابد أن يكون ناقصاً على درجة الأبرار المقتصدين أهل الجنة ، ويكون إيمانه ناقصاً عن إيمان هؤلاء فلا يكون قد أتى بالإيمان الذي أمر به هؤلاء كله ـ ثم إن كان قادراً على ذلك الإيمان وترك الواجب كان مستحقاً للذمّ وإن قدر أنه لا يقدر على ذلك الإيمان الذي اتصف به هؤلاء ، كان عاجزاً عن مثل إيمانهم . ولا يكون هذا وجب عليه ، فهو وإن دخل الجنة ، لا يكون كمن قدر أنه آمن إيماناً مجملاً ، ومات قبل أن يعلم تفصيل الإيمان وقبل أن يتحقق به ، وبعمل شيء منه ، فهو يدخل الجنة ، لكن لا يكون مثل أولئك .

لكن قد يقال : الأبرار أهل اليمين هم أيضاً على درجات كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم تخريجه كثيراً .

(٢) حديث صحيح وقد تقدم تخريجه كثيراً .

الضعيف وفي كل خير »[1] وقد قال الله تعالى : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر** ﴾[2] . الآية ، فدرجة المؤمن القوي في الجنة أعلى وإن كان كل منهما كمّل ما وجب عليه ، وقد يريد أبو طالب وغيره بقولهم : ليس هذا من خواص المؤمنين هذا المعنى أي ليس إيمانه كإيمان من حقق خاصة الإيمان سواء كان من الأبرار أو من المقربين وإن لم يكن ترك واجباً لعجزه عنه ، أو لكونه يؤمر به ، فلا يكون مدفوعاً ، ولا يمدح مدح أولئك ولا يلزم أن يكون من أولئك المقربين . فيقال : وهذا أيضاً لا ينفى عنه الإيمان ، فيقال : هو مسلم لا مؤمن ، كما يقال ، ليس بعالم ولا مُفْتٍ ، ولا من أهل الاجتهاد وقد قال النبي ﷺ : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »[3] . وهذا كثير ، فليس كل ما فضل به الفاضل يكون مقدوراً لمن دونه ، فكذلك من حقائق الإيمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس بل ولا أكثرهم ، فهؤلاء يدخلون الجنّة ، وإن لم يكونوا ممن تحققوا بحقائق الإيمان التي فضّل الله بها غيرهم ، ولا تركوا واجباً عليهم ، وإن كان واجباً على غيرهم ، ولهذا كان من الإيمان ما هو من المواهب والفضل من الله فإنه من جنس العمل ، والإسلام الظاهر من جنس العمل ، وقد قال تعالى : ﴿ **والذين اهتدوْا زَادَهُمْ هدى وآتاهم تَقْواهم** ﴾[4] وقال : ﴿ **ويزيد الله الذين اهتدوْا هُدىً** ﴾[5] وقال : ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾[6] . ومثل هذه السكينة لا تكون مقدورة ، ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلاً منه وجزاءً على عمل سابق كما قال : ﴿ **وَلَو أنّهم فعلوا ما يُوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً ، وإذاً لآتيناهم من لدنّا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً** ﴾[7] ، كما قال : ﴿ **اتقوا الله وآمنوا برسوله يُؤتكم**

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام مسلم في كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك الفجر ٢٠٥٢/٤ ، عن أبي هريرة .

(٢) سورة النساء ، الآية ٩٥ .

(٣) أخرجه الشيخان ، البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٢٠١/٧ عن أبي سعيد الخدري ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ١٩٦٧/٤ ، عن أبي هريرة .

(٤) سورة محمد ، الآية ١٧ .

(٥) سورة مريم ، الآية ٧٦ .

(٦) سورة الفتح ، الآية ٤ .

(٧) سورة النساء ، الآيات من ٦٦ ـ ٦٨ .

كِفْلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾[1] وكما قال : ﴿ **أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروحٍ منه** ﴾[2] ولهذا قيل : « من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم »[3] وهذا الجنس غير مقدور للعباد ، وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضاً بفضل الله وإعانته وإقداره لهم ، لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم ، إذا قيل إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادراً على ما لا يقدر عليه غيره فهذا أيضاً حق ، وهو من جنس هذا المعنى قال تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا** ﴾[4] وقد قال : ﴿ **إذا لَقِيتُم فِئةً فاثْبُتُوا** ﴾[5] فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحي إلى الملائكة أنهم يفعلون بالمؤمنين . والمقصود أنه قد يكون من الإيمان ما يؤمر به بعض الناس ويذّم على تركه . ولا يذم عليه بعض الناس ممن لا يقدر عليه ، ويفضل الله ذاك بهذا الإيمان وإن لم يكن المفضول ترك واجباً فيقال : وكذلك في الأعمال الظاهرة يؤمر القادر على الفعل بما لايؤمر به العاجز عنه ، ويؤمر بعض الناس بما لا يؤمر به غيره ، لكن الأعمال الظاهرة قد يعطي الإنسان مثل أجر العامل إن لم يكن يؤمن بها ويريدها جهده . ولكن بدنه عاجز كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم »[6] ، قالوا : وهم بالمدينة قال : « وهم بالمدينة حسبهم العذر »[7] وكما قال تعالى : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير ولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾[8] فاستثنى أولي الضرر . وفي

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٨ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٣) قائل هذا الحديث عيسى عليه السلام وقد وهم بعض الرواة ونسبه للرسول والصحيح أنه حديث ضعيف ، راجع الأحاديث الضعيفة للألباني . رقم ٤٢١ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ١٢ .

(٥) سورة الأنفال ، الآية ٤٥ .

(٦) حديث صحيح رواه الشيخان .

(٧) متفق عليه ، البخاري في كتاب الجهاد باب من حبسه الضرر عن الغزو ٤٧/٦ عن أنس ، الإمام أحمد في المسند ١٦٠/٣ ، عن أنس .

(٨) سورة النساء ، الآية ٩٥ .

الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً »[1] . وفي حديث أبي كبشة الأنماري : (هما في الأجر سواء وهما في الوزر سواء)[2] . رواه الترمذي وصححه . ولفظه : (إنما الدنيا لأربعة : رجل أتاه الله علماً ومالاً ، فهو يتقي في ذلك المال ربّه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقًّا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماًو لم يرزقه مالاً ، فهو صادق النيّة يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنّيته فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربّه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقًّا فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيّته فوزرهما سواء)[3] ولفظ ابن ماجه : (مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل)[4] قال رسول الله ﷺ : « فهما في الأجر سواء ، ورجل أتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط في ماله ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته علماً ولا مالاً وهو يقول : لو كان لي مثل مال هذا عملت مثل الذي يعمل فهما في الوزر سواء »[5] . كالشخصين إذا تماثلا في إيمان القلوب معرفة وتصديقاً وحبًّا وقوة وحالاً ومقاماً ، فقد يتماثلان ، وإن كان لأحدهما من أعمال البدن ما يعجز عنه بدون الآخر ، كما جاء في الأثر : (إن المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه ، والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح :

---

(١) رواه الشيخان ، مسلم في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة ٤/٢٠٦٠ عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد ٤/٥٦٢ عن أبي كبشة الأنماري .

(٣) رواه الترمذي جزء من حديث رقم ٢ .

(٤) رواه ابن ماجه جزء من حديث رقم ٢ .

(٥) رواه ابن ماجه جزء من حديث رقم ٢ .

« ليس الشديد ذا الصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[1] . وقد قال : « رأيت كأني أنزع على قليب ، فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذَنُوباً أو ذَنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في يده غرباً لم أر عبقرياً يفري فرية حتى صدر الناس بعطن »[2] . فذكر أن أبا بكر أضعف ، وسواء أراد قصر مدته أو أراد ضعفه عن مثل قوة عمر ، فلا ريب أن أبا بكر أقوى إيماناً من عمر ، وعمر أقوى عملاً منه ، كما قال ابن مسعود : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر . وقوة الإيمان أقوى وأكمل من قوة العمل ، وصاحب الإيمان يكتب له أجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لأبي بكر فإنه هو الذي استخلفه . وفي المسند من وجهين عن النبي ﷺ : « أن النبي ﷺ وزن الأمة فرجح ، ثم وزن أبو بكر بالأمة فرجح ، ثم وزن عمر بالأمة فرجح »[3] وكان في حياة النبي ﷺ وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبي بكر من الإيمان والعلم ما لم يكن عنده فهو قد دعاه إلى مافعله من خير وأعانه عليه بجهده ، والمعين على الفعل إذا كان يريده إرادة جازمة ، كان كفاعله ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من جهّز غازياً فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا »[4] « من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله »[5] وقال : « من فطّر صائماً فله مثل أجره »[6] . وقد روى عن الترمذي : (من عزى مصاباً فله مثل أجره)[7] . وهذا وغيره مما يبين أن الشخصين قد يتماثلان في الأعمال الظاهرة ، بل يتفاضلان ويكون المفضول فيهما أفضل عند الله من الآخر . لأنه أفضل في الإيمان الذي في القلب . وأما إذا تفاضلا في إيمان القلوب فلا يكون المفضول فيهما أفضل عند الله البتّة وإن كان المفضول لم يهبه الله من الإيمان ما وهبه للفاضل ، ولا أعطى قلبه من الأسباب التي بها

---

(١) متفق عليه ، البخاري في كتاب الأدب باب الحذر من الغضب ٥١٨/١٠ عن أبي هريرة ، مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب ٢٠١٤/٤ عن أبي هريرة .

(٢) رواه الإمام البخاري في باب مناقب عمر بن الخطاب ٤١/٧ عن ابن عمر ، وأبو داود من طريقين (٤٦٣٤ ـ ٣٦٢٥) ، وعن أبي أمامة ٢٩٥/٥ .

(٣) حديث صحيح عن ابن عمر في البخاري ٤١/٧ .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم في المغازي ١٥٠٧/٣ ، عن خالد الجهني .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ١٥٠٧/٣ .

(٦) حديث صحيح رواه مسلم ١٥٠٧/٣ .

(٧) رواه الترمذي وإسناده ضعيف .

ينال ذلك الإيمان الفاضل ، ما أعطي المفضول ، ولهذا فضّل الله بعض النبيين على بعض ، وإن كان الفاضل أقلّ عملاً بالبدن ، كما فضل الله نبيّنا ﷺ ومدة نبوته بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وفضّل أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر إلى المغرب على من عمل من أول النهار إلى صلاة الظهر ، وعلى من عمل من صلاة الظهر إلى العصر ، فأعطى الله أمة محمد أجرين ، وأعطى كلاًّ من أولئك أجراً أجراً ، لأن الإيمان الذي كان في قلوبهم كان أكمل وأفضل ، وكان أولئك أكثر عملاً ، وهؤلاء أعظم أجراً ، وهو فضله يؤتيه من يشاء بالأسباب التي تفضل بها عليهم وخصّهم بها . وهكذا سائر من يفضله الله تعالى ، فإنه يفضله بالأسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء ، كما يخص أحد الشخصين بقوة ينال بها العلم ، وبقوة ينال بها اليقين والصبر والتوكل والإخلاص ، وغير ذلك مما يفضله الله به ، وإنما فضّله في الجزاء بما فضل به من الإيمان كما قال تعالى : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب ، آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله** ﴾[1] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومِنَ النّاس** ﴾[3] وقال : ﴿ **يغفرُ لِمَنْ يشاء ويُعذّبْ من يشاء** ﴾[4] وقد بيّن في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب ، وكذلك يرزق من يشاء بغير حساب ، وقد عرف أنه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق ، وإذا كان من الإيمان ما يعجز عنه كثير من الناس ويختص الله به من يشاء ، فذلك ما يفضلهم الله به ، وذلك الإيمان ينفي عن غيرهم لكن لا على وجه الذم ، بل على وجه التفضيل ، فإن الذم إنما يكون على ترك مأمور أو فعل محظور ، لكن على ما ذكره أبو طالب يقال : فمثل هؤلاء مسلمون لا مؤمنون باعتبار ، ويقال : إنهم مؤمنون باعتبار آخر ، وعلى هذا ينفى الإيمان عمن فاته الكمال المستحب بل

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٤ .

(٣) سورة الحج ، الآية ٨٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٧٤ .

الكمال الذي يفضل به على من فاته ، وإن كان غير مقدور للعباد ، بل ينفى عنه الكمال الذي وجب على غيره ، وإن لم يكن في حقه لا واجباً ولا مستحباً ، لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع ، ولم يعرف في كلامه ، إلا أن نفي الإيمان يقتضي الذمّ حيث كان ، فلا ينفى إلا عمن له ذنب فتبين أن قوله : « أو مسلم »[1] توقف في آداء الواجبات الباطنة والظاهرة كما قال جماهير الناس . ثم طائفة يقولون : قد يكون منافقاً ليس معه شيء من الإيمان وهم الذين يقولون : الأعراب المذكورون منافقون ليس معهم من الإيمان شيء ، وهذا هو القول الذي نصره طائفة كمحمد ابن نصر ، والأكثرون يقولون : بل هؤلاء لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من أعمالهم ، وإن كان فيهم شُعبة نفاق ، بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله ، ولهذا جعلهم مسلمين ولهذا قال : ﴿ **أنْ هَدَاكُم للإيمان إن كُنْتُمْ صادقين** ﴾[2] كما قالوا مثل ذلك في الزاني والسارق وغيرهما ممن نفى عنه الإيمان مع أن معه التصديق وهذا أصح الأقوال الثلاثة فيهم . وأبو طالب جعل من كان مذموماً لترك واجب من المؤلفة قلوبهم الذين لم يعطوا شيئاً ، وجعل ذلك الشخص مؤمناً غيره أفضل منه ، وأما الأكثرون فيقولون : إثبات الإسلام لهم دون الإيمان كإثباته لذلك الشخص ، كان مسلماً لا مؤمناً كلاهما مذموم ، لا لمجرد أن غيره أفضل منه وقد قال النبي ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »[3] ولم يسلب من دونه الإيمان وقال تعالى : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى** ﴾[5] ، وقال لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة »[6] . وكان يقول لمن يرسله في جيش أو سرية :

---

(١) حديث صحيح تقدم ذكره .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٨ .

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي والإمام أحمد في المسند ٢/٢٥٠ ، عن أبي هريرة .

(٤) سورة الحديد ، الآية ١٠ .

(٥) رواه الإمام البخاري في كتاب الاعتصام باب أجر الحاكم إذا اجتهد ٣١٨/١٣ ، عن عمرو بن العاص .

(٦) أخرجه الشيخان : البخاري في كتاب الجهاد باب إذا نزل العدو على حكم ١٦٥/٦ ، عن أبي سعيد الخدري ، مسلم في كتاب الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد ١٣٨٨/٣ ، عن أبي سعيد الخدري . وأرقعة : سماوات .

« إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزل على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم ، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك »[1] وهذه الأحاديث الثلاثة في الصحيح ، وفي حديث سليمان عليه السلام : « وأسألك حكماً يوافق حكمك »[2] . فهذه الأحاديث وغيرها تدل على ما اتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، أن أحد الشخصين ، قد يخصه الله باجتهاد يحصل له ما به من العلم ما يعجز عنه غيره ، فيكون له أجران ، وذلك الآخر عاجز له أجر ولا إثم عليه وذلك العلم الذي خص به هذا ، والعمل به باطناً وظاهراً زيادة في إيمانه ، وهو إيمان يجب عليه لأنه قادر عليه وغيره عاجز عنه ، فلا يجب ، فهذا قد فضل بإيمان واجب عليه ، وليس بواجب على من عجز عنه وهذا حال جميع الأمة . فيما تنازعت فيه من المسائل الخبرية والعملية ، إذا خص أحدهما بمعرفة الحق في نفس الأمر مع اجتهاد الآخر وعجزه ، كلاهما محمود مثاب مؤمن ، وذلك خصّه الله من الإيمان الذي وجب عليه بما فضّله به على هذا ، وذلك المخطي لا يستحق ذمًّا ولا عقاباً ، وإن كان ذاك لو فعل ما فعل ذمّ وعوقب ، كما خصّ الله[*1] نبيّنا بشريعة فضّلها به ، ولو تركنا مما أمرنا به فيها شيئاً لكان ذلك سبباً للذمّ والعقاب ، والأنبياء قبلنا لا يذمّون بترك ذلك ، لكن محمداً ﷺ فضّله الله على الأنبياء وفضل أمّته على الأمم من غير ذم لأحد من الأنبياء ، ولا لمن اتبعهم من الأمم . وأيضاً ، فإذا كان الإنسان لا يجب عليه من الإيمان إلا ما يقدر عليه ، وهو إذا فعل ذلك كان مستحقاً لما وعد الله به من الجنة ، فلو كان مثل هذا يسمى مسلماً ، ولا يسمى مؤمناً لوجب أن يكون من أهل الوعد بالجنة من يسمى مسلماً لا مؤمناً ، كالأعراب وكالشخص الذي قال فيه النبي ﷺ : « أو مسلم »[3] وكسائر من نفي عنه الإيمان مع أنه مسلم كالزاني والشارب والسارق ، ومن لا يأمن جاره بوائقه ، ومن لا يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه ، وغير هؤلاء وليس الأمر كذلك ، فإن الله لم يعلق وعد الجنة إلا باسم الإيمان ، لم يعلقه باسم الإسلام ،

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الجهاد باب تأمير الأمير ١٣٥٧/٣ ، عن سلمان بن بريدة عن أبيه .

(٢) حديث صحيح في المسند ١٨٦/٢ كما رواه النسائي .

(٣) حديث صحيح تقدم ذكره كثيراً .

(*١) (أمة) زيادة في الهندية .

مع إيجاب الإسلام وإخباره أنه دينه الذي ارتضاه ، وأنه لا يقبل ديناً غيره ، ومع هذا فما قال : إن الجنة أُعدّت للمسلمين ولا قال : وعد الله المسلمين بالجنة ، بل إنما ذكر ذلك باسم الإيمان كقوله : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار** ﴾[1] فهو يعلقها باسم الإيمان المطلق ، أو المقيّد بالعمل الصالح كقوله : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البريّة ، جزاؤهم عند ربّهم جناتُ عدن تجري من تحتها الأنهار** ﴾[2] وقوله : ﴿ **وَبشّرِ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل** ﴾[3] . وقوله : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصّلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون** ﴾[4] . وقوله : ﴿ **فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيُوفّيهم أجورَهم ويَزِيدُهُمْ من فَضْله** ﴾[5] وقوله : ﴿ **فأمْا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضلٍ ويَهديهم إليه صراطاً مستقيماً** ﴾[6] ، وقوله : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ وندخلهم ظِلاًّ ظليلاً** ﴾[7] ، وفي الآية الأخرى ﴿ **وَمَنْ أصدقُ من الله قِيلاً** ﴾[8] . وقال : ﴿ **وأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورَهم والله لا يحبّ الظالمين** ﴾[9] . وقال : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ** ﴾[10] . وقال : ﴿ **فمن آمن وأصْلَحَ فلا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنون** ﴾[11] . وقال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نُكلّف نَفساً لاّ وُسْعَها أولئك أصحابُ الجنّة هم فيها**

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٧٢ .
(٢) سورة البيّنة ، الآيتان ٧ ، ٨ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٧٧ .
(٥) سورة النساء ، الآية ١٧٣ .
(٦) سورة النساء ، الآية ١٧٥ .
(٧) سورة النساء ، الآية ٥٧ .
(٨) سورة النساء ، الآية ١٢٢ .
(٩) سورة آل عمران ، الآية ٥٧ .
(١٠) سورة المائدة ، الآية ٩ .
(١١) سورة الأنعام ، الآية ٤٨ .

خالِدون ﴾[١٢] . فالوعد بالجنّة والرحمة في الآخرة ، وبالسلامة من العذاب ، وعلّق باسم الإيمان المطلق والمقيّد بالعمل الصالح ونحو ذلك . وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ، ولم يعلن باسم الإسلام ، فلو كان من أتى من الإيمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله ، قد يسمّى مسلماً لا مؤمناً لكان من أهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمّى مسلماً ، وإن لم يسمّ مؤمناً ، وليس الأمر كذلك ، بل الجنة لم تعلق إلا باسم الإيمان ، وهذا أيضاً مما استدل به من قال : إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنّة إذ لو كان كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام ، كما علق باسم الإيمان ، كما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله : **﴿ إن المتّقين في جنّاتٍ وَنَهر ﴾**[١] وقوله : **﴿ إنّ الأبرارَ لَفِي نَعِيم ﴾**[٢] وباسم أوْلياء الله كقوله : **﴿ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنُون الذين آمنوا وكانوا يتّقون ، لهُمُ البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلماتِ الله ذلك هو الفوزُ العظيم ﴾**[٣] . فلما لم يجر اسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمّى الإيمان كما يلازمه اسم البر والتقوى وأولياء الله . وأن اسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وإن كان الله يثيبه على طاعته مثل أن يكون في قلبه إيمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار ، لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان . وهكذا سائر أهل الكبائر إيمانهم ناقص ، وإذا كان في قلب أحدهم شُعبة نفاق عوقب بها إذا لم يعف الله عنه ، ولم يخلد في النار فهؤلاء مسلمون وليسوا مؤمنين ومعهم إيمان ، لكن معهم أيضاً ما يخالف الإيمان من النفاق ، فلم تكن لتسميتهم مؤمنين بأوْلى من تسميتهم منافقين . لا سيما إن كانوا للكفر أقرب منهم للإيمان وهؤلاء يدخلون في اسم الإيمان في أحكام الدنيا ، كما يدخل المنافق المحض وأوْلى لأن هؤلاء معهم إيمان ويدخلون في خطاب الله . بـ **﴿ ياأيّها الذين آمنوا ﴾**[٤] لأن ذلك أمر لهم بما ينفعهم ونهي لهم عما يضرّهم وهم محتاجون إلى ذلك ،

---

(١٢) سورة الأعراف ، الآية ٤٢ .

(١) سورة القمر ، الآية ٥٤ .

(٢) سورة الانفطار ، الآية ١٣ .

(٣) سورة يونس ، الآيات من ٦٢ ـ ٦٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٠٤ .

ثم الإيمان الذي معهم إن اقتضى شمول لفظ الخطاب لهم فلا كلام ، وإلا فليس بأسوأ حالاً من المنافق المحض وذلك المنافق يخاطب بهذه الأعمال وتنفعه في الدنيا ويحشر بها مع المؤمنين يوم القيامة ويتميز بها عن سائر الملل يوم القيامة ، كما تميز عنهم بها في الدنيا ، لكن وقت الحقيقة يضرب ﴿ **بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذاب ينادونهم أَلَمْ نكُن معكم ؟ قالوا بلى ولكنَّكُمْ فَتَنْتُم أنفسَكم وتربّصتم وارتبْتُم وغرّتْكُم الأماني حتى جاء أمرُ الله وغرّكم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مأواكم النارُ هي مولاكم وبئس المصير** ﴾[1] . وقد قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النّار ، ولن تجدَ لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينَهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يُؤتِي اللهُ المؤمنين أجراً عظيماً** ﴾[2] . فإذا عمل العبد صالحاً لله ، فهذا هو الإسلام الذي هو دين الله ، ويكون معه من الإيمان ما يحشر به مع المؤمن يوم القيامة ، ثم إن كان معه من الذنوب ما يعذب به ، عذب وأخرج من النار ، إذا كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، وإن كان معه نفاق . ولهذا قال الله تعالى في هؤلاء : ﴿ **فأولئك مع المؤمنين وسوف يُؤتِي الله المؤمنين أجراً عظيماً** ﴾[3] . فلم يقل إنهم مؤمنون بمجرد هذا ، إذ لم يذكر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بل هم معهم ، وإنما ذكر العمل الصالح وإخلاصه لله وقال :

﴿ **فأولئك مع المؤمنين** ﴾[4] فيكون لهم حكمهم . وقد بيّن تفاضل المؤمنين في مواضع أخر وأنه من أتى بالإيمان الواجب استحق الثواب ، ومن كان فيه شُعبة نفاق وأتى الكبائر ، فذاك من أهل الوعيد وإيمانه ينفعه الله به ويخرجه به من النار ، ولو أنه مثقال حبة من خردل لكن لا يستحق به الاسم المطلق المعلق به وعد بالجنة بلا عذاب ، وتمام هذا أن الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من شعب الإيمان ، وشعبة من شعب الكفر أو النفاق ، ويسمى مسلماً كما نصّ عليه أحمد . وتمام هذا أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان ، وشعبة من شعب النفاق ، وقد يكون

---

(١) سورة الحديد ، الآيات من ١٣ ـ ١٥ .

(٢) سورة النساء ، الآيتان ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٤٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية ١٤٦ .

مسلماً وفيه كفر ، دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية كما قال الصحابة كابن عباس وغيره ، كفر دون كفر وهذا قول عامّة السلف ، وهو الذي نص عليه أحمد وغيره ، ممن قال في السارق والشارب ونحوهم ممن قال فيه النبي ﷺ : « إنه ليس بمؤمن »[1] أنه يقال لهم مسلمون لا مؤمنون ، واستدلّوا بالقرآن والسنّة على نفي اسم الإيمان ، مع إثبات اسم الإسلام . بأن الرجل قد يكون مسلماً ومعه كفر لا ينقل عن الملّة . بل كفر دون كفر كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله : ﴿ **وَمَنْ لم يحكمْ بما أنزل الله فأُولئك هُمُ الكافرون** ﴾[2] . قالوا كفر لا ينقل عن الملة وكفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم . وهذا أيضاً مما استشهد به البخاري في صحيحه فإن كتاب الإيمان الذي افتتح به الصحيح قرر به مذهب أهل السنة والجماعة وضمنه الرد على المرجئة فإنه كان من القائمين بنصر السنّة والجماعة ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وقد اتفق العلماء على أن اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم استسلموا ظاهراً وأتوْا بما أتوْا به من الأعمال الظاهرة بالصلاة الظاهرة والزكاة الظاهرة والحج الظاهر والجهاد الظاهر كما قال النبي ﷺ يُجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة ، واتفقوا على أنه من لم يكن معه شيء من الإيمان فهو كما قال تعالى[*1] :

﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسْفَلِ من النار** ﴾[3] ، وفيها قراءتان دَرَك ودَرْك قال أبو الحسين بن فارس : الجنّة دركات والنار دركات قال الضحّاك : الدَرَك إذا كان بعضُها فوقَ بعض ، والدَّرْك إذا كان بعضُها أسفل من بعض فصار المظهرون للإسلام بعضهم في أعلى درجة من الجنة ، وهو رسول الله ﷺ كما قال في الحديث الصحيح : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم سلوا الله لي[*2] الوسيلة فإنها درجة في الجنة

(١) حديث صحيح تقدم ذكره كثيراً .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .
(٣) سورة النساء ، الآية ١٤٥ .

(*١) (الله تعالى) زيادة في الهندية .
(*٢) (لي) غير موجودة في الهندية .

لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي يوم القيامة »[1] . وقوله ﷺ : « وأرجو أن أكون » . مثل قوله : « إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده »[2] ولا ريب أنه أخشى الأمة لله وأعلمهم بحدوده وكذلك قوله : « اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً »[3] وقوله : « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة »[4] وأمثال هذه النصوص وكان يستدل الإمام أحمد[*1] وغيره على الاستثناء في الإيمان كما يذكر في موضعه والمقصود أن خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة والمنافقين في الدرك الأسفل من النار وإن كانوا في الدنيا مسلمين ظاهراً تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة ، فمن كان فيه إيمان ونفاق يسمّى مسلماً إذ ليس هو دون المنافق المحض وإذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الإيمان بل اسم المنافق أحق به فإن ما فيه بياض وسواد وسواده أكثر[*2] باسم الأسود أحق منه باسم الأبيض كما قال[*3] : ﴿ **هم للكفر يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان** ﴾[5] . وأما إذا كان إيمانه أغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد لم يكن أيضاً من المؤمنين الموعودين بالجنة ، وهذه حجة لما ذكره ابن نصر عن أحمد ، ولم أره أنا فيما بلغني من كلام أحمد ولا ذكره الخلاّل ونحوه . قال محمد بن نصر وحكى غير هؤلاء[*4] عن أحمد أنه قال : من أتى هذه الأربعة : الزنا والسرقة وشرب الخمر والنهبة ، التي يرفع الناس فيها أبصارهم إليه أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسمّيه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ٢٨٨/١ ، عن عبد الله بن عمر بن العاص .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١٣٨/٣ ولفظه (وأعلمكم بما اتقى) .

(٣) متفق عليه ، البخاري في كتاب التوحيد ٢٤٧/١٣ عن أبي هريرة وفتح الباري ، مسلم في كتاب الإيمان ١٨٩/١ عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ٢٠٠/١ ، عن عبد الله .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٦٧ .

(*١) (الإمام أحمد) في الأصل ، (به أحمد) في الهندية .

(*٢) (هو) زيادة في الهندية .

(*٣) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٤) (هؤلاء) في الأصل ، (هذا) في الهندية .

مؤمناً ومن أتى دون ذلك(*1) دون الكبائر نسميه مؤمناً ناقص الإيمان فإن صاحب هذا القول يقول لما نفى عنه النبي ﷺ ، نفيته عنه كما نفاه عنه الرسول ﷺ ، والرسول لم ينفه إلا عن صاحب كبيرة وإلا فالمؤمن الذي يفعل الصغيرة هي مكفرة عنه بفعله للحسنات واجتنابه للكبائر ، لكنه ناقص الإيمان عمّن اجتنب الصغائر ، فما أتى الإيمان الواجب ولكنه خلطه بسيئات كفّرت عنه بغيرها ، ونقص بذلك درجة عمن لم يأت بذلك . وأما الذين نفى عنهم الرسول الإيمان فننفيه كما نفاه الرسول ، وأولئك وإن كان معهم التصديق وأصل الإيمان ، فقد تركوا منه ما استحقوا لأجله سلب الإيمان . وقد يجتمع في العبد نفاق وإيمان ، وكفر وإيمان ، فالإيمان المطلق عند هؤلاء ما كان صاحبه مستحقًّا للوعد بالجنة وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كراميهم وغير كراميهم يقولون : إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق ومنهم من يدّعي الإجماع على ذلك . وقد ذكر أبو الحسن في بعض كتبه الإجماع على ذلك ، ومن هنا غلطوا فيه(*2) وخالفوا فيه أهل الكتاب والسنّة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع مخالفة صريح المعقول . بل الخوارج والمعتزلة ، طردوا هذا الأصل الفاسد وقالوا : لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بها العقاب ولا يكون الشخص الواحد محموداً من وجه مذموماً من وجه آخر(*3) ، ولا محبوباً مدعوًّا له من وجه مسخوطاً ملعوناً من وجه آخر . ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعاً عندهم ، بل من دخل أحدهما لم يدخل الأخرى عندهم ، ولهذا أنكروا خروج أحد من النار أو الشفاعة في أحد من أهل النار . وحكي عن غالبة المرجئة أنهم وافقوهم على هذا الأصل ، لكن هؤلاء قالوا : إن أهل الكبائر يدخلون الجنة ولا يدخلون النار مقابلة لأولئك . وأما أهل السنّة والجماعة والصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامة والكلابية والأشعرية والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم فيقولون : إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة وهذا

(*1) (دون ذلك) غير موجودة في الهندية .

(*2) (ومن هنا غلطوا فيه) غير موجودة في الهندية .

(*3) (آخر) غير موجودة في الهندية .

الشخص الذي له سيئات عذّب بها أو سيئات[*1] دخل بها الجنة له معصية وطاعة باتفاق هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه ، لكن تنازعوا في اسمه ، فقالت المرجئة جميعهم[*2] جهميتهم وغير جهميتهم هو مؤمن كامل الإيمان وهل السنة والجماعة على أنه ناقص الإيمان ، ولولا ذلك لما عذّب . كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين . وهل يطلق عليه اسم مؤمن هذا فيه القولان ، والصحيح التفصيل فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة قيل هو مؤمن ، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة قيل ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة ، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه . ولهذا قال من قال : هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان ، والذين[*3] يسمّونه مؤمناً من أهل السنة ومن المعتزلة يقولون : اسم الفسوق ينافي اسم الإيمان كقوله : ﴿ **بِئْسَ الاسْمِ الفُسوق بعد الإيمان** ﴾[1] وقوله : ﴿ **أفمن كان مُؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**[*4] ﴾[2] . وقد قال النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[3] وعلى هذا الأصل فبعض الناس يكون معه شُعبة من شُعب الكفر ومعه إيمان أيضاً وعلى هذا ورد عن النبي ﷺ في تسمية كثير من الذنوب كفراً مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان فلا يخلد في النار كقوله : « سباب المسلم[*5] وقتاله كفر »[4] وقوله : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »[5] وهذا مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيح من غير وجه بأنه أمر في

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١١ .
(٢) سورة السجدة ، الآية ١٨ .
(٣) متفق عليه كما تقدم كثيراً .
(٤) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .
(٥) متفق عليه ، البخاري في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء ٢١٧/١ عن جرير ، مسلم في كتاب الإيمان باب لا ترجعوا بعدي كفاراً ٨١/١ عن جرير .

(*١) (أو سيئات) في الأصل ، (وله حسنات) في الهندية .
(*٢) (جميعهم) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (لا) زيادة في الهندية .
(*٤) (لا يستوون) غير موجودة في الهندية .
(*٥) (فسوق) غير موجودة في الهندية .

حجة الوداع أن ينادي(*1) في الناس من سمّى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق كفاراً وسمّي هذا الفعل كفراً ومع هذا فقد قال تعالى : ﴿ **وإنْ طائِفَتَانِ من المؤمنين اقتتلوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهما** ﴾[1] إلى قوله : ﴿ **إنّما المؤمنون إخوة** ﴾[2] فبيّن أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكليّة ، ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة كما قال الصحابة : كفر دون كفر ، وكذلك قوله : « من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما »[3] . فقد سمّاه أخاه حين القول ، وقد أخبر أن أحدهما باء بها ، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكليّة لم يكن أخاه ، بل فيه كفر ، وكذلك قوله في الحديث الصحيح : « ليس منّا رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر »[4] ، وفي حديث آخر : « كفر بالله(*2) تبرؤ من النسب وإن دق »[5] وكان من القرآن الذي نسخ لفظه : لا ترغبوا عن آبائكم ، فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم فإن حق الوالدين مقرون بحق الله فيمثل قوله تعالى(*3) : ﴿ **أنِ أُشْكر لِي وَلوالِدَيْك إلّي المصير** ﴾[6] ، وقوله : ﴿ **وَقَضَى ربُّك ألاّ تعبدُوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً** ﴾[7] فالوالد أصله الذي منه خلق ، والولد من كسبه كما قال : ﴿ **مَا أغْنَى عنه مَالُه وما كَسَب** ﴾[8] فالجحد لهما شبعة من شعب الكفر فإنه جحد لما منه خلقه ربه ، فقد جحد خلق الرب إيّاه ، وقد كان في لغة من قبلنا يسمى الربّ أباً ، فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه ، ولكن ليس هذا كمن جحد الخالق بالكلية ، وسنتكلم إن شاء الله تعالى على سائر الأحاديث ، والمقصود هنا ذكر

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٣) متفق عليه كما تقدم : البخاري في كتاب الأدب باب من كفر أخاه ٥١٤/١٠ عن أبي هريرة ، مسلم باب الإيمان باب بيان إيمان من قال لأخيه المسلم ياكافر ٧٩/١ عن ابن عمر .

(٤) متفق عليه ، البخاري في كتاب المناقب ٥٣٩/٦ عن أبي ذر ، مسلم في كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه ٧٩/١ عن أبي ذر .

(٥) حديث حسن رواه أحمد وابن ماجه والطبراني في المعجم الصغير بسند حسن ، سند ابن ماجه كتاب الفرائض باب من أنكر ولده ٩١٦/٢ ، عن عمرو بن شعيب .

(٦) سورة لقمان ؛ الآية ١٤ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية ٢٣ .

(٨) سورة المسد ، الآية ٢ .

(*1) (به) زيادة في الهندية .

(*2) (من) زيادة في الهندية .

(*3) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

أصل جامع تنبني عليه معرفة النصوص ، ورد ما تنازع فيه الناس إلى الكتاب والسنّة فإن الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمّى الإيمان والإسلام لكثرة ذكرهما ، وكثرة كلام الناس فيهما والاسم كلما كثر التكلم به(*١) ، فتكلم به مطلقاً ومقيّداً بقيد ، ومقيداً بقيد آخر في موضع آخر(*٢) ، كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه ، ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك ، ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضها ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجب اختصاصه بمعنى ، فيظن معناه في سائر موارده وكذلك ، فمن اتسع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة ، وعلى مآخذ الشبه(*٣) أعطى كل ذي حق حقه ، وعلم أن خير الكلام كلام الله وأنه لا بيان أتم من بيانه ، وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف أضعاف ما تنازعوا فيه . فالمسلمون سنِّيهم وبِدَعيهم متفقون على وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومتفقون على وجوب الصّلاة والزكاة والصيام والحج ، ومتفقون على من أطاع الله ورسوله فإنه يدخل الجنة ولا يعذب ، وعلى أن من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله(*٤) إليه فهو كافر ، وأمثال هذه الأمور التي هي أصول الدين ، وقواعد الإيمان التي اتفق عليها المنتسبون إلى الإسلام والإيمان ، فتنازعهم بعد هذا في بعض أحكام الوعيد أو بعض(*٥) الأسماء أمر خفيف بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه ،(*٦) أن المخالفين للحق البيّن من الكتاب والسنّة هم عند جمهور الأمة معروفون بالبدعة مشهود عليهم بالضلال ، ليس لهم في الأمة لسان صدق ولا قبول عام كالخوارج والروافض والقدرية ونحوهم ، وإنما يتنازع أهل العلم والسنّة في أمور دقيقة تخفي على أكثر الناس ، ولكن يجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، والرد إلى الله ورسوله في مسألة الإيمان والإسلام(*٧) يوجب أن كلاً من الاسمين وإن كان مسمّاه واجباً ، ولا يستحق لأحد الجنة إلا بأن يكون مؤمناً مسلماً ، فالحق في ذلك ما بينّه النبي ﷺ(*٨) في حديث جبريل فجعل الدين وأهله

(*١) (به) في الأصل ، (فيه) في الهندية .

(*٢) (آخر) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (الشبه) في الأصل ، (الشبهة) في الهندية .

(*٤) (صلى الله عليه وسلم) زيادة في الهندية .

(*٥) (معاني بعض) زيادة في الهندية .

(*٦) (مع) زيادة في الهندية .

(*٧) (الإيمان والإسلام) في الأصل ، (الإسلام والإيمان) في الهندية .

(*٨) (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في الهندية .

ثلاث طبقات : أولها الإسلام وأوسطها الإيمان وأعلاها الإحسان ، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها ، فالمحسن مؤمن ، والمؤمن مسلم ، وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً وهكذا جاء القرآن ، فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة قال تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مقتصدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضلُ الكبير** ﴾[1] .

فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه ، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب ، وترك المحرم ، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عَبَد كأنه يراه . وقد ذكر الله[*1] تقسيم الناس في المعاد إلى هذه الثلاثة في سورة (الواقعة) و (المطفّفين) (وهل أتى) وذكر الكفار أيضاً . وأما هنا فجعل التقسيم للمصطفين من عباده . وقال أبو سليمان الخطابي : ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة فأما الزهري فقال : الإسلام الكلمة والإيمان العمل واحتج بالآية وذهب غيره إلى أن الإيمان والإسلام[*2] شيء واحد واحتج بقوله : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾[2] . قال الخطابي : وقد تكلم رجلان من أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين ورد الآخر منهما على المتقدم وصنّف عليه كتاباً يبلغ عدد أوراقه المائتين . قال الخطابي : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام[*3] في هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ، ولا يكون مؤمناً في بعضها والمؤمن مسلم في جميع الأحوال ، فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً ، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها و لم يختلف شيء . قلت : الرجلان اللذان أشار إليهما الخطابي أظن أحدهما وهو السابق محمد بن نصر فإنه الذي علمته بسط الكلام في أن الإسلام والإيمان شيء واحد من أهل السنة ، وما[*4] لغيره قبله بسط في هذا ، والآخر هو[*5] الذي رد عليه أظنه (بياض ـــ) لكن لم أقف على رده . والذي

(١) حديث صحيح تقدم ذكره .

(*١) (سبحانه) زيادة في الهندية .

(*٢) (الإيمان والإسلام) في الأصل ، (الإسلام والإيمان) في الهندية .

(*٣) (الكلام) في الأصل ، (الكافر) في الهندية .

(*٤) (علمت) زيادة في الهندية .

(*٥) (هو) غير موجودة في الهندية .

اختاره الخطابي هو قول من فرّق بينهما كأبي جعفر ، وحماد بن زيد ، وعبد الرحمن ابن مهدي وهو قول أحمد بن حنبل وغيره ، وما علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء ، فحمل نفس الإسلام نفس الإيمان ، ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي ، وكذلك[*1] أبو القاسم التيمي الأصبهاني وابن محمد شارح (مسلم) وغيرهما . أن المختار عند أهل السنة ، أنه لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن ، كما دل عليه النص ، وقد ذكر الخطابي في شرح (البخاري) كلاماً يقتضي تلازمهما مع افتراق اسميهما وذكره البغوي في (شرح السنّة) فقال : قد جعل النبي ﷺ الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذلك[*2] لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل الجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال ﷺ : « هذا جبريل جاءكم يعلّمكم دينكم »[1] والتصديق والعمل يتناولهما باسم الإسلام والإيمان جميعاً ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **إن الدينَ عند الله الإسلام** ﴾[2] وقوله ﷺ[*3] : « رضيت بالله ربًّا وبالإسلام ديناً »[3] ، وقوله : ﴿ **ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ مِنه** ﴾[4] ، فبيّن أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول إلا بانضمام التصديق إلى العمل . قلت : تفريق النبي ﷺ في حديث جبريل وإن اقتضى أن الأعلى وهو الإحسان بتضمين الإيمان ، والإيمان يتضمن الإسلام فلا يدل على العكس ، ولو قدر أنه دل على التلازم فهو صريح بأن مسمّى هذا ليس مسمًّى هذا لكن التحقيق أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران كما قد بيّنا من فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة في كثير من المواضع حاد عنها طوائف ، مسألة الإيمان وغيرها وما ذكره من أن الدين لا يكون في محل الرضا والقبول إلا بانضمام التصديق إلى

---

(١) حديث صحيح تقدم ذكره .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩ .
(٣) حديث صحيح تقدم تخريجه .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(*١) (ذكر) زيادة في الهندية .
(*٢) (ذلك) في الأصل ، (كذلك) في الهندية .
(*٣) (وقوله ﷺ رضيت بالله ربًّا وبالإسلام ديناً) في الأصل ، (وقوله تعالى : ورضيت لكم الإسلام ديناً) في الهندية .

العمل يدل على أنه لابدّ مع العمل مع إيمان ، فهذا يدل على وجوب الإيمان مطلقاً ، لكن لا يدل على أن العمل الذي هو الدين ليس اسمه إسلاماً ، وإذا كان الإيمان شرطاً في قبوله لم يلزم أن يكون ملازماً له ، ولو كان ملازماً له لم يلزم أن يكون جزء مسماه . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح[1] : قوله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله »[2] إلى آخره والإيمان : « أن تؤمنَ بالله وملائكته »[3] إلى[*1] آخره قال هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن ، وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر ، وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الإسلام ومعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه ، وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده أو انحلاله ، ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان . ومقومات ومتممات وحافظات له . ولهذا فسر[*2] ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم وإعطاء الخُمْس من المغنم ، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة ، لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلا بقيد ، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[4] واسم الإسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان ، وهو التصديق ، ويتناول أصل الطاعات فإن ذلك كله استسلام قال : فخرج مما ذكرناه ، وحققناه : أن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . قال فهذا تحقيق وافٍ بالتوفيق بين متفرقات النصوص الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم ، فيقال هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة ، لما قد بيّن من أقوال الأئمة ، وما دل عليه الكتاب والسنة وما يظهر به أن الجمهور

---

(١) أبو عمرو بن الصلاح تقدمت ترجمته وهو من رجال الحديث المشهورين .
(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه .
(٣) حديث صحيح تقدم تخريجه .
(٤) حديث صحيح تقدم ذكره أكثر من مرة .

(١*) (وكتبه ورسله) زيادة في الهندية .
(٢*) (النبي) زيادة في الهندية .

يقولون : كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وقوله : « إن الحديث ذكر فيه أصل الإيمان وأصل الإسلام ، فقد يورد عليه أن النبي ﷺ أجاب عن الإيمان والإسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن المحدود ، فيكون ما ذكره مطابقاً لهما لا لأصلهما فقط ، فالإيمان هو الإيمان[*1] بما ذكره باطناً وظاهراً ، لكن ما ذكره من الإيمان تضمّن الإسلام ، كما أن الإحسان تضمّن الإيمان ، وقول القائل : أصل الاستسلام هو الإسلام الظاهر[*2] هو الاستسلام لله والانقياد له باطناً وظاهراً فهذا هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله ، كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، ومن أسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره ، فإنه لم يؤمر أن يشق عن قلوب الناس ، وأيضاً فإذا كان الإسلام يتناول التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ، فيلزم أن يكون كل مسلم مؤمناً ، وهو خلاف ما نقل عن الجمهور ، ولكن لابد في الإسلام من تصديق يحصل به أصل الإيمان وإلا لما يثبت عليه ، فيكون حينئذ مسلماً مؤمناً فلابد أن يتبين المسلم الذي ليس بمؤمن ودخوله في الإسلام والنبي ﷺ قال : « هذا جبريل أتاكم يعلكم دينكم »[1] وقوله : « الإسلام هو الأركان الخمسة »[2] . لا يعني به من أداها بلا إخلاص لله بل مع النفاق ، بل المراد من فعلها كما أمر بها باطناً وظاهراً . وذكر الخمس أنها هي الإسلام ، لأنها هي العبادات المحضة التي تجب لله تعالى على كل عبد مطبِّق لها . وما سواها إما واجب على الكفاية لمصلحة إذا حصلت سقط الوجوب وإما من حقوق الناس بعضهم على بعض وإن كان فيها قربة ونحو ذلك وتلك تابعة لهذه كما قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[3] « وأفضل الإسلام أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على[*3] عرفت ومن لم تعرف »[4] ، ونحو ذلك فهذه الخمس هي الأركان والمباني كما في الإيمان . وقول القائل : الطاعات ثمرات التصديق الباطن يراد به شيئان يراد به أنها لوازم له

---

(١) حديث صحيح تقدم ذكره كثيراً .

(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه .

(٣) متفق عليه وقد تقدم ذكره كثيراً .

(٤) أخرجه الشيخان ، البخاري في كتاب الإيمان باب إطعام الطعام من الإسلام ١/٥٥ عن عبد الله بن عمرو ، مسلم في كتاب الإيمان باب تفاضل الإسلام ١/٦٥ ، عن عبد الله بن عمرو .

(*١) (هو الإيمان) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (فالإسلام) زيادة في الهندية .

(*٣) (من) زيادة في الهندية .

فمتى وجد الإيمان الباطن وجدت ، وهذا مذهب السلف وأهل السنة ويراد به أن الإيمان الباطن[*1] سبب ، وقد يكون الإيمان الباطن تامًّا كاملاً وهي لم توجد ، وهذا قول المرجئة من الجهمية وغيرهم ، وقد ذكرنا فيما تقدم أنهم غلطوا في ثلاثة أوجه : أحدها : ظنهم أن الإيمان الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب كمحبة الله وخشيته . والثاني : ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون العمل الظاهر وهذا يقول به جميع المرجئة . والثالث : قولهم كل من كفره الشارع ، فإنما كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى . وكثير من المتأخرين لا يميزون بين مذهب السلف وأقوال المرجئة والجهمية في الإيمان وهو معظمه للسلف وأهل الحديث ، فيظن أنه يجمع بينهما أو يجمع[*2] بين كلام أمثاله وكلام السلف ، قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ، وقالت طائفة ثالثة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث : الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه ، وهو ضد الكفر الذي يسخطه فقال : ﴿ **ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾[1] وقال : ﴿ **ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] وقال : ﴿ **فمن يُرِدِ اللهُ أن يهديَه يشرح صدره للإسلام** ﴾[3] وقال : ﴿ **أَفَمَنْ شرح اللهُ صدرَه للإسلام فهو على نور من ربّه** ﴾[4] فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح الإيمان ، وجعله اسم ثناء وتزكية فأخبر : أن من أسلم فهو على نور من ربّه وهدى ، وأخبر أن دينه الذي ارتضاه ، وما ارتضاه فقد أحبّه وامتدحه ، ألا ترى أن أنبياء الله ورسله رغبوا فيه إليه وسألوه إياه فقال إبراهيم وإسماعيل : ﴿ [*3] **ربّنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾[5] وقال يوسف : ﴿ **توفّني مسلماً وألْحِقْني بالصالحين** ﴾[1] وقال : ﴿ **ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يابنيّ إن**

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠١ .

(١) سورة الزمر ، الآية ٧ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٢٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .

(*١) (قد يكون) زيادة في الهندية .

(*٢) (بينهما أو يجمع) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) زيادة في الهندية .

الله اصطفى لكم الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[٢] ، وقال : ﴿ وقل للّذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فَإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾[٣] وقال في موضع آخر : ﴿ قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ﴾[٤] إلى قوله : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوْا[*١] وإن تولوْا فإنما هُمْ في شقاق ﴾[٥] فحكم الله بأن من أسلم فقد اهتدى ، ومن آمن فقد اهتدى ، فسوّى بينهما . قال وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان وأنهما لا يفترقان ولا يتباينان في موضع غير هذا الموضع[*٢] فكرهنا إعادته في هذا الموضع كراهة التطويل[*٣] ، غير أنّا سنذكر من الحجة مالم نذكره في غير هذا الموضع ، ونبيّن خطأ تأويلهم ، والحجج التي احتجوا بها من الكتاب والأخبار على التفرقة بين الإسلام والإيمان . قلت : مقصود محمد بن نصر المروزي رحمه الله : أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح ، وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان وأن كل مؤمن فهو مسلم ، وكل مسلم فلابد أن يكون معه إيمان وهذا صحيح وهو متفق عليه ،[*٤] ومقصوده أيضاً[*٥] أن مسمّى أحدهما هو مسمّى الآخر ، وهذا لا يعرف عن أحد من السلف ، وإن قيل هما متلازمان ، فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمّى هذا هو مسمى هذا وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين[*٦] المشهورين أنه قال : مسمّى الإيمان هو مسمّى الإسلام[*٧] كما نصره ، بل ولا عرفت أنا أحداً قال ذلك من السلف ، ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف أن المؤمن المستحق لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا متفق على معناه بين السلف والخلف بل وبين

---

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٣٢ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٣٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(*١) (وإن تولوا فإنما هم في شقاق) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (الموضع) غير موجودة في الهندية .
(*٣) (والتكرير) زيادة في الهندية .
(*٤) (أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان وهذا فيه نزاع لفظي) زيادة في الهندية .
(*٥) (أيضا) غير موجودة في الهندية .
(*٦) (المسلمين) في الأصل ، (الإسلام) في الهندية .
(*٧) (مسمى الإيمان هو مسمى الإسلام) في الأصل ، (مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان) في الهندية .

فِرَقِ الأمّة كلهم يقولون : إن المؤمن الذي وعد بالجنة لابد أن يكون مسلماً ، والمسلم الذي وعد بالجنة لابد أن يكون مؤمناً ، وكل من يدخل الجنّة بلا عذاب من الأولين والآخرين فهو مؤمن مسلم ، ثم(*1) أهل السنة يقولون الذين يخرجون من النار(*2) بعض ذلك ، وإنما النزاع في إطلاق الاسم فالنقول متواترة عن السلف : بأن الإيمان قول وعمل ، ولم ينقل عنهم شيئ من ذلك في الإسلام ، ولكن لما كان الجمهور الأعظم يقولون : إن الإسلام هو الدين كله ، ليس هو الكلمة فقط خلاف ظاهر ما نقل عن الزهري : وكانوا يقولون : إن الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الأفعال المأمور بها هي من الإسلام كما هي من الإيمان ظن أنهم يجعلونها شيئاً واحداً . وليس كذلك فإن الإيمان مستلزم للإسلام باتفاقهم وليس إذا كان الإسلام داخلاً فيه يلزم أن يكون هو إياه وأما الإسلام فليس معه دليل على أن يستلزم الإيمان ، ولكن هل يستلزم الإيمان الواجب أو كمال الإيمان فيه نزاع وليس معه دليل على أنه مستلزم للإيمان ، ولكن الأنبياء الذين وصفهم الله بالإسلام كلهم كانوا مؤمنين وقد وصفهم الله بالإيمان ، ولو لم يذكر ذلك عنهم فنحن نعلم قطعاً أن الأنبياء كلهم مؤمنون وكذلك السابقون الأولون ، كانوا مسلمين مؤمنين ، ولو قدرّ أن الإيمان(*3) يستلزم الإيمان الواجب فغاية ما يقال إنهما متلازمان ، فكل مسلم مؤمن ، وكل مؤمن مسلم وهذا صحيح إذا أريد أن كل مسلم يدخل الجنّة معه الإيمان الواجب . وهو متفق عليه إذا أريد أن كل مسلم يثاب على عبادته فلا بد أن يكون معه أصل الإيمان ، فما من مسلم إلا وهو مؤمن ، وإن لم يكن هو الإيمان الذي نفاه النبي ﷺ عمّن لم(*4) يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وعمن يفعل الكبائر وعن الأعراب وغيرهم إذا قيل : إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن ، فلا يوجد عندنا روح إلاّ مع البدن ، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح ، وليس أحدهما الآخر فالإيمان كالروح ، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حيًّا إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان ، لا أن مسمّى أحدهما هو مسمّى الآخر ، وإسلام المنافقين

(*1) (أن) زيادة في الهندية .

(*2) (ويدخلون الجنة معهم) زيادة في الهندية .

(*3) (الإيمان) في الأصل ، (الإسلام) في الهندية .

(*4) (لم) في الأصل ، (لا) في الهندية .

كبدن الميت جسد بلا روح ، فما من بدن حي إلا وفيه روح ، ولكن الأرواح متنوعة كما قال النبي ﷺ : « الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »[1] . وليس كل من صلى بببدنه يكون قلبه منوراً بذكر الله والخشوع وفهم القرآن ، وإن كانت صلاته يثاب عليها ويسقط[*1] الفرض[*2] . فهكذا الإسلام الظاهر بمنزلة الصلاة الظاهرة والإيمان بمنزلة ما يكون في القلوب[*3] حين الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبّر القرآن . فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه ، ولا ينعكس[*4] ، فإذا صلح القلب صلح الجسد[*5] وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائماً بحقائقها .

والناس في الإيمان والإسلام على ثلاث مراتب : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات ، فالمسلم باطناً وظاهراً إذا كان ظالماً لنفسه فلابدّ أن يكون معه إيمان ، لكن لم يأت بالواجب ولا ينعكس وكذلك في الآخر وسيأتي إن شاء الله تعالى[*6] والآيات التي احتج بها محمد بن نصر تدل على وجوب الإسلام وأنه دين الله ، وأن الله يحبه ويرضاه ، وأنه ليس له دين غيره وهذا كله حق ، لكن ليس في هذا ما يدل على أنه[*7] الإيمان ، بل ولا يدل على أن بمجرد الإسلام يكون الرجل من أهل الجنة ، كما ذكره في حجة القول الأول ، وأن الله وعد المؤمنين بالجنة في غير آية ولم يذكر هذا الوعد باسم الإسلام ، وحينئذ فمدحه وإيجابه ومحبة الله لم يدل على دخوله في الإيمان وأنه بعض منه ، وهذا متفق عليه بين أهل السنة ، كلهم يقولون كل مؤمن مسلم ، وكل من أتى بالإيمان الواجب ، فقد أتى بالإسلام

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة ٢٠٣١/٤ عن أبي هريرة ، الإمام البخاري في الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة ٣٦٩/٦ عن عائشة ، فتح الباري .

(*١) (عنه) زيادة في الهندية .

(*٢) (في أحكام الدنيا) زيادة في الهندية .

(*٣) (القلوب) في الأصل ، (القلب) في الهندية .

(*٤) (ولهذا قيل إياكم وخشوع النفاق وهو أن يكون الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع) زيادة في الهندية .

(*٥) (كله) زيادة في الهندية .

(*٦) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٧) (هو) زيادة في الهندية .

الواجب لكن النزاع في العكس ـ وهذا كما أن الصلاة يحبها الله ، ويأمر بها ويوجبها ويثني عليها وعلى أهلها في غير موضع ثم لم يدل ذلك على أن مسمى الصلاة مسمى الإيمان ، بل الصلاة تدخل في الإيمان ، فكل مؤمن مصلٍّ ولا يلزم أن يكون كل من صلّى وأتى الكبائر مؤمناً ، وجميع ما ذكره من الحجة عن النبي ﷺ ، فإن فيها التفريق بين مسمّى الإيمان والإسلام إذا ذكرا جميعاً كما في حديث جبريل وغيره ، وفيما أيضاً[*1] اسم الإيمان إذا اطلق دخل فيه الإسلام ، قال أبو عبد الله بن حامد في كتابه المصنف في « أصول الدين » : قد ذكرنا أن الإيمان قول وعمل ، فأما الإسلام فكلام أحمد يحتمل روايتين : إحداهما أنه كالإيمان ، والثانية أنه قول بلا عمل وهذا نصه في رواية إسماعيل بن سعيد قال : والصحيح أن المذهب رواية واحدة إنه قول وعمل ، ويحتمل قوله : إن الإسلام قول ، يريد به أنه لا يجب فيه ما يجب في الإيمان من العمل المشروط فيه لأن الصلاة ليست من شرطه إذ النص عنه : أنه[*2] لا يكفّر بترك[*3] الصلاة . قال : وقد قضينا أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين ، وقد[*4] ذكرنا اختلاف الفقهاء ، وقد ذكر قبل ذلك : أن الإسلام اسمان لمعنيين مختلفين وبه قال مالك وشريك وحماد بن يزيد[*5] بالتفرقة بين الإسلام والإيمان . قال ، وقال أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة أنهما اسمان معناهما واحد ، قال ويفيد هذا أن الإيمان قد تنتفي عنه تسميته مع بقاء الإسلام عليه ، وهو بإتيان الكبائر التي ذكرت في الخبر فيخرج عن تسميته الإيمان بارتكاب الصغائر من الذنوب ، بل الإسم باق عليه ، ثم ذكر أدلة[*6] ، ولكن ما ذكره فيه أدلة كثيرة على ما[*7] يقول : الإسلام مجرد الكلمة ، فإن الأدلة الكثيرة تدل على أن الأعمال من الإسلام بل النصوص كلها تدل على ذلك فمن قال : إن الأعمال الظاهرة المأمور بها ليست من الإسلام فقوله باطل بخلاف التصديق الذي في القلب فإن هذا

(*1) (أن) زيادة في الهندية .

(*2) (أنه) زيادة في الهندية .

(*3) (بترك) في الأصل ، (بتركه) في الهندية .

(*4) (وقد) غير موجودة في الهندية .

(*5) (يزيد) في الأصل ، (زيد) في الهندية .

(*6) (ذلك) زيادة في الهندية .

(*7) (ما) في الأصل ، (من) في الهندية .

ليس في النصوص ما يدل على أنه من الإسلام بل هو الإيمان وإنما الإسلام الدين كما فسره النبي ﷺ بأن يسلم وجهه[*1] لله ، فإخلاص الدين لله الإسلام ، وهذا غير التصديق ذاك من جنس عمل القلب وهذا من جنس عمل[*2] القلب ، وأحمد ابن حنبل وإن كان قد قال في هذا الموضع : إن الإسلام هو الكلمة ، فقد قال في موضع[*3] : إن الأعمال من الإسلام وهو اتبع هنا الزهري رحمه الله ، فإن كان مراد من قال ذلك إنه بالكلمة يدخل في الإسلام و لم يأت بتمام الإسلام فهذا قريب ، وإن كان مراده أنه أتى بجميع الإسلام فهذا غلط قطعاً ، بل قد أنكر أحمد هذا الجواب :[*4] قول من قال يطلق عليه الإسلام وإن لم يعمل متابعة لحديث جبريل ، فكان ينبغي أن يذكر قول أحمد جميعه ، قال إسماعيل بن سعيد : سألت أحمد عمّن قال في الذي قال جبريل للنبي ﷺ إذ سأله عن الإسلام ، قال[*5] فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ، فقال : نعم . فقال قائل ، وإن لم يفعلوا[*6] الذي قال جبريل للنبي ﷺ فهو مسلم أيضاً فقال : هذا معاند للحديث فقد جعل أحمد من جعله مسلماً إذا لم يأت بالخمس معانداً للحديث من قوله : إن الإسلام الإقرار ، فدل ذلك على أن ذاك أول الدخول في الإسلام وأنه لا يكون قائماً بالإسلام الواجب حتى يأتي بالخمس ، وإطلاق الاسم مشروط بها ، فإنه ذم لمن يتبع حديث جبريل ، أيضاً فهو في أكثر أجوبته يكفر من لم يأت بالصلاة بل وبغيرها من المباني ، والكافر لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين ، فعلم أنه لم يرد أن الإسلام هو مجرد القول بلا عمل ، وإن قدر أنه أراد ذلك فهذا يكون أنه لا يكفر بترك شيء من المباني الأربعة وأكثر الروايات عنه بخلاف ذلك ، والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني يجعلونها من الإسلام كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم فكيف لا يجعلها أحمد من الإسلام وقوله في دخولها في الإسلام أقوى من قول غيره ، وقد روي عنه أنه جعل حديث سعيد معارضاً لحديث عمر ، ورجح حديث سعيد[*7] قال الحسن بن علي :

(*1) (وقلبه) زيادة في الهندية .

(*2) (عمل) في الأصل ، (علم) في الهندية .

(*3) (آخر) زيادة في الهندية .

(*4) (وهو) زيادة في الهندية .

(*5) (قال) زيادة في الهندية .

(*6) (يفعلوا) في الأصل ، (يفعل) في الهندية .

(*7) (سعيد) في الأصل ، (سعد) في الهندية .

سألت أحمد بن حنبل عن الإيمان أوكد أو الإسلام ، قال جاء حديث عمر هذا وحديث سعد أحب إلي كأنه فهم أن حديث عمر يدل على أن الأعمال هي مسمى الإسلام فيكون مسمّاه أفضل ، وحديث سعد يدل على أن مسمّى الإيمان أفضل ولكن حديث عمر لم يذكر الإسلام إلا بالأعمال الظاهرة فقط وهذا لا يكون إيماناً إلاّ مع الإيمان الذي في القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله فيكون حينئذ بعض الإيمان ، فيكون مسمى الإيمان أفضل كما دل عليه حديث سعد . فلا منافاة بين الحديثين . وأما تفريق أحمد بين الإسلام والإيمان ، فكان يقول به[١*] تارة ، وتارة يحكي الخلاف ولا يجزم به ، وكان إذا فرق بينهما تارة يقول : الإسلام الكلمة ، وتارة لا يقول ذلك وكذلك التكفير بترك المباني كان تارة يكفر بها حتى يغضب وتارة لا يكفر بها . قال الميموني : قلت : ياأبا عبد الله تفرق بين الإسلام والإيمان ؟ قال نعم ، قلت بأي شيء تحتج ؟ قال عامة الأحاديث تدل على هذا ثم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »[١] وقال الله تعالى : ﴿ **قالتِ الأعرابُ آمنّا ، قُلْ لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أَسْلَمْنا** ﴾[٢] قال : حماد بن زيد يفرّق بين الإسلام والإيمان ، قال وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قال : قال مالك وشريك ، وذكر قولهم وقول حماد بن زيد فرق بين الإسلام والإيمان . قال أحمد : قال لي رجل لو لم يجئنا في الإيمان إلا هذا لكان حسناً ، قلت ياأبا عبد الله فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم ، قلت فإذا كانت المرجئة يقولون : إن الإسلام هو القول ، قال : هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل ومستكمل الإيمان : قلت فمن ها هنا حجتنا عليهم قال : نعم ، فقد ذكر عنه الفرق مطلقاً ، واحتجاجه بالنصوص ، وقال صالح بن أحمد : سئل أَبّي عن الإسلام والإيمان ، قال : قال ابن أبي ذئب : الإسلام القول والإيمان العمل قيل له ما تقول أنت قال : الإسلام غير الإيمان وذكر حديث سعد وقول النبي ﷺ ، فهو في هذا الحديث لم يختر قول من قال : الإسلام القول ، بل أجاب بأن الإسلام غير الإيمان كما دل عليه الحديث الصحيح مع القرآن . وقال حنبل حدثنا أبو عبد الله بحديث بريدة كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا

---

(١) حديث صحيح تقدم ذكره مراراً .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(١*) (به) غير موجودة في الهندية .

إلى المقابر أن قائلهم يقول : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون »[1] الحديث قال : وسمعت أبا عبد الله يقول في هذا الحديث : حجة على من قال : الإيمان قول ، فمن قال أنا مؤمن قوله من المؤمنين والمسلمين ، فبين المؤمن من المسلم ورد على من قال : أنا مؤمن مستكمل الإيمان وقوله : « وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون »[2] وهو يعلم أنه ميت يشد قول من قال أن مؤمن إن شاء الله الاستثناء في هذا الموضع . وقال أبو الحارث : سألت أبا عبد الله قلت : قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[3] قال : قد تأوّلوه ، فأما عطاء فقال : يتنحى عنه الإيمان ، وقال طاووس : إذا فعل ذلك زال عنه الإيمان . وروى عن الحسن قال : إن رجع راجعه الإيمان ، وقد قيل : يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام . وروى هذه المسألة صالح ، فإن مسائل أبي الحارث يرويها صالح أيضاً ، وصالح سأل أباه عن هذه القصة فقال فيها : هكذا يروى عن أبي جعفر قال : « لا يزني الزاني حني يزني وهو مؤمن »[4] قال يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، والإيمان مقصور في الإسلام ، فإذا زنا خرج من الإيمان إلى الإسلام قال الزهري : يعني لما روى حديث سعد (أو مسلم)[5] فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل ، قال أحمد : وهو حديث متأول والله أعلم . فقد ذكر أقوال التابعين فيه[1*] ولم يرجح شيئاً ، وذلك والله أعلم لأن جميع ما قالوه حق ، وهو موافق على ذلك كله ، كما قد ذكر في موضع آخر : أنه يخرج من الإيمان ، إلى الإسلام ، ونحو ذلك . وأحمد وأمثاله من السلف لا يريدون بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره ، بل التأويل عندهم مثل التفسير وبيان ما يؤول إليه اللفظ ، كقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهّم وبحمدك »[6] يتأول

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .
(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور ٦٧١/٢ عن بريدة .
(٣) حديث صحيح تقدم مراراً وخرج .
(٤) حديث صحيح تقدم مراراً .
(٥) حديث صحيح تقدم كثيراً .
(٦) متفق عليه ، أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ عن عائشة ، البخاري في كتاب الأذان باب الدعاء في الركوع ٢٨١/٢ عن عائشة ، فتح الباري .

(١*) (فيه) غير موجودة في الهندية .

القرآن ، وإلا فما ذكره التابعون لا يخالف ظاهر الحديث بل يوافقه ، وقول أحمد : يتأوله : أي يفسر معناه ، وإن كان ذلك يوافق ظاهره ، لئلا يظن مبتدع أن معناه أنه صار كافراً لا إيمان معه بحال ، كما يقول[*1] الخوارج ، فإن الحديث لا يدل على هذا والذي نفى عن هؤلاء الإيمان ، كان يجعلهم مسلمين لا يجعلهم مؤمنين ، قال المروزي : قيل لأبي عبد الله : نقول نحن المؤمنون ، فقال[*2] : نحن المسلمون ، قلت لأبي عبد الله : نقول إنا مؤمنون ، قال ولكن نقول إنا مسلمون ، وهذا لأن من أصله الاستثناء في الإيمان لأنه لا يعلم ، أنه مؤدٍّ لجميع ما أمره الله به فهو مثل قوله : أنا برٌّ ، أنا تقي ، أنا ولِيّ الله ، كما يذكر في موضعه ، وهو[*3] لا يمنع ترك الاستثناء إذا أراد أني مصدق ، فإنه يجزم بما في قلبه من التصديق ، ولا يجزم بأنه متمثل لكل ما أمر به ، وكما يجزم بأنه يحب الله ورسوله ، وأنه يبغض الكفر ونحو ذلك مما يعلم أنه في قلبه ، وكذلك إذا أراد بأنه مؤمن في الظاهر ، فلا يمنع أن يجزم بما هو معلوم له ، وإنما يكره ما كرهه سائر العالية من قول المرجئة أو يقولون : الإيمان متماثل في جميع أهله ، مثل كون كل إنسان له رأس ، فيقول أحدهم : أنا مؤمن حقًّا ، وأنا مؤمن عند الله ، ونحو ذلك . كما يقول الإنسان : لي رأس حقًّا ، وأنا لي رأس في علم الله حقًّا ، فمن جزم به على هذا الوجه فقد أخرج الأعمال الباطنة والظاهرة عنه ، وهذا منكر من القول وزور عند الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من سائر المسلمين . وللناس في مسألة الاستثناء كلام يذكر في موضعه ، والمقصود هنا : أن هنا قولين متطرفين : قول من يقال الإسلام مجرد الكلمة والأعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمّى الإسلام[*4] وقول من يقول : مسمى الإسلام والإيمان واحد وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبريل وسائر أحاديث النبي ﷺ ، ولهذا لما نصر محمد بن نصر المروزي القول الثاني لم يكن معه[*5] حجة على صحته ولكن احتج بما يبطل به القول الأول فاحتج بقوله في قصته الأعراب : ﴿ **بل الله يمنّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[1] . قال : فدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان ، فيقال بل يدل على نقيض ذلك ، لأن القوم لم يقولوا أسلمنا بل

---

(1) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(*1) (يقول) في الأصل ، (تقوله) في الهندية .

(*2) (نقول) زيادة في الهندية .

(*3) (وهو) في الأصل ، (وهذا) في الهندية .

(*4) (الإسلام) في الأصل ، (الاسم) في الهندية .

(*5) (معه) في الأصل ، (منه) في الهندية .

قالوا آمنّا ، والله أمرهم أن يقولوا أسلمنا ثم ذكر تسميتهم الإسلام فقال : ﴿ **بَلِ اللهُ يمُنّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[1] في قولكم آمنّا ، ولو كان الإسلام هو الإيمان لم يحتج أن يقول ﴿ **إن كنتُمْ صادقين** ﴾[2] فإنهم صادقون في قولهم أسلمنا مع أن لم يقولوا ، ولكن الله قال : ﴿ **يمنّون عليك أنْ أسلموا قُلْ لا تمنّوا عليّ إسلامَكم بل الله يَمُنّ عليكم** ﴾[3] أي يمُنّون عليك ما فعلوه من الإسلام ، فالله تعالى سمّى فعلهم إسلاماً ، وليس في ذلك ما يدل على أنهم سمّوه إسلاماً ، وإنما قالوا آمنّا ، ثم أخذ أن المنّة تقع بالهداية إلى الإيمان ، فأما الإسلام الذي لا إيمان معه ، فكان الناس يفعلونه خوفاً من السيف فلا منة[*1] لهم يفعله ، وإذا لم يمنّ الله عليهم بالإيمان ، كان ذلك كإسلام المنافقين ، فلا يقبله الله منهم فأما إذا كانوا صادقين في قولهم آمنّا فالله هو المانّ عليهم بهذا الإيمان ، وما دخل فيه من الإسلام وهو سبحانه نفى عنهم الإيمان ، أولاً وهنا علّق منّة الله به على صدقهم ، فدلّ على جواز صدقهم وقد قيل إنهم صاروا صادقين بعد ذلك ، ويقال المعلق بشرط لا يستلزم وجود ذلك الشرط ويقال لأنه كان معهم إيمان ما ، لكن ما هو الإيمان الذي وصفه ثانياً بل معهم شُعبة من الإيمان ، قال محمد بن نصر وقال الله تعالى : ﴿ **وما أُمروا إلا ليعبدوا اللهَ مُخلصين له الدّين** ﴾[4] الآية وقال : ﴿ **إنّ الدين عند الله الإسلام** ﴾[5] فسمّى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ديناً قيّما ، وسمّى الدين إسلاماً ، فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيّم الذي أخبر الله عنه أنه عنده الدين وهو الإسلام بعضاً[*2] فقد جاء معيّناً هذه الطائفة التي فرّقت بين الإسلام والإيمان : على أن الإيمان قول وعمل وأن الصلاة والزكاة من الإيمان وقد سمّاها الله ديناً وأخبر أن الدين عنده الإسلام ، فقد سمّى الله الإسلام بما سمّى به الإيمان وسمّى الإيمان بما سمى به الإسلام وبمثل ذلك جاءت الأخبار عن النبي ﷺ فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنّة لا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل . فيقال أما قوله : « إن الله جعل

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .
(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .
(٤) سورة البيّنة ، الآية ٥ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٩ .

(١*) (منه) في الأصل ، (سنة) في الهندية .
(٢*) (قال) زيادة في الهندية .

الصلاة والزكاة من الدين والدين عنده هو الإسلام ، فهذا كلام حسن[*1] . وأما قوله : إن الله سمّى الإيمان بما سمى به الإسلام وسمّى الإسلام بما سمّى به الإيمان ، فليس كذلك فإن الله تعالى[*2] إنما قال : ﴿ **إن الدّين عند الله الإسلام** ﴾ ولم يقل قط إن الدين عند الله الإيمان ، ولكن هذا الدين من الإيمان وليس إذا كان منه يكون هو إيّاه ، فإن[*3] الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه . وقوله : والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له لا يكون مؤمناً إلا بهما ، وأما الإسلام فهو عمل محض مع قول ، والعلم والتصديق ليس هو جزء مسمّاه ، لكن يلزمه جنس التصديق ، فلا يكون عمل إلا بعلم ، لكن لا يستلزم الإيمان المفصل الذي بيّنه الله ورسوله كما قال تعالى : ﴿ **إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابُوا وجاهَدوا بأمْوالِهم وأنفُسِهم في سبيلِ اللهِ أولئك هُمُ الصّادقون** ﴾[1] . وقوله : ﴿ **إنّما المؤمنون الذين إذا ذُكِر اللهُ وَجِلَت قلوبُهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكلون** ﴾[2] وسائر النصوص التي تنفي الإيمان عمّن لم يتصرف بما ذكره ، فإن كثيراً من المسلمين مسلم باطناً وظاهراً ومعه تصديق مجمل ولم يتصّف بهذا الإيمان والله تعالى قال : ﴿ **ومن يبْتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه** ﴾[3] وقال : ﴿ **ورضِيتُ لكمُ الإسلامَ ديناً** ﴾[4] لم يقل ومن يبتغِ غير الإسلام علماً ومعرفةً وتصديقاً وإيماناً ، وإلا قال : ورضيتُ لكم الإسلام تصديقاً وعلماً ، فإن الإسلام من جنس الدين ، والعمل والطاعة والانقياد والخضوع ، فمن ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه . والإيمان طمأنينة ويقين ، أصله علم وتصديق ومعرفة والدين تابع له . يقال : آمنتُ بالله ، وأسلمت لله قال موسى : ﴿ **ياقوم إن كنتم آمنتُم بالله فعليه توكّلوا إن كنتُمْ مُسْلِمين** ﴾[5] فلو كان مسمّاهم واحداً كان هذا تكريراً وكذلك قوله : ﴿ **إن المُسلمينَ والمُسلماتِ والمُؤمنين والمُؤمناتِ** ﴾[6] كما قال : ﴿ **والصادقين والصابرين والخاشعين** ﴾ . والمؤمن متصف بهذا كله لكن هذه الأسماء لا تطابق الإيمان في العموم والخصوص وكان النبي ﷺ يقول : « اللهم

---

(1) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .
(2) سورة الأنفال ، الآية ٢ .
(3) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .
(4) سورة المائدة ، الآية ٣ .
(5) سورة يونس ، الآية ٧٤ .
(6) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .

(*1) (موافق لحديث جبريل وردّه على من جعل العمل خارجاً عن الإسلام كلام حسن) زيادة في الهندية .
(*2) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(*3) (فإن) غير موجودة في الهندية .

لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت »[1] كما ثبت في الصحيحين أنه كان يقول ذلك إذا قام من الليل ، وثبت في صحيح مسلم وغيره أنه كان يقول في سجوده : « اللّهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت »[2] . وفي الركوع يقول : « اللّهم[*1] لك ركعت ، ولك أسلمت ، وبك آمنت »[3] ولما بيّن النبي ﷺ خاصة كل منهما قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »[4] ، ومعلوم أن السلامة من ظلم الإنسان غير كونه مأموناً على الدم والمال ، فإن هذا أعلى ، والمأمون يسلم الناس من ظلمه ، وليس كل[*2] من سلموا من ظلمه يكون مأموناً عندهم . قال محمد بن نصر : فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار ، وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنّة وهذا صحيح ، فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام . قال : ولا فرق بينه وبين المرجئة : إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل ، فيقال بل بينهما فرق ، وذلك أن هؤلاء الذين قالوا من أهل السنّة كالزهري وَمَن واقعه ، يقولون الأعمال داخلة في الإيمان ، والإسلام عندهم جزء من الإيمان والإيمان عندهم أكمل ، وهذا موافق للكتاب والسنة ، ويقولون : الناس يتفاضلون في الإيمان ، وهذا موافق للكتاب والسنة ، والمرجئة تقول : الإيمان بعض الإسلام والإسلام أفضل ، ويقولون : إيمان الناس متساوٍ فإيمان الصحابة وأفجر الناس سواء ، ويقولون : لا يكون مع أحد بعض الإيمان دون بعض ، وهذا مخالف للكتاب والسنة ، وقد أجاب أحمد عن هذا السؤال ، كما قال في إحدى روايتيه ، إن الإسلام هو الكلمة كما قال الزهري : فإنه تارة يوافق من قال ذلك ، وتارة لا يوافقه ، بل يذكر ما يدل عليه الكتاب والسنّة من أن الإسلام غير الإيمان ، فلما أجاب بقول الزهري ، قال له الميموني : قلت ياأبا عبد الله تفرّق بين الإسلام والإيمان قال نعم ، قلت بأي شيء تحتج قال : عامة الأحاديث تدل على هذا ثم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ٥٣٢/١ ، عن ابن عباس .
(٢) حديث صحيح رواه الترمذي في كتاب الدعوات ١٨٥/٥ ، عن عليّ بن أبي طالب .
(٣) حديث صحيح رواه الترمذي في كتاب الدعوات ١٨٥/٥ ، عن عليّ بن أبي طالب .
(٤) حديث صحيح وتقدم تخريجه .

(*١) (اللهم) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (كل) غير موجودة في الهندية .

يسرق[*1] حين يسرق وهو مؤمن »[1] وقال الله[*2] تعالى : ﴿ **قالت الأعرابُ آمنّا ، قُلْ لم تُؤمنوا ، ولكنْ قُولوا أسْلمْنا** ﴾[2] قلت له : فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم ، قلت فإذا كانت المرجئة تقول : إن الإسلام هو القول ، قال : هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً مؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل ، ومستكمل الإيمان ، قلت : فمن هاهنا حجتنا عليهم قال : نعم ، فقد أجاب أحمد بأنهم يجعلون الفاسق مؤمناً مستكمل الإيمان على إيمان جبريل . وأما قوله : يجعلونه مسلماً مؤمناً شيئاً واحداً فهذا قول من يقول الدّين والإيمان[*3] واحد . فالإسلام هو الدين فيجعلون الإسلام والإيمان[*4] واحداً ، وهذ االقول قول المرجئة فيما يذكره كثير من الأئمة كالشافعي وأبي عبيد وغيرهما ، ومع هؤلاء يناظرون ، فالمعروف من كلام المرجئة الفرق بين لفظ الدين والإيمان والفرق بين الإسلام والإيمان ، ويقولون : الإسلام بعضه إيمان وبعضه أعمال ، والأعمال منها فرض ونفل ولكن كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل إليهم من كلام أهل البدع كما تجدهم في الجهمية ، وإنما يحكون عنهم أن الله تعالى[*5] في كل مكان وهذا قول طائفة منهم كالنجارية ، وهو قول عوامهم وعبادهم وأما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضلالية وغيرهم فإنما يقولون هو لا داخل العالم ولا هو فوق العالم كذلك كلامهم في القدرية يحكون عنهم إنكار العلم والكتاب وهؤلاء هم القدرية الذين قال ابن عمر[*6] : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني ، وهم الذين كانوا يقولون إن الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممّن يعصيه ، ولا[*7] يدخل الجنّة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك ، فعلمه بعد أن[*8] فعلوه، ولهذا قالوا الأمر أنف : أي مستأنف ، يقال روض آنف إذا كانت وافرة لم ترع قبل ذلك ، يعني أنه مستأنف العمل ، السعيد والشقي ، ويبتدأ ذلك ، من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب ، فلا يكون العمل على ما قد قدر ، فيحتذى به حذو القدر بل هو أمر مستأنف مبتدأ ، والواحد من الناس إذا أراد أن يعمل عملاً ، قدر

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم مراراً .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

(*١) (السارق) زيادة في الهندية .

(*٢) كلمة (الله) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (شيئ) زيادة في الهندية .

(*٤) (شيئاً) زيادة في الهندية .

(*٥) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

(*٦) (فيهم) زيادة في الهندية .

(*٧) (من) زيادة في الهندية .

(*٨) (أن) في الأصل ، (ما) في الهندية .

في نفسه ما يريد عمله ثم علمه(*١) كما قدر في نفسه(*٢)، وربما أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمّى هذا التقدير الذي عمى النفس خلقاً ومنه قول الشاعر :(١)

ولأَنتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْـ ضُ النَّاسِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرِي

يقول : إذا قدرت أمراً أمضيت ، وأنفذته بخلاف غيرك ، فإنه عاجز عن إمضاء ما يقدره الربّ تعالى(*٣) قال تعالى : ﴿ **إنّا كلَّ شيءٍ خلقْناهُ بِقَدَر** ﴾(٢) وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته ، فهو يعلمه ويريده ، وعلمه وإرادته قائم بنفسه ، وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله : ﴿ **لأملأنَّ جهنَّمَ منكَ ومَنْ تَبِعكَ مِنْهُم أجْمعين** ﴾(٣) وقال : ﴿ **وَلَوْلاَ كلمة سبقتْ من ربّك لكان لِزاماً وأجل مسمى** ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ **ولقد سبقت كلمتُنا لعبادِنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لَهُمُ الغالِبُون** ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضى بينهم** ﴾(٦) وهو سبحانه كتب ما يقدره فيما يكتبه فيه . كما قال : ﴿ **ألَمْ تعلم أنّ الله يعلم ما في السماء والأرض ، إن ذلك في كتاب ، إن ذلك على الله يسير** ﴾(٧) قال ابن عباس : إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ، ثم قال لعلمه كن كتاباً ، فكان كتاباً ، ثم أنزل تصديق ذلك ، في قوله تعالى : ﴿ **ألم تعلمْ أنّ الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾(٨) وقال تعالى : ﴿ **مَا أصَابَ من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأَهَا إن ذلك على يسير** ﴾(٩) وقال : ﴿ **وَلَقَدْ كتبْنَا في الزّبور من بَعْدِ الذِّكرِ أنّ الأرضَ يرثُها عِبَادِيَ الصالحون** ﴾(١٠) وقال تعالى : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب** ﴾(١١) وقال للملائكة : ﴿ **إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا**

(١) القائل : لم أقف على القائل ولا على بيت الشعر في كتب الأدب المشهورة .
(٢) سورة القمر ، الآية ٤٩ .
(٣) سورة ص ، الآية ٨٥ .
(٤) سورة طه ، الآية ١٢٩ .
(٥) سورة الصّافّات ، الآيات من ١٧١ ـ ١٧٣ .
(٦) سورة هود ، الآية ١١٠ .
(٧) سورة الحج ، الآية ٧٠ .
(٨) سورة الحج ، الآية ٧٠ .
(٩) سورة الحديد ، الآية ٢٢ .
(١٠) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥ .
(١١) سورة الرعد ، الآية ٣٩ .

(*١) (علمه) في الأصل ، (عمله) في الهندية .
(*٢) (ما يريد عمله ثم عمله كما قدر في نفسه) زيادة في الهندية .
(*٣) عبارة (الرب تعالى) غير موجودة في الهندية .

أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾[1] فالملائكة قد علمت ما يفعل بنو آدم من الفساد وسفك الدماء ، فيكف لا يعلمه الله سواء علموا بإعلام الله فيكون هو أعلم بما علّمهم إياه ، كما قال أكثر المفسرين ، أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم كما قال طائفة منهم أو بغير ذلك فالله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذين لا علم لهم إلا ما علّمهم ، وما أوحاه إلى أنبيائه وغيرهم مما سيكون[*1] هو أعلم به منهم ، فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وأيضاً فإنه قال للملائكة : ﴿ **إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة** ﴾[2] ، قبل أن يأمرهم بالسجود لآدم ، وقبل أن يمتنع إبليس ، وقبل أن ينهى آدم عن أكله من الشجرة ، وقبل أن يأكل منها ، ويكون أكله سبب إهباطه إلى الأرض ، فقد علم[*2] سبحانه أنه سيستخلفه مع أمره له ولإبليس بما يعلم أنهما يخالفان فيه ، ويكون الخلاف سبب أمره لهما بالإهباط والاستخلاف في الأرض ، وهذا يبين أنه علم ما سيكون منهما من مخالفة الأمر ، فإن إبليس امتنع عن السجود لآدم وأبغضه فصار عدوه فوسوس له حتى يأكل من الشجرة فيذنب آدم أيضاً ، فإنه قد تألى أنه لَيغْوينّهم أجمعين ، وقد سأل الإنظار إلى يوم يبعثون فهو حريص على إغواء آدم وذريته بكل ما أمكنه ، لكن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه واجتباه ربه وهداه بتوبته فصار لبني آدم سبيل إلى نجاتهم وسعادتهم مما يوقعهم الشيطان فيه بالإغواء وهو التوبة ، قال تعالى : ﴿ **ليعذبَ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتُوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان[*3] الله غفوراً رحيماً** ﴾[3] وقدر الله قد أحاط بهذا كله قبل أن يكون ، وإبليس قد أصرّ على الذنب واحتّج بالقدر وسأل الإنظار ليهلك غيره ، وآدم تاب وأناب وقال هو وزوجته : ﴿ **ربّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لَنكوننَّ من الخاسرين** ﴾[4] ، فتاب الله عليه واجتباه وهداه ، وأنزله إلى الأرض ليعمل فيها

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .

(١*) (مما) زيادة في الهندية .

(٢*) (الله) زيادة في الهندية .

(٣*) (وكان الله غفوراً رحيماً) غير موجودة في الهندية .

بطاعته ، فيرفع الله بذلك درجته ويكون دخوله الجنة بعد هذا أكمل مما كان فمن أذنب من أولاد آدم فاقتدى بأبيه آدم في التوبة كان سعيداً ، وإذا تاب وآمن وعمل صالحاً بدّل الله سيئاتِه حسنات وكان بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة كسائر أولياء الله المتّقين . ومن اتبّع منهم إبليس فأصرّ على الذنب واحتجّ بالقدر وأراد أن يغوي غيره كان من الذين قيل فيهم : ﴿ **لأملأنَّ جهنمَ منك ومِمّن تَبِعك منهم أجمعين** ﴾[1] والمقصود هنا ذكر القدر وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو[*1] عن النبي ﷺ أنه قال : « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »[2] وفي صحيح مسلم[*2] عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « كان الله ولم يكن شيءٌ قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيءٍ ثم خلق السموات والأرض »[3] وفي الصحيحين عن النبي ﷺ من غير وجه : أنه أخبر أن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار وما يعمله العباد قبل أن يعملوه . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود : أن الله يبعث ملكاً بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح فيه ، فيكتب أجله ورزقه وعمله وشقيّ أو سعيد . وهذه الأحاديث تأتي إن شاء الله في مواضعها . فهذا القدر هو الذي أنكره القدرية الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة ، وقد روي أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له (سيسويه) من أبناء المجوس ، وتلقاه عنه معبد الجهني ، ويقال أول ما حدث في الحجاز لما خربت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله تعالى ، فقال آخر لم يقدر الله هذا ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر ، فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر ، رده عليهم من بقي

---

(1) سورة ص ، الآية ٨٥ .
(2) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق الباب الأول ٦/٢٨٦ ، عن عمران بن حصين .
(3) رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق الباب الأول ٦/٢٨٦ عن عمران بن حصين .

(*1) (عبد الله بن عمرو) في الأصل ، (عبد الله بن عمر) في الهندية .
(*2) (وفي صحيح مسلم) في الأصل ، (وفي صحيح البخاري) في الهندية .

من الصحابة كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس وواثلة بن الأسفع ، وكان أكثره بالبصرة والشام ، وقليل منه بالحجاز ، فأكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية ، ولهذا قال وكيع بن الجراح : القدرية يقولون : الأمر مستقبل وأن الله لم يقدر الكتابة والأعمال والمرجئة يقولون : القول يجزىء من العمل ، والجهمية يقولون : المعرفة تجزىء من القول والعمل ، قال وكيع وهو كله كفر رواه ابن .... « بياض »[1] ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم ، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم والسعادة[*1] روايتان : وقول أولئك كفَّرهم عليه مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالّون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك . وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم . وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من[*2] داعية إليه لم يخرجوا إليه[*3] وهذا مذهب فقهاء[*4] الحديث كأحمد وغيره ، أن من كان داعية إلى بدعة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس ، وإن كان في الباطن مجتهداً وأقلّ عقوبته أن يهجر فلا يكون لهم مرتبة في الدين ، لا يؤخذ عنه العلم ولا يستقصى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ، فمذهب مالك قريب من هذا ، ولهذا لم يخرج أهل الصحيح لمن كان داعية . ولكن رووا هم وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن رأي القدرية والمرجئة والخوارج والشيعة ، وقال أحمد لو تركنا الرواية عن القدرية من المعتزلة وغيرهم أخطأوا فيها ، فقد أخطأ فيها كثير ممن رد عليهم أو أكثرهم ، فإنهم سلكوا في الرد عليهم مسلك جهم بن صفوان وأتباعه ، فنفوا حكمة الله في خلقه وأمره ، ونفوا رحمته بعباده ، ونفوا ما جعله من الأسباب خلقاً

---

(١) بياض في الأصل .

(*١) (والسعادة) غير موجودة في الهندية .
(*٢) (كان) زيادة في الهندية .
(*٣) (إليه) في الأصل ، (له) في الهندية .
(*٤) (أهل) زيادة في الهندية .

رحمك وعفا(*1) عنك عن الإيمان ما هو ، يزيد وينقص ، وقول هو أو قول وعمل ، أو تصديق وعمل ، فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم ، أعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال : أشهد أن الله عزّ وجلّ واحد وأن ما جاءت به الرسل حق وأقر بجميع الشرائع ثم قال ما عقد قلبي على شيء من هذا ، ولا أصدق به ، إنه ليس بمسلم ، ولو قال المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام ، ثم قال : لم يعقد قلبي على شيء من ذلك ، إنه كافر بإظهار(*2) وليس هو بمؤمن ، فلما لم يكن بالإقرار ، إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ، ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه ، فإذا كان تصديقاً بالقلب وإقراراً باللسان كان عندهم مؤمناً وعند بعضهم لا يكون(*3) حتى يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً ، فلما نفوا أن يكون الإيمان بشيء واحد ، وقالوا : يكون بشيئين في قول بعضهم وبثلاثة أشياء في قول غيرهم لم يكن مؤمناً إلا بما أجمعوا عليه من هذه الثلاثة الأشياء ، ذلك أنه إذا جاء بهذه الثلاثة الأشياء فكلهم يشهد أنه مؤمن ، فقلنا بما أجمعوا عليه من التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح ، فأما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم ما أراد الله من العباد إذ قال لهم : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، والإقرار بذلك أو الإقرار والعمل ، فإن قالت : إن الله أراد الإقرار و لم يرد العمل فقد كفرت وعند أهل العلم من قال إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة ، وإن قالت أراد منهم الإقرار والعمل ، قيل فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً ، لِمَ زعمتم أن يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر ، وقد أرادهما جميعاً ، أرأيتم لو أن رجلاً قال : أعمل جميع ما أمر الله به ولا أقرّ به أيكون مؤمناً فإن قالوا لا قيل لهم ، فإن قال أقرّ بجميع ما أمر الله به ولا أعمل به أيكون(*4) مؤمناً فإن قالوا نعم قيل ما الفرق . فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعاً فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك

(*1) (عنا) زيادة في الهندية .

(*2) (ذلك) زيادة في الهندية .

(*3) (مؤمناً) زيادة في الهندية .

(*4) (أيكون) في الأصل ، (يكون) في الهندية .

الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل[*1] ولم يقر مؤمناً لا فرق بين ذلك، فإن احتج فقال لو أن رجلاً أسلم فأقرّ بجميع ما جاء به الرسول[*2] ﷺ أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمل قيل له: إنما يطلق له الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمله في وقته إذا جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع مايكون[*3] مؤمناً، ولو قال أقر ولا أعمل لم يطلق[*4] له اسم الإيمان. قلت يعني الإمام أبو ثور رحمة الله عليه[*5] أنه لا يكون مؤمناً إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار وإلا فلو أقرّ ولم يلتزم العمل لم يكن مؤمناً. وهذا الاحتجاج الذي ذكره أبو ثور دليل[*6] وجوب للأمرين: الإقرار والعمل، وهو يدل على أن كلاًّ منهما من الدين وأنه لا يكون مطيعاً لله، ولا مستحقًّا للثواب ولا ممدوحاً عند الله ورسوله إلاّ بالأمرين[*7] وهو حجة على من يجعل الأعمال خارجة عن الدين والإيمان جميعاً، وأما من يقول إنها من الدين، ويقول: إن الفاسق مؤمن حيث أخذ ببعض الدين وهو الإيمان عندهم وترك بعضه فهذا يحتج عليه بشيء آخر، لكن أبو ثور وغيره من علماء السنة عامة احتجاجهم مع هذا الصنف، وأحمد كان أوسع علماً بالأقوال والحجج من أبي ثور، ولهذا إنما حكى الإجماع على خلاف قول الكرامية ثم إنه نُوزع في النطق على عادته، ولم يجزم بنفي الخلاف، لكن قال: لا أحسب أحداً يقول هذا، وهذا في رسالته إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني ذكرها الخلاّل في كتاب السنّة وهو أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد في مسائل الأصول الدينية، وإن كان له أقوال زائدة على ما فيه، كما أن كتابه في العلم أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد في الأصول الفقهية. قال المروزي: رأيت أبا عبد الرحيم الجوزجاني عند أبي عبد الله وقد كان ذكره أبو عبد الله فقال: كان أبوه مرجئاً أو قال صاحب رأي، وأما عبد الرحيم فأثنى عليه وقد كان كتب إلى أبي عبد الله من خراسان، يسأله عن الإيمان، وذكر الرسالة من طريقين عن أبي عبد الرحيم وجواب أحمد:

(*1) (به) زيادة في الهندية.

(*2) (الرسول) في الأصل، (النبي) في الهندية.

(*3) (به) زيادة في الهندية.

(*4) (له) في الأصل، (عليه) في الهندية.

(*5) (عليه) غير موجودة في الهندية.

(*6) (على) زيادة في الهندية.

(*7) (جميعاً) زيادة في الهندية.

بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله إلينا وإليك في الأمور كلها ، وسلّمنا وإياك من كل سوء برحمته ، أتاني كتابك تذكر فيه ، ما تذكر من احتجاج من احتج من المرجئة ، واعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليس من طريق أهل السنّة ، وأن تأويل من تأوّل القرآن بلا سنّة تدل على معنى ما أراد الله منه أو أثر عن أصحاب رسول الله ﷺ ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ أو عن أصحابه منهم شاهدوا النبي ﷺ وشهدوا تنزيله ، وما قصّه الله له في القرآن ، وما عني به وما أراد به أخاصٌّ هو أو عامٌّ ، فأمّا من تأوّله على ظاهره ، بلا دلالة من رسول الله ﷺ ولا أحدٍ من أصحابه فهذا تأويل أهل البدع ، لأن الآية قد تكون خاصة ويكون حكمها حكماً عامًّا ، ويكون ظاهرها على العموم ، وإنما قصدت لشيءٍ بعينه ، ورسول الله ﷺ هو المعبّر عن كتاب الله ، وما أراد وأصحابه أعلم بذلك منّا ، لمشاهدتهم الأمر ، وما أريد بذلك ، فقد تكون الآية خاصة أي معناها مثل قوله[*1] : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مِثلُ حظِّ الأنثيين** ﴾[1] ، وظاهرها على العموم ، أي من وقع عليه اسم ولد فله ما فرض الله ، فجاءت سنّة رسول الله ﷺ : أن لا يرث مسلم كافراً ، وروي عن النبي ﷺ وليس بالتثبت إلا أنه عن أصحابه أنهم لم يورثوا قاتلاً ، فكان رسول الله ﷺ هو المعبّر عن الكتاب ، إن الآية إنما قصدت للمسلم لا الكافر ، ومن حملها على ظاهرها لزمه أن يورث من وقع عليه اسم الولد كافراً كان أو قاتلاً ، وكذلك أحكام المواريث[*2] من الأبوين وغير ذلك من آيٍ كثير يطول به الكتاب ، وإنما استعملت الأمّة السنّة من النبي ﷺ ومن أصحابه إلا مَن دفع ذلك من أهل البدع والخوارج وما يشبههم

---

(١) سورة النساء ، الآية ١١ .

(*١) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*٢) (المواريث) في الأصل ، (الوارث) في الهندية .

فقد رأت إلى ما خرجوا ، قلت : لفظ المجمل والمطلق العام كان في اصطلاح الأئمة كالشافعي وأحمد وأبي عبيد وإسحاق وغيرهما سواء . لا يريدون بالمجمل ما لا يفهم منه معنى[*١] كما فسّره بعض المتأخرين وأخطأ في ذلك بل المجمل ما لا يكفي وحده في العمل به وإن كان ظاهره حقًّا كما في قوله تعالى : ﴿ **خُذْ من أموالِهم صَدَقَة تُطهرّهم وتزكّيهم بها** ﴾[١] فهذه الآية ظاهرها ومعناها ، ليست مما لا يفهم المراد به ، بل نفس ما دلّت عليه لا يكفي وحده[*٢] فإن المأمور به صدقة تكون مطهِّرة مزكِّية لهم ، وهذا إنما يعرف ببيان الرسول ﷺ ولهذا قال أحمد يحذر المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل والقياس ، وقال : أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس ، يريد بذلك أنه لا يحكم بما يدل عليه العام والمطلق قبل النظر فيما يخصه ويقيده ولا يعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص هل تدفعه فإن أكثر خطأ الناس تمسكهم بما يظنون من دلالة اللفظ والقياس ، فالأمور الظنية لا يعمل بها حتى يبحث عن المعارض بحثاً يطمئنّ القلب إليه وإلا[*٣] أخطأ من لم يفعل ذلك وهذا هو الواقع في المتمسك[*٤] بالظواهر والأقيسة ، ولهذا جعل الاحتجاج بالظواهر مع الإعراض عن تفسير النبي ﷺ وأصحابه طريق أهل البدع وله في ذلك مصنف كبير . وكذلك التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع ، ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء وهؤلاء[*٥] قولاً فاسداً ، وإنما الصواب من أقوالهم ما وافقوا فيه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وقوله تعالى : ﴿ **يُوصيكمُ اللهُ في أولادِكُم** ﴾[٢] مسمّاه عامًّا وهو مطلق في الأحوال يعمها على طريق البدل كما يعم قوله : ﴿ **فتحريرُ رَقَبة** ﴾[٣] جميع الرقاب ولا يعمها كما يعم

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١١ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٩٣ .

(*١) (معنى) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (في العمل) زيادة في الهندية .

(*٣) (وإلا) في الأصل ، (وإن) في الهندية .

(*٤) (المتمسك) في الأصل ، (المتمسكين) في الهندية .

(*٥) (وهؤلاء) غير موجودة في الهندية .

المرجئة ، قال لي : ياأبا عمر لوددت أني كنت متّ قبل أن أخرج هذا الكتاب أو أضع هذا الكتاب ، فإن الخطأ في اسم الإيمان ليس كالخطأ في اسم محدث(*1) ولا كالخطأ في غيره من الأسماء إذا كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والكفر والنفاق وأحمد رضي الله عنه فرّق بين المعرفة التي في القلب وبين التصديق الذي في القلب فإن تصديق اللسان هو الإقرار وقد ذكر ثلاثة أشياء وهذا يحتمل شيئين . يحتمل أن يفرق بين تصديق القلب ومعرفته ، وهذا قول ابن كلاب والقلانسي ، والأشعري وأصحابه يفرقون بين معرفة القلب وبين تصديق القلب فإن تصديق القلب قوله ، وقول القلب عندهم ليس هو العلم ، بل نوع آخر ، ولهذا قال أحمد هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار ، وهل يحتاج إلى أن يكون مصدقاً بما عرف(*2) فهو من ثلاثة أشياء ، فإن جحد وقال لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد أتى عظيماً ولا أحب أمراً يدفع المعرفة والتصديق . والذين قالوا : الإيمان هو الإقرار فالإقرار باللّسان يتضمن التصديق باللسان ، والمرجئة لم تختلف أن الإقرار باللسان فيه التصديق ، فعلم أنه أراد تصديق القلب واللسان جميعاً مع المعرفة والإقرار ، ومراده بالإقرار الالتزام لا التصديق كما قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيّين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتُؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾(1) فالميثاق المأخوذ على أنهم يؤمنون به وينصرونه ، وقد أمروا بهذا وليس هذا الإقرار تصديقاً فإن الله(*3) لم يخبرهم بخبر ، بل أوجب عليهم إذا جاء(*4)

---

(1) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

(*1) (محدث) في الأصل ، (المحدث) في الهندية .

(*2) (فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين وأن زعم أنه يحتاج أن يكون مقراً بما عرف فهو) زيادة في الهندية .

(*3) (تعالى) زيادة في الهندية .

(*4) (جاء) في الأصل ، (جاءهم) في الهندية .

ذلك الرسول عن انقياد[*1] الذي يجعل قول القلب أمراً دقيقاً[*2] ، وأكثر العقلاء ينكرونه وبتقدير صحته لا يجب على أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما ، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بينهما وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه ، ويقولون : إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له ، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق وعمدتهم من الحجة إنما هو خبر الكاذب قالوا : ففي قلبه خبر بخلاف عمله فدل على الفرق فقال لهم الناس ذاك تقدير[*3] خبر وعلم ليس هو علماً حقيقياً ولا خبراً حقيقياً ولما أثبتوه من قول القلب المخالف للعلم والإرادة إنما يعود إلى[*4] علوم وإيرادات إلى جنس آخر يخالفها ، ولهذا قالوا : إن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف عمله ، وإنما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه وإما إنه يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه فهذا غير ممكن ، وهذا مما استدلوا به على أن الربّ تعالى لا يتصور قيام الكذب بذاته لأنه بكل شئ عليم ويمتنع قيام معنى يضاد العلم بذات العلم ، والخبر النفساني الكاذب يضادّ العلم ، فيقال لهم : الخبر النفساني لو كان خِلافاً للعلم لجاز وجود العلم مع ضده كما يقولون مثل ذلك في مواضع كثيرة ، وهي من أقوى الحجج التي يحتج بها القاضي أبو بكر وموافقوه في مسألة العقل وغيرها ، كالقاضي أبي يعلي ، وأبي محمد بن اللبان ، وأبي عليّ بن شاذان وأبي الطيب وأبي الوليد الباجي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ، فيقولون العقل نوع من العلم فإنه ليس بضد له ، فإن لم يكن نوعاً منه كان خلافاً له ، ولو كان خلافاً لجاز وجوده مع ضد العقل . وهذه الحجة وإن كانت ضعيفة كما ضعّفه[*5] الجمهور وأبو المعالي الجويني ، فمن ضعفها فأما[*6] ما كان مستلزماً لغيره لم يكن ضداً له ، إذ قد اجتمعا وليس هو من نوعه بل هو خلاف له على هذا الاصطلاح الذي يقسمون فيه كل اثنين إلى أن يكونا مثلين أو خلافين أو ضدين

(*1) (انقياد) في الأصل ، (الانقياد) في الهندية .

(*2) (أمراً دقيقاً) في الأصل ، (أمر دقيق) في الهندية .

(*3) (تقدير) في الأصل ، (بتقدير) في الهندية .

(*4) (تقدير) زيادة في الهندية .

(*5) (ضعفه) في الأصل ، (ضعفها) في الهندية .

(*6) (فأما) في الأصل ، (فإن) في الهندية .

فالملزوم كالإرادة مع العلم ، وكالعلم مع الحياة ، ونحو ذكل ليس ضارًا ولا مثلاً بل هو خلاف ومع هذا فلا يجوز وجود مع ضد اللازم فإن ضد اللازم ينافيه ووجود الملزوم بدون اللازم محال كوجود الإرادة بدون العلم ، والعلم بدون الحياة ، فهذان خلافان عندهم ولا يجوز وجود أحدهما ضد الآخر ، كذلك العلم[*1] مستلزم للعقل فكل عالم عاقل ، والعقل شرط في العلم فليس مثلاً له ولا ضدًّا ولا نوعاً منه ومع هذا لا يجوز وجوده مع ضد العقل ، لكن هذه الحجة تقال لهم في العلم مع كلام النفس الذي هو الخبر فإنه ليس ضدًّا ولا مثلاً بل خلافاً ، فيجوز وجود العلم مع ضد الخبر الصادق وهو الكاذب فبطل تلك الحجة على اقتناع الكذب النفساني في العالم وبسط هذا له موضع آخر . والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقاً مجرداً عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق . ثم احتج الإمام أحمد على أن الأعمال من الإيمان : بحجج كثيرة ، فقال وقد سأل وفد عبد القيس رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وأن تعطوا خُمْساً من المغنم »[1] فجعل ذلك كله من الإيمان ، قال وقال النبي ﷺ : « الحياء شُعبة من الإيمان »[2] وقال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلُقاً »[3] وقال : « إنَّ البذاذة من الإيمان »[4] وقال : « الإيمان بضع وسبعون شُعبة فأدناها إماطة الأذى من الطريق ، وأرفعها قول لا إله إلا الله »[5] مع أشياء كثيرة منها : « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »[7] . وما روي عن النبي ﷺ في صفة المنافق : « ثلاث من كنّ فيه فهو منافق »[7] مع حجج كثيرة ، وما روي عن النبي ﷺ في تارك الصلاة وعن

---

(١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .

(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .

(٣) رواه أحمد وأبو داود وقد تقدم تخريجه .

(٤) حديث حسن أخرجه أبو داود وابن ماجه والطبراني والقضاعي بسند حسن وقد تقدم والبذاذة ترك الرفاهية والتنعم بعكس فعل شباب اليوم .

(٥) متفق عليه وقد تقدم .

(٦) متفق عليه وقد تقدم .

(٧) متفق عليه وقد تقدم .

(*١) (هو) زيادة في الهندية .

أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تبارك وتعالى في كتابه من زيادة الإيمان في غير موضع . مثل قوله : ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمَانِهم** ﴾[1] وقال : ﴿ **ليستيقنَ الذين أُوتوا الكتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيماناً** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتْهُمْ إيماناً** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيِّمة** ﴾[7] ، قال أحمد[*1] أن يقول هو مؤمن بإقراره وإن أقرّ بالزكاة في الجملة ، وإن لم يجد في كل مائتي درهم خمسة أنه مؤمن فيلزمه أن يقول إذا أقر ثم شدّ الزنار في وسطه وصلّى للصليب وأتى الكنائس والبيع وعمل الكبائر كلّها إلا أنه في ذلك مقر بالله فيلزمه أن يكون عنده مؤمناً وهذه الأشياء من أشنع ما يلزمهم قلت : هو الذي ذكره[*2] أحمد من أحسن ما احتج به الناس عليهم جمع في ذلك جملاً يقول غيره بعضها وهذا الإلزام لا محيد لهم عنه ولهذا لما عرف متكلمهم مثل جهم ومن وافقه أنه لازم التزموه وقالوا لو فعل من الأفعال الظاهرة لم يكن بذلك كافراً في الباطن لكن يكون دليلاً على الكفر في أحكام الدنيا فإذا احتج عليهم بنصوص يقتضي أنه يكون كافراً في الآخرة قالوا فهذه النصوص

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٤ .

(٢) سورة المدثر ، الآية ٣١ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٢ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ١٢٤ .

(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٥ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ١١ .

(٧) سورة البيّنة ، الآية ٥ .

(*١) (ويلزمه أن يقول) زيادة في الهندية .

(*٢) (الإمام) زيادة في الهندية .

تدل على أنه في الباطن ليس معه من معرفة الله شيء فإنها عندهم شيء واحد فخالفوا صريح العقل وصريح الشرع ، وهذا القول مع فساده عقلاً وشرعاً ، ومع كونه عند التحقيق لا يثبت إيماناً فإنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا حقيقة له . كما قالت الجهمية ومن وافقهم مثل ذلك في وحدة الرب(*١) وغيره من الصفات(*٢) . فقولهم في الربّ وصفاته وكلامه والإيمان به يرجع إلى تعطيل محض ، وهذا قد وقع فيه طوائف كثيرة من المتأخرين المنتسبين إلى السنّة والحديث والفقه المتّبعين للأئمة الأربعة المتعصبين للجهمية والمعتزلة بل وللمرجئة أيضاً ، لكن لعدم معرفتهم بالحقائق التي نشأت منها البدع يجمعون بين الضدّين ، ولكن من رحمة الله بعباده المسلمين أن الأئمة الذين لهم(*٣) لسان صدق كالأئمة(*٤) الأربعة وغيرهم كمالك والثوري والأوزاعي والليث ابن سعد ، وكالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وفي(*٥) صفات الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الإيمان لابدّ فيه من تصديق القلب واللسان فلو شتم الله ورسوله كان كافراً باطناً وظاهراً عندهم كلهم ، ومن كان موافقاً لقول جهم في الإيمان بسبب انتصار أبي الحسن لقوله في الإيمان يبقى تارة يقول بقول السلف والأئمة ، وتارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم حتى في مسألة سبّ الله ورسوله ، رأيت طائفة من الحنبليين والشافعيين والمالكيين إذا تكلموا بكلام الأئمة قالوا : إن هذا كفر باطناً وظاهراً ، وإذا تكلموا بكلام أولئك قالوا هذا كفر في الظاهر ، وهو في الباطن يجوز أن يكون مؤمناً تام الإيمان ، فإن الإيمان عندهم لا يتبعض ولهذا لما عرف القاضي عياض هذا من قول بعض أصحابه أنكره ونصر قول مالك وأهل السنة وأحسن في ذلك ، وقد ذكرت بعض ما يتعلق بهذا في كتاب

(*١) (وغيره من الصفات) في الأصل ، (أنه ذات بلا صفات) في الهندية .

(*٢) (وقالوا بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وما يقوله من وحدة الكلام وغيره من الصفات) زيادة في الهندية .

(*٣) (في الأمة) زيادة في الهندية .

(*٤) (كالأئمة) في الأصل ، (مثل الأئمة) في الهندية .

(*٥) (وفي) غير موجودة في الهندية .

« الصارم المسلول على شاتم الرسول »(١) وكذلك تجدهم في مسائل الإيمان يذكرون أقوال الأئمة والسلف ويبحثون بحثاً يناسب قول الجهمية لأن البحث أخذوه من كتب أهل الكلام الذين نصروا قول جهم في مسألة(١*) الإيمان ، والرازي لمّا صنف مناقب الشافعي ذكر قوله في الإيمان ، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين وقد ذكر الشافعي أنه إجماع من الصحابة والتابعين ، ومن لقيه استشكل قول الشافعي جدًّا لأنه كان(٢*) انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الإيمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر إلا ظاهر شبهتهم . والجواب عما ذكره(٣*) هو سهل فإنه يسلم أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء ، والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون إن الذنب يقدح في كمال الإيمان ، ولهذا نفى الشارع الإيمان عن هؤلاء ، فذلك المجموع الذي هو الإيمان لم يبق مجموعاً مع الذنوب لكي يقولوا بقي بعضه إما أصله وإما أكثره وإما غير ذلك ، فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفور(٤*) من لفظ الزيادة ، لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم إن كان متبعضاً متعدداً عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة ، وأما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحداً لا حقيقة له ، كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم . ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر أو ما هو إيمان وما هو كفر واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر أبو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هذا الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي إجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة ، بل

---

(١) كتاب ألفه ابن تيمية للرد على من يشتم الرسول ﷺ وقد ألفه ابن تيمية لبيان حكم من سب رسول الله ﷺ من المسلمين أو الكفار ، وقد طبع الكتاب كثيراً بتحقيق العالم الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد ، ونشر من مكتبة دار عالم الكتب ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م .

(١*) (مسألة) في الأصل ، (مسائل) في الهندية .

(٢*) (قد) زيادة في الهندية .

(٣*) (ذكره) في الأصل ، (ذكروه) في الهندية .

(٤*) (نفور) في الأصل ، (نفورها) في الهندية .

من الأئمة ، بل صرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم من الإيمان ولهذا نظائر متعددة ، يقول الإنسان قولاً مخالفاً للنص والإجماع القديم حقيقة ، ويكون معتقداً أنه متمسك بالنص والإجماع ، وهذا إذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يثيبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ، ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن ، وهم لما توهموا أن الإيمان الواجب على جميع الناس نوع واحد ، صار بعضهم يظن أن ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل ، فقال لي مرة بعضهم ، الإيمان من حيث هو إيمان لا يقبل الزيادة والنقصان ، فقلت له قولك من حيث هو كما يقول الإنسان من حيث هو إنسان ، والحيوان من حيث هو حيوان ، والوجود من حيث هو وجود والسواد من حيث هو سواد وأمثال ذلك لا يقبل الزيادة والنقصان فيثبت لهذه المسميات وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع القيود والصفات ، وهذا لا حقيقة له في الخارج ، وإنما هو شيء يقدره الإنسان في ذهنه ، كما يقدر موجوداً لا قديماً ولا حديثاً ، ولا قائماً بنفسه ، ولا بغيره ، ويقدر إنساناً لا موجوداً ولا معدوماً ويقول(*١) : الماهية من حيث هي هي شيء يقدره الذهن ، وذلك موجود في الذهن لا في الخارج ، وأما تقدير شيء لا يكون في الذهن ولا في الخارج ممتنع ، وهذا التقدير لا يكون إلا في الذهن كسائر تقدير الأمور الممتنعة مثل تقدير صدور العالم عن صانعين ونحو ذلك ، فإن هذه المقدرات في الذهن فهكذا تقدير إيمان لا يتصف به مؤمن ، بل هو مجرد عن كل قيد ، وتقدير إنسان لا يكون موجوداً ولا معدوماً ، بل ما ثمّ إيمان إلا مع المؤمنين ولا ثم إنسانية إلا ما اتصف بها الإنسان ، فكل إنسان له إنسانية تخصه ، وكل مؤمن له إيمان يخصه فإنسانية زيد تشبه إنسانية عمرو وليست هي هي ، وإذا اشتركوا في نوع الإنسانية فمعنى ذلك أنهما يشتبهان فيما يوجد في الخارج ويشتركان في أمر كلي مطلق يكون في الذهن وكذلك إذا مثل إيمان زيد مثل إيمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه فلو قدر أن الإيمان يتماثل لكان لكل مؤمن إيمان يخصه وذلك الإيمان مختص معين ليس هو الإيمان من حيث هو هو

(*١) (الماهية من حيث هي هي لا توصف بوجود ولا عدم) غير موجودة في الهندية .

بل هو إيمان معين وذلك الإيمان يقبل الزيادة ، والذين ينفون التفاضل في هذه الأمور يتصورون في أنفسهم إيماناً مطلقاً وإنساناً مطلقاً ووجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع الصفات المعنية له . يظنون أن هذا هو الإيمان الموجود في الناس ، وذلك لا يقبل التفاضل[*1] بل لا يقبل في نفسه التعدد إذ هو تصور معين قائم في نفس متصورة ولهذا يظن كثير من هؤلاء أن الأمور المشاركة في شيء واحد هي واحدة بالشخص والعين حتى انتهى الأمر بطائفة من علمائهم علماً وعبادة إلى أن جعلوا الوجود كذلك فتصوروا أن الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنّوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا أن الله تعالى[*2] فجعلوا الربّ هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط إلا في نفس متصورة ولا يكون في الخارج ، وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا أعداداً مجردة وحقائق مجردة ويسمّونها المثل الأفلاطونية ، وزماناً مجرداً عن الحركة والمتحرك ، وبعداً مجرداً عن الأجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الأذهان بما في الأعيان ، وهؤلاء قد يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحداً ، فتارة يجيئون إلى الأمور المتعددة المتفاضلة في الخارج فيجعلونها واحدة أو متماثلة وتارة يجيئون إلى ما في الخارج من الحيوان والمكان والزمان فيجعلون الواحد اثنين والمتفلسفة والجهمية وقعوا في هذا وهذا فجاءوا إلى صفات الرب التي هي أنه عالم وقادر فجعلوا هذه الصفة هي عين الأخرى وجعلوا الصفة هي الموصوف ، وهكذا القائلون بأن الإيمان شيء واحد وأنه متماثل في بني آدم غلطوا في كونه واحداً وفي كونه متماثلاً كما غلطوا في أمثال ذلك من مسائل التوحيد والصفات والقرآن ونحو ذلك ، فكان غلط جهم وأتباعه في الإيمان كغلطهم في الرب الذي يؤمن به المؤمنون وفي كلامه وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً وكذلك السواد والبياض يقبل الاشتداد والضعف بل عامة الصفات التي يتصف بها الموصوفون تقبل التفاضل ، ولهذا كان العقل يقبل التفاضل والإيجاب والتحريم يقبل التفاضل فيكون إيجاب أقوى من إيجاب وتحريم أقوى من تحريم وكذلك المعرفة التي في القلوب . تقبل التفاضل على الصحيح عند أهل السنّة

(*1) (بل) غير موجودة في الهندية .

(*2) (تعالى) غير موجودة في الهندية .

وفي هذا كله نزاع ، فطائفة من المنتسبين إلى السنّة يذكرون(*1) التفاضل في هذا كله كما يختار ذلك القاضي أبو بكر وابن عقيل وغيرهما . وقد حكى عن أحمد في التفاضل في المعرفة روايتان . وإنكار التفاضل في هذه الصفات هو من جنس أصل قول المرجئة ، ولكن يقوله من يخالف المرجئة ، وهؤلاء يقولون التفاضل إنما هو في الأعمال وأما الإيمان الذي هو في القلوب فلا يتفاضل وليس الأمر كما قالوه بل جميع ذلك يتفاضل وقد يقولون إن أعمال القلب(*2) تتفاضل(*3) من جهة ما وجب على هذا ومن جهة ما وجب على هذا فلا يستوون في الوجوب وأمّة محمد ﷺ وإن وجب عليهم جميعهم الإيمان بعد استقرار الشرع فوجوب الإيمان بالشيء المعين موقوف على أن يبلغ إن كان خبراً وعلى أنه يحتاج إلى العمل به إن كان أمراً(*4) وإلا فلا يجب على كل مسلم أن يعرف كل خبر وكل أمر في الكتاب والسنّة ويعرف معناه(*5) فإن هذا لا يقدر عليه أحد ، فالوجوب ممّا يتنوع الناس فيه ثم قدرهم في أداء الواجب متفاوت . ثم نفس المعرفة تختلف بالإجمال والتفصيل والقوة والضعف ودوام الحضور ومع الغفلة فليست المفصلة المستحضرة الثابتة التي يثبت الله صاحبها بالقول الثابت ، كالمجملة التي غفل عنها وإذا حصل له ما يريبه فيها ذكر في قلبه(*6) . ثم أحوال القلوب وأعمالها مثل محبة الله ورسوله وخشية الله والتوكل عليه والصبر على حكمه والشكر له ، والإنابة إليه ، وإخلاص العمل له ، مما يتفاضل الناس فيها تفاضلاً لا يعرف قدره إلا الله تعالى(*7) ، ومن أنكر تفاضلهم في هذا فهو إما جاهل لم يتصوره أو معاند ، قال الإمام أحمد : فإن زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الإيمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته وأنها غير محددة ، فما يقولون في

(*1) (يذكرون) في الأصل ، (تنكر) في الهندية .

(*2) (القلب) في الأصل ، (القلوب) في الهندية .

(*3) (بخلاف معارف القلب وليس الأمر كذلك بل إيمان القلوب يتفاضل) زيادة في الهندية .

(*4) (وعلى العلم إن كان علماً) زيادة في الهندية .

(*5) (ويعلمه) زيادة في الهندية .

(*6) (ثم رغب إلى الله في كشف الريب) زيادة في الهندية .

(*7) (تعالى) في الأصل ، (عز وجل) في الهندية .

أنبياء الله وكتبه ورسله ، هل يقرون بهم في الجملة ويزعمون أنه من الإيمان فإذا قالوا نعم قيل لهم هل تجدونهم وتعرفون عددهم ، أليس إنما يصيرونه في ذلك إلى الإقرار بهم في الجملة ثم يكفون عن عددهم فكذلك زيادة الإيمان ، وبيّن أحمد أن كونهم لم يعرفوا منتهى زيادته لا يمنعهم من الإقرار بهم في الجملة ، كما أنهم يؤمنون بالأنبياء والكتب وهم لا يعرفون عدد الكتب والرسل وهذا الذي ذكره أحمد ذكره محمد بن نصر وغيرهما ، يبيّن أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وأن حديث أبي ذر[*١] لم يثبت عندهم ، وأما قول من سوّى بين الإيمان والإسلام[*٢] ، فقال : إن الله سَمّى الإيمان بما سمّى به الإسلام وسمّى الإسلام بما سمّى به الإيمان فليس كذلك فإن الله ورسوله قد فسرّ الإيمان بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبيّن أيضاً أن العمل بما أمر يدخل في الإيمان ولم يسم[*٣] الإيمان بملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت إسلاماً بل إنما سمُي الإسلام الاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه فهذا هو الذي سمّاه الله إسلاماً وجعله ديناً وقال : ﴿ **ومن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه** ﴾[١] ، ولم يدخل فيما خص به الإيمان وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بل ولا أعمال القلوب مثل حب الله ورسوله ونحو ذلك فإن هذه جعلها من الإيمان والمسلم المؤمن يتصف بها ، وليس إذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن يكون من الإسلام بل هي من الإيمان ، والإسلام فرض والإيمان فرض ، والإسلام داخل فيه فمن أتى بالإيمان الذي أمر به فلابد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبة ومن أتى بمن سُمّي إسلاماً لم يلزم أن يكون قد أتى بالإيمان إلا بدليل منفصل ، كما علم أن من أثنى الله عليه بالإسلام من الأنبياء وأتباعهم إلى الحواريين كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين كما قال الحواريون : ﴿ **آمنّا بالله وأشهد بأنّا مسلمون** ﴾[٢] ، وقال : ﴿ **وإذْ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا**

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٥٢ .

(١*) (في ذلك) زيادة في الهندية .

(٢*) (الإيمان والإسلام) في الأصل ، (الإسلام والإيمان) في الهندية .

(٣*) (الله) زيادة في الهندية .

آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾[1] ، ولهذا أمرنا الله بهذا وبهذا في خطاب واحد ، كما قال ﴿ قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوْا وإن تولّوْا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾[2] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[3] وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الإسلام فعلمه مردود وهو خاسر في الآخرة فيقتضي وجوب دين الإسلام وبطلان ما سواه ، لا يقتضي أن مسمّى الدين هو مسمّى الإيمان بل أمرنا أن نقول : ﴿ آمنّا بالله ﴾ ، وأمرنا أن نقول : ﴿ ونحن مسلمون ﴾ ، فأمرنا باثنين فكيف نجعلهما واحداً ، وإذا جعلوا الإسلام والإيمان شيئاً واحداً فإما أن يقولوا اللفظ مترادف فيكون هذا تكريراً محضاً ، ثم مدلول هذا اللفظ غير مدلول هذا اللفظ ، وإما أن يقولوا بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى كما في أسماء الله وأسماء كتابه ، لكن هذا لا يقتضي الأمر بهما جميعاً لكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف فلا يقول قائل قد فرض الله عليك الصلوات الخمس والصلاة المكتوبة وهذا هو هذا والعطف بالصفات يكون إذا قصد بيان الصفات لما فيها من المدح أو الذم كقوله : ﴿ سبّحِ اسم ربّك الأعلى ، الذي خلق فسوّى ، والذي قدّر فهدى ﴾[4] ، لا يقال صل لربّك الأعلى ، ولربّك الذي خلق فسوى ، قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله : وقد بيّن الله في كتابه وسنّة رسوله أن الإسلام والإيمان لا يفترقان . فمن صدّق بالله فقد آمن بالله[*1] ومن آمن بالله فقد خضع له ، وقد أسلم له ، ومن صام وصلّى وقام بفرائض[*2] وانتهى عما نهيٍ[*3] عنه فقد استكمل الإيمان ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات من ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(٤) سورة الأعلى ، الآيات ١ - ٣ .

(*١) (بالله) في الأصل ، (به) في الهندية .

(*٢) (الله) زيادة في الهندية .

(*٣) (الله) زيادة في الهندية .

والإسلام والمفترض عليه ، ومن ترك من ذلك شيئا فلن يزول عنه اسم الإيمان ولا الإسلام إلا أنه أنقص من غيره في الإسلام والإيمان من غير نقصان من الإقرار بأن الله[*1] وما قال حق ولا باطل وصدق لا كذب ، ولكن ينقص من الإيمان الذي هو تعظيم لله وخضوع للهيبة والجلال والطاعة للمصدق به وهو الله فمن ذلك يكون النقصان لا من إقرارهم بأن الله حق وما قاله صدق ، فيقال ما ذكره يدل على أن من أتى بالإيمان الواجب فقد أتى بالإسلام ، وهذا حق لكن ليس فيه ما يدل على أن من أتى بالإسلام الواجب فقد أتى بالإيمان ، فقوله : من آمن بالله فقد خضع له وقد استسلم له حق لكن أي شيء في هذا يدل على أن من أسلم لله وخضع له فقد آمن به وبملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . وقوله إن الله ورسوله قد بيّن أن الإسلام والإيمان لا يفترقان ، إن أراد الله أوجبهما جميعاً ونهى عن التفريق بينهما فهذا حق ، وإن أراد أن الله جعل مسمّى هذا مسمّى هذا فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك ، وما ذكر قط نصًّا واحداً يدل على اتفاق المسلمين . وكذلك قوله : من فعل ما أمر الله به وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الإيمان والإسلام فهذا صحيح إذا فعل ما أمر به باطناً وظاهراً ، ويكون قد استكمل الإيمان والإسلام الواجب عليه ، ولا يلزم أن يكون إيمانه وإسلامه مساوياً للإيمان والإسلام الذي فعله أُولو العزم من الرسل ، كالخليل إبراهيم ومحمد خاتم النبيّين عليهما الصلاة والسلام بل كان معه من الإيمان والإسلام ما لا يقدر عليه ولم يؤمر به ، وقوله : من ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الإسلام والإيمان إلا أنه أنقص من غيره في ذلك . فيقال : إن أريد بذلك أنه بقي معه شيء من الإسلام والإيمان فهذا حق كما دلّت عليه النصوص خلافاً للخوارج والمعتزلة . وإن أراد أنه يطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق الثناء والوعد بالجنّة فهذا خلاف الكتاب والسنّة ، ولو كان كذلك لدخلوا في قوله : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار** ﴾[1] وأمثال ذلك مما وعدوا فيه بالجنة بلا عذاب وأيضاً فصاحب الشرع قد نفى عنهم الاسم في غير موضع بل قال : « قتال المؤمن كفر »[2] ، وقال : « لا

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٧٢ .

(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .

(*١) (حق) زيادة في الهندية .

ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض »[1] ، وإذا احتج بقوله : ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتَتَلُوا ﴾[2] ونحو ذلك قيل ، كل هؤلاء إنما سمّوا به مع التقييد بأنهم فعلوا هذه الأمور ليذكر ما يؤمرون به وما يؤمر به غيرهم ، وكذلك قوله : لا يكون النقصان من إقرارهم بأن الله حق وما قال صدق فيقال : بل النقصان يكون في الإيمان الذي في القلوب من معرفتهم ومن عملهم ، فلا تكون معرفتهم وتصديقهم بالله وأسمائه وصفاته وما قاله من أمر ونهي ووعد ووعيد كمعرفة غيرهم وتصديقه لا من جهة الإجمال والتفصيل ولا من جهة القوة والضعف ولا من جهة الذكر والغفلة ، وهذه الأمور كلها داخلة في الإيمان بالله وبما أرسل به رسوله ، وكيف يكون الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته متماثلاً في القلوب أم كيف يكون الإيمان بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه غفور رحيم ، عزيز حكيم ، شديد العقاب ، ليس هو من الإيمان به[*1] ولا أن[*2] يدعى تماثل الناس فيه ، وأما ما ذكره من أن الإسلام ينقص كما ينقص الإيمان ، فهذا أيضاً حق ، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، فإن من نقص من الصلاة والزكاة والصيام[*3] والحج شيئاً فقد نقص من إسلامه بحسب ذلك ، ومن قال إن الإسلام هو الكلمة فقط ، وأراد بذلك أنه لا يزيد ولا ينقص فقوله خطأ ، ورد الذين جعلوا الإسلام والإيمان سواء ، إنما يتوجه على هؤلاء ، فإن قولهم في الإسلام يشبه قول المرجئة في الإيمان ، ولهذا صار الناس في الإسلام والإيمان على ثلاثة أقوال : فالمرجئة يقولون الإسلام أفضل فإنه يدخل فيه الإيمان ، وآخرون يقولون : الإيمان والإسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنّة وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك ، والقول الثالث : أن الإيمان أكمل وأفضل وهذا هو الذي دلّ عليه الكتاب والسنّة في غير موضع وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان . ثم هؤلاء منهم

---

(١) متفق عليه وقد خرج فيما تقدم .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(*١) (فلا يمكن مسلماً أن يقول إن الإيمان بذلك ليس من الإيمان به) زيادة في الهندية .

(*٢) (أن) زيادة في الهندية .

(*٣) (والصيام) في الأصل ، (أو الصوم) في الهندية .

من يقول الإسلام مجرد القول والأعمال ليست من الإسلام والصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كلها ، وأحمد إنما منع الاستثناء فيه على قول الزهري : هو الكلمة .

هكذا نقل الأشرم والميموني عنه ، وأما جوابه[*1] الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال الإسلام الكلمة فيستثنى في الإسلام كما يستثنى في الإيمان فإن الإنسان لا يجزم بأنه قد فعل كل ما أمر به من الإسلام ، وإذ قال النبي ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] ، « وبُني الإسلام على خمس »[2] فجزمه بأنه فعل الخمس بلا نقص كما أمر كجزمه بإيمانه ، فقد قال تعالى : ﴿ **ادخلوا في السِّلم كافَّة** ﴾[3] أي[*2] في جميع شرائع الإسلام . وتعليل أحمد وغيره من السلف ما ذكروه في اسم الإيمان يجيىء في اسم الإسلام فإذا أريد به الإسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه أحمد وغيره . وإذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها فالاستثناء في الإيمان ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين ، كان هذا مما يجزم به بلا استثناء ، فلهذا قال الزهري : الإسلام الكلمة ، وعلى ذلك وافقه أحمد وغيره ، وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ، إن الزهري أجلّ من أن يخفى عليه ذلك ، ولهذا أحمد لم يجب بهذا في جوابه الثاني خوفاً من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة ، ولهذا[*3] قال الأشرم لأحمد : فإذا قال أنا مسلم فلا يستثنى ، قال : نعم لا يستثنى إذا قال أنا مسلم ، قال[*4] : فقلت له : أقول هذا مسلم وقد قال النبي ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[4] ، وأنا أعلم أنه لا يسلم الناس منه ، فذكر حديث معمر عن الزهري قال : فترى

---

(١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .

(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه سابقاً .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨ .

(٤) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .

(*١) (على) زيادة في الهندية .

(*٢) (أي الإسلام كافة) زيادة في الهندية .

(*٣) (لما) زيادة في الهندية .

(*٤) (هو) غير موجودة في الهندية .

أن الإسلام الكلمة الإيمان والعمل فبيّن أحمد أن الإسلام إذا كان هو[*١] الكلمة فلا استثناء فيها فحيث كان هو المفهوم من لفظ الإسلام فلا استثناء فيه ، ولو أريد بالإيمان هذا كما يراد ذلك في مثل قوله ﴿ **فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾[١] فإنما أريد من أظهر الإسلام ، فإن الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام فالمسمّى واحد في الأحكام الظاهرة ولهذا لما ذكر الأشرم لأحمد احتج المرجئة بقول النبي ﷺ : « أعتقها فإنها مؤمنة »[٢] أجاب بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار وهذا هو المؤمن المطلق في كتاب الله وهو الموعود بالجنّة بلا نار إذا مات على إيمانه ، ولهذا كان ابن مسعود وغيره من السلف يلزمون على من شهد لنفسه بالإيمان أن يشهد لها بالجنّة ، يعنون إذا مات على ذلك ، فإنه قد عرف أن الجنّة لا يدخلها إلا من مات مؤمناً ، فإذا قال الإنسان أنا مؤمن قطعاً ، وأنا مؤمن عند الله قيل له فاقطع بأنك تدخل الجنّة بلا عذاب إذا متّ على هذه الحال فإن الله أخبر أن المؤمنين في الجنة ، وأنكر أحمد[*٢] حديث ابن عميرة أن عبد الله رجع عن الاستثناء فإن ابن مسعود لما قيل له إن قوماً يقولون إنّا مؤمنون ، فقال : أفلا سألتموهم أفي الجنة هم ، وفي رواية أفلا قالوا نحن أهل الجنة وفي رواية قيل له : إن هذا يزعم أنه مؤمن ، قال فسلوه أفي الجنّة هو أو في النار ، فسألوه فقال : الله أعلم ، فقال له عبد الله : فهلاّ وكّلت الأولى كما وكلت الثانية . من قال أنا مؤمن فهو كافر ، ومن قال[*٣] هو عالم فهو جاهل ، ومن قال في الجنة فهو في النار ، يروى عن عمر بن الخطاب من وجوه مرسلاً من حديث قتادة ونعيم بن أبي هند وغيرهما . والسؤال الذي يورده المرجئة على ابن مسعود : يقولون إن يزيد بن عميرة أورده عليه حتى رجع ، جعل هذا أن الإنسان يعلم حاله الآن ، وما يدري ماذا

---

(١) سورة النساء ، الآية ٩٢ .

(٢) حديث صحيح وقد تقدم تخريجه .

(*١) (هو) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (ابن حنبل) زيادة في الهندية .

(*٣) (هو) في الأصل ، (أنا) في الهندية .

يموت عليه ولهذا السؤال صار طائفة كثيرة يقولون : المؤمن هو من سبق في علم الله أن نختم له بالإيمان ، والكافر من سبق بعلم الله[*1] أنه كافر ، وأنه لا اعتبار بما كان قبل ذلك ، وعلى هذا يجعلون الاستثناء ، وهذا أحد قولي الناس من أصحاب أحمد وغيرهم . وهو قول أبي الحسن وأصحابه ، ولكن أحمد وغيره من السلف لم يكن هذا مقصودهم ، وإنما مقصودهم أن الإيمان المطلق يتضمن فعل المأمورات فقوله : أنا مؤمن كقوله : أنا ولي الله ، وأنا مؤمن تقي وأنا من الأبرار ونحو ذلك ، وابن مسعود ، رضي الله عنه لم يكن يخفى عليه أن الجنة لا تكون إلا لمن مات مؤمناً ، وأن الإنسان لا يعلم على ماذا يموت ، فإن ابن مسعود أجلّ قدراً من هذا ، وإنما أراد سلوه[*2] هو في الجنة إن مات على هذه الحال كأنه قال سلوه أيكون من أهل الجنة على هذه الحال فلما قال الله ورسوله أعلم قال : فهلاّ[*3] وكلت الأولى كما وكلت الثانية يقول : هذا التوقف يدل عى أنك لا تشهد لنفسك بفعل الواجبات وترك المحرمات فإنه من شهد لنفسه بذلك شهد لنفسه[*4] أنه من أهل الجنة إن مات على ذلك ، ولهذا صار الذين لا يروْن الاستثناء لأجل الحال الحاضر بل للموافاة ، لا يقطعون بأن الله[*5] يقبل توبة تائب ، كما لا يقطعون بأن الله[*6] يعاقب مذنباً ، فإنهم لو قطعوا بقبول توبته لزمهم أن يقطعوا له بالجنّة ، وهم لا يقطعون لأحد من أهل القبلة لا بجنّة ولا نار إلا من قطع له النص ، وإذا قيل الجنة هي لمن أتى بالتوبة النصوح من جميع السيئات قالوا : ولو مات على هذه التوبة لم يقطع له بالجنة وهم لا يستثنون في الأحوال بل يجزمون بأن المؤمن مؤمن[*7] تام

(*1) (بعلم الله) في الأصل ، (في علم الله) في الهندية .
(*2) (هل) زيادة في الهندية .
(*3) (فهلا) في الأصل ، (أفلا) في الهندية .
(*4) (لنفسه) غير موجودة في الهندية .
(*5) (لا) زيادة في الهندية .
(*6) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*7) (مؤمن) غير موجودة في الهندية .

الإيمان ، ولكن عندهم الإيمان عند الله هو ما يوافى به ، فمن قطعوا له بأنه مات مؤمناً لا ذنب له قطعوا له بالجنة فلهذا لا يقطعون بقبول التوبة . لئلا يلزمهم أن يقطعوا بالجنة وأما أئمة السلف فإنما لم يقطعوا بالجنة لأنهم لا يقطعون بأنه فعل المأمور وترك المحظور ولا أنه أتى بالتوبة النصوح ، وإلا فهم يقطعون بأن من تاب توبة نصوحاً قبل الله توبته ، وجماع الأمر أن الاسم الواحد يبقى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به فلا يجب إذا أثبت أو نفى في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام وهذا في كلام العرب وسائر الأمم لأن المعنى مفهوم مثال ذلك (المنافقون) قد يجعلون مع[*1] المؤمنين في موضع ، وفي موضع آخر يقال ما هم منهم قال الله تعالى : ﴿ **قد يعلم الله المُعَوِّقين مِنْكُم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ، ولا يأتون الناس إلا قليلاً أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينُهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألْسنةٍ حدادٍ أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا ، فأحبط الله أعمالَهم وكان ذلك على الله يسيراً** ﴾[1] فهنالك جعل هؤلاء المنافقين الخائفين من العذاب[*2]، والناكلين على الجهاد، الناهين لغيرهم الذامّين للمؤمنين منهم . وقال في الآية الأخرى : ﴿ **ويحلفون بالله أنهم لَمِنْكُم وما هم مِنْكم ولكنّهم قومٌ يفرقُون لو يجدون ملجأً أو مغاراتٍ أو مدخلاً لولَّوْا إليه وهم يجمحون** ﴾[2] ، وهؤلاء ذنبهم أخفّ فإنهم لم يؤذّوا[*3] ، لا بنهي ولا سلق بألسنة حداد ولكن حلفوا بالله أنهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم وإلا فقد علم المؤمنون أنهم منهم في الظاهر فكذّبهم الله وقال : ﴿ **وما هم منكم** ﴾[3] ، وهناك كما قال : ﴿ **قد يعلم الله المعوقين منكم** ﴾[4] ، فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلماً مؤمناً بأنه منكم من هو بهذه الصفة وليس مؤمناً بل أحبط

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة التوبة ، الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٥٦ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ١٨ .

(*١) (مع) في الأصل ، (من) في الهندية .

(*٢) (العذاب) في الأصل ، (العدو) في الهندية .

(*٣) (المؤمنين) زيادة في الهندية .

الله عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن ولهذا لما استوءذن النبي ﷺ في قتل بعض المنافقين قال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »[1] فإنهم من أصحابه في الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور ، وأصحابه الذين هم أصحابه ليس فيهم منافق[1*] كالذين علموا سنّته للناس وبلغوها إليهم ، وقاتلوا المرتدّين بعد موته والذين بايعوه تحت الشجرة ، وأهل بدر وغيرهم ، بل الذين كانوا منافقين غمز[2*] بهم الناس ، وكذلك الأنساب مثل كون الإنسان أباً لآخر أو أخاه يثبت في بعض الأحكام دون بعض فإنه يثبت في الصحيحين أنه لما اختصم إلى النبي ﷺ سعد ابن أبي وقاص وعبد بن زمعة ابن الأسود في ابن وليدة زمعة ، وكان عتبة بن أبي وقاص قد فجر بها في الجاهلية وولدت منه[3*] ولداً فقال عتبة لأخيه سعد إذا قدمت مكة فانظر ابن وليدة زمعة فإنه ابن فاختصم فيه هو وعبد بن زمعة إلى النبي ﷺ فقال سعد : يارسول الله : ابن أخي عتبة عهد إلى آخي عتبة فيه إذا قدمت مكة انظر ابن وليدة زمعة فإنه ابني ، ألا ترى يارسول الله[4*] شبهة بعتبة فقال عبد : يارسول الله أخي وابن وليدة أي ولد على فراش أبي ، فرأى النبي ﷺ شبهاً بيّناً بعتبة ، فقال : « هو لك ياعبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه ياسودة »[2] لما رأى من شبهة البيّن بعتبة فقد جعله النبي ﷺ ابن زمعة لأنه ولد على فراشه وجعله أخاً لولده بقوله : « فهو لك ياعبد بن زمعة »[3] ، وقد صارت زمعه أخته يرثها وترثه لأنه ابن أبيها زمعة ولد على فراشه ، ومع هذا فأمرها النبي ﷺ أن تحتجب منه لما رأى من شبهة البيّن بعتبة فإنه قام فيه دليلان متعارضان

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب ما ينهى عن دعوى الجاهلية ٥٤٦/٦ عن جابر .

(٢) حديث صحيح رواه الشيخان ، البخاري في كتاب الوصايا باب قول الموصى لوصية ٣٧١/٥ عن عائشة .

(٣) حديث صحيح جزء من حديث رقم (٢) .

(١*) (منافق) في الأصل ، (نفاق) في الهندية .

(٢*) (غمز بهم الناس) في الأصل ، (غمار من الناس) في الهندية .

(٣*) (في الجاهلية) زيادة في الهندية .

(٤*) (الله) غير موجودة في الهندية .

الفراش والشبه والنسب في الظاهر لصاحب الفراش لأن الفراش أقوى ولأنها أمر ظاهر مباح والفجور أمرٌ باطن لا يعلم ويجب ستره لا إظهاره كما قال : « للعاهر الحجر » ، كما يقال : بفيك الكثكث ، وبفيك الأثلب ، أي عليك أن تسكت عن إظهار الفجور فإن الله يبغض ذلك ولما كان احتجابها منه ممكناً من غير ضرر أمرها بالاحتجاب ، لما ظهر من الدلالة على أنه ليس أخاها في الباطن فيتبين أن الاسم اواحد ينفى في حكم ويثبت في حكم فهو أخ في الميراث وليس بأخ في المحرمية ، وكذلك ولد الزنا عند بعض العلماء ، وابن الملاعنة عند الجميع إلا من شذ ، ليس بولد في الميراث ونحوه ، وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية . ولفظ النكاح وغيره في الأمر يتناول الكامل وهو العقد والوطء كما في قوله تعالى[*1] : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **حتّى تنكحَ زوجاً غيرَه** ﴾[2] ، وفي النهي يعم الناقص والكامل ، فينهى عن العقد مفرداً وإن لم يكن وطء كقوله : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء** ﴾[3] ، وهذا لأن الأمر مقصوده تحصيل المصلحة ، وتحصيل المصلحة إنما يكون بالدخول ، كما لو قال : اشتر لي طعاماً ، فالمقصود ما يحصل به[*2] إلا بالشراء والقبض والناهي مقصوده دفع المفسدة ، فيدفع كل جزء منه ، لأن وجوده مفسدة وكذلك النسب والميراث معلق بالكامل منه ، والتحريم معلق بأدنى سبب حتى الرضاع ، وكذلك كل ما يكون له مبتدأ وكمال ، ينفى تارة باعتبار انتفاء كماله ، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه . فلفظ الرجال يعم الذكور وإن كانوا صغاراً في مثل قوله : ﴿ **وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثلُ حظِّ الأنثيَيْن** ﴾[4] ولا يعمّ الصغار في مثل قوله : ﴿ **والمستضعفين من الرجال والنساء والوِلْدان الذين يقولون ربّنا أخرِجْنَا من هذه القرية الظالم أهلُها** ﴾[5] فإن باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادرون عليه ، فلو اقتصر على

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣٠ .
(٣) سورة النساء ، الآية ٢٢ .
(٤) سورة النساء ، الآية ١٧٦ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٧٥ .

(١*) (تعالى) غير موجودة في الهندية .
(٢*) (به) غير موجودة في الهندية .

ذكر المستضعفين من الرجال لظن أن الولدان غير داخلين لأنهم ليسوا من أهله وهم ضعفاء فذكرهم بالاسم الخاص ليبيّن عذرهم في ترك الهجرة ووجوب الجهاد وكذلك الإيمان له مبدأ وكمال ظاهر وباطن فإذا علقت به الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدماء والمال والمواريث والعقوبات الدنيوية علقت بظاهره ، لا يمكن غير ذلك إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر ، وإن قدر أحياناً فهو متعسر علماً وقدرة فلا يعلم ذلك علماً يثبت به في الظاهر ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن وبهذين المثلين كان النبي ﷺ يمتنع عن عقوبة المنافقين ، فإن فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ولقال الناس : إن محمداً يقتل أصحابه فكان[*1] يحصل نفور عن الإسلام ، إذ لم يكن الذنب ظاهراً ، يشترك الناس في معرفته ولما همّ بعقوبة من يتخلف عن الصلاة منعه من في البيوت من النساء والذرية ، وأما مبدوءه فيتعلق به خطاب الأمر والنهي فإذا قال الله : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا إذا قُمتم إلى الصلاة** ﴾[1] ، [*2]﴿ **إذا نودى للصّلاة** ﴾[2] ، ونحو ذلك فهو أمر في الظاهر لكل من أظهره ، وهو خطاب في الباطن لكل من عرف من نفسه أنه مصدق للرسول وإن كان عاصياً ، وإن كان لم يقم بالواجبات الباطنة والظاهرة وذلك أنه إن كان لفظ ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ يتناولهم فلا كلام ، وإن كان لم يتناولهم فذلك لذنوبهم فلا تكون ذنوبهم مانعة من أمرهم بالحسنات التي إن فعلوها كانت سبب رحمتهم وإن تركوها كان أمرهم بها وعقوبتهم عليها ، عقوبة من ترك الإيمان ، والكافر يجب عليه أيضاً ، لكن لا يصح منه حتى يؤمن ، وكذلك المنافق المحض لا يصح منه في الباطن حتى يؤمن ، وأما من كان معه أول الإيمان فهذا يصح منه ، لأن معه إقراره في الباطن بوجوب ما أوجبه الرسول وتحريم ما حرّمه ، وهذا سبب الصحة ، وأما كماله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦ .
(٢) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(*١) (بسبب ذلك) زيادة في الهندية .
(*٢) (إذا نودى للصلاة) غير موجودة في الهندية .

والنصرة والسلامة من النار ، فإن هذا الوعد إنما هو لمن فعل المأمور وترك المحظور ، ومن فعل بعضاً وترك بعضاً فيثاب على ما فعله ، ويعاقب على ما تركه فلا يدخل في اسم المؤمن المستحق للحمد والثناء ومن الذمّ والعقاب . ومن نفى عنه الرسول الإيمان فنفى الإيمان في هذا الحكم لأنه ذكر ذلك على سبيل الوعيد . والوعيد إنما يكون بنفي ما يقتضي الثواب ويدفع العقاب . ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الإيمان عن أصحاب الذنوب فإنما هو في خطاب الوعيد والذّم لا في خطاب الأمر والنهي ولا أحكام الدنيا . واسم الإسلام والإيمان والإحسان هي أسماء ممدوحة مرغوب فيها لحسن العاقبة لأهلها . فبيّن النبي ﷺ أن العاقبة الحسنة هي لمن اتصف بها على الوجه الذي بيّنه ولهذا كان من نفى عنهم الإيمان أو الإيمان والإسلام جميعاً ولم يجعلهم كفاراً وإنما نفى ذلك في أحكام الآخرة وهو الثواب ، لم ينفه في أحكام الدنيا لكن المعتزلة ظنّت أنه إذا انتفى الاسم انتفت جميع أجزائه ، فلم يجعلوا معهم شيئاً من الإيمان والإسلام فجعلوهم مخلدين في الآخرة[*1] ، وهذا خلاف الكتاب والسنّة وإجماع السلف ، ولو لم يكن معهم شيء من الإيمان والإسلام لم يثبت في حقهم شيء من أحكام المؤمنين والمسلمين لكن كانوا كالمنافقين ، وقد ثبت بالكتاب والسنّة والإجماع والتفريق بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن وبين المؤمن المذنب ، فالمعتزلة سوّوا بين أهل الذنوب وبين المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في نفي الإسلام والإيمان[*2] ، بل قد يثبتونه للمنافق ظاهراً وينفونه عن المذنب باطناً وظاهراً ، وهذا خطأ[*3] ، فإن قيل : فإذا كان كل مؤمن مسلماً ، وليس كل مسلم مؤمناً الإيمان الكامل كما دل عليه حديث جبريل وغيره من الأحاديث مع القرآن ، وكما ذكر ذلك عمن ذكر عنه من السلف ، لأن الإسلام هو الطاعات الظاهرة ، وهو الاستسلام والانقياد ، لأن الإسلام في الأصل هو الاستسلام والانقياد ، وهذا هو الانقياد والطاعة ، والإيمان فيه معنى التصديق والطمأنينة وهذا

(*1) (في الآخرة) في الأصل ، (في النار) في الهندية .
(*2) (عنهم) زيادة في الهندية .
(*3) (وهذا خطأ) غير موجودة في الهندية .

قدر زائد ، فما تقولون فيمن فعل ما أمر الله وترك ما نهى الله عنه مخلصاً لله تعالى باطناً وظاهراً أليس هذا مسلماً باطناً وظاهراً وهو من أهل الجنة ، فإذا كان كذلك فالجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ، فهذا يجب أن يكون مؤمناً ، قلنا : قد ذكرنا غير مرة أنه لا بد أن يكون معه الإيمان الذي وجب عليه إذ لم يؤد الواجب ، لكان معرضاً للوعيد ، لكن قد يكون من الإيمان ما لايجب عليه ، إما لكونه لم يخاطب به أو لكونه كان عاجزاً عنه ، وهذا أوْلى لأن الإيمان الموصوف في حديث جبريل والإسلام أيضاً[*1] لم يكونا واجباً[*2] في أول الإسلام ، بل ولا واجباً على من تقدم قبلنا من الأمم أتباع الأنبياء أهل الجنة ، مع أنهم مؤمنون مسلمون ، ومع أن الإسلام دين الله الذي لا يقبل ديناً غيره وهو دين الله في الأولين والآخرين ، لأن الإسلام عبادة الله وحده لا شريك له بما أمر فقد تتنوع أوامره في الشريعة الواحدة فضلاً عن الشرائع فيصير في الإسلام بعض الإيمان بما يخرج عنه في وقت آخر كالصلاة إلى الصخرة كان من الإسلام حين كان الله أمر به ثم خرج من الإسلام لما نهى الله عنه .

ومعلوم أن الخمس المذكورة في حديث جبريل لم تجب في أول الأمر ، بل الصيام والحج وفرائض الزكاة إنما وجبت في المدينة والصلوات الخمس إنما وجبت ليلة المعراج ، وكثير من الأحاديث ليس فيها ذكر الحج لتأخر وجوبه إلى سنة تسع أو عشر على أصح القولين . ولما بعث الله محمداً ﷺ كان من اتبعه وآمن بما جاء به مؤمناً مسلماً وإذا مات كان من أهل الجنة ثم إن بعد هذا زاد الإيمان والإسلام حتى قال تعالى : ﴿ **اليوم أكلمتُ لكم دينَكم** ﴾[1] ، وكذلك الإيمان ، فإن هذا الإيمان المفصل الذي ذكره في حديث جبريل لم يكن مأموراً به في أول الأمر لما أنزل الله سورة العلق والمدّثّر بل إنما جاء هذا في السُوَر المدنية كالبقرة والنساء ، وإذا كان كذلك لم يلزم أن يكون هذا الإيمان المفصل واجباً على من تقدم قبلنا ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(*١) (وأيضاً) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (واجباً) في الأصل ، (واجبين) في الهندية .

فإذا كان كذلك فقد يكون الرجل مسلماً يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ومعه الإيمان الذي فرض عليه ، وهو من أهل الجنة ، وليس(*1) هذا الإيمان المذكور في حديث جبريل ، لكن هذا يقال : معه ما أمر به من الإيمان والإسلام ، وقد يكون مسلماً يعبد الله كما أمره ولا يعبد غيره ، ويخافه ويرجوه ، ولكن لم يخلص إلى قلبه أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، ولا أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من جميع أهله وماله وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يخاف الله ولا يخاف غيره وأن لا يتوكل إلا على الله ، وهذه كلها من الإيمان الواجب ، فليست من لوازم الإسلام ، فإن الإسلام هو الاستسلام ، وهو يتضمن الخضوع لله وحده ، والانقياد له ، والعبودية لله وحده ، وهذا قد يتضمن خوفه ورجاءه ، وأما طمأنينة القلب لمحبته وحده ، وأن يكون أحب إليه مما سواهما وبالتوكل عليه وحده ، وبأن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ، فهذه من حقائق الإيمان التي تختص به فمن لم يتصف بها لم يكن من المؤمنين حقًّا وإن كان مسلماً ، وكذلك وجل قلبه إذا ذكر الله ، وكذلك زيادة الإيمان إذا تليت عليه آياته . فإن قيل ففوات هذا الإيمان من الذنوب أم لا ؟ قيل إذا لم تبلغ الإنسان الخطاب الموجب لذلك ، لا يكون تركه من الذنوب ،(*2) وأما إن بلغه الخطاب الموجب لذلك فلم يعمل به كان تركه من الذنوب إذا كان قادراً على ذلك وكثير من الناس أو أكثرهم ليس عنده هذه التفاصيل التي تدخل في الإيمان مع أنهم قائمون بالطاعة الواجبة في الإسلام ، وإذا وقعت منهم ذنوب تابوا واستغفروا منها . وحقائق الإيمان التي في القلوب لا يعرفون وجوبها بل ولا أنها من الإيمان بل كثير ممن يعرفها منهم يظن أنها من النوافل المستحبة إن صدق بوجوبها ، فالإسلام يتناول من أظهر الإسلام وليس معه شيء من الإيمان وهو المنافق المحض ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل في الباطن ، ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا من(*3) هذا وهم الفساق

(*1) (معه) زيادة في الهندية .

(*2) (وأما إن بلغه الخطاب الموجب لذلك فلم يعمل به كان تركه من الذنوب) غير موجودة في الهندية .

(*3) (من) غير موجودة في الهندية .

ويكون في أحدهم شعبة نفاق ، ويتناول من أتى بالإسلام الواجب وما يلزمه من الإيمان ولم يأت بتمام الإيمان الواجب ، وهؤلاء ليسوا فسّاقاً تاركين[*1] فريضة ظاهرة ولا مرتكبين محرماً ظاهراً ، لكن تركوا من حقائق الإيمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب يتبعه بعض الجوارح ما كانوا به مذمومين . وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم فإن صاحبه قد يكون فيه شُعبة نفاق ، وبعد هذا ما ميّز الله به المقربين على الأبرار أصحاب اليمين من إيمان وتوابعه وذلك قد يكون من باب المستحبات وقد يكون أيضاً مما فضل به المؤمن إيماناً وإسلاماً مما وجب عليه ولم يجب على غيره ، ولهذا قال النبي ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1] ، وفي الحديث الآخر : « ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل »[2] ، فإن مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن بل الإنكار في القلب آخر حدود الإيمان ، ليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل ولهذا قال : « ليس وراء ذلك[*2] من الإيمان مثقال حبة خردل »[3] فجعل المؤمنين ثلاث طبقات وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه ، لكن الأول لما كان أقدرهم كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني ، وكان ما يجب على الثاني أكمل مما يجب على الآخر . وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم .

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٦٩/١ ، عن طارق بن شهاب .
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان ٧٠/١ ، عن عبد الله بن مسعود .
(٣) رواه مسلم ، جزء من حديث رقم ٢ .

(*١) (تاركين) في الأصل ، (تاركون) في الهندية .
(*٢) (من الإيمان مثقال حبة خردل) غير موجودة في الهندية .

فصـــل :

الاستثناء في الإيمـان

وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله فالناس فيه على ثلاثة أقوال منهم من يوجبه ، ومنهم من يحرمه ، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال ، فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه ، كالتصديق بالربّ ونحو ذلك ، مما في قلبه فيقول أحدهم : أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين ، وكما أعلم أني قرأت الفاتحة وكما أعلم أني أحب الله وأني أبغض اليهود والنصارى فقوْلي أنا مؤمن كقولي أنا مسلم وكقولي تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي إني أبغض اليهود والنصارى . ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها وكما أنه لا يجوز أن يقال : أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، لكن إذا كان الشك في ذلك فيقول فعلته إن شاء الله قالوا فمن استثنى في إيمانه فهو شاكّ فيه وسمّوهم الشكاكة . والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان : أحدهما أن الإيمان ما مات عليه الإنسان ، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة ، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه ، وما قبل ذلك لا عبرة به ، قالوا : والإيمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال ، وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب ، وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر . وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث من قولهم : أنا مؤمن إن شاء الله ، ويريد مع ذلك أن يجعل[*٢] الإيمان لا

(*١) (هو) زيادة في الهندية .

(*٢) (يجعل) غير موجودة في الهندية .

يتفاضل ولا يشك الإنسان في الموجود منه ، وإنما يشك في المستقبل ، وانضم إلى ذلك أنهم يقولون محبة الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم . ثم هل ذلك هو الإرادة أم صفات أُخر ، لهم في ذلك قولان ، وأكثر قدمائهم يقولون إن الرضا والسخط والغضب ونحو ذلك صفات ليست هي الإرادة كما أن السمع والبصر ليس هو العلم ، وكذلك الولاية والعدواة هذه كلها صفات قديمة أزلية عند أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب[1] ومن اتبعه من المتكلمين ومن أتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم . قالوا والله يحب في أزله من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً . فالصحابة مازالوا محبوبين لله وإن كانوا قد عبدوا الأصنام مدة من الدهر ، وإبليس مازال الله يبغضه وإن كان لم يكفر . وهذا على أحد القولين لهم ، فالرضى والسخط يرجع إلى الإرادة ، والإرادة تطابق العلم ، فالمعنى ، مازال الله يريد أن يثبت هؤلاء بعد إيمانهم ويعاقب إبليس بعد كفره وهذا معنى صحيح ، فإن الله يريد أن يخلق كل ما علم أنه سيخلقه وعلى قول من يثبتها صفات أُخر ، يقول هو أيضاً حبه تابع لمن يريد أن يثيبه ، فكل من أراد إثابته فهو يحبه ، وكل من أراد عقوبته فإنه يبغضه وهذا تابع للعلم ، وهؤلاء عندهم لا يرضى عن أحد بعد أن كان ساخطاً عليه ، ولا يفرح بتوبة عبد بعد أن تاب عليه بل مازال يفرح بتوبته والفرح عندهم إما الإرادة وإما الرضى . والمعنى مازال يريد إثابته أو يرضى عمن يريد إثابته وكذلك عندهم لا يغضب[*1] يوم القيامة دون ما قبله بل غضبه قديم إما بمعنى الإرادة وإما بمعنى آخر . فهؤلاء يقولون : إذا علم أن الإنسان يموت كافراً لم يزل مريداً لعقوبته فذاك الإيمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه فليس هذا بمؤمن أصلاً وإذا علم أنه يموت مؤمناً لم يزل مريداً لإثابته وذلك[*2] الكفر الذي فعله وجوده كعدمه ، فلم يكن هذا كافراً عندهم أصلاً . فهؤلاء يستثنون في الإيمان بناءً على هذا المأخذ ، وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر مثل أبي منصور

---

(١) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب مؤسس فرقة الكلابية التي تعتمد على علم الكلام في إثبات ما يريدون .

(١*) (وكذلك عندهم لا يغضب) في الأصل ، (كذلك لا يغضب عندهم) في الهندية .

(٢*) (وذلك) في الأصل ، (وذاك) في الهندية .

الماتريدي ، فإن ما ذكروه مطرد فيهما ، ولكن جماهير الأئمة على أنه لا يستثنى في الكفر والاستثناء فيه بدعة لم يعرف عن أحد من السلف ولكن هو لازم لهم .

والذين فرقوا من هؤلاء قالوا نستثني في الإيمان رغبة إلى الله فيه أن يثبتنا عليه إلى الموت ، والكفر لا يرغب فيه أحد . لكن يقال : إذا كان قولك : مؤمن كقولك في الجنة فأنت تقول عن الكافر هو كافر ولا تقول هو في النار ، إلا معلقاً بموته على الكفر فدل على أنه كافر في الحال قطعاً ، وإن جاز أن يصير مؤمناً كذلك المؤمن وسواء أخبر عن نفسه أو عن غيره فلو قيل عن يهودي أو نصراني هذا كافر قال :

إن شاء الله إذا لم يعلم أنه يموت كافراً وعند هؤلاء لا يعلم أحدٌ أحداً مؤمناً إلا إذا علم أنه يموت عليه ، وهذا القول قاله كثير من أتباع الأئمة ، لكن ليس هذا قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا كان أحد من السلف الذين يستثنون في الإيمان يعللون بهذا لا أحمد ولا من قبله ، ومأخذ هذا القول طرده طائفة ممن كانوا في الأصل يستثنون في الإيمان اتباعاً للسلف ، وكانوا قد أخذوا الاستثناء عن السلف . وكان أهل الشام شديدين على المرجئة ، وكان محمد بن يوسف الغريابي[1] صاحب الثوري[2] مرابطاً بعسقلان[3] (بفلسطين)[*1] لما كانت معمورة

(١) الغريابي : هو محمد بن يوسف الغريابي محدث صاحب الإمام الثوري نزيل قيسارية ، ثقة فاضل من الطبقة التاسعة : تقريب التهذيب ٢٢١/٢ .

(٢) الثوري : هو الإمام المشهور سفيان الثوري من مشاهير الرواة والحفاظ للحديث ، ثقة صدوق : تقريب التهذيب ٢٥٠/٣ حرف السين .

(٣) عسقلان : قيل إن عسقلان اسم أعجمي وقيل إن عسقلان أعلى الرأس وهي مدينة مشهورة في بلاد الشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، ويقال لها عروس الشام وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وقد وقعت في أيدي الفرنجة في عهد الحروب الصليبية ولكن صلاح الدين الأيوبي استردها منهم سنة ٥٨٣هـ ، وهناك حديث ينسب للرسول ﷺ يقول فيه : « أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان » . وقد فتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد روي في عسقلان وفضلها أحاديث مأثورة منها قول عبد الله بن عمر « لكل شئ ذروة ، وذروة الشام عسقلان » . راجع معجم البلدان لياقوت الحموي ١٢٢/٤ حرف السين .

(١*) (بفلسطين) غير موجودة في الهندية .

وكانت من خيار ثغور المسلمين ، ولهذا كان فيها فضائل لفضيلة الرباط في سبيل الله ، وكانوا يستثنون في الإيمان اتباعاً للسلف . واستثنوا أيضاً في الأعمال الصالحة كقول ا لرجل : صلّيت إن شاء الله ونحو ذلك . بمعنى القبول لما في ذلك من الآثار عن السلف ثم صار كثير من هؤلاء بآخرة يستثنون في كل شيء ، فيقول هذا ثوبي إن شاء الله ، وهذا جبل إن شاء الله ، فإذا قيل لأحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لا شك فيه ، لكن إذا شاء الله أن يغيره غيّره فيريدون بقولهم إن شاء الله جواز تغييره في المستقبل وإن كان في الحال لا شك فيه ، كأنّ الحقيقة عندهم التي لا يستثنى فيها مالم تتبدل ، كما يقوله أولئك في الإيمان : إن الإيمان ما علم الله أنه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه ، لكن هذا القول قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهؤلاء الذين يستثنون في كل شيء تلقوْا ذلك عن بعض أتباع شيخهم ، وشيخهم الذي ينتسبون إليه يقال له أبو عمرو عثمان بن مرزوق لم يكن ممن يرى هذا الاستثناء بل كان في(*1) الاستثناء على طريقة من(*2) قبله ، ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه بعده وكان شيخهم منتسباً إلى الإمام أحمد ، وهو من أتباع عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج المقدسي وأبو الفرج من تلامذة القاضي أبي يعلي ، وهؤلاء كلهم وإن كانوا منتسبين إلى الإمام أحمد فهم يوافقون ابن كلاب على أصله ، الذي كان أحمد ينكره على الكلابية ، وأمر بهجر الحارث المحاسبي من أجله ، كما وافقه على أصله طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة ، كأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم ، وقول هؤلاء في مسائل متعددة من مسائل الصفات ، وما يتعلق بها ، كمسألة القرآن ، هل هو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ، أم القرآن لازم لذاته ، وقولهم في الاستثناء مبني على ذلك الأصل ، وكذلك بناه الأشعري وأتباعه عليه ، لأن هؤلاء كلهم كلابية يقولون : إن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يرضى(*3) ويغضب على أحد بعد إيمانه وكفره ، ولا يفرح بتوبة التائب بعد توبته ولهذا وافقوا السلف على أن القرآن كلام

(*1) (في) غير موجودة في الهندية .

(*2) (كان) زيادة في الهندية .

(*3) (ولا) زيادة في الهندية .

الله غير مخلوق ، ثم قالوا هم إنه قديم لم يتكلم به بمشيئته وقدرته ، ثم اختلفوا بعدها في القديم أهو معنى واحد أم حروف قديمة مع تعاقبها ، كما قد بسطت أقوالهم وأقوال غيرهم في موضع آخر وهذه الطائفة المتأخرة تنكر أن يقال قطعاً في شيء من الأشياء مع غلوّهم في الاستثناء حتى صار هذا اللفظ منكراً عندهم ، وإن قطعوا بالمعنى فيجزمون بأن محمداً رسول الله وأن الله ربهم ولا يقولون قطعاً ، وقد اجتمع بي طائفة منهم فأنكرت عليهم ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعاً ، وأحضروا لي كتاباً فيه أحاديث عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقول الرجل قطعاً ، وهي أحاديث موضوعة مختلقة وقد افتراها بعض المتأخرين ، والمقصود هنا أن الاستثناء في الإيمان لما علل بمثل تلك العلة طرد أقوام تلك العلة في الأشياء التي لا يجوز الاستثناء فيها بإجماع المسلمين ، بناءً على أن الأشياء الموجودة الآن إذا كانت في علم تتبدل أحوالها فيستثنى في صفاتها الموجودة في الحال ونقول : هذا صغير إن شاء الله لأن الله قد يجعله كبيراً ، ونقول هذا مجنون إن شاء الله ، لأن الله قد يعجله عاقلاً ، ونقول للمرتد هذا كافر إن شاء الله لإمكان أن يتوب ، وهؤلاء الذين استثنْوا في الإيمان بناءً على هذا المأخذ ظنوا هذا قول السلف وهؤلاء وأمثالهم من أهل الكلام ينصرون ما ظهر من دين الإسلام ، كما ينصر ذلك المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فينصرون إثبات الصانع والنبوّة والمعاد ونحو ذلك ، أو ينصرون مع ذلك ما ظهر من مذاهب أهل السنة والجماعة كما ينصر ذلك الكلابية والكرامية والأشعرية ونحوهم ، فينصرون أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله يرى في الآخرة ، وأن أهل القِبلة لا يكفرون بالذنب ولا يخلدون في النار ، وأن النبي ﷺ له شفاعة في أهل الكبائر ، وأن فتنة القبر حقّ وعذاب القبر حق وحوض نبيّنا ﷺ في الآخرة حق ، وأمثال ذلك من الأقوال التي شاع أنها من أصول أهل السنة والجماعة ، كما ينصرون خلافة الخلفاء الأربعة وفضيلة أبي بكر وعمر ونحو ذلك . وكثير من أهل الكلام في كثير مما ينصره لا يكون عارفاً بحقيقة دين الإسلام في ذلك ، ولا ما جاءت به السنة[*1] وكان عليه السلف فينصر ما ظهر من قولهم بغير المآخذ التي

(*1) (ولا ما كان) زيادة في الهندية .

كانت مآخذهم في الحقيقة ، بل بمآخذ أُخر قد تلقاها عن غيرهم من أهل البدع ، فيقع في كلام هؤلاء من التناقض والاضطراب والخطأ ما ذم به السلف مثل هذا الكلام وأهله ، فإن كلامهم في ذم مثل هذا الكلام كثير . والكلام المذموم هو المخالف للكتاب والسنة وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فهو مخالف للشرع والعقل : ﴿ **وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل[*1] لكلماته** ﴾ .

فهؤلاء لما اشتهر عندهم عن أهل السنة أنهم يستثنون في الإيمان ورأو أن هذا الإيمان[*2] لا يمكن إلا إذا جعل الإيمان هو ما يموت العبد عليه وهو ما يوافي العبد ربّه وظنوا أن الإيمان عند السلف هو هذا فصاروا يحكون هذا عن السلف ، وهذا القول لم يقل به أحد من السلف ، ولكن هؤلاء حكوه عنهم بحسب ظنهم لما رأوا أن قولهم لا يتوجه إلا على هذا الأصل ، وهم يدعون أن ما نصروه من أصل جبهم في الإيمان هو قول المحققين والنظّار من أصحاب الحديث ومثل هذا يوجد كثيراً في مذاهب السلف التي خالفها بعض النظّار وأظهر حجته في ذلك ولم يعرف حقيقة قول السلف ، فيقول من عرف حجة هؤلاء دون السلف أو من معظمهم[*3] لما يراه من تمييزهم عليه ، هذا قول المحققين وقال المحققون ، ويكون ذلك من الأقوال الباطلة المخالفة للعقل[*4] والشرع ، وهذا كثيراً ما يوجد في كلام بعض المبتدعين وبعض الملحدين . ومن أتاه الله علماً وإيماناً علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون تحقيق السلف لا في العلم ولا في العمل ومن كانت له خبرة بالنظريات والعقليات والعمليات ، علم أن مذهب الصحابة دائماً أرجح من قول من بعدهم ، وأنه لا يبتدع أحد قولاً في الإسلام إلا كان خطأً وكان الصواب قد سبق إليه من قبله . قال أبو القاسم الأنصاري ، فيما حكاه عن أبي إسحاق الأسفرائيني لمّا ذكر قول أبي الحسن وأصحابه في الإيمان وصحح أنه تصديق القلب ، قال : ومِن أصحابنا مَن قال بالموافاة وشرط في الإيمان الحقيقي أن يوافي ربه به ويختم

---

(١) (لا مبدل لكلماته) غير موجودة في الهندية .

(٢*) (الإيمان) غير موجودة في الهندية .

(٣*) (معظمهم) في الأصل ، (يعظمهم) في الهندية .

(٤*) (مع) زيادة في الهندية .

عليه ، وفيهم من لم يجعل ذلك شرطاً فيه في الحال . قال الأنصاري : لما ذكر أن معظم أئمة السلف كانوا يقولون : الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح . قال الأكثرون من هؤلاء على القول بالموافاة ومن قال بالموافاة فإنما يقوله فيمن لم يرد الخبر بأنه من أهل الجنة . وأما من ورد الخبر بأنه من أهل الجنة فإنه يقطع على إيمانه كالعشرة من الصحابة ، ثم قال والذي اختاره المحققون أن الإيمان هو التصديق وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم في الموافاة ، وأن ذلك هل هو شرط في صحة الإيمان وحقيقة في الحال ، وكونه معتداً عند الله به وفي حكمه ، فمن قال إن ذلك شرط فيه يستثنون في الإطلاق في الحال إلا(*1) أنهم يشكّون في حقيقة التوحيد والمعرفة ، لكنهم يقولون لا ندري أي الإيمان الذي نحن موصفون(*2) به في الحال هل هو معتدّ به عند الله على معنى أننا ننتفع به في العاقبة ونجتني من ثماره ، فإذا قيل لهم أمؤمنون أنتم حقًّا ، أو تقولون إن شاء الله ، أو تقولون نرجو ، فيقولون نحن مؤمنون إن شاء الله يعنون بهذا الاستثناء تفويض الأمر في العاقبة إلى الله سبحانه وتعالى ، وإنما يكون الإيمان إيماناً معتدًّا به في حكم الله إذا كان ذلك علم الفوز وآية النجاة ، فإذا كان صاحبه والعياذ بالله في حكم الله من الأشقياء ، يكون إيمانه الذي يحل به في الحال عارية . قال ولا فرق عند الصائرين إلى هذا المذهب بين أن يقول(*3) أنا من أهل الجنة قطعاً ومن أن يقول أنا مؤمن حقًّا ، قلت : هذا إنما يجيىء على قول من يجعل الإيمان متناولاً ولأداء الواجبات وترك المحرمات فمن مات على هذا كان من أهل الجنة وأما على قول الجهمية والمرجئة وهو القول الذي نصره هؤلاء الذين نصروا قول جهم فإنه يموت على الإيمان قطعاً ويكون كامل الإيمان عندهم ، وهو مع هذا عندهم من أهل الكبائر الذين يدخلون النار فلا يلزم إذا وافى الإيمان أن يكون من أهل الجنة . وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده ، لأن الله وعد المؤمن بالجنة وكذلك قالوا : لاسيما والله سبحانه(*4) يقول : ﴿ **وعد الله المؤمنين**

(*1) (إلا أنهم) في الأصل ، (لا أنهم) في الهندية .
(*2) (موصوفون) في الأصل ، (مؤمنون) في الهندية .
(*3) (أنا مؤمن) زيادة في الهندية .
(*4) (وتعالى) زيادة في الهندية .

والمؤمنات جنات﴾[1] الآية ، قال : فهو لا يعني(*١) القائلين بالموافاة جعلوا الثبات على هذا التصديق والإيمان الذي وصفناه إلى العاقبة والوفاء به في المآل شرطاً في الإيمان شرعاً لا لغة ولا عقلاً ، قال وهذا مذهب سلف أصحاب الحديث والأكثرين . وقال وهو اختيار الإمام أبي بكر بن فورك ، وكان الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة يغلو فيه وكان يقول : من قال أنا مؤمن حقًّا فهو مبتدع ، وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عُيَيْنة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم ، لكن ليس في هؤلاء من قال أنا استثنى لأجل الموافاة وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافى به(*٢) بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل جميع(*٣) الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك ، كما يشهدون لها بالبِر والتّقوى فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم كما سنذكر أقوالهم إن شاء الله تعالى في ذلك . وأما الموافاة فما علمت أحداً من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث ثم قال : فإن قال قائل إذا قلتم إن الإيمان المأمور به في الشريعة هو ما وصفتموه بشرائطه(*٤) وليس ذلك متلقى من اللغة فكيف يستقيم قولكم إن الإيمان لغوي قلنا إن الإيمان هو التصديق لغة وشرعاً غير أن الشرع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط مجموعها يصير مجزياً مقبولاً ، كما قلنا في الصلاة والصوم والحج ونحوها والصلاة في اللغة هو الدعاء غير أن الشرع ضم إليها شرائط ، فيقال هذا يناقض ما ذكروه في مسمّى الإيمان فإنهم لما زعموا أنه في اللغة التصديق والشرع لم يغيره ، أوردوا على أنفسهم ، فإن قيل أليس الصلاة والحج والزكاة معدولة عن

(*١) (فهؤلاء يعني) في الأصل ، (فهو لا يعني) في الهندية .

(*٢) (العبد ربه) زيادة في الهندية .

(*٣) (جميع) غير موجودة في الهندية .

(*٤) (بشرائطه) في الأصل ، (بشرائط) في الهندية .

اللغة مستعملة في غير مذهب أهلها قلنا قد اختلف العلماء في ذلك والصحيح أنها مقررة على استعمال أهل اللغة ومبقاة على مقتضياتها ، وليست منقولة أو محمولة[*1] إلا أنها زِيد فيها أمور ، فلو سلمنا للخصم كون هذه الألفاظ منقولة على وجه من المجاز بدليل مقطوع به فعليه إقامة الدليل على وجود ذلك في الإيمان ، فإنه لا يجب إزالة ظواهر القرآن بسبب إزالة ظاهر منها . فيقال : أنتم في الاستثناء جعلتم الشرع زاد فيه ، وجعلتموه كالصلاة والزكاة ، مع أنه لا يمكن أحد أن يذكر من الشرع دليلاً على أن الإيمان لا يسمّى به . إلا الموافي[*2] به وبتقدير ذلك ، فمعلوم أن دلالة الشرع على ضم الأعمال إليه أكثر وأشهر ، فكيف لم تدخل الأعمال في مسماه شرعاً ؟ وقوله : لابد من دليل مقطوع به عنه جوابان : أحدهما النقض بالموافاة ، فإنه لا يقطع به[*3] ، الثاني : لا نسلم بل نحن نقطع بأنّ حبّ الله ورسوله وخشية الله[*4] ونحو ذلك داخل في مسمّى الإيمان في كلام الله ورسوله أعظم مما يقطع ببعض أفعال الصلاة والصوم والحج كمسائل النزاع . ثم أبو الحسن وابن فورك وغيرهما من القائلين بالموافاة ، وهم لا يجعلون الشرع ضم إليها[*5] شيئاً بل عندهم كل من سلبه الشرع اسم الإيمان فقد فقد من قبله التصديق . قال : ومِن أصحابنا مَن لم يجعل الموافاة على الإيمان شرطاً في كونه إيماناً حقيقياً في الحال وإن جعل ذلك شرطاً في استحقاق الثواب عليه وهذا مذهب المعتزلة والكرامية . وهو اختيار أبي إسحاق الإسفرائيني وكلام القاضي يدل عليه ، قال : وهو اختيار شيخنا أبي المعالي فإنه قال : الإيمان ثابت في الحال قطعاً لا شك فيه ، ولكن الإيمان الذي هو علم الفوز وإنه[*6] النجاة إيمان الموافاة فاعتنى السلف وقرنوه بالاستثناء ، ولم يقصدوا الشك في الإيمان الناجز . قال : ومن صار إلى هذا يقول : الإيمان صفة يشتق منها اسم المؤمن وهو المعرفة والتصديق كما أن العالم يشتق من العلم ، فإذا عرفت ذلك من

(*1) (أو محمولة) غير موجودة في الهندية .
(*2) (الموافى) في الأصل ، (الموافاة) في الهندية .
(*3) (به) في الأصل ، (فيه) في الهندية .
(*4) (وخشية الله) غير موجودة في الهندية .
(*5) (إليها) في الأصل ، (إليه) في الهندية .
(*6) (وأنه) في الأصل ، (وآية) في الهندية .

نفسي قطعت به كما قطعت بأني عالم وعارف ومصدق ، فإن ورد في المستقبل ما يزيله خرج إذ ذاك عن استحقاق هذا الوصف ، ولا يقال تبيّناً أنه لم يكن إيماناً مأموراً به بل كان إيماناً مجزياً فتغيّر وبَطُل . وليس كذلك قوله أنا من أهل الجنة ، فإن ذلك مغيّب عنه ، وهو مرجو ، قال : ومن صار إلى القول الأول يتمسك بأشياء منها : إن قال[*1] الإيمان عبادة العمر وهو كطاعة واحدة فيتوقف صحة أولها على سلامة آخرها كما يقول في الصلاة والصيام والحج ، قالوا : ولا شك أنه لا يسمى في الحال وليًّا ولا سعيداً ولا مرضياً عند الله وكذلك الكافر ، لا يسمّى في الحال عدوًّا لله ولا شقيًّا إلا على معنى أن تجري عليه أحكام الأعداء في الحال لإظهاره من نفسه علامتهم . قلت : هذا الذي قالوا إنه لاشك فيه هو قول ابن كلاب والأشعري وأصحابه ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم .

وأما أكثر الناس فيقولون بل هو إذا كان كافراً فهو عدو لله ثم إذا آمن واتّقى صار وليًّا لله ، قال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوَّكم أولياءَ تُلقونَ إليهم[*2] بالمودة** ﴾[1] إلى قوله : ﴿ **عسى الله أن يجعلَ بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قدير والله غفورٌ رحيمٌ** ﴾[2] ، وكذلك كان فإن هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح ، آمن أكثرهم وصاروا من أولياء الله ورسوله ، وابن كلاب وأتباعه بنوْا ذلك على أن الولاية صفة قديمة لذات الله هي الإرادة والمحبة والرضا ونحو ذلك فمعناها إرادة ثابتة بعد الموت ، وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم أنه يموت مؤمناً لم يزل وليًّا لله لأنه لم يزل الله مريداً لإدخاله الجنة ، وكذلك العداوة . وأما الجمهور فيقولون : الولاية والعداوة وإن تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه ، بعد أن يؤمن ويعمل صالحاً ، وإنما يسخط عليه ويغضب بعد أن يكفر كما قال تعالى :

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١ .
(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٧ .

(*١) (قال) في الأصل ، (يقال) في الهندية .
(*٢) (بالمودة) غير موجودة في الهندية .

﴿ **ذلك بأنهم اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه**[*1] **فأحبط أعمالهم** ﴾[1] ، فأخبر أن الأعمال أسخطته ، وكذلك قال : ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾[2] ، قال المفسرون : أغضبونا ، وكذلك قال :[*2] ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾[3] وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلّي عبدي بمثل ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلّي بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببتُه : كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها فيّ يسمع ، وبي يبصر وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأُعيذنّه ، وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابدّ له منه »[4] ، فأخبر أنه لا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه ثم قال : فإذ أحببته كنت كذا وكذا ، وهذا بيّن في أن حبه لعبده بعد أن يأتي بمحابّه ، والقرآن قد دل على مثل ذلك قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يُحبِبْكُمُ الله** ﴾[5] فقوله ﴿ **يحببكم الله** ﴾[*3] جواب الأمر في قوله : فاتّبعوني ، وهو بمنزلة الجزاء مع الشرط ولهذا جزم وهذا ثواب عملهم وهو اتباع الرسول ، فأثابهم على ذلك بأن أحبهم ، وجزاء الشرط وثواب العمل ومسبب السبب لا يكون إلا بعده ، ولا قبله وهذا كقوله تعالى : ﴿ **ادعُوني أستَجِبْ لكم** ﴾[6] ، وقوله[*4] : ﴿ **ياقومنا أجيبوا داعيّ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكُم من عذاب أليم** ﴾[7] ، وقوله[*5] : ﴿ **اتقوا الله**

---

(1) سورة محمد ، الآية ٢٨ .
(2) سورة الزخرف ، الآية ٥٥ .
(3) سورة الزّمر ، الآية ٧ .
(4) رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع ١١/٣٤٠ عن أبي هريرة ، فتح الباري .
(5) سورة آل عمران ، الآية ٣١ .
(6) سورة غافر ، الآية ٦ .
(7) سورة الأحقاف ، الآية ٣١ .

(*1) (فأحبط أعمالهم) غير موجودة في الهندية .
(*2) (الله تعالى) زيادة في الهندية .
(*3) (الله) غير موجودة في الهندية .
(*4) (تعالى) زيادة في الهندية .
(*5) (تعالى) زيادة في الهندية .

وقولوا قولاً سديداً يُصْلِح لكم أعمالَكم ويغفرْ لكم ذنوبَكم ﴾[1] ، ومثل هذا[*1] ، وكذلك قوله : ﴿ فأتمّوا إليهم عهدَهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾[2] ، وقوله : ﴿ لِمَ تَقُولون ما لا تفعلون ، كَبُرَ مقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنّهم بنيانٌ مرصوصٌ ﴾[3] ، وكانوا قد سألوه : لو علمنا أي العمل أحب إلى الله لعملناه ، وقوله : ﴿ إن الذين كفروا ينادون لَمقْتُ الله أكبر من مَقْتِكم أنفسكم إذ تُدْعَوْن إلى الإيمان فتكفرون ﴾[4] فهذا يدل على أن حبه ومقته جزاء لعملهم وأنه يحبهم إذا اتّقوا وقاتلوا ، ولهذا رغّبهم في العمل بذلك ، كما يرغّبهم بسائر ما يعدهم به ، وجزاء العمل بعد العمل ، وكذلك قوله : ﴿ إذ تُدعوْن إلى الإيمان فتكفرون ﴾[5] فإنه[*2] يمقتهم إذ يدعون إلى الإيمان فيكفرون ، ومثل هذا قوله : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذْ يبايعونك تحت الشجرة فعلِمَ ما في قُلوبِهم ، فأنزل السكينةَ عليهم ، وأثابهم فَتحاً قريباً ﴾[6] ، فقوله : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك ﴾[7] بيّن أنه رضي عنهم هذا الوقت فإن حرف إذا ظرف لما مضى من الزمان ،فعلم أن ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وثواباً[*3] عليه ، والمسبّب لا يكون قبل سببه ، والموقت بوقت لم يكن قبل وقته وإذا كان راضياً عنهم من جهة ، فهذا الرضى الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن إلا حينئذ كما ثبت في الصحيح أن يقول لأهل الجنة : ياأهلَ الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون ياربّنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون : ياربّنا وأي شيء أفضل من ذلك ، فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ، وهذا يدل على أنه في ذلك الوقت حصل لهم هذا الرضوان الذي لا يتعقبه

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ٧٠ ، ٧١ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ٤ .
(٣) سورة الصفّ ، الآيات من ٢ ـ ٤ .
(٤) سورة غافر ، الآية ١٠ .
(٥) سورة الفتح ، الآية ١٨ .
(٦) سورة الفتح ، الآية ١١ .
(٧) سورة الفتح ، الآية ١٨ .

(١*) (كثير) زيادة في الهندية .
(٢*) (سبحانه) زيادة في الهندية .
(٣*) (وثواباً) في الأصل ، (وأثابهم) في الهندية .

سخط[*١] ، وفي الصحيحين من حديث الشفاعة : « يقول كل من الرسل إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله »[١] وفي الصحاح من غير وجه[*٢] عن النبي ﷺ[*٣] أنه قال : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فاضطجع ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا بدابّته عليها طعامه وشرابه » وفي رواية : « كيف تجدون فرحه بها »[٢] ، قالوا : عظيماً يارسول الله قال : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته »[٣] وكذلك ضحكه إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة ، وضحكه إلى الذي يدخل الجنة آخر الناس ويقول أتسخر بي وأنت رب العالمين فيقول لا ولكني على ما أشا قادر وكل هذا في الصحيح . وفي دعاء القنوت : « تولّني فيمن تولّيت »[٤] والقديم لا يتصور طلبه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن وليّي الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين** ﴾[٥] ، وقال : ﴿ **والله وليّ المتّقين** ﴾[٦] فهذا التولي لهم جزاء صلاحهم وتقواهم ومسبب عنه ، فلا يكون متقدماً عليه ، وإن كان إنما صاروا صالحين ومتّقين بمشيئته وقدرته وفضله وإحسانه لكن تعلق بكونهم متقين وصالحين فدل على أن هذا التولّي هو بعد ذلك مثل كونه مع المتقين والصالحين بنصره وتأييده ليس ذلك قبل كونهم متقين وصالحين وهكذا الرحمة قال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء »[٧] ، قال الترمذي حديث صحيح وكذلك قوله : ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾[٨] علق الرضى به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه** ﴾ ٣٧١/٦ عن أبي هريرة .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم في كتاب التوبة باب في الحض على التوبة ٢١٠٦/٤ ، عن عبد الله بن عمر .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ، وهو جزء من حديث رقم ٢ .

(٤) حديث صحيح ودعاء القنوت يقصد به الوتر أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٩/١ ، عن الحسن بن عليّ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٩٦ .

(٦) سورة الجاثية ، الآية ١٩ .

(٧) حديث صحيح رواه الترمذي كما خرجه الإمام أحمد ١٩٩/١ .

(٨) سورة الزمر ، الآية ٧ .

(*١) (أبداً) زيادة في الهندية .

(*٢) (من غير وجه) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (من غير وجه) غير موجودة في الهندية .

والجزاء إنما يكون بعد الشرط . وكذلك قوله ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين** ﴾[1] يدل على أنه يشاء ذلك فيما بعد ، وكذلك قوله : ﴿ **إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فَيكُون** ﴾[2] ، فإن[*1] (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان ، فدل على أنه إذا أراده كونه ، وإذا أراده[*2] قال له كن فيكون . وكذلك قوله : ﴿ **وقلِ اعْمَلُوا فسيرى اللهُ عَمَلَكُم** ﴾[3] فبيّن فيه أنه سيرى ذلك في المستقبل إذا عملوه .

والمأخذ الثاني في الاستثناء : أن الإيمان المطلق يتضمّن فعل ما أمر الله به عبده كله وترك المحرمات كلّها ، فإذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتّقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به وترك كل ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه ، بما لا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنّة إن مات على هذه الحال ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته[*3] لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال . وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون وإن جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر كما سنذكره إن شاء الله[*4] . قال الخلاّل في كتاب السنّة ، حدثنا سليمان بن الأشعث يعني أبا داود السجستاني قال سمعت أبا عبد الله[*5] قال له رجل قيل لي أمؤمن أنت قلت نعم هل عليَّ في ذلك شيء ، هل الناس إلا مؤمن أو كافر فغضب أحمد وقال : هذا كلام الإرجاء قال الله تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله** ﴾[4] ، قال[*6] له الرجل بلى ، قال فجئنا بالقول قال نعم ، قال فجئنا بالعمل ، قال لا ، قال فكيف تعيب أن يقول إن شاء الله ويستثنى ، قال أبو داود أخبرني أحمد بن شريح أن أحمد بن حنبل كتب إليه في هذه المسألة : أن

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .
(٢) سورة يس ، الآية ٨٢ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ .
(٤) سورة التوبة ، الآية ١٠٦ .

(١*) (فإن) غير موجودة في الهندية .
(٢*) (وإذا أراده) غير موجودة في الهندية .
(٣*) (كشهادة) في الأصل ، (شهادته) في الهندية .
(٤*) (تعالى) زيادة في الهندية .
(٥*) (أحمد بن حنبل) زيادة في الهندية .
(٦*) (من هؤلاء ثم قال أحمد أليس الإيمان قولاً وعملاً) زيادة في الهندية .

الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجيء بالعمل ، فنحن نستثنى في العمل ، وذكر الخلاّل هذا الجواب من رواية الفضيل بن زياد ، وقال زاد الفضل : سمعت أبا عبد الله يقول : كان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندري يتقبل منا أم لا ، قلت والقبول متعلق بفعله كما أمر فكل من اتقى الله في عمله وفعله(*1) كما أمر فقد تقبل منه ، لكن هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل ، كما قال تعالى : ﴿ **والذين يُوءتون ما أتوا قلوبهم وَجِلَة(*2) إنهم إلى ربّهم راجعون** ﴾[1] ، قالت عائشة : يارسول الله هو(*3) الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر(*4) ، فقال : « لا يابنت الصديق بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه »[2] ، وروى الخلال عن أبي طالب قال : سمعت أبا عبد الله يقول : لا نجد بدًّا من الاستثناء ، إلا أنهم(*5) أنا مؤمن(*6) فقد جاء بالقول فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول . وعن إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أبا عبد الله يقول : أذهب إلى حديثه ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان لأن الإيمان قول وعمل والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون فرّطنا في العمل فيعجبني أن يستثنى في الإيمان بقول أنا مؤمن إن شاء الله(*7) ، وسمعت أبا عبد الله وسئل عن قول النبي ﷺ : « وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون »[3] الاستثناء هاهنا على أي شئ يقع ؟ قال على البقاع لا يدري أيدفن في الموضع الذي سلم عليه أم في غيره ، وعن الميموني أنه سأل أبا عبد الله عن قوله ورأيه في « مؤمن إن شاء الله » ، قال : أقول مؤمن إن شاء الله ، ومؤمن أرجو ، لأنه لا يدري كيف البراءة للأعمال على ما افترض

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية ٦٠ .
(2) أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه في كتاب الزهد باب التوخي على العمل ١٤٠٤/٢ عن عائشة .
(3) حديث صحيح تقدم تخريجه كثيراً .

(*1) (ففعله) زيادة في الهندية .
(*2) (إنهم إلى ربهم راجعون) غير موجودة في الهندية .
(*3) (هو) في الأصل ، (أهو) في الهندية .
(*4) (ويخاف) زيادة في الهندية .
(*5) (إلا أنهم) في الأصل ، (لأنهم) في الهندية .
(*6) (أنا مؤمن) في الأصل ، (إذا قالوا مؤمن) في الهندية .
(*7) (قال) زيادة في الهندية .

عليه أم لا ، ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله ، وهذا مطابق لما تقدم من أن المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة إذا مات على ذلك وأن المفرط بترك المأمور وفعل المحظور لا يطلق عليه أنه مؤمن وأن المؤمن المطلق هو البِر التّقي وليّ الله ، فإذا قال أنا مؤمن قطعاً كان قوله أنا بِرّ تقي وليّ لله قطعاً ، وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن(*١) إن شاء الله ويكرهون الجواب . لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم ، فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر بل يجد قلبه مصدقاً بما جاء به الرسول فيقول أنا مؤمن فثبت أن الإيمان هو التصديق لأنك تجزم بأنك مؤمن ، ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به فلما علم السلف مقصودهم صاروا يكرهون الجواب أو يفصلون في الجواب ، وهذا لأن لفظ الإيمان فيه إطلاق وتقييد ، فكانوا يجيبون بالإيمان المقيّد الذي لا يستلزم أنه شاهد(*٢) لنفسه بالكمال ، ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال أنا مؤمن بالاستثناء(*٣) إذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه . وقال المروزي قيل لأبي عبد الله ، نقول نحن المؤمنون ، فقال : نقول نحن المسلمون وقال أيضاً قلت لأبي عبد الله نقول إنا مؤمنون قال ولكن نقول إنا مسلمون ومع هذا فلم يكن(*٤) ينكر على من ترك الاستثناء ، إذا لم يكن قصده قصد المرجئة أن الإيمان مجرد القول بل تركه لما يعلم أن في قلبه إيماناً وإن كان لا يجزم بكمال إيمانه قال الخلاّل : أخبرني أحمد بن أصرم المزني أن أبا عبد الله قيل له : إذا سألني الرجل فقال أمؤمن أنت قال : سؤالك إيّاي بدعة لا يشك في إيمانه أو قال لا يشك في إيماننا قال المزني وحفظي أن أبا عبد الله قال أقول كما قال طاوس آمنت الله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال الخلاّل أخبرني حرب بن إسماعيل وأبو داود قال أبو

---

(١) (أمؤمن إن شاء الله) في الأصل ، (أمؤمن أنت) في الهندية .

(*٢) (فيه) زيادة في الهندية .

(*٣) (بالاستثناء) في الأصل ، (بلا استثناء) في الهندية .

(*٤) (يكن) غير موجودة في الهندية .

داود سمعت أحمد قال سمعت سفيان يعني « ابن عيينة »[1] يقول إذا سئل أمؤمن أنت لم يجبه ويقول أما سؤالك[*1] إياي بدعة ولا أشك في إيماني ، وقال إن شاء الله ليس يكره ولا يداخل الشك فقد أخبر عن أحمد أنه قال لا يشك في إيماننا وأن السائل لا يشكّ في إيمان المسؤول وهذا أبلغ وهو إنما يجزم بأنه مقرّ مصدّق بما جاء به الرسول ولا يجزم بأنه قائم بالواجب[*2] ، وقال النبي ﷺ لأصحابه : « إني لأرجو إن شاء الله[*4] أن أكون أتقاكم لله »[3] ، وقال في الميّت : « وعليه تبعث إن شاء الله »[4] ، فقد بيّن أحمد أنه يستثنى مخافة واحتياطاً للعمل فإنه يخاف أن لا يكون قد كمل المأمور به فيحتاط بالاستثناء وقال على غير معنى الشك يعني من غير شك مما يعلمه الإنسان من نفسه وإلا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمله فيخاف من نقصه ولا يشك في أصله ، قال الخلاّل وأخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندي حدثهم في هذه المسألة قال أبو عبد الله ، قول النبي ﷺ حين وقف على المقابر فقال : « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون »[1]

---

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه .

(١) سفيان بن عيينة : هو أمير أهل الحديث البحر العلامة الحافظ الثقة الصدوق الحجة الإمام الفقيه ، مات في رجب سنة ٩٨هـ ، راجع تقريب التهذيب ٣١٢/٢ رقم ٣١٨ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم في كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة ٧٧٩/٢ عن عمر بن أبي سلمة .

(٤) حديث صحيح رواه الشيخان وتقدم تخريجه .

(*١) (أما سؤالك) في الأصل ، (سؤالك) في الهندية .

(*٢) (بالواجب) في الأصل ، (بالواجبات) في الهندية .

(*٣) (مافي القلوب) في الأصل ، (ما في القلب) في الهندية .

(*٤) (إن شاء الله) غير موجودة في الهندية .

وقد نُعيت إليه نفسه وعلم أنه صائر إلى الموت ، وفي قصة صاحب القبر : « عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله »[٢] ، وفي قول النبي ﷺ : « إني اختبأت دعوتي وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً »[٣] وفي مسألة الرجل النبي ﷺ : أحدنا يصبح جنباً يصوم فقال : « إني لأفعل ذلك ثم أصوم »[٤] ، فقال : إنك لست مثلنا أنت قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله »[٥] وهذا كثير وأشباهه على اليقين ، قال ودخل عليه شيخ فسأله عن الإيمان فقال : قول وعمل ، فقال له[*١] يزيد فقال وينقص ، فقال له ، أقول مؤمن إن شاء الله قال نعم ، وقال له إنهم يقولون لي إنك شاك قال بئس ما قالوا ، ثم خرج فقال ردّوه ، فقال : أليس يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال نعم ، قال هؤلاء يستثنون ، قال له كيف ياأبا عبد الله ، قال قل لهم زعمتم أن الإيمان قول وعمل ، فالقول قد أتيتم به ، والعمل فلم تأتوا به ، فهذا الاستثناء لهذا العمل ، قيل له يستثنى في الإيمان ، قال نعم أقول أنا مؤمن إن شاء الله استثناء[*٢] على اليقين لا على الشك ، ثم قال الله : ﴿ **لتدخلنّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين** ﴾[٦] فقد أخبر الله تبارك[*٣] وتعالى أنهم داخلون المسجد الحرام فقد بيّن أحمد في كلامه أن يستثني مع تيقّنه بما هو الآن موجود فيه بقوله بلسانه وقلبه لا يشك في ذلك ويستثني لكون العمل من الإيمان وهو لا يتيقن أنه أكمله بل يشك في ذلك ، فنفى الشك وأثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه ، وأثبت الشك فيما لا يعلم وجوده ، وبيّن أن الاستثناء مستحب لهذا الثاني الذي

---

(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه .

(٣) متفق عليه ، البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ **لو كان البحر مداداً** ﴾ ٤٤٧/١٣ عن أبي هريرة ، مسلم في كتاب الإيمان ، باب اختباء دعوة النبي ﷺ للشفاعة ١٨٨/١ ، عن أبي هريرة .

(٤) رواه الإمام مسلم خرج هذا الحديث سابقاً .

(٥) رواه الإمام مسلم ، تقدم تخريج هذا الحديث سابقاً .

(٦) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(*١) (فقال له) زيادة في الهندية .

(*٢) (تبارك) غير موجودة في الهندية .

(*٣) (استثناء) في الأصل ، (استثنى) في الهندية .

لا يعلم هل أتى به أم لا وهو جائز أيضاً لما يتيقنه ، فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز كقول النبي ﷺ : « والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله »[1] . وهذا أمر موجود في الحال ليس بمستقبل وهو كونه أخشانا فإنه لا يرجو أن يصير أخشانا لله بل هو يرجو أن يكون حين هذا القول أخشانا لله كما يرجو المؤمن إذا عمل عملاً أن يكون الله تقبله منه ويخاف أن لا يكون تقبله منه كما قال تعالى : ﴿ **والذين يُوءتون ما أتوا وقلوبهم وجِلَة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾[2] وقال النبي ﷺ : « هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل معه »[3] والقبول هو أمر حاضر أو ماض وهو يرجوه ويخافه وذلك إنما له عاقبة مستقبلة محمودة أو مذمومة والإنسان يجوز وجوده وعدمه ، يقال إنه يرجوه وإنه يخافه فيعلق الرجاء والخوف بالحاضر والماضي لأن عاقبته المطلوبة والمكروهة مستقبلة فهو يرجو أن يكون الله تقبّل عمله فيثيبه عليه فيرحمه في المستقبل ، ويخاف أن لا يكون يقبله فيحرم ثوابه كما يخاف أن يكون الله قد سخط عليه في معصية فيعاقبه عليها . وإذا كان الإنسان ينبغي[*1] فيما يطلبه كتاجر أو يريد أرسله في حاجته يقضيها في بعض الأوقات فإذا مضى ذلك الوقت يقول أرجو أن يكون فلان قد قضى ذلك الأمر وقضاوءه ماضٍ ، لكن ما يحصل لهذا من الفرح والسرور وغير ذلك من مقاصده مستقبل ، ويقول الإنسان في الوقت الذي جرت عادة الحاج بدخولهم إلى مكة أرجو أن يكونوا دخلوا ، ويقول في سريّة بعثت إلى الكفار نرجو أن يكون الله قد نصر المؤمنين وغنمهم ، ويقال في نيل مصر عند وقت ارتفاعه : نرجو أن يكون قد صعد النيل ، كما يقول الحاضر في مصر ، مثل هذا الوقت : نرجو أن يكون النيل هذا العام نيلاً مرتفعاً . ويقال لمن له أرض يحب أن تمطر إذا مطرت بعض النواحي : أرجو أن يكون المطر عامًّا ، وأرجو أن يكون قد مطرت الأرض الفلانية ، وذلك لأن المرجو هو مما يفرح بوجوده ويسر والمكروه مما يتأَلم بموجوده[*2] ، وهذا يتعلق بالعلم ،

---

(١) حديث صحيح تقدم كثيراً أو خرج .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٦٠ .
(٣) حديث صحيح ذكر مراراً وخرج .

(*١) (ينبغي) في الأصل ، (يسمى) في الهندية .
(*٢) (والمكروه مما يتألم بوجوده) غير موجودة في الهندية .

والعلم بذلك مستقبل ، فإذا علم أن المسلمين قد انتصروا والحجاج قد دخلوا والمطر قد نزل فرح بذلك ، وحصل به مقاصد أُخر ، له ، وإذا كان الأمر بخلاف ذلك لم يحصل ذلك المحبوب المطلوب ، فيقول أرجو وأخاف ، لأن المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك وهو مستقبل ، وكذلك المطلوب بالإيمان من السعادة والنجاة هو أمر مستقبل فيستثنى في الحاضر بذلك لأن المطلوب به مستقبل ثم كل مطلوب مستقبل يعلق بمشيئة الله وإن جزم بوجوده ، لأنه لا يكون مستقبل إلا بمشيئة الله فقولنا يكون هذا إن شاء الله حق . فإنه لا يكون إلا أن يشاء الله[*1] ، والشك واللفظ ليس فيه إلا التعليق وليس من ضرورة التعليق الشك بل هذا بحسب علم المتكلم ، فتارة يكون شاكاً ، وتارة لا يكون شاكاً ، فلما كان الشك يصحبها كثيراً لعدم علم الإنسان بالعواقب ، ظن الظان أن الشك داخل في معناها وليس كذلك فقوله : ﴿ **لتدخلنّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله** ﴾[1] لا يتصور فيه شك من الله بل ولا من رسوله المخاطب والمؤمنين ، ولهذا قال ثعلب هذا استثناء من الله وقد علمه ، والخلق يستثنون فيما لا يعلمون ، وقال أبو عبيدة وابن قتيبة (إن) بمعنى إذا أي إذ شاء الله ومقصدهم بهذا تحقيق الفعل بأن كما يتحقق مع إذ وإلا فإذ ظرف توقيت وإن حرف تعليق ، فإن قيل فالعرب تقول : إذا احمر البسر يحمر ويطيب إن شاء الله وهذا حق فهذا نظير ذاك . فإن قيل فطائفة ، من الناس فسّروا هذا المعنى وجعلوا الاستثناء لأمر مشكوك فيه فقال الزجاج : ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام** ﴾ أي أمركم الله به . وقيل الاستثناء يعود إلى الأمن والخوف أي لتدخلن آمنين ، فأما الدخول فلا شك فيه وقيل لتدخلن جميعكم أو بعضكم لأنه علم أن بعضهم يموت ، فالاستثناء لأنهم لم يدخلوا جميعهم ، قيل كل هذه الأقوال وقع أصحابها فيما فسروا منه مع خروجهم عن مدلول القرآن فحرفوه تحريفاً لم ينتفعوا به ، فإنّ قول من قال أي أمركم الله به ، وهو سبحانه قد علم هل يأمرهم أو لا يأمرهم فعلمه بأن سيأمرهم بدخوله كعلمه بأن سيدخلوا ، فعلقوا الاستثناء بما لم

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(*١) (إلا أن يشاء الله) في الأصل ، (إلا أن شاء الله) في الهندية .

يدل عليه اللفظ ، وعلم الله متعلق بالمظهر والمضمر جميعاً ، وكذلك آمنهم وخوفهم وهو يعلم أنهم يدخلون آمنين أو خائفين ، وقد أخبر أنهم يدخلون آمنين مع علمه بأنهم يدخلون آمنين فكلاهما لم يكن فيه شك عند الله بل ولا عند رسوله وقول من قال جميعهم أو بعضهم يقال المعلق بالمشيئة دخول من أريد باللفظ ، فإن كان أراد الجميع فالجميع لابد أن يدخلوه ، وإن أريد الأكثر كان دخولهم هو المعلق بالمشيئة ، ومالم يرد لا يجوز أن يعلق بأن ، وإنما علق بأن ما سيكون ، وكان هذا وعداً مجزوماً به ولهذا[*1] قال عمر للنبي ﷺ عام الحديبية ألم تكن تحدثنا أنّا نأتي البيت ونطوف به قال : « بلى أقلت لك أنك تأتيه هذا العام »[1] قال لا ، قال : « فإنك آتيه ومطوف به »[2] . فإن قيل : لم لم يعلق غير هذا من مواعيد القرآن ؟ قيل : لأن هذه الآية نزلت بعد مرجع النبي ﷺ من الحديبية وكانوا قد اعتمروا ذلك العام واجتهدوا في الدخول فصدهم المشركون فرجعوا وبهم من الألم ما لا يعلمه إلا الله فكانوا منتظرين لتحقيق هذا الوعد ذلك العام إذ كان النبي ﷺ وعدهم وعداً مطلقاً ، وقد روي أنه رأى في المنام قائلاً يقول له : ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله** ﴾[3] فأصبح يحدث الناس برؤياه وأمرهم بالخروج إلى العمرة فلم تحصل لهم العمرة ذلك العام ، فنزلت هذه الآية وكان قول ﴿ **إن شاء الله** ﴾ هنا تحقيقاً لدخوله وأن الله يحقق ذلك لكم ، كما يقول الرجل فيما عزم على أن يفعله لا محالة ، والله لأفعلنّ كذا إن شاء الله ، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه بل تحقيقاً لعزمه وإرادته فإنه يخاف إذا لم يقل إن شاء الله أن ينقض الله[*2] عزمه ولا يحصل

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري في كتاب الجهاد باب من طلب الولد للجهاد ٣٤/٦ عن أبي هريرة .

(١) رواه الإمام البخاري وأحمد في حديث صلح الحديبية وتقدم تخريجه .

(٢) رواه الإمام البخاري وقد تقدم تخريجه .

(٣) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(*١) (لما) زيادة في الهندية .

(*٢) (واعدة) في الأصل ، (ووعدهم) في الهندية .

ما طلبه ، كما في الصحيحين أن سليمان عليه السلام قال : والله لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة كل منهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله ، فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة جاءت بشق رجل ، قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون »(١) فهو إذا قال إن شاء الله لم يكن لشك في طلبه وإرادته بل لتحقيق الله ذلك له إذ الأمور لا تحصل إلا بمشيئة الله ، فإذا تألّى العبد عليه من غير تعليق بمشيئة لم يحصل مراده ، فإنه من تألّى على الله يكذبه وبهذا يروي : لا أتممت لمقدر أمراً . وقيل لبعضهم بماذا عرفت ربك ، قال بفسخ العزائم ونقض الهمم . وقد قال تعالى : ﴿ **ولا تقولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أنْ يشاءَ الله** ﴾[٢] فإن قوله لأفعلن فيه معنى الطلب والخبر وطلبه جازم ، وأما كون مطلوبه يقع فهذا يكون إن شاءه وطلبه للفعل يجب أن يكون من الله بحوله وقوته ففي الطلب عليه أن يطلب من الله ، وفي الخبر لا يخبر إلا بما علمه الله ، فإذا جزم بلا تعليق كان كالمتألّي على الله يكذبه الله ، والمسلم في الأمر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلباً لا تردد فيه يقول إن شاء الله لتحقيق مطلوبه وحصول ما أقسم عليه لكونه لا يكون إلا بمشيئة لا لتردد في إرادته ، والرب تعالى مريد لإنجاز ما وعدهم به بإرادة جازمة لا مثنوية فيها ، وما شاء فعل فإنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ليس كالعبد الذي يريد ما لا يكون ، ويكون ما لا يريد ، فقوله سبحانه : ﴿ **إن شاء الله** ﴾ تحقق إن ما وعدتكم به يكون لا محالة بمشيئتي وإرادتي فإني ما شئت كان وما لم أشأ لم يكن فكان الاستثناء هنا لقصد التحقيق لكونهم لم يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام ، وأما سائر ما وعدوا به فلم يكن كذلك . ولهذا تنازع الفقهاء فمن أراد باستثنائه في اليمين هذا المعنى هل يكون مستثنياً به أم يلزمه الكفارة إذا حنث بخلاف من ترددت إرادته فإنه يكون مستثنياً بلا نزع ، والصحيح في الجميع[*٢]

---

(٢) سورة الكهف ، الآيتان ، ٢٣ ، ٢٤ .

(*١) (الله) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (والصحيح في الجميع أن يكون) في الأصل ، (والصحيح أن يكون في الجميع) في الهندية .

أنه يكون[*1] مستثنى لعموم المشيئة ، ولأن الرجل وإن كانت إرادته للمخلوق جازمة فقد علقه بمشيئة الله فهو يجزم بإرادته له لا يجزم بحصول مراده ولا هو أيضاً مريد له بتقدير أن لا يكون فإن هذا يمين[*2] لا إرادة فهو إنما التزمه إذا شاءه[*3] فإذا لم يشأه لم يلتزمه بيمينه ولا حلف أنه يكون وإن كانت إرادته له جازمة فليس كل ما أريد التزم باليمين فلا كفّارة عليه ، وقد تبيّن بما ذكرناه أن قول القائل إن شاء الله يكون مع كمال إرادته في حصول المطلوب وهو يقولها لتحقيق المطلوب لاستعانته بالله في ذلك لا لشك في الإرادة هذا فيما يحلف عليه ويريده كقوله تعالى : ﴿ **لتدخلنّ المسجد الحرام[*4] إن شاء الله** ﴾[1] فإنه خبر عما أراد الله كونه وهو عالم بأنه سيكون وقد علقه بقوله إن شاء الله ، فكذلك ما يخبر به الإنسان عن مستقبل أمره مما هو جازم بإرادته ولا في العلم[*5] بوقوعه[*6] ، ولهذا يذكر الاستثناء عند كمال الرغبة في المعلق وقوة إرادة الإنسان له ، فتبقى خواطر الخوف تعارض الرجاء فيقول إن شاء الله لتحقيق رجائه مع علمه بأنه سيكون ، كما يسأل الله ويدعوه[*7] الأمر الذي قد علم أنه يكون كما كان النبي ﷺ يوم بدر قد أخبرهم بمصارع المشركين ثم هو بعد هذا يدخل إلى العريش يستغيث بربه ويقول : « اللهم انجز لي ما وعدتني »[2] لأن العلم بما يقدره لا ينافي أن يكون قدره بأسباب والدعاء من أعظم أسبابه ، كذلك رجاء رحمة الله وخوف عذابه من أعظم الأسباب في النجاة من عذابه وحصول رحمته والاستثناء بالمشيئة يحصل في الخبر المحض وفي

---

(1) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(2) حديث رواه مسلم في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة ١٣٨٣/٣ عن عمر بن الخطاب .

(*1) (به) زيادة في الهندية .

(*2) (يمين) في الأصل ، (تمييز) في الهندية .

(*3) (الله) زيادة في الهندية .

(*4) (إن شاء الله) غير موجودة في الهندية .

(*5) (ولا في العلم) في الأصل ، (وجازم) في الهندية .

(*6) (فيقول فيه إن شاء الله بتحقيق وقوعه لا للشك لا في إرادته ولا في العلم بوقوعه) زيادة في الهندية .

(*7) (في) زيادة في الهندية .

الخبر الذي معه طلب ، فالأول إذا حلف على جملة خبرية لا يقصد به لا[*١] حضًّا ولا منْعاً بل تصديقاً أو تكذيباً كقوله : والله ليكونن كذا إن شاء الله أو لا يكون كذا ، والمستثنى قد يكون عالماً بأن هذا يكون أو لا يكون كما في قوله : ﴿ **لتدخلنّ المسجدَ[*٢] الحرامَ** ﴾ فإن هذا جواب خبر محذوف . والثاني ما فيه معنى الطلب كقوله : والله لأفعلن كذا أو لا أفعله إن شاء الله ، فالصيغة ، صيغة خبر ضمنها الطلب ولم يقل والله إني لمريد لهذا[*٣] ولا عازم عليه بل وقال والله ليكوننّ فإذا لم يكن فقد حنث لوقوع الأمر بخلاف ما وقع[*٤] عليه فحنث فإذا قال إن شاء الله فإنما حلف عليه بتقدير إن شاء الله لا مطلقاً ، ولهذا ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه متى لم يوجد المحلوف عليه حنث أو متى وجد الفعل[*٥] المحلوف أنه لا يفعله حنث سواء أكان ناسياً أو مخطئاً أو جاهلاً فإنهم لحظوا أن هذا في معنى الخبر فإذا وجد بخلاف مخبره فقد حنث . وقال الآخرون بل هذا مقصوده الحضّ والمنع كالأمر والنهي ، ومتى نهى الإنسان عن شيء يفعله ناسياً أو مخطئاً لم يكن مخالفاً فكذلك هذا . قال الأولون فقد يكون في معنى التصديق والتكذيب كقوله : والله ليقعنّ المطر أو لا يقع وهذا خبر محض ليس فيه حضّ ولا منع ولو حلف على اعتقاده فكان الأمر بخلاف ما حلف عليه حنث وبهذا يظهر الفرق بين الحلف على الماضي والحلف على المستقبل[*٦] وليس عليه أن يستثنى في المستقبل إذا كان فعله قال تعالى : ﴿ **زعم الذين كفروا أنْ لن يُبعثُوا قل بلى وربّي لَتُبْعثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بما عملتم وذلك على الله يسير** ﴾[١] ، فأمره أن يقسم على ما سيكون وكذلك قوله : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربّي لَتأْتِيَنَّكُمْ** ﴾[٢] كما أمره أن يقسم على الحاضر في قوله : ﴿ **ويسْتَنْبِئُونَك أحقّ هو ، قل أي وربي إنه لحقّ** ﴾[٣]

---

(١) سورة التغابن ، الآية ٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٣ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٥٣ .

(*١) (لا) غير موجودة في الهندية .

(*٢) (المسجد الحرام) غير موجودة في الهندية .

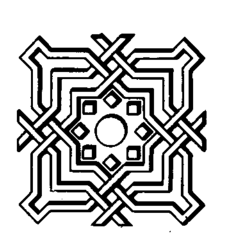
(*٣) (لهذا) في الأصل ، (هذا) في الهندية .

(*٤) (الفعل) غير موجودة في الهندية .

(*٥) (فإن اليمين على الماضي غير منعقدة فإذا أخطأ فيها لم يلزمه كفارة كالغموس بخلاف المستقبل) زيادة في الهندية .

وقد قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً »[1] وقال : « والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قَتَل ولا المقتول فيما قُتِل »[2] وقال[*1] : « هلك كسرى أو ليهلكنّ كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله »[3] وكلاهما في الصحيح . فأقسم صلوات[*2] وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله[*3] أعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً[*4] .



---

(١) متفق عليه ، البخاري في كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير ٤/٤١٤ عن أبي هريرة ، مسلم في كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم ١/١٣٥ عن أبي هريزة .

(٢) رواه الإمام مسلم ، ٨/١٨٣ .

(٣) متفق عليه ، البخاري في كتاب الجهاد باب الحرب خدعة ٦/١٥٧ عن أبي هريرة ، فتح الباري ، مسلم في كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ٤/٢٢٣٦ ، عن أبي هريرة .

(*١) (إذا) زيادة في الهندية .

(*٢) (الله) زيادة في الهندية .

(*٣) (سبحانه وتعالى) زيادة في الهندية .

(*٤) (تسليماً كثيراً) غير موجودة في الهندية .

المصـادر والمـراجـع

القـرآن الكريم .

ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد الكناني (٨٥٢هـ) .

- الإصابة في تمييز الصحابة . السعادة ، ١٣٢٨هـ ، الأولى .
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة . دار المحاسن ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
- تقريب التهذيب . المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٠هـ ، الأولى .
- تهذيب التهذيب . صورة من الطبعة الأولى ، مجلس دائرة المعارف بالهند .
- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس . مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، بدون ذكر سنة الطبع .
- فتح الباري . شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ .
- لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي ببيروت ، ١٣٩٠هـ ، الثانية .
- هدي الساري . مقدّمة فتح الباري ، السلفية .

الحربي أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (٢٨٥هـ) .

- المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ .

ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ) .

- جمهرة أنساب العرب . دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢هـ .

- جوامع السيرة . دار المعارف ، مصر بدون ذكر سنة الطبع .
- المحلى . تحقيق زيدان أبو المكارم حسن ، الناشر عبد الفتاح عبد الحميد مراد ، مصر ، ١٣٨٧هـ .

حسان بن ثابت الصحابي (٥٠هـ) .
- ديوان حسان بن ثابت . تصحيح عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية ، مصر بدون ذكر سنة الطبع .

الحلبي علي برهان الدين الحلبي (٨٤١هـ) .
- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية) . مطبعة الاستقامة ، القاهرة دون ذكر سنة الطبع .

الحميدي أبو بكر عبد الله بن الزبير (٢١٩هـ) .
- مسند الحميدي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي ، كراتشي باكستان ، ١٣٨٢هـ ، الأولى .

ابن حميد الكسي عبد بن حميد بن نصر الكسي (٢٤٩هـ) .
- المسند . (مخطوط) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ) .
- المسند . دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ ، الأولى .

الخرشي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي (١١٠١هـ) .
- شرح الخرشي على مختصر خليل . بدون ذكر سنة الطبع .

الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ) .
- تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي بيروت ، بدون ذكر سنة الطبع .
- الكفاية في علم الرواية . دار الكتب الحديثة ، الأولى .

ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) . دار البيان ، بدون ذكر سنة الطبع .

خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) .

- تاريخ خليفة . تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ، الثانية .
- الطبقات . تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٧هـ ، الأولى .

الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥هـ) .
- سنن الدارمي . دار المحاسن ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ) .
- رسالة أبي داود إلى أهل مكة . تحقيق محمد الصباغ ، دار العربية بدون ذكر سنة الطبع .
- سنن أبي داود . مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧١هـ ، الأولى .

أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (٢٠٤هـ) .
- مسند الطيالسي . ترتيب أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي ، المنيرية الأزهرية ، ١٣٧٢هـ ، الأولى .

الدميري محمد بن موسى (٨٠٨هـ) .
- حياة الحيوان . مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٩هـ ، الرابعة .

الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ) .
- تاريخ الإسلام ، مكتبة القدسي ، ١٣٦٧هـ .
- تجريد أسماء الصحابة . دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، ١٣١٥هـ ، الأولى .
- تذكرة الحفاظ . تصحيح عبد الرحمن المعلمي ، دار إحياء التراث العربي ، مكة المكرمة ، ١٣٧٤هـ .
- تلخيص المستدرك للحاكم حاشية المستدرك .
- ديوان الضعفاء والمتروكين . تحقيق حماد بن محمد الأنصاري ، النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٧هـ .
- العبر في خبر من غبر . تحقيق صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٦٠م .
- ميزان الاعتدال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ،

عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٢هـ ، الأولى .

ابن تيمية أبو البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله (٦٥٢هـ) .
ـ منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار . مع (نيل الأوطار) .

ابن الجارود أبو محمد عبد الله بن علي (٣٠٧هـ) .
ـ المنتقى من السنن المسندة . الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

ابن أبي حاتم الرازي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (٣٢٧هـ) .
ـ الجرح والتعديل ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٧٣هـ ، الأولى .
ـ علل الحديث . مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٤٣هـ ، القاهرة .
ـ المراسيل في الحديث . مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٨٦هـ .

ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (٣٥٤هـ) .
ـ ثقات ابن حبان . الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣٩٣هـ .
ـ صحيح ابن حبان . ترتيب علاء الدين الفارسي ، وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، السلفية المدينة المنورة ، ١٣٩٠هـ ، الأولى .

الحازمي محمد بن موسى بن عثمان (٥٨٤هـ) .
ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار . تصحيح راتب حاكمي ، مطبعة الأندلس ، حمص ، ١٣٨٦هـ ، الأولى .

الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (٤٠٥هـ) .
ـ المستدرك على الصحيحين . مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب بدون ذكر سنة الطبع .

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) .
ـ التاريخ الصغير . إدارة إحياء السنة ، كوجر نواله باكستان دون ذكر سنة الطبع .
ـ التاريخ الكبير . جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٨٠هـ .
ـ الجامع الصحيح . مطبعة الفجالة الجديدة ، (١٣٧٦هـ) .

- الضعفاء الصغير (مع التاريخ الصغير) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر ، (٢٧٩هـ) .
- أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، مصر ، دون ذكر سنة الطبع .

البهوتي منصور بن يونس بن إدريس (١٠٥١هـ) .
- كشاف القناع عن متن الإقناع . مطبعة الحكومة مكة المكرمة ، ١٣٩٤هـ .

البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (٤٨٧هـ) .
- معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ ، الأولى .

البيهقي أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ) .
- السنن الكبرى . دار صادر ، بيروت .

الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ) .
- سنن الترمذي . الفجالة الجديدة ، السلفية ، المدينة المنورة .

ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ) .
- الصارم المسلول . السعادة ، مصر ، ١٣٧٩هـ ، الأولى .

ابن راهويه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي (٢٣٨هـ) .
- المسند . (مخطوط) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

الزبيدي محمد مرتضي (١٣٠٥هـ) .
- تاج العروس من جواهر القاموس . المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦هـ ، الأولى .

أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٢٦هـ) .
- طرح التثريب . شرح التقريب ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، ١٣٥٣هـ ، الأولى .

الزرقاني محمد بن عبد الباقي المالكي (١١٢٢هـ) .
- شرح المواهب اللدنية . المطبعة الأزهرية ، ١٣٢٥هـ ، الأولى .

الزركشي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين (٧٩٤هـ) .
ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة . تحقيق سعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٠هـ ، الثانية .

الزيلعي أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي (٧٦٢هـ) .
ـ نصب الراية لأحاديث الهداية . الناشر المكتبة الإسلامية ، الحاج رياض الشيخ ، ١٣٩٣هـ ، الثانية .

السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢هـ) .
ـ فتح المغيث . شرح ألفية الحديث ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، العاصمة ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، الثانية .

ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ) .
ـ الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ .

ابن الأثير علي بن محمد بن محمد الجزري (٦٣٠هـ) .
ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة . مطبعة الشعب ، ١٣٩٠هـ .
ـ الكامل في التاريخ . دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ .
ـ اللباب في تهذيب الأنساب . مكتبة المثنى ، بغداد بدون ذكر سنة الطبع .

ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ) .
ـ النهاية في غريب الحديث . تحقيق محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي ، عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٣هـ ، الأولى .

ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (١٥١هـ) .
ـ المبتدأ والمبعث والمغازي (سيرة ابن إسحاق) . تحقيق محمد حميد الله ، ١٣٩٦هـ .

الألوسي محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) .
ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . إدارة الطباعة المنيرية ، دمشق ، بدون ذكر سنة الطبع .

الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (٣٢١هـ) .
ـ شرح معاني الآثار . مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة ، بدون ذكر سنة الطبع .

- مشكل الآثار . دائرة المعارف ، الهند ، ١٣٣٣هـ ، الأولى .

العامري عماد الدين يحيى بن أبي بكر (٨٩٣هـ) .
- بهجة المحافل وبغية الأماثل . المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، بدون ذكر سنة الطبع .

ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (٤٦٣هـ) .
- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار . تحقيق علي النجدي ناصف ، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب على هامش الإصابة لابن حجر .
- الدرر في اختصار المغازي والسير . تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
- مقدمة التمهيد . تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، عبد الرازق الصنعاني ، (٢١١هـ) .
- المصنف . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، منشورات المجلس العلمي ، ١٣٩٢هـ ، الأولى .

العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (٨٠٦هـ) .
- التبصرة والتذكرة . شرح ألفية الحديث ، المطبعة الجديدة ، بفاس ، ١٣٥٤هـ .
- تقريب الأسانيد « مع طرح التثريب » .
- التقييد والإيضاح . شرح مقدّمة ابن الصلاح ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٩هـ ، الأولى .

ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ) .
- المعارف . تصحيح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٠هـ ، الثانية .

القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ) .
- الجامع لأحكام القرآن . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

القسطلاني شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب (٩٢٣هـ) .
- إرشاد الساري ، شرح صحيح البخاري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،

عن الطبعة السابقة ، سنة ١٣٢٣هـ .

القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ) .
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان . تحقيق إبراهيم الأبياري ، السعادة ، ١٣٨٣هـ ، الأولى .

ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ) .
- تهذيب السنن على هامش (عون المعبود) .
- زاد المعاد في هدى خير العباد . مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٠هـ .

ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) .
- البداية والنهاية . مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٧٤م ، الثانية .
- تفسير القرآن العظيم . دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، بدون ذكر سنة الطبع .

اللكنوي أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي (١٣٠٤هـ) .
- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب .

محمد طاهر بن علي الهندي صاحب مجمع البحار (٩٨٦هـ) .
- المغني في ضبط أسماء الرجال . نشر دار الكتب الإسلامية ، كوجرنواله (باكستان) ، الطبعة الأولى ، ربيع أول ، سنة ١٣٩٣هـ .

محمد بن علي أبو المحاسن شمس الدين تلميذ الذهبي (٧٦٥هـ) .
- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي .

محمد بن أبي بكر الأشخر اليمني الزبيدي جمال الدين (٩٩١هـ) .
- شرح بهجة المحافل للعامري .

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٠هـ) .
- مختار الصحاح . مكتبة الغزالي ، حماه ، ١٣٩٠هـ .

ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ) .

- سنن ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ، بدون ذكر سنة الطبع .

مالك بن أنس الأصبحي أبو عبد الله إمام دار الهجرة (١٧٩هـ) .
- الموطأ . تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج (١٠٣هـ) .
- تفسير مجاهد . تصحيح عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، مجمع البحوث الإسلامية ، باكستان ، بدون ذكر سنة الطبع .

المزي أبو يوسف يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف (٧٤٢هـ) .
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف . تصحيح عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة ، الهند ، ١٣٨٤هـ .
- تهذيب الكمال . (مخطوط في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .

المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محيى الدين ، ١٣٨٤هـ ، الرابعة .

مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين (٢٦١هـ) .
- التمييز ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٣٩٥هـ .
- صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٤هـ ، الأولى .
- صحيح مسلم . مطبعة محمد علي صبيح ، الأزهر ، دون ذكر سنة الطبع .
- مقدمة صحيح مسلم .

المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (٨٤٥هـ) .
- إمتاع الأسماع . تصحيح محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٠م .

ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١هـ) .
- لسان العرب . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دون ذكر سنة الطبع .

موسى الحجاوي شرف الدين المقدسي (٩٦٨هـ) .
ـ الإقناع في الفقه الحنبلي . تصحيح عبد اللطيف محمد موسى السبكي ، المطبعة المصرية ، الأزهر ، بدون ذكر سنة الطبع .

الميداني أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (٥١٨هـ) .
ـ مجمع الأمثال . دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٣هـ ، الثالثة .

النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ) .
ـ سنن النسائي « المجتبى » . مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٣هـ ، الأولى .

ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأشبيلي (٥٤٣هـ) .
ـ عارضة الأحوذي . شرح جامع الترمذي ، دار العلم بدون ذكر سنة الطبع .

أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي اللغوي (٢٢٤هـ) .
ـ الأموال . تحقيق خليل هراس .

العلائي صلاح الدين خليل بن كيكلدي (٧٦١هـ) .
ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل . تحقيق عمر بن حسن فلاته ، ١٣٩١هـ .

عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أبو الفضل القاضي (٥٤٤هـ) .
ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى . دار الفكر ، بيروت ، بدون ذكر سنة الطبع .

الفاسي محمد بن أحمد تقي الدين المكي (٨٣٢هـ) .
ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . دار إحياء الكتب المصرية ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٦م .

الفسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان (٢٧٧هـ) .
ـ المعرفة والتاريخ . تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٥م .

ابن فهد المكي محمد بن محمد الهاشمي (٨٧١هـ) .
ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي .

الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم (٨١٧هـ) .
ـ القاموس المحيط . مؤسسة الحلبي بدون ذكر سنة الطبع .

الفيومي أحمد بن محمد بن علي (٧٧٠هـ) .
ـ المصباح المنير . مصطفى البابي الحلبي ، بدون ذكر سنة الطبع .

ابن شبة عمر بن شبة بن عبيدة النمري (٢٦٢هـ) .
ـ تاريخ المدينة . (مخطوط) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

الشوكاني محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ) .
ـ البدر الطالع . السعادة ، مصر ، ١٣٤٨هـ ، الأولى .
ـ نيل الأوطار . مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة .

ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (٢٣٥هـ) .
ـ المصنّف . تصحيح عبد الخالق خان الأفغاني ، المطبعة العزيزية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٨٦هـ .

صديق حسن خان (١٣٠٧هـ) .
ـ فتح البيان في مقاصد القرآن . الناشر عبد المحيي علي محفوظ ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، بدون ذكر سنة الطبع .

ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (٦٤٣هـ) .
ـ المقدّمة في علم الحديث « مع التقييد والإيضاح » . الصنعاني محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني (١١٨٢هـ) .
ـ سبل السلام . شرح بلوغ المرام ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧٩هـ .

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ) .
ـ تاريخ الرسل والملوك . دار المعارف ، مصر ، الثانية .
ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٣هـ ، الثانية .
ـ الضعفاء والمتروكين . دار إحياء السنة كوجر نواله ، باكستان ، دون ذكر سنة الطبع .

النوري أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ) .
ـ التقريب في علم الحديث « مع تدريب الراوي » .
ـ شرح صحيح مسلم . مطبعة الشعب ، ١٣٩٣هـ .

النويري أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ) .
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ .

ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشان بن أيوب الحميري (٢١٨هـ) .
ـ السيرة النبوية . مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥هـ ، الثانية .

الهيثمي أبو بكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (٨٠٧هـ) .
ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين . (مخطوط) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
ـ مجمع الزوائد . دار الكتاب ، بيروت ، ١٨٦٧م ، الثانية .

الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ) .
ـ أسباب النزول . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

الواقدي محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ) .
ـ مغازي الواقدي . تحقيق الدكتور مارسدن جونس ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، بدون ذكر سنة الطبع .

السفاريني أبو عون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (١١٨٨هـ) .
ـ شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد بن حنبل . منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٠هـ ، الأولى .

السمهودي علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (٩٢٢هـ) .
ـ خلاصة الوفا . بأخبار دار المصطفى ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٢هـ .

السندي أبو تراب رشد الله شاه السندي .
ـ كشف الأستار عن رجال معاني الآثار . طبعة هندية .

السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (٥٨١هـ) .

- الروض الآنف . تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار النصر للطباعة ، بدون ذكر سنة الطبع .

ابن سيد الناس محمد بن محمد أبو الفتح اليعمري (٧٣٤هـ) .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ .

السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) .
- تدريب الراوي . تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ١٣٧٩هـ ، الأولى .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور . الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ، بدون ذكر سنة الطبع .
- الأكليل في استنباط التنزيل . طبع على نفقة أسعد درابزوني الحسيني ، ١٣٧٣هـ .
- لباب النقول في أسباب النزول . مصطفى البابي الحلبي ، الثانية .

الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي (٢٠٤هـ) .
- الأم . دار الشعب ، ١٣٨٨هـ .
- المسند على هامش الأم .

محمد الغزالي .
- فقه السيرة . دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٦م ، السادسة .

المباركفوري محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم .
- تحفة الأحوذي . شرح جامع الترمذي ، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
- مقدمة تحفة الأحوذي .

نعمان عبد الرزاق السامرائي .
- أحكام المرتدين في الشريعة الإسلامية . الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .

وهبة الزحيلي .
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة . المكتبة الحديثة ،

١٣٨٥هـ ، الثانية .

أبو الأعلى المودودي .
ـ تفسير سورة النور . تعريب محمد عاصم الحداد ، دار الفكر ، دون ذكر سنة الطبع .

أبو شهبة محمد بن محمد .
ـ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة . دار الأنوار ، دون ذكر سنة الطبع .

الصابوني محمد بن علي .
ـ التبيان في علوم القرآن . دار الإرشاد ، بيروت ، ١٣٩٠هـ ، الأولى .
ـ روائع البيان تفسير آيات الأحكام . دار القرآن الكريم ، الكويت ، ١٣٩١هـ .

فؤاد حمزة .
ـ قلب جزيرة العرب . مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ١٣٨٨هـ ، الثانية .

كحالة عمر رضا .
ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٨هـ .
ـ معجم المؤلفين . مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٧٦هـ .

محمد شمس الحق العظيم آبادي .
ـ عون المعبود . شرح سنن أبي داود . تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٨هـ ، الثانية .

ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) .
ـ معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ .

اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (٢٨٤هـ) .
ـ تاريخ اليعقوبي . دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

أبو يعلي الموصلي أحمد بن علي بن المثنى (٣٠٧هـ) .
ـ مسند أبي يعلي . (مخطوط) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

المصادر الحديثة :

إبراهيم علي سالم .

ـ النفاق والمنافقون . مطبعة حسني ، دون ذكر سنة الطبع .

أكرم ضياء العمري .

ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

ـ نظرة في مصادر ودراسة السيرة النبوية . بحث في مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، ١٩٧٠م .

الألباني محمد ناصر الدين .

ـ تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي « بهامش فقه السيرة » .

ـ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على البوطي . المطبعة العمومية ، دمشق ، ١٣٩٦هـ .

ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة . المكتب الإسلامي .

ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة . المكتب الإسلامي .

باشميل محمد أحمد .

ـ غزوة الأحزاب . دار الفكر ، ١٣٩١هـ ، الثالثة .

ـ غزوة بدر الكبرى . سنة ١٣٨٨هـ ، الرابعة .

البلادي عاتق بن غيث .

ـ نسب حرب . مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٣٩٧هـ ، الأولى .

البوطي محمد سعيد رمضان .

ـ فقه السيرة . دار الفكر الحديث ، لبنان ، ١٣٨٦هـ ، الأولى .

الخضري بك محمد بن عفيفي الباجوري .

ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين . دار التعاون للنشر والتوزيع ، ١٩٦٧م ، الثالثة والعشرون .

خير الدين الزركلي .
ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء . الثانية .

الساعاتي أحمد بن عبد الرحمن البنا .
ـ الفتح الرباني . بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني ، مطبعة الفتح ، ١٣٥٨هـ ، الأولى .

سعيد حوي .
ـ الرسول . ١٣٨٩هـ ، الأولى .

الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني .
ـ أضواء البيان . مطبعة المدني ، ١٣٧٦هـ .

كتب للمؤلف

أولاً : في الدراسات الأدبية والنقدية :

١ ـ **الحرب في شعر المتنبي** : ثلاث طبعات منها طبعة خاصة لوزارة المعارف السعودية صادر عن دار الشروق بجدة ـ السعودية .

٢ ـ **عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل العربي** : طبعتان صادر عن دار الشرق ـ جدة ، السعودية .

٣ ـ **الرثاء في الشعر العربي** : ثلاث طبعات منها طبعة خاصة لوزارة المعارف السعودية صادر عن دار الحياة ، بيروت ، لبنان .

٤ ـ **الشنفرى شاعر الصحراء الأبي** : ثلاث طبعات ، صادر عن مؤسسة علوم القرآن دمشق بيروت .

٥ ـ **شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام** : طبعتان ، صادر عن مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت .

٦ ـ **أحمد شوقي بين المجون والتديّن** : طبعة ، صادر عن دار الحياة ، بيروت .

ثانياً : في الدراسات البلاغية :

١ ـ **السرقات في الشعر العربي** ، طبعة واحدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

٢ ـ **الجمان في تشبيهات القرآن** ، طبعة واحدة ، مركز الصف الالكتروني ، بيروت ، لبنان .

٣ ـ **الشفاء في بديع الاكتفاء** ، طبعتان ، مركز الصف الالكتروني ، بيروت لبنان .

٤ ـ **المبالغة في الشعر العباسي** ، طبعة واحدة ، دار الحياة ، بيروت ، لبنان .

ثالثاً : في الدراسات النحوية :

١ ـ شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ ، ثلاث طبعات (تحقيق) مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، دمشق .

٢ ـ **نظم الفرائد وحصر الشوارد** ، طبعتان ، مركز الصف الالكتروني ، بيروت لبنان .

رابعاً : في الدراسات النقدية :

١ ـ **طيف الخيال** : (تحقيق) طبعة مركز الصف الالكتروني ، بيروت لبنان .

خامساً : في العقيدة الإسلامية :

١ ـ الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان ، (تحقيق) ، طبعة واحدة .

رقم الفسح من وزارة الإعلام بالرياض ١٧٨٣/م وتاريخ ١٤٠٩/٣/٢٣ هـ

الفهرس

الصفحة